

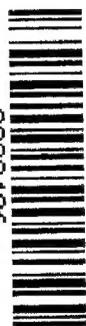
الكتاب  
محمود صالح منسي

# حكمة اليقظة العربية

في الشرق الاسيوي



Bibliotheca Alexandrina



0029426

ملتزم الطبع والنشر  
دار الفكر العربي



دراسات في تاريخ الشرق العربي الحديث

# حكمة اليقظة العربية في الشرق الاسيوى

تأليف

الشيخ

محمود صالح منسي

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

جامعة الأزهر

١٩٧٨

ملتزم الطبع والنشر  
دار الفكر العربي

دار الاتحاد العربي للطباعة  
لحامينا، محمد عبد الترازق  
١٩ كنية الزمره، الجيوش  
٩٣٤٠٩٨٠٩٨٠٩٨٠٩٨٠



## مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين  
وبعد :

فقد شهد القرن العشرون ، والنصف الثاني منه على وجه الخصوص ،  
ازدهار الحركة القومية بين عرب المشرق ، حتى أينعت ، وأنت بعض أكلها ،  
متمثلة في حصول الجانب الأكبر من الوطن العربي على الاستقلال، وتحرره  
من نير المستعمر الأجنبي ، ثم تطلعه إلى وحدة تجمع شتاته بعد طول انقسام،  
ورغبة قوية في السير على طريق التنمية والتقدم والنهوض لتعويض ما فاتته ،  
والقضاء على بقايا التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي . وهذا كله إنما  
هو نتاج الوعي القوى لدى العرب ، وإحساسهم بقوميتهم المتميزة عن غيرها  
من القوميات ، وبانتمائهم إلى مجموعة من البشر ترتبط فيما بينها بعدد من  
الروابط الطبيعية والبشرية تجعلها مجموعة متجانسة ، هذه الروابط التي من  
شأنها أن تجعل كل عربي من سكان الوطن العربي الممتد من الخليج إلى المحيط  
ينفعل مع بقية أبناء الأمة .

وإذا كنا نسمع أصداء تردد في أنحاء مختلفة من الوطن العربي تدعو إلى  
قيام نوع من أنواع الوحدة أو الاتحاد فيما بينها فاذلك إلا نتيجة الاعتراف  
وكما أثبت التاريخ - بأن شعوب الأمة العربية لا تستطيع مواجهة الغد بمشاكله  
والفرقة تمزق كيائها ، في الوقت الذي تتجه فيه وحدات أخرى في العالم إلى  
التجمع رغم ما بين أجزائها من اختلافات لوجود لها بين أجزاء الأمة العربية ،  
فأسباب التجمع والوحدة بين أجزاء الأمة العربية أقوى من أسباب الفرقة ،  
والعرب الآن أشد ما يكونون حاجة إلى الوحدة ، فهي السبيل الوحيد لمواجهة

الجمود الذي خيم عليها ما يزيد على ست سنوات ، وتحركت الدول نحو إيجاد حل للأزمة بعد طول امتناع ولا مبالاة . بل وتأييد لإسرائيل على حساب الحق العربي . فاهيك عن موقف التضامن الذي تجلى بأوضح صوره وأروعها في مختلف المجالات ، الأمر الذي يعتبر ظاهرة لها دلالتها في تاريخ العرب المعاصر ، وهي ظاهرة كان العبورون من العرب والأصدقاء يلتفتونها ، ولكن انتظارهم لم يצל ، وجزى الله الشدايد كل خير ؟

دكتور

محمد صالح منسى

الرياض في

١٠/١٠/١٩٧٤م

٢٤/٩/١٣٩٤هـ

## مقدمة الطبعة الثانية

حمد الله ، وشكراً للقارئ على حسن استقباله للطبعة الأولى من هذا الكتاب ،  
مما جاء دليلاً على أن العمل الجاد يلقى الجزاء الحسن ، مما حداًني إلى إصدار  
هذه الطبعة مزينة ومنقحة .

وإذا كان الكتاب يدور حول حركة اليقظة العربية فإن الطبعة الجديدة  
تصدر في وقت تجلت فيه اليقظة العربية بأروع معانيها ويتجلى ذلك عندما هبت  
القوات المصرية والسورية - تساندها الأقطار العربية - في أكتوبر ( تشرين أول )  
سنة ١٩٧٤ - رمضان ١٣٩٣ - تغسل عن نفسها وشرفها عار الهزيمة وتسترد  
أرضها السليبة بقوة السلاح - ولم تأل أية دولة عربية جهداً في سبيل تقديم الدعم  
للمعركة ، بما في ذلك الموقف الحازم الحاسم الذي وقفته الدول العربية المنتجة  
للنفط حين قطعت إمداده عن الدول المؤيدة لإسرائيل وفي مقدمتها الولايات  
المتحدة الأمريكية وهولندا ولم تنحزح الدول العربية عن موقفها على الرغم  
مما كانت تواجهه من تهديد ووعيد وصل إلى حد التلويح من جانب أنصار  
إسرائيل باستخدام القوة المسلحة لاحتلال حقول النفط ، فما كان من الدول  
العربية إلا أن ردت على هذا التهديد بمثله وظهر استعدادها للتضحية إلى درجة  
التهديد بنسف حقول النفط وإشعال النار فيها إذا ما فكرت الدول الغربية  
في استخدام القوة المسلحة ، رغم ما كان ينطوي عليه ذلك من أضرار بالغة  
باقسامها هذه البلاد التي يعتبر النفط المصدر الأول ولربما الوحيد لإيراداتها .

وكانت ( أزمة الطاقة ) التي وقعت في العالم كله نتيجة لهذا الموقف إلى جانب  
وحدة الصف العربي ونجاح القوات العربية في تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي  
الذي لا يقهر - سبباً في تحريك أزمة الشرق الأوسط نحو الحل وخروجها من

مشكلة الأمن ومشكلة التنمية وهما أكبر مشاكل العصر ، ولاستطيع كل دولة من الوطن العربى أن تواجه هذه المشكلات وحدها بمعزل عن شقيقاتها.

وهذه الأصداء التى تتردد داعية إلى الوحدة إنما هى ظاهرة صحية تدل على نمو الوعى القومى ، فهو - بعد أن حقق الاستقلال - يريد أن يحافظ على هذا الاستقلال ، الذى لا يتهدد فقط من جانب الدول الاستعمارية التى تريد العودة إلى نفوذها القديم فى الوطن العربى بشكل أو بآخر ، ولكنه أيضاً بسبب وجود ذلك الجسم الغريب (إسرائيل) الذى خلقه الاستعمار فى قلب الوطن العربى ليكون أذاته فى تهديد الأمة العربية تهديداً مستمراً ، وشغافها عن أهدافها القومية الكبرى .

ولم يكن من الممكن أن تحدث هذه اليقظة القومية بين العرب لو لم تتوفر لها المقومات الأساسية ، شأنها فى ذلك شأن القوميات الأخرى التى سجل التاريخ كفاحها من أجل التحرر والوحدة والنهوض فى مختلف أنحاء العالم .

#### المقومات الطبيعية :

فالوطن العربى يتميز بامتداده على مساحة من الأرض لا يدانيه فيها وطن آخر ، فهو يمتد بين الخليج والمحيط على مسافة تصل إلى ستة آلاف كيلو متر ، وهذه المساحة تشكل رقعة متصلة اتصالاً جغرافياً مستمراً دون فواصل طبيعية ، وحتى البحر الأحمر الذى يبدو لأول وهلة وكأنه فاصل يفصل الشطر الآسيوى من الوطن العربى عن الشطر الإفريقى ، فإنه لم يكن كذلك فى حقيقة الأمر ، ذلك أن برزخ السويس كان طريقاً للهجرات العربية المتجهة إلى شمال أفريقيا ، كما أن مضيق باب المندب كان من السهل على الهجرات العربية عبوره إلى شرق أفريقيا .

وهذه الوحدة المكانية التي يتميز بها الوطن العربي هي التي تبرز الشذوذ الذي ترتب على خلق إسرائيل ، ذلك الإسفين الذي وضعه الاستعمار لتزويق وحدة الوطن العربي لإضعافه حتى تسهل السيطرة عليه .

ومن أهم خصائص الوطن العربي تلك الحدود الواضحة كل الوضوح التي تفصل بينه وبين الأوطان المجاورة. مما جعل للوطن العربي شخصية واضحة المعالم، وفي ظل الاستقرار الذي توفر نتيجة هذه الحدود وما الشعور القومي الموحد . وليس هنا مجال تناول هذه الحدود بالتفصيل ، ولكن يكفي أن نشير إلى أنه بالنسبة لأفريقية العربية ، فإنه يفصلها عن أوروبا في الشمال البحر المتوسط ، وفي الغرب المحيط الأطلنطي ، وفي الجنوب الصحراء الكبرى وخط تقسيم المياه بين النيل والكنغو وهضبة البحيرات وهضبة الحبشة ، وهي كلها حدود طبيعية منيعة عازلة .

أما الشطر الآسيوي من الوطن العربي فيحده البحر المتوسط من الشمال الغربي والمحيط الهندي من الجنوب ، وخليج عمان والبحر العربي في الجنوب الشرقي ، وتفصل بين العراق وإيران ( أى بين القوميتين العربية والإيرانية ) جبال زاغورس الوعرة التي تفصل بينهما فاصلا يكاد يكون تاماً باستثناء المنطقة الجنوبية عند البصرة وشط العرب حيث الحدود السياسية لا تتفق مع الحدود الطبيعية أو القومية مما جعل منطقة عربستان العربية ( ويسمىها الإيرانيون خوزستان ) تدخل ضمن إيران بعد أن تنازلات عنها الحكومة العثمانية لإيران في معاهدة أرضروم عام ١٨٤٧ وهذه نقطة ضعف في حدود الوطن العربي . أما في شمال العراق فالحدود تخترق منطقة جبلية يسكنها الأكراد ، وبذلك يدخل جزء منهم في العراق وجزء في سوريا وجزء في تركيا وجزء في إيران ( ودخول الأكراد في العراق يمثل نقطة ضعف أخرى ) . وفي الشمال الغربي

من الوطن العربي تفصل الجبال بين تركيا من ناحية العراق ، وسوريا من ناحية أخرى ، وذلك عند هضاب كردستان والآناضول التي تفصل ما بين القومية العربية والقومية التركية ، باستثناء لواء الإسكندرونة الذي حصلت عليه تركيا من فرنسا ، التي كانت تقوى الانتداب على سوريا ) قبيل الحرب العالمية الثانية ، وهذه نقطة الضعف الثالثة في حدود الوطن العربي . وهكذا نرى أن الوطن العربي بمحدوده الواضحة المنية كان مسرحاً ملائماً لنمو القومية العربية داخل إطار طبيعي محدد .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الموقع الجغرافي للوطن العربي جعل له مزايا عظيمة ، فهو حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ( وازدادت أهميته بعد حفر قناة السويس سنة ١٨٦٩ ) ، كما يطل على عدد من البحار الهامة : الأطلنطي والمتوسط والأحمر والهندي ، وتمر به طرق التجارة العالمية ، وكذلك المواصلات على اختلاف أنواعها .

وبما يلاحظ أيضاً على الوطن العربي أنه يتكون من مجموعة من الهضاب والسهول ، أما السلاسل الجبلية فهي لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من السطح ، وهذه الجبال لا توجد في الغالب إلا حول الهضاب والسهول ، أي على شكل إطار جبلي يحيط بالمنطقة ، فهي جبال هامشية ، يضاف إلى ذلك أنها ليست شديدة الوجود بل إنها أيضاً مأهولة بالسكان ، كجبال الشام وجبال المغرب .

ومعنى ذلك أنه لا يوجد عائق يحول دون اتصال أجزاء الوطن العربي بعضها ببعض وبذلك ، أصبح الاتصال ميسوراً منذ أقدم العصور ، وكانت سهولة التنقل من أهم العوامل التي ساعدت على تحقيق التجانس والوحدة بين أبناء الأمة العربية .

فإذا تأملنا الظروف المناخية للوطن العربي أوجدنا أنه يمتد عبر أكثر من ثلاثين درجة من درجات الأرض ( من درجة عرض ٤ إلى درجة عرض ٣٧ شمالاً ) ، وهو امتداد كبير ، جعل الوطن العربي يضم أكثر من إقليم مناخى ففيه إقليم البحر المتوسط ، والإقليم السودانى ، والإقليم شبه الاستوائى ، والإقليم الجاف وشبه الجاف ، وقد أدى تنوع الأقاليم المناخية إلى تنوع الحياة النباتية سواء الطبيعية أو الزراعية ، ولذلك نجد غلات بلاد المغرب والشام من موالح وكروم وزيتون وأشجار الأرض تختلف عن حاصلات السودان الأوسط والجنوبى من الذرة والسمسم والفول السودانى والقطن والسمغ والمنتجات الحيوانية ، كما تختلف هذه وتلك عن غلات السهول الغبضية فى وادى النيل ووادى الرافدين بالعراق .

وهذا التنوع فى الغلات خلق ضرورة التبادل الاقتصادى منذ القدم ، وبذلك قام تعامل اقتصادى وعلاقات اقتصادية وثيقة بين أقطار الوطن العربى ، ولو كان الوطن العربى بيئة واحدة لما نشأت ضرورة مثل هذا التعامل والمصار له أثر فى توثيق الصلات وارتباط المصالح ، وبما يسهل هذا التعامل أنه لا تقف دونه حواجز ممانعة ، وهكذا يسرت الطبيعة سبل الاتصال بين أجزاء الوطن العربى .

وإلى جانب ذلك فإنه على الرغم من تنوع الأقاليم المناخية ، فإن الجانب الأكبر من الوطن العربى يدخل ضمن الإقليم الجاف أو شبه الجاف ، وقد أدى ذلك بدوره إلى وحدة فى كثير من الأوضاع والمشكلات الاقتصادية فى الوطن العربى ، فإن غلبة الجفاف جعلت المشكلة التى تواجه الوطن فى مختلف أجزائه تتعلق بموارد المياه . سواء أكانت جوفية أم نهريّة ، ومشروعات الرى الحديثة اللازمة للتطوير الاقتصادى تكاد تتشابه .

### المقومات البشرية :

وإذا كانت المقومات الطبيعية تمثل دعامة رئيسية للقومية العربية، فإن المقومات البشرية تمثل هي الأخرى دعامة لا تقل أهمية عن المقومات الطبيعية . ذلك أن مجموع أفراد الأمة العربية يصل إلى نحو مائة وعشرين مليون شخص ، وعلى الرغم من أنهم لا يتوزعون بنسبة واحدة في كل أجزاء الوطن العربي ، بل يتجمعون في تجمعات سكانية تفصل بينها مساحات من الخلاء السكاني ، فإنهم - رغم هذا العمران المتقطع المرتبط بتوزيع الماء - يتميزون بالتجانس الكبير الواضح ، ولا شك أن الظروف الطبيعية ساعدت على هذا التجانس ، فلم تخلق عقبات تحول دون الاتصال أو تشجع على العزلة ، بل وتوفرت دوافع الاتصال المتمثلة في تنوع الإنتاج الذي استوجب التبادل التجاري وأوجد مصلحة اقتصادية مشتركة .

إلا أن العامل الأساسي للتجانس البشري في الوطن العربي يرجع إلى التجانس العنصري : أو وحدة العنصر ( الجنس ) ، ومن البديهيات المسلم بها أنه كلما ازداد التجانس العنصري ازداد التآلف وتوثقت أواصر الوحدة . والأمة العربية تمتلك من وحدة الجنس ما لا يتوفر عند كثير من الأمم الأخرى ، ذلك أنه باستثناء الأقلية الزنجية الصغيرة في جنوب السودان ، فإن الأغلبية الساحقة من سكان الوطن العربي ينتمون إلى المجموعة الجلدية المعروفة بعنصر البحر المتوسط ، أحد عناصر الجنس القوقازي .

وإذا كان لا بد وأن نجد في منطقة كالوطن العربي بموقعها الجغرافي المتوسط مؤثرات جنسية أخرى ، فإن القاعدة العامة هي سيادة عنصر البحر المتوسط على كل أنحاء الوطن العربي من الخليج إلى المحيط . وقد جاء هذا التجانس العنصري نتيجة الهجرات السامية في موجات متتالية من صحراء العرب إلى



الشام والعراق ومصر ومنها إلى السودان وشمال أفريقيا ، وكان العامل الاقتصادي هو الدافع الأساسي لهذه الهجرات التي ترجع إلى بضعة آلاف من السنين ، فاجتذبت بلاد الشام الكنعانيين والفيلقيين والعموريين والآراميين ، واجتذبت أرض العراق السككديين والعموريين والآشوريين ، واجتذبت مصر عبر برزخ السويس هجرات مختلفة من صحراء العرب . وعبر البحر الأحمر وصلت هجرات عربية إلى السودان قبل الإسلام وفي أيام التوسع الإسلامي ، إلا أن أغلبية الموجات العربية وصلت إلى السودان من مصر عن طريق وادي النيل ، وهو الطريق الطبيعي بين مصر والسودان من أقدم العصور ، وكذلك طريق الصحراء الممتدة عبر الحدود بين القطرين . وعلى الرغم من وضوح بعض المميزات الزنجرية بين السودانيين ، إلا أن العنصر السائد في السودان الأوسط والشمال هو عنصر البحر المتوسط ، بل إن القبائل العربية البدوية في السودان تكاد لا تختلف عن عرب شبه الجزيرة العربية سواء في مظهرها أو في أسلوب حياتها .

أما بلاد المغرب ، فإن أساسها كان من العناصر الحامية ( البربر ) التي جاءت من آسيا عن طريق باب المندب إلى وادي النيل ثم اتجهت من مصر غرباً إلى شمال أفريقية . إلا أنه لا يوجد فارق عنصري بين الحاميين والساميين فهم عنصر واحد ، ولم تلبث الموجات السامية أن وصلت إلى المغرب سواء عن طريق البحر المتوسط الذي يتميز بالهدوء والجزر وأشباه الجزر ، وعن طريقه جاءت موجة الفينيقية بين الساميين الذين استقروا في تونس وأسسوا قرطاجنة وانتشروا على الساحل الشمالي ، أو عن طريق السهل الساحلي من مصر في أثناء موجة الفتح العربي وما بعدها .

وهكذا صار أهالي الوطن العربي يملكون من التجانس العنصري مالا تملكه كثير من الأمم الأخرى ، ولا يقلل من هذا التجانس وجود أقلية

عنصرية في جنوب السودان حيث تسود الصفات الزنجية ، لأن هذه الأقلية لا تتجاوز ثلاثة ملايين نسمة من مجموع الأمة العربية ، كما أنه لا شك في حدوث اختلاط بين أهل جنوب السودان وعنصر البحر المتوسط في الشمال بدليل ظهور الصفات الزنجية معدلة بين الشيلوك ، وسوف يشتد الاختلاط والتزاوج بينهم بمضى الزمن مما سيقلل من الفروق الجسدية الحالية .

\* \* \*

ومن أهم مقومات القومية العربية ذلك التبتانس اللغوي، الراجع بين أبناء الأمة العربية ، واللغة عامل مهم يعتبر ركناً أساسياً من أركان الوحدة القومية بوجه عام ، واللغة العربية هي لغة الأغلبية الساحقة إذ يتكلم بها نحو ٩٠ ٪ من أبناء هذه الأمة ، حقاً هناك اختلاف في اللهجات بين قطر وقطر ، ولكن هذا الاختلاف لا يقف حائلاً دون التفاهم ، فأينما سرنا في الوطن العربي نجد اللغة العربية هي لغة الحياة اليومية ، ولغة العلم ، والأدب بين جميع سكان هذا الوطن المترامي الأطراف ، واللهجات المحلية قريبة من بعضها لا تخرج عن كونها اختلافات في النطق ، أو استبدال حرف بحرف آخر .

وحتى هذا الاختلاف في اللهجات المحلية يمكن التغلب عليه بمراعاة استعمال اللغة العربية الفصحى في التعليم والإذاعة والصحف ، مما يعمل على تضاؤل الاختلاف بين اللهجات المحلية واللغات العامية .

وقد كان للقرآن الكريم الفضل في نشر اللغة العربية وتدعيم مكانتها في الوطن العربي وجعلها لغة عامة في جميع أجزائه ، وكان لارتباط اللغة العربية بهذا العامل الرئيسي أثر كبير في رسوخها وتمسك أبناء الوطن العربي بها : وارتباطهم بعضهم ببعض بهذا الرباط القوي المتين .

ونظراً لهذه الأهمية للغة العربية كأحد ألقومات الأساسية للقومية العربية وإيجاد التفاهم والوحدة العسكرية بين أبناء الأمة العربية أتم أعداء القومية العربية بإضافة هذا الرباط اللغوى بتشجيع اللهجات الشامية ، وتشجيع الكتابة بها دون الفصحى ، حتى تنقطع وسيلة التفاهم بين أبناء الأمة العربية ، كما حاول الاستعمار الأجنبى أن ينشر لغته ويجعلها اللغة الأساسية على حساب اللغة العربية ، مثلاً فعل الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، حتى يضعف الرابطة بين هذا الشعب العربى وبقية شعوب الأمة العربية .

ولابد من الإشارة إلى أن الوطن العربى يضم أقاليم لغوية محدودة . تتمثل فى الأكراد فى آسيا العربية ، والبربر وأهالى جنوب السودان فى أفريقية العربية . أما الأكراد فعندهم فى العراق وسوريا لا يتجاوز المليون ، ولكن مما يقلل من أثر الاختلاف اللغوى بين الأكراد والعرب أن الاختلاف الجنسى بينهما لا يكاد يذكر ، ثم أن الأكراد مسلمون يرتبطون بالعرب برابط روحى متين ، هذا إلى جانب رابطة المصلحة ، ورابطة الماضى المشترك ، والكفاح المشترك ، وكثير من الأكراد يتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية مما يخفف من مشكلة الأقلية الكردية .

أما الأقلية البربرية فى المغرب فإنها لا تزيد عن ٦ مليون شخص ، كما أن اللغة البربرية لغة حامية تجمعها والعربية وحدة الأصل ، وهى أيضاً لغة غير مكتوبة ، وإذا كتب البربر كتبوا باللغة العربية ، كل هذه عوامل أدت إلى انتشار اللغة العربية ، وكان من الممكن أن تنتشر العربية على حساب البربرية أكثر من ذلك لولا جهود الاستعمار الفرنسى لفصل المغرب العربى عن بقية أجزاء الوطن العربى ، فعمل على بعث اللغة البربرية ، ثم العمل على فرنسة هذه الأقطار العربية .

ولازيد الأقلية اللغوية فى جنوب السودان عن ثلاثة ملايين شخص .

وكان من الممكن أن تفل عن ذلك بكثير لو استمرت عملية التعريب في تقديمها من الشمال صوب الجنوب . لولا سياسة الاستعمار الإنجليزي في الفصل بين شمال السودان وجنوبه ففرضوا القيود على الانتقال من الشمال إلى الجنوب وشجعوا انتشار اللغة الإنجليزية ، وعملوا على الإبقاء على المستوى الحضارى المنخفض لأهل الجنوب .

إلا أن وجود هذه الأقليات اللغوية داخل الوطن العربى لا يقلل من الانسجام اللغوى ولا يضعف من شأن الوحدة اللغوية . فان هذه الأقليات الثلاث لا يزيد عددها عن عشرة ملايين أى ١٠ ٪ من مجموع أبناء الوطن العربى .

وعلى الرغم من أن وحدة الدين ليست شرطاً لاغنى عنه لقيام الوحدة القومية ، كما هو الحال بالنسبة لوحدة اللغة ، أو وحدة الجنس ، حيث إن الدين لله والوطن للجميع ، ومع ذلك فإنه إذا توفرت وحدة دينية بين أبناء الوطن أو احد كان ذلك عاملاً مساعداً لتدعيم الوحدة وتقويتها واستمرارها وهذا ما يتمثل في الوطن العربى حيث يدين بالإسلام نحو ٩٣ ٪ من أبنائه ، وبذلك صارت الوحدة الدينية إحدى مقومات القومية العربية والتماسك القومى إلى جانب المقومات الأخرى .

وما يزيد من أثر الدين الإسلامى أن كتابه السماوى وهو القرآن نزل باللغة العربية التى انتشرت بين جميع أبناء الوطن العربى على اختلاف أديانهم ، كما أن الإسلام لا ينظم علاقة الإنسان بربه فحسب بل إنه ينظم شئون المجتمع ، فهو نظام اجتماعى وسياسى ، ويتضمن تشريعاً شاملاً للمعاملات والأحوال الشخصية ، والعلاقات بين الحاكم والمحكوم . ولذلك كلن الإسلام عنصراً

من عناصر الوحدة بين أغلبية أبناء الأمة العربية ، وإذا ما انتقل حرفي من قطر  
لآخر داخل الوطن العربي الكبير فإنه لا يصادف شيئاً غريباً ، فطرز العماره  
الإسلامية تكاد تكون واحدة ، وأسماء الناس ، وعلاقاتهم الاجتماعية ونظرتهم  
للأمور ، والاحتفالات والأعياد ، والشعائر الدينية ، كل هذا لا يتغير  
من قطر إلى قطر .

وعلى الرغم من أن الوطن العربي يضم نحو ثلاثة ملايين مسيحي ، فإن  
ذلك لم يضعف من وحدة هذا الوطن ، لأن المسيحيين جزء أصيل من الوطن  
العربي يشتركون مع الأغلبية المسلمة في الجلس واللغة والعادات والتقاليد ،  
والنخبة التاريخية والمصلحة ، ولذلك كان المسلمون والمسيحيون يداً واحدة  
في الكفاح ضد الاستعمار رغم محاولته التفرقة بينهما ، ويتمثل هذا في وحدة  
الهلل والصليب في أثناء ثورة ١٩١٩ في مصر ضد الحماية البريطانية . كما توجد  
في الوطن العربي أقلية يهودية يصل عددها إلى مائتي ألف شخص ، وهي أقلية  
ضئيلة ، أما الصهيونيون في فلسطين المحتلة فهم ليسوا من هذا الوطن ووجودهم  
الحالي إنما هو احتلال عسكري أجنبي . كما يضم الوطن العربي أقلية وثنية  
في جنوب السودان يقدر عددها بنحو ثلاثة ملايين أي ٣٪ من مجموع  
الأمة العربية .

وإذا توفر للوطن العربي هذا التجانس العنصري واللغوي والروحي ،  
بالإضافة إلى التاريخ المشترك الذي مر بهذا الوطن نتيجة موقعه الجغرافي  
 وظروفه الطبيعية كان لا بد وأن يؤدي ذلك كله إلى وحدة في المفاهيم  
الاجتماعية ، وفي مقدمتها العادات والتقاليد ، وتشابه النظرة إلى شئون الحياة ،  
فعظم أبناء الوطن العربي يشتركون إلى حد كبير في معظم العادات والتقاليد  
المرتبطة بالزواج والأفراح والمآتم ، والمجاملات ، والأطعمة ، وهناك

بعض الصفات الأخلاقية المشتركة كالكرم والوفاء والتماسك العائلي ، كما يتفقون في نظرهم للمرأة والعرض والشرف والثأر .

• • •

إلا أن وجود هذه الأسس والعناصر لا يكفي ، فقد تتوفر هذه المقومات لدى شعب من الشعوب ، ومع ذلك تمر قرون وقرون قبل أن يقطن هذا الشعب إلى الطريق الذي تلزمه هذه المقومات باتباعه ، إذ لا بد وأن يشعر كل فرد بهذه الروابط الطبيعية والبشرية التي تربطه ببقية أبناء أمته ، وبذلك تنشأ لديه العاطفة التي تجعله يتعاطف معهم وتحس نحوهم بشعور خاص لا يشعر بمثله نحو أبناء قومية أخرى ، ويحس نحو وطنه بالولاء والإخلاص الذي يجعله يتفانى في حبه والتفانى في خدمته وإعلاء شأنه ، وهذه هي العاطفة القومية ، وهي لا تتكون إلا نتيجة النضج ، وهذا النضج لا يحدث فجأة ، ولكنه ينمو مع الأيام ، نتيجة يقظة قومية تتضافر عدة عوامل على إنعاشها وإحيائها ، فإذا ما ازدهرت انتفض الشعب انتفاضة قومية تدفعه إلى السير في طريق تحقيق أمانيه التي يلزمه الشعور القوي بتحقيقها ، فإذا كان وطنه قد ابتلى باستعمار أجنبي هب يغسل عن وطنه عار التبعية للأجنبي ، وإذا كان وطنه تمزقه الانقسامات المصطنعة جاهد من أجل القضاء عليها وتحقيق الوحدة ، وإذا كان وطنه يعاني من التخلف في شتى ميادين الحياة نشط الشعب لكي يسمو بوطنه ويسير به في طريق التقدم والمدنية حتى يتبوأ مكانه اللائق بين الأوطان .

ولذلك ، وبحكم انتمائي إلى هذه الأمة العربية رأيت أن أكتب عن حركة اليقظة العربية الحديثة في شطر من الوطن العربي ، وهو الشطر الآسيوي نظراً لأن هذا الشطر يختلف أقطاره مر في العصور الحديثة وبخاصة في

القرنين التاسع عشر والعشرين بظروف تسكاد تكون واحدة ، جعلت من أقطاره وحدة واحدة ، فقد ظل هذا الشطر حتى الحرب العالمية الأولى تابهاً للدولة العثمانية ، دون أن تصل إليه أيدي الاستعمار ، وإن تطلعت إليه أنظاره ، ولم تلبث أن تضافرت عوامل - في أثناء القرن التاسع عشر - ساعدت على نمو الوعي القومي لدى عرب المشرق ، ولكن الحكم التركي كان يحمل بين ثناياه عوائق تقف في طريق ازدهار هذا الوعي القومي فإن سياسة العزلة التي اتبعتها الدولة العثمانية في حكم ممتلكاتها عزلت أقطار المشرق العربي عن التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي كانت تموج في أوروبا في ذلك الوقت ، ولذلك فإنه بينما كانت أوروبا تتبع الطريقة العلمية التجريبية التي ساعدت على تقدم العلوم وظهور الاختراعات ، وبينما أخذت النظم السياسية الحديثة تظهر في أوروبا ، وكذلك الحركات التحررية ، والأفكار القومية ، كان المشرق العربي - في ظل الحكم التركي - يعاني من التخلف والجمود الذي أثر بدوره على القومية العربية ، وإن بقيت مقوماتها .

وإلى جانب ذلك لجأ سلاطين آل عثمان وخاصة السلطان عبد الحميد الثاني إلى ترويج فكرة الجامعة الإسلامية يحاول أن يطنى بها جذوة الشعور القومي التي بدأت تظهر بين أهل المشرق العربي ، محاولاً بذلك أيضاً جمع المسلمين - بما فيهم العرب - حول لواء الخلافة العثمانية في وجه الأطماع الاستعمارية المسيحية الزاحفة من أوروبا .

وكانت الحرب العالمية الأولى هي الفرصة التي سنحت لتحقيق الأمانى العربية في الاستقلال عن الترك ، فكانت ثورة الحجاز عام ١٩١٦ ومساعدة عرب الشام للحلفاء ضد الأتراك : إلا أنه إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد تمخضت عن انحسار الحكم التركي عن أقطار المشرق العربي ، فقد وقعت هذه (٧ - الملاحظة)

الأقطار فريسة الاستعمار الأول بى الذى كان يمتنى نفسه بها ، وكانت الحرب هى الفرصة السانحة لتحقيق أطماعه ، ولم يكتف الاستعمار الأوروبى بالسيطرة عليها ، بل مزق المنطقة أرباً . وفرض عليها تجزئة مصطنعة ، بهدف خلق كيان ممزق ضعيف يضم استمرار التبعية والتخلف ويدعم مركز الاستعمار ومصلحه ، حيث إن هذه الانقسامات تستنزف كل إمكانيات المنطقة وتمتص جهودها . فلا تنفرغ أبداً لمحاربة الاستعمار والتخلص منه .

وقد اتخذت هذه التجزئة وهذا التفنيت المقصود مظاهر عدة ، منها خاى وحدات سياسية صغيرة لا تمتلك من المقومات الطبيعية أو البشرية ما يضمن بقاءها ، ومنها فصل المناطق الساحلية عن المناطق الداخلية ، علماً بأن إحداها لا تستطيع الحياة بدون الأخرى ، كما يظهر فى منطقة الخليج العربى والجنوب العربى ، وساحل الشام ، كما فرض الاستعمار حدوداً مصطنعة بين هذه الوحدات قد تكون حدوداً غير واضحة كما هو الحال بين وحدات شبه الجزيرة العربية أو حدوداً فلسكية كما هو الحال بين مصر وليبيا وبين العراق والأردن أو حدوداً تجاهلت الظروف الطبيعية والبشرية الواحدة فشطرتها كالحد بين مصر والسودان الذى يقطع الاتصال الطبيعى الذى يفرضه نهر النيل والاستمرار البشرى الذى يتمثل فى قبائل جنوب مصر وشمال السودان .

ولم يكتف الاستعمار الأوروبى بذلك بل هو يسمى جاهداً من أجل القضاء على عروبة بعض الأقطار العربية مثلما حاولت فرنسا فى الجزائر ، ومثلما جرى فى منطقة الخليج العربى والجنوب العربى حيث ينقل الإيرانيون والهنود لتغيير معالمها العربية .

ولذلك فقد صار على أهل المشرق العربى فى القرن العشرين عبء السكفاح ضد هذا الاستعمار ، وما ترتب عليه من نزق وتخلل ، وإذا كانت كثير



من أقطار المشرق العربى قد تخلصت فعلا من السيطرة الأجنبية فإنها تحاول جاهدة العمل على الحيلولة دون الوقوع فى براثنها مرة أخرى ، كما أن الشعب العربى وقد رأى ما حل بوطنه صارت نفسه تهفو إلى الوحدة - أى نوع من الوحدة - تضمن لوطنه الحياة الحرة الكريمة التى يتطلع إليها ، حتى يستطيع مواجهة مشكلات العصر : الأمن والتنمية .

\* \* \*

وهذه الدراسة التى أقدمها للقارىء العربى تعرض للمرحلة الأولى لحركة اليقظة الحديثة فى الشرق العربى الأسوى ضد الترك وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ عندما أصيبت الأمانى القومية لدى عرب المشرق بنكسة شديدة .

وقد يلاحظ القارىء أنى تناولت بعض عناصر الموضوع بشيء من التفصيل ، مثل دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ، ولقد كان لهذا التفصيل ما يبرره ، ذلك لأن الحرب العالمية الأولى كانت امتحاناً واجهته القومية العربية ، وكان عليها أن تختار ما يتفق ومصالحها ، ثم إن هذه الحرب كانت الفرصة السانحة التى أمسكت بها دولتنا الغرب : بريطانيا وفرنسا لتحقيق أهدافهما الاستعمارية التقليدية فى أقطار المشرق العربى .

\* \* \*

ولقد عودت القارىء فيما سبق أن قدمته من مؤلفات تاريخية ، أن أنحو منحني هادياً موضوعياً ، بالاعتماد على مصادر أصلية ، تتضمن - إلى جانب كتابات المعاصرين ومن شاركوا فى الأحداث موضع الدراسة - وثائق رسمية ، المنشور منها وغير المنشور ، مع الاهتمام - على وجه الخصوص - بالوثائق التى لم يسبق استخدامها .

وهل الرغم من أن الموضوع الذى تناوله الدراسة التى بين أيدينا يغلب عليه الطابع القومى ، الأمر الذى قد يدعو إلى تناوله فى دراسة خفيفة ، يمتلك الكاتب فيها الشعور الوطنى ، ويخلق به الخيال ، فقتيطر على كتابته الألفاظ والعبارات الرنانة ، التى تحدث فى نفس القارئ أثراً عاطفياً ، فأننى التزمت بمنهجى ، واعتمدت على وثائق لم يسبقنى إليها كاتب ، حرصاً على أصالة البحث التاريخى ، حتى فى الموضوعات التى تتصل بشئون الوطن العربى الذى أسمى إليه .

وفى مقدمة الوثائق التى اعتمدت عليها فى هذه الدراسة نوعان : أولهما سجلات وزارة الخارجية الأمريكية عن الأحوال الداخلية فى الدولة العثمانية فى الفترة بين عامى ١٩١٠ ، ١٩١٨ ، وتتضمن هذه السجلات تقارير للقناصل الأمريكين فى شتى أنحاء الشرق العربى الأسبوى : بغداد وبيروت ودمشق وحيفا ، علاوة على تقارير السفير الأمريكى فى الأستانة إلى حكومته ، وهذه التقارير تتضمن الكثير من المعلومات الجديدة عن الأحوال فى الشرق العربى الأسبوى ، والمشاعر الوطنية التى كانت تموج به فى ذلك الوقت .

وثانيهما تلك التقارير التى كان يبعث بها المندوب الأمريكى الخاص إلى الشرق وليام بيل اعتباراً من عام ١٩١٧ ، يصف فيها أحوال الشرق العربى الأسبوى إبان الحرب العالمية الأولى ، وقد سبق لى أن اعتمدت على تقارير بيل المتصلة بفلسطين ، وذلك فى دراستى السابقة عن تصريح بالفور .

ويرجع اعتمادى أساساً على هذه الوثائق الأمريكية إلى ما كانت تتمتع به هذه الدولة فى ذلك الوقت من مكانة دولية ، حيث أن أطماعها فى المنطقة لم تكن قد ظهرت بعد ، مما يجعلنا نطمئن - بدرجة كبيرة -

إلى تصوير عثائها السياسيين فى المنطقة للأحوال السائدة فيها خلال الفترة موضع الدراسة .

وإنهى لأرحو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة صادقة لتاريخ الشرق العربى الأسيموى فى تلك الحقبة ، وأن أكون قد أسديت لوطنى العربى الكبير ، والدراسات التاريخية خدمة متواضعة ، والله من وراء القصد وهوولى التوفيق ؟

دكتور  
محمود صالح منسى

القاهرة لى { يناير ١٩٧٢ م  
ذى القعدة ١٣٩١ هـ

## المبحث الأول

### الشرق العربي الآسيوى فى ظل الحكم العثمانى

الفصل الاول : الغزو العثمانى للشرق العربى .

الفصل الثانى : أحوال الشرق العربى الآسيوى فى ظل الحكم العثمانى .

الفصل الثالث : بداية اليقظة العربية .

## الفصل الأول

### الغزو العثماني للشرق العربي

شهد القرن الثالث عشر الميلادي مولد إمارة تركية جديدة في الأناضول ،  
صارت منذ عام ١٢٨٨ تحمل اسم أميرها عثمان الذي خلف أباه أرطغرل ،  
وتضافرت عوامل عديدة فيما تبقى من القرن الثالث عشر وطوال القرنين  
التاليين ساعدت الأتراك العثمانيين على التوسع - في آن واحد - في كل من  
آسيا الصغرى على حساب الإمارات السلجوقية التركية ، وإمارتي طرايزون  
وكليكية المسيحيين ، وبقايا الممتلكات البيزنطية في الأناضول ، وفي شبه  
جزيرة البلقان على حساب الانقاضي البيزنطية والشعوب البلقانية .

واستمرت موجة التوسع العثماني في أوروبا حتى بعد انهيار الإمبراطورية  
البيزنطية وسقوط عاصمتها القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني  
( الفاتح ) عام ١٤٥٣ ، وحتى عام ١٥١٢ عندما خلع السلطان بايزيد الثاني .  
كما شهدت هذه الفترة أيضاً تحول الإمارة العثمانية تدريجياً حتى أصبحت دولة  
كبيرة أو إمبراطورية عظيمة ، وانتقلت عاصمتها من بروسة ( ١٣٢٦ )  
إلى أدرنة ( ١٣٦١ ) حتى استقرت في القسطنطينية بعد فتحها ( ١٤٥٣ )  
وصارت تحمل اسم إسلامبول ( مدينة الإسلام ) .

#### اتجاه العثمانيين نحو الشرق وأسبابه :

إلا أن عام ١٥١٢ كان عاماً حاسماً في تاريخ الإمبراطورية العثمانية ،  
فقد تولى عرشها السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني ، وفي عهده حدث  
تحول هام وعميق في استراتيجية الدول ، فتوقفت في عهده فتوحها في أوروبا  
لكي تتجه نحو الشرق الإسلامي في آسيا وأفريقيا .

وعلى الرغم مما يذهب إليه البعض من أن هذا التحول في استراتيجية الدولة العثمانية يرجع إلى أنه صار من المتعذر على الدولة العثمانية - في عهد سليم الأول - أن تواصل فتوحاتها في القارة الأوروبية بدعوى أنها قد وصلت إلى درجة التشبع ، فإنه لا يمكن قبول هذا التفسير لسبب بسيط ، وهو أنه بمجرد وفاة السلطان سليم الأول عاد ابنه سليمان المشرع إلى توجيه فتوحات الدولة إلى أوروبا مرة أخرى ، فأوغل في قلبها حتى استولى على بودابست واكتسح سهول المجر ( ١٥٢٦ ) وانتزع معظمها من امبراطورية النمسا ، ووصل إلى أسوار مدينة فيينا ( ١٥٢٩ ) .

ويذهب البعض مذهباً آخر في تحليل هذا التحول ، وهو رغبة العثمانيين في حماية الشرق العربي الإسلامي من الخطر البرتغالي الاستعماري الصليبي ، الذي كان قد استشرى منذ نجح البرتغاليون في كشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند ، فسعوا إلى انتزاع النشاط التجاري البحري في المحيط الهندي من أيدي العرب والمسلمين ، بل وحاولوا أيضاً تطويق الشرق الإسلامي بالاستيلاء على منافذه إلى بحار الشرق ، فاستولى البرتغاليون - لذلك - على جزيرة سقطرة ، التي تتحكم في مضيق باب المندب ، كما استولوا على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية حتى مسقط ، وسيطروا على هرمز ، كما حاول البرتغاليون - بالتعاون مع الحبشة - توجيه حملة بحرية ضد الحجاز للاستيلاء على جدة ، لولا أن أرسل الله عليهم ريحاً عاتية ففشلت الحملة .

ولكننا نلاحظ أنه إذا كان العثمانيون قد توسعوا حتى وصلوا إلى اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية ، واتخذوا من هذه الأصقاع قواعد للقضاء على النفوذ البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي ، ونجح العثمانيون فعلاً في جمل البحر الأحمر بجرأ إسلامياً صرفاً لا تدخله السفن غير الإسلامية ، فإن هذه الإجراءات من جانب العثمانيين كانت وقائية دفاعية ، لم يفكروا فيها ولم

يتقدموا عليها إلا بعد أن استولوا فعلاً على هذه الأقاليم ، ودار يقع على عاتقهم عبء حمايتها والدفاع عنها بعد أن صارت ممتلكات عثمانية .

وثمة تبرير ثالث لاتجاه العثمانيين نحو الشرق العربي والإسلامي ، ألا وهو رغبة السلطان سليم في إخضاع العالم الإسلامي - بما يضمه من أماكن مقدسة إسلامية ، في دولة واحدة تحت سيادته ، حتى يدعم مركز الدولة العثمانية كدولة إسلامية سنية ، في مواجهة أعدائه الذين كانوا يمثلون في أوروبا المسيحية ودولة الفرس الشيعية .

لأنه إذا كان السلطان سليم قد حقق فعلاً هذه النتائج ، فإننا لانستطيع - رغم ذلك - القول بأنها كانت في خططه وهو يوجه جيوشه صوب الشرق لأنه كثيراً ما يتمخض الحدث عن نتائج لم تكن في الحسبان عند وقوعه ، والامر الذي يجعلنا نشك في أن ذلك كان هدف السلطان سليم أن جمع شتات المسلمين في دولة واحدة تخضع للسلطان العثماني كان يستدعي بالضرورة سيطرة العثمانيين على الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية كلها ، ولكن الثابت أن السلطان عند ما توجه لمحاربة المماليك في الشام لم يكن يفكر جدياً في الاستيلاء على مصر ، ولكنها الظروف المشجعة التي ظهرت عقب موقعة مرج دابق ، التي انهارت فيها قوة المماليك ، وظهر ضعف الجبهة المملوكية متمثلاً في خيانة بعض البكوات ، وانحياز الخليفة العباسي المتوكل على الله ، ووضع نفسه تحت تصرف السلطان سليم ، وكذلك انحياز كبرى عائلات الشام ، كل هذا شجع السلطان على متابعة الزحف ، ولكن بعد أن حاول التوصل إلى صلح مع المماليك مكثفياً بالجزء الشمالي من الشام ، تاركاً مصر وبقية الشام في حوزتهم في ظل السيادة العثمانية ، وعندما رفض المماليك العرض التركي تابع سليم سيره حتى أكمل فتح الشام ، ثم فتح مصر ،

وعندما أثار المماليك المقاومة ضده بحيث تخرج مركزه في القاهرة صعب  
سليم جام غضبه على الأمير المملوكي خاير بك الذي زين له فتح مصر وهون له  
من أمر هذا الفتح .

ومما يؤكد هذا الرأي أيضاً أنه بعد أن هزم طومان باي نهائياً وقبض  
عليه وأحضر أمام السلطان العثماني دار بينهما حديث مثير ، أوردته ابن زنبيل  
أحمد الرمال الذي عاصر تلك الفترة ، ومما جاء في هذا الحديث على لسان  
السلطان سليم قوله « والله ما كان قصدي أذيتك ، ونويت الرجوع من حلب ،  
ولو أطعني من الأول وجعلت السكة والخطبة باسمي ماجئت لك ولا دست  
أرضك » (١) .

وإذا كان السلطان سليم الأول قد ترك الدولة الصفوية الشيعية  
قائمة في فارس على الرغم من انتصاره عليها عسكرياً في واقعة جالديران  
عام ١٥١٤ ودخوله عاصمتها تبريز ، فقد كان أولى به وأجدر أن يترك  
الدولة المملوكية السنية في مصر والشام وشأنها ، ولو أن هناك من يقول  
بأن صعوبة المواصلات بين عاصمة الدولة العثمانية وإيران ، واختلاف  
المذهب بين العثمانيين السنيين ، والإيرانيين الشيعة جعل العثمانيين  
لا يرجعون بالسيطرة على إيران خوفاً من عدم استتباب الأمور لهم  
فيها (٢) .

لأن التفسير الأقرب إلى المنطق للتحويل في استراتيجية الدولة العثمانية من  
أوروبا إلى الشرق الإسلامي هو أن الأحداث التي كانت تجري وقتئذ (في مطلع

---

(١) ابن زنبيل أحمد ١١ مال : آخره المماليك في مصر - وإعانة السلطان الفوري مع  
سليم الأول - تحقيق عبد المنعم عامر ( القاهرة ، د . ت . ) ص ١٣٦

(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ( ١٩٦٠ ) ص ٤١



القرن السادس عشر) في هذه المنطقة هي التي حتمت على السلطان سليم أن يوجه جهوده الحربية هذه الوجهة، فقد كانت تجاور دولته في الشرق دولتان إسلاميتان : الدولة الصفوية في فارس ودولة المماليك في مصر والشام ، وقد كان وجودهما يحمل في طياته خطراً يهدد الدولة العثمانية ويجعل الصدام أمراً محتوماً ، ففي فارس قامت منذ عام ١٥٠١ الأسرة الصفوية ، التي جاش في صدرها شعور قومي ديني بزعامة الشاه إسماعيل الصفوي ، الذي حاول إعلانه كلمة المذهب الشيعي في الأقطار المجاورة لفارس ، فغزا العراق في عام ١٥٠٨ من أجل ضم مزارات الشيعة في النجف وكربلاء ، بل وساورته أطماع نشر المذهب الشيعي في الأناضول حيث استجاب لدعوته بعض رعايا السلطان ، فانتشر بينهم مذهب شيعي فوضوي يسمى ( قول باش ) أي الرأس الأحمر ، اجتنب العناصر البائسة .

وكان من الطبيعي أن تهب الدولة العثمانية السنية لمواجهة هذا الزحف الشيعي الذي يحمل بين ثناياه خطراً سياسياً يهدد كيان الدولة من أساسه ، فاتجه السلطان سليم إلى العراق ، ومنها إلى فارس حيث أنزل الهزيمة بإسماعيل الصفوي في جالديران ( ١٥١٤ ) ودخل تبريز العاصمة ، واستولى على المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين ( كردستان وديار بكر والموصل ) ثم عاد سليم إلى عاصمته بعد أن اطمأن إلى وزال الخطر عن دولته .

ولكن هذه الحرب كانت لها نتيجة أخرى : وهي أنه باستيلاء العثمانيين على هذه الجهات من الصفويين صارت الممتلكات العثمانية مجاورة لدولة المماليك في الشام مما أدى إلى وقوع الصدم بين الدولتين العثمانية والملوكية .

وتراكت - إلى جانب ذلك - في سحب العلاقات بين الدولتين بعض

العوامل التي أدت، إلى الصدام ، كان أهمها - إلى جانب الخلاف على تخطيط الحدود بين شمالى الشام وجنوب شرق الأناضول ، وإيواء قنصوه الغورى لبعض الأمراء العثمانيين المتنازعين السلطان سليم - ذلك الموقف المانع غير الحاسم ولا المحدد الذى وقفه السلطان المملوكى قنصوه الغورى من الحرب بين السلطان سليم والشاه إسماعيل الصفوى ، فلا هو انضم صراحة إلى الشاه ، ولو فعل لمساعدته فى مقاومة الزحف العثمانى ، ومحاولة حصر الجيش العثمانى بين قوتين وقطع خط الرجعة عليه ، ولا هو أيد العثمانيين ، ولا هو التزم بموقف الحياد الدقيق بينهما ، فأخذ حاكم إمارة ذى القادر الخاضعة لحماية الممالك يتعرض لمزور المؤن فى طريقها إلى الجيش العثمانى الزاحف على فارس مما أحنق السلطان سليم ودفعه إلى القضاء على هذه الإمارة ، وبذلك أصبح العثمانيون يطوقون الممتلكات المملوكية فى شمال الشام .

### غزو مصر والشام :

ولم تلبث الحرب أن اشتعلت بين العثمانيين والمماليك ، فزحف الجيش العثمانى بقيادة السلطان سليم على الشام ، ونجح السلطان فى كسب جماعة من أعوان الغورى وأغرام بخيانة سلطانهم ، مثل خير بك نائب السلطان فى حلب ، وجان بردى الغزالى نائبه فى حماه ، وكان من نتيجة هذه الخيانة ، وتفوق الجيش العثمانى فى السلاح الحديث وبخاصة فى المدفعية الثقيلة أن انهزمت القوات المملوكية هزيمة ساحقة فى موقعة مرج دابق شمال حلب فى ٢٤ أغسطس ( آب ) ١٥١٦ ، وهى الموقعة التى وقع فيها السلطان الغورى تحت سنابك الخيل بين آلاف الصرعى من جيشه ، ولم يعثر على جثته .

وعقب واقعة مرج دابق دخل السلطان سليم حلب ، كما وضع المتوكل على الله الخليفة العباسى نفسه تحت تصرف السلطان سليم ، وأقرى هذا

الاتهمار الساحق السلطان على مواصلة الزحف ، فأخذت بقية مدن الشام تسقط تباعاً في يده ، وغويته جنوباً صوب مصر ، فدخل دمشق حيث حضر إليه الأمراء يعلنون ولائهم له .

أما في مصر فقد أنزل السلطان سليم الهزيمة بالسلطان المملوكي الجديد طومانباي عند الريدانية في صحراء العباسية في ٢٣ يناير ( كانون ثان ) ١٥١٧ ، ودخل العثمانيون القاهرة التي استباحوها ثلاثة أيام ، ونقل سليم مقر قيادته إلى بولاق ، وصار يخطب له في خطبة الجمعة بمسجد القاهرة .

وعلى الرغم من المقاومة التي أبداه طومانباي ومن التف حولهم المماليك والعربان وأفراد الشعب بسد دخول العثمانيين القاهرة سواء في القاهرة ذاتها ( كما في واقعة الصليبية ٥ - ٧ محرم سنة ٩٣٢ هـ = ٢٩ - ٣١ يناير ( كانون ثاني ) ١٥١٧ م ) أو في الصعيد ، فإن النصر في النهاية كان حليف العثمانيين ، وقبض على طومانباي ، ودارت محادثة طويلة بينه وبين السلطان سليم الذي أعجب به وأكبر فيه روح الكفاح ، وكاد يبق على حياته لولا تحريض خاير بك وجان بردى الغزالي اللذين أثارا مخاوف السلطان سليم من احتمال قيام طومانباي بثورة في مصر تخرجها من حوزة الدولة العثمانية ، فأمر سليم بإعدام طومانباي شنقاً على باب زويلة<sup>(١)</sup> في ٢٣ أبريل ( نيسان ) ١٥١٧ ، وتم دفنه بمسجد الفوري ، وبذلك طويت صفحة دولة المماليك ، وأصبحت بلاد الشام ومصر ضمن الممتلكات العثمانية . وقد كافأ السلطان سليم الأميرين الخاضعين ، فعين جان بردى الغزالي والياً على الشام ، وعين خاير بك والياً على مصر ، فكان ثاني وال من قبل العثمانيين ، إذ كان قد وليها قبله ولفترة قصيرة يونس باشا العثماني .

(١) ابن أبياس : بدائع الزهور ٣ ص ١١٤ - ١١٦ .

### خضوع الحجاز للعثمانيين :

ولقد ترتب على خضوع مصر والشام للعثمانيين وزوال دولة المماليك أن دخل الحجاز تلقائياً وسلمياً ضمن الدولة العثمانية ، ذلك أن الحجاز كان تحت السيادة الإسمية للمماليك وكان الحجاز يتلقى من مصر كل عام كميات من الغلال ، علاوة على الأموال لفقراء الحرمين الشريفين ، والمرقات لأشراف الحجاز ، وكان المحمل المصرى من أهم قوافل الحج التى تتوجه إلى الحجاز كل عام فيحمل معه الخير والرغاء .

ولقد رأى الشريف بركات شريف مكة أنه لا ضير من أن يتحول بولامته إلى العثمانيين بعد انهيار دولة المماليك ، بل على العكس وجد أنه سيكون لهذا التحول فائدته فى استمرار تدفق الخيرات من مصر على الحجاز ، ولذلك فإنه عندما دعاه السلطان سليم للدخول فى طاعة العثمانيين استجاب على الفور لهذه الدعوة وأوفد ابنه وشريكه فى الولاية ( أبو ندى ) يحمل مفاتيح الحرمين الشريفين إلى السلطان سليم فى القاهرة تعبيراً عن الولاء ، فتحه السلطان سليم تفويضاً بحكم مكة حيث صارت الخطبة باسم سليم ، وأمر بقتل حسين الكردى صاحب جدة من قبل السلطان الغورى ، وبذلك احتفظت الدولة العثمانية بنظام الشرافة كما كان فى أيام المماليك وأنشأت صنجقية عثمانية فى جدة ، وأصبح تعيين شريف مكة بيد السلطان العثمانى .

ولقد ترتب على سيطرة العثمانيين على الحجاز أن صارت البلاد الإسلامية هناك تقع ضمن الدولة العثمانية ، وقبل ذلك كانت كل من دمشق والقدس والقاهرة قد دخلت فى حوزة العثمانيين ، وبذلك صار ل هؤلاء وجود فى البحر الأحمر الذى حاولوا استكمال سيطرتهم عليه بالاستيلاء على اليمن .

### الغزو العثماني لليمن :

دخلت بلاد اليمن تحت السيادة العثمانية سلبيا في بادىء الامر ، كما حدث بالنسبة للحجاز ، وذلك عندما أصدر السلطان سليم حكام سلطانيا بتثبيت اسكندر الجركسى واليا على اليمن مثلما كان في عهد المالك ، إلا أن النزاع استمر بين القواد الجراكسة في اليمن الامر الذى أدى إلى زعزعة النفوذ العثماني ، بمادفع العثمانيين إلى إرسال حملة بقيادة سليمان باشا الخادم عام ١٥٣٨ ، فكانت أول حملة حقيقة على اليمن ، دخلت عدن بترحيب من حاكمها عامر بن داود الطاهري الذى كان في نزاع مع إمام اليمن ، إلا أن الجنود العثمانيين أعمالوا فيها النهب والسلب . كما غدر سليمان باشا الخادم بأمير عدن الذى ساعدهم على دخولها ، مما كان له أسوأ الأثر على سمعة العثمانيين ، ولكن سليمان باشا الخادم فشل فى استدراج الإمام شرف الدين .

ثم حاولت الدولة العثمانية فى عام ١٥٥١ أن تزيل الأثر السيئ الذى أحدثته سياستها فى المنطقة فعيّنت والياً جديداً على اليمن هو مصطفى باشا النشار ، وعهدت إليه بالتفاهم مع الإمامية الزيدية ، ونجح الوالى فى مهمته ، وبما ساعده على ذلك نجاح العثمانيين فى بسط نفوذهم على الساحل الشرقى لأفريقية ( سواكن ومصوع ) منتهزين فرصة الانقسام فى الحبشة بين أنصار الكنيسة الغربية وأنصار الكنيسة الشرقية ، ذلك الانقسام الذى تطور إلى حرب أهلية .

وفى خلال فترة الهدوء فى اليمن أرسل العثمانيون حملة إلى الخليج استولت فى عام ١٥٥٣ على هسقط ، وعلى الحسا فى عام ١٥٥٥<sup>(١)</sup> وحاصرت هرمز ، ولكنها عادت بعد وصول أسطول برتغالى إلى المنطقة .

---

(١) ساطع الحصرى : مرجع سبق ذكره ص ٩

ولم يلبث أن عاد الحسك العثماني في اليمن إلى سيرته الأولى السدنة ، وتمدّد النزاع بين الزيدية والعثمانيين ، ونجح الزيدون في طردهم من عدن ومعظم جهات اليمن ، فأرسلت الدولة العثمانية حملة كبرى لإعادة فتح اليمن بقيادة سنان باشا ( ١٥٦٨ - ١٥٦٩ ) ، وهو ما يسمى بالفتح العثماني الثاني لليمن .

واستولى سنان باشا على عدن ، ثم دخل في حرب عنيفة ضد الزيدية ، حتى توصل الطرفان إلى اتفاق يقضى بأن يحكم إمام الزيدية باسم السلطان العثماني .

ولكن تمجدد النزاع بعد ذلك ، ونجح الزيدون في انتزاع صنعاء وتمزق عدن حتى أخرجوا العثمانيين من اليمن كله عام ١٦٣٦ ، وعلى الرغم من عودة الحسك العثماني إلى اليمن مرة أخرى ، فقد ظلت الاضطرابات والثورات تعم اليمن دون انقطاع .

وعلى الرغم من التوسع العثماني في شبه الجزيرة العربية ، فإن الرحالة كارستن نيبور Carsten Niebuhr في مذكراته عن مشاهداته في بلاد العرب في منتصف القرن الثامن عشر يذكر أن اليمن وحضرموت وعمان والحسا ونجد وبقية بلاد العرب ما عدا الحجاز كانت تحت حكم ولاية شبه مستقلين ، ولا تربطها بالدولة إلا سيادة إسمية ، تتمثل في دفع الجزية السنوية ، وأنه على الرغم من ادعاء السلطان ملكية هذه الأقاليم فقد كان أهلها لا يعترفون بذلك ، وأنه لم يكن هناك من يمكن اعتباره تابعاً للسلطان إلا شريف مكة (١) وإن كانت الحكومة العثمانية عملت على تدعيم نفوذها في هذه المناطق فاعترف شيخ الكويت بالحماية التركية في أثناء حملة مدحت باشا لإخضاع أمير نجد عام ١٨٧١ ، وفي عام ١٨٩٣ أبلغت حكومة الباب العالي الحكومة البريطانية ، بأنها تعتبر جميع المناطق الواقعة على الساحل جنوبي البصرة وحتى ساحل

---

(١) د . محمد رفعت رمضان : هل بك الكبير ص ١٣٣

عُمان مناطق تابعة لولاية البصرة ، وظلت الحكومة البريطانية حتى عام ١٨٩٧ تعترف بأن سيادة السلطان العثماني على السكوت أمر لا يمكن تجاهله أو إنكاره<sup>(١)</sup> .

#### الفتح العثماني للعراق :

رأينا كيف أسفر الصدام الأول بين العثمانيين والصغويين في جالديران عام ١٥١٤ عن سيطرة العثمانيين على المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين ( كردستان وديار بكر والموصل ) ، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل تحت سيطرة الفرس . وفي عهد السلطان سليمان المشرع كان بعض العلّامعين في منصب حاكم بغداد يتطلعون إلى معونة وتأيد العثمانيين ، في مواجهة منافسيهم الذين كانوا يحظون بتأييد شاه فارس ، يضاف إلى ذلك أن أهل السنة في العراق كانوا يرسلون الدعوة تلو الأخرى مستنجدين بالسلطان سليمان لإيقادهم من الحكم الفارسي الشيعي ، ولذلك فقد قام السلطان سليمان على رأس حملة على العراق عام ١٥٣٣ فدخل بغداد .

وبما يلاحظ أن السلطان العثماني السني - في سياسته في العراق - حرص حرصاً شديداً على عدم الإساءة إلى مشاعر الشيعة ، ولذلك زار الكثير من وزاراتهم وأوقف عليها الكثير من الأوقاف ، كما بنى سد ( السليمانية ) على الفرات الأوسط لحماية العتبات المقدسة في كربلاء من مياه الفيضان في الربيع ، وزار قبر الإمام علي في النجف ، ولكنه في الوقت نفسه لم يغفل عن إرضاء السنة كذلك ، وقبل أن يغادر سليمان العراق بعث إليه حاكم البصرة العربي بابيه راشد يحمل إليه المفاتيح رمزاً للخضوع ، وبذلك ألحقت البصرة بالامتلاكات العثمانية .

---

(١) د . محمود الداود : الخليج العربي ج ١ ( د . ث ) ص ١١٠ - ١١٦

ومكثا خضع العراق من شماله إلى جنوبه للحكم العثماني ، ومع ذلك ، فقد عاد الفرس لاسترداد العراق أكثر من مرة ، وبخاصة في عام ١٦٣٣ ، وظل كذلك حتى عام ١٦٣٨ ، حين جرد السلطان مراد الرابع حملة كبرى زحف بها على العراق حتى استعادته مرة أخرى ، للحكم العثماني ، ولم ينته الصراع بين فارس والدولة العثمانية إلا في عام ١٧٤٧ حين خلع العراق للحكم العثماني (١) .

#### نتائج الفتح العثماني للشرق العربي :

وقد كان من أهم نتائج الفتح العثماني للشرق العربي ووصول العثمانيين إلى اببحار الشرفية أن وقع على كاهل العثمانيين واجب إيقاد ممتلكاتهم في هذه المناطق من الخطر البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي ، وهكذا نجد أن الحرب ضد البرتغاليين فرضت نفسها فرضاً على العثمانيين وحدهم بعد امتلاكهم أقاليم تقع على البحر الأحمر والخليج والبحر العربي .

وإلى جانب ذلك فقد كان من أهم نتائج الفتح العثماني للشرق العربي أيضاً أن اكتسبت الدولة العثمانية صبغة عربية لم تكن لها من قبل ، وأصبح العرب يكتفون نسبة كبيرة من سكان الدولة العثمانية ، كما دعم مركز هذه الدولة كدولة إسلامية بعد ضم الأماكن المقدسة الإسلامية .

#### العثمانيون والخلافة الإسلامية :

وتد كان من أهم النتائج التي ترتبت على خضوع مصر للدولة العثمانية انتقال الخلافة الإسلامية إلى آل عثمان . وقد ثار جدل كبير حول هذا الموضوع ، فالبعض ينكر أن الخليفة العباسي في مصر المتوكل على الله قد تنازل رسمياً عن لقبه للسلطان العثماني سليم الأول ، استناداً إلى أن المؤرخين المعاصرين للفرز العثماني لمصر مثل ابن إياس وابن زبيل لم يذكروا شيئاً مطلقاً عن هذا التنازل ، رغم ما أورده ابن إياس من تفاصيل عن علاقة السلطان سليم بالخليفة المتوكل ،

(١) د : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٢٢ - ١٢١ .



واستناداً إلى أن نقل شعار الخلافة ( البردة النبوية وبعض شعيرات من لحية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسيف عمر بن الخطاب ، وكانت محفوظة حتى الغزو العثماني بمسجد أبي أيوب الأنصاري ) لا يعتبر دليلاً قاطعاً على حدوث التنازل لأن السلطان سليم كان شغوفاً بنقل كل ثمين من مصر إلى الأستانة<sup>(١)</sup>.

بينما يقول البعض الآخر من المؤرخين بفكرة التنازل عن الخلافة للعثمانيين ومن هؤلاء المؤرخ الرومانو دوسون D'Osson في كتابه وصف عام الإمبراطورية العثمانية<sup>(٢)</sup> ، وأعله عشر في أرشيف الأستانة - في أثناء إقامته الطويلة فيها - على وثائق تثبت التنازل ، إلا أنه لم يحدد لنا هذه الوثائق .

وقد استطاع البعض<sup>(٣)</sup> ، المنشور على مخطوطات عثمانية بمكتبة جامعة القاهرة تتمثل في مجموعة من القوانين التي أصدرها السلطان سليمان المشرع ، وتحتوي على بعض ألقاب السلطان ومنها : « خليفة رسول رب العالمين ، وحازن الإمامة العظمى ووارث الخلافة الكبرى » ، هذا إلى جانب بعض المراسلات السلطانية إلى حكومة النمسا في القرن السابع عشر ، والمخطوطة في أرشيف المسالتاريخي Haus Hof und Staatsarchiv وتتضمن لقب الخلافة « حامى حمى السلطنة العلية ومقر الخلافة السنية » .

ومن المرجح أن الخلافة ظلت في المتوكل على الله حتى وفاته عام ١٥١٣م ، وبعد ذلك مباشرة انتقلت إلى العثمانيين ، وكل ما في الأمر أن السلاطين العثمانيين لم يهتموا في بداية الأمر بإبرار صفة الخلافة في ذلك الوقت المبكر لأسباب منها أن الخلافة وقتئذ كانت قد فقدت مكانتها ، ولم يعد الخليفة أكثر من رمز للتبرك ، بينما كان العثمانيون في هذا الوقت يبنون مجدهم على أساس

(١) د. عبد العزيز الشناوي: تاريخ أوروبا في مطلع العصور الحديثة - ١ ص ٨٩

(٢) Tableau General de l'Empire Ottoman . (٣)

(٣) د. حسن هتان : منهج البحث التاريخي ص ٧٧

القوة العسكرية وحدها لم يكونوا بحاجة إلى قوة روحية عند أزرهم في مواجهة أوروبا ، وإن تظهر حاجة الدولة إلى هذه القوة الروحية المتمثلة في الخلافة إلا منذ القرن الثامن عشر ، وفي أثناء القرن التاسع عشر على وجه الخصوص ، عندما ضعفت الدولة ، وبرزت أطماع الدول الأوروبية فيها ، فحاول السلاطين ، وخاصة عبد الحميد الثاني - استخدام صفة الخلافة لجمع كلمة المسلمين وراء السلطان الخليفة ، لمقاومة الأطماع الأوروبية ، إلى جانب مقاومة الحركات القومية والانفصالية والدستورية التي بدأت تظهر في الممتلكات العثمانية في ذلك الوقت ، ومنها الحركة القومية العربية ، كما سيظهر في فصول تالية من هذه الدراسة .

## التفصيل الثاني

### أحوال الشرق العربي الآسيوي

#### في ظل الحكم العثماني

##### سياسة العثمانيين في حكم البلاد العربية:

وقد كان للحكم العثماني في البلاد العربية آثار سيئة حيث صارت البلاد مسرحاً للفوضى والاضطراب نتيجة تنازع الهيئات التي تقسم الحكم فيها ، وسارت الدولة على سياستها التقليدية في تغيير الباشوات خوفاً من جنوحهم إلى الاستقلال تحقيقاً لأطماعهم الخاصة ، كما اتسم الحكم العثماني في بلاد المشرق العربي بالرجعية ، وشمل البلاد التأخر ، إذ كانت فكرة الحكم عند العثمانيين بسيطة واقتصرت وظيفة الدولة في نظرهم على الدفاع عن البلاد وحفظ الأمن وجمع الضرائب والفصل في الخصومات أما ما عدا ذلك من خدمات عامة فقد أهملت ولم تعتبرها الدولة من بين مسئولياتها وتركها للأفراد والجماعات ، ولذلك ساءت أحوال الشعوب العربية اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً .

وكان المجتمع في نظر العثمانيين ينقسم إلى طبقتين : الحكماء الأتراك والرهية المحكومين ، ومهمة الطبقة الثانية خدمة الأولى أي أن الأتراك صاروا طبقة أرستقراطية حاكمة منعزلة عن بقية المجتمع وترفعوا عن الاتصال به <sup>(١)</sup> . كما أحاط العثمانيون ببلاد الشرق العربي بسياج منيع من العزلة رغبة في الإبقاء عليها

---

(١) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ١٤٦-١٤٧

تحت حكمهم وخاصة بعد أن فشلوا في طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي أو القضاء على نشاطهم في المحيط الهندي ، أو إيقاف تحول التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح وإعادتها إلى الطريق القديم<sup>(١)</sup> ، وبذلك انقطعت الصلات السياسية والاقتصادية والحضارية بين العالم والشرق العربي الذي أوصدت أبوابه في وجه الحضارة العربية التي كانت تسير بسرعة في طريق التقدم منذ القرن السادس عشر .

وعلى الرغم من المساوىء التي شابت الحكم العثماني في البلاد العربية ، فإنه لم يكن سوءاً كله وإنما حمل في طياته - وعن غير قصد - بعض الحسنات التي استطاع العرب الاستفادة منها ، ومن بعض عبوبه على السواء ، فإنه بالعزلة التي فرضها العثمانيون على البلاد العربية استطاعوا أن يدفعوا عن الشرق العربي غائلة الاستعمار العسكري الأوروبي حتى أواخر القرن الثامن عشر مما أضفى عليه نوعاً من الهدوء<sup>(٢)</sup> ، كما أفادت البلاد العربية - باستثناء الجزائر - من السياسة التي اتبعتها الدول الأوروبية الكبرى حتى السبعينيات من القرن التاسع عشر ، وهي سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية وتماسك ممتلكاتها . كما أن الحكم العثماني غير المباشر كان قليل التأثير في حياة المجتمعات العربية في الشرق ، فقد احتفظ العثمانيون بالبناء الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائداً في المنطقة قبل دخولها في حوزتهم ، ولم يفرضوا عليها القوانين والأنظمة العثمانية الصرفة لئلا يخلوا بتنظيمات هذه البلاد الاقتصادية ، مكثفين بفرض سيطرتهم السياسية والعسكرية تاركين لشعوب هذه البلاد مؤسساتهم السابقة وحرية الاحتفاظ بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم<sup>(٣)</sup> . ومن ذلك إبقاؤهم على الطوائف

---

(١) د . عبد العزيز الشناوي : الوحدة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر (مراجعة العلوم الاجتماعية - ديسمبر سنة ١٩٦٣) ص ١٠

(٢) Zeine : Arab - Turkish Relations (1958) p14

(٣) توفيق برو : العرب والترك في العهد الدستوري (١٩٦٠) ص ٣

التي كان ينقسم إليها أصحاب الحرف ، وكانت الطائفة بمثابة منظمة اجتماعية واقتصادية لها دستورها غير المكتوب من العادات والتقاليد الموروثة ، ولها شيخ يزول شئونها بتنظيم علاقاتها بالحكومة فيما يختص بالضرائب وحفظ النظام داخل الطائفة ورعاية مصالحها . وقد رغبت الدولة العثمانية في الإبقاء على هذا الوضع لكي يساعد على حفظ النظام بين السكان والانصهار بالأهالي عن طريق شيوخهم<sup>(١)</sup> ، وقد ساعد هذا الوضع على احتفاظ العرب في ظل الحكم العثماني بمقوماتهم الأساسية من لغة وثقافة وعادات وتقاليد وكانت هذه المقومات هي الأساس الركيز الذي قامت عليه الحركة القومية العربية ، خاصة وأن انعزال الحكام الأتراك عن العرب واستعلاءهم عن الشعوب الخاضعة لهم جعل الحكم العثماني عديم التأثير في حياة الشرق العربي ، وبذلك لم يتمكن العثمانيون من تقريب الشرق ، ولم يحاولوا ذلك إلا في سنوات حكمهم الأخيرة ، بل على العكس نجحت مجتمعات الشرق العربي - بترائها الفكري - في التأثير على الترك ، خاصة وقد كان للعرب تراث حضاري عظيم بينما لم يكن للترك رصيد حضاري كبير ليغيروا المقومات الأساسية للشعب العربي ، ولذلك كان الحكم العثماني للشعب العربي ضئيل الأثر في حياة المجتمعات العربية ، وفي تطورها بما يتناسب مع القرون الأربعة التي خضعت طوالها الشعوب العربية للحكم العثماني<sup>(٢)</sup> ، حتى لقد لعب العرب المسلمون دوراً هاماً في النظام القضائي للإمبراطورية العثمانية ، وهو نظام قائم على الشريعة الإسلامية ، كما تخرج من الأذهان في القاهرة والمدارس الدينية المحلية في دمشق وحلب وطرابلس كثير من العلماء والقضاة والمفتون الذين تولوا القضاء والإفتاء في مختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية<sup>(٣)</sup> .

(١) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) د . عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ١٤ - ١٩

Zeino : Ouv. cit. p. 14.

(٣)

### الترباط العربى فى ظل الحكم العثمانى :

وإذا كانت طبيعة الحكم العثمانى قد ساعدت على عدم ذوبان المقومات الأساسية للشعوب العربية ، فإن الترباط العربى كان يغذى هذه المقومات ، وكان من أوضح مظاهر هذا الترباط الحج والمعاهد العلمية العربية ، ثم الاتصال الثقافى بين العلماء العرب ، فالحج كان مجالاً للتجارة والتبادل الثقافى حيث كان بعض الحجاج من طلاب العلم يتوقفون فى مكة أو القاهرة أو دمشق لعدة سنوات أو بقية حياتهم لتلقى العلم أو للتدريس . أما عن المعاهد العلمية ، فإن الأزهر - فى مقدمتها - حفظ التراث الحضارى العربى وصار مركز إشعاع يضىء الطريق ويبدد انظلمات التى خيمت على المنطقة العربية تحت الحكم العثمانى وقام الأزهر بدور رافع فى الحفاظ على اللغة العربية ، وتدعيم مركزها إزاء اللغة التركية التى وفدت مع الحكام العثمانيين واستخدموها فى حكومات الولايات العربية ، كما يبرز الأزهر فى الاتصال الثقافى بين مختلف أنحاء الوطن العربى ، وظل الكعبة الثقافية التى تهوى إليها أفئدة العلماء والفقهاء وطلاب العلم<sup>(١)</sup> تزخر بهم أروقته ، كما كانت دمشق بسبب موقعها مقراً لرجال العلم ، وعلى الرغم من انحطاط المستوى الثقافى فى ذلك الوقت ، فإن العلماء بعلاقاتهم العلمية ونشاط دور العلم استطاعوا أن يحفظوا المجتمعات العربية متماسكة فى عصر سادت فيه الفوضى السياسية والتدهور الاقتصادى ، ولذلك فإن التعليم فى الشرق العربى على العهد العثمانى كان يؤدي وظيفة اجتماعية أثرها تعليمية<sup>(٢)</sup> . ولا ننسى أن استيلاء العثمانيين على البلاد العربية خاق فى الشرق وحدة سياسية ، ورغم أنها وحدة انعزالية ، فقد جمع الأتراك العرب فى دولة واحدة ، أكسبت الشرق نوعاً من الاستقرار المسبب كان يفترقه منذ القرن الثامن عشر ، وفى ظل

(١) د . عبد العزيز الشناوى : مرجع سبق ذكره ص ١٨ - ١٩

(٢) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ٢٦١ - ٢٦٢

الحكم العثماني لم يعد بين البلاد العربية حدود سياسية فاصلة ولا حواجز  
جمركية تقف في وجه انتقال العربي من قطر لآخر، وممارسة ألوان من النشاط  
دون قيود<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من هذه الحسنات التي جاءت عرضاً ، فقد كان الحكم العثماني  
شيئاً فهو حكم أجنبي جامد متخلف أسدل على الشرق العربي أستاراً من التخلف  
والتأخر في كافة المجالات ونواحي النشاط

#### الاختلاف نظرة عرب المغرب الى الحكم العثماني :

وعلى الرغم من أن مدار البحث في هذه الدراسة هو الشرق العربي في آسيا  
فإنه مما تجدر ملاحظته أن أهل المشرق العربي ينظرون إلى الحكم العثماني نظرة  
تختلف عن نظرة إخوانهم أهل المغرب العربي في إفريقيا ، الأمر الذي يدعونا  
إلى محاولة تفسير هذا الاختلاف .

فأهل المشرق العربي في آسيا - كما رأينا - يرون في الحكم العثماني حكماً  
أجنبياً جامداً متخلفاً لم تكن البلاد من ورائه خيراً ، وإذا كان قد حمل في طياته  
بعض الحسنات فإنها كانت عارضة غير مقصودة .

أما أهل المغرب العربي<sup>(٢)</sup> فيرون خير ذلك ، فهم يتكبرون وصنف الخلافة  
العثمانية بصفة المستعمر المحتل التركي الذي شهد إخوانهم المشاركة ، وإنما يرون  
في الخلافة العثمانية جماً للشمل هذه الأقطار في مواجهة أعداء الإسلام ، فيذهب

---

(١) . عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ١٤

(٢) المذكورة بنت الشاطيء : مقال بعنوان (أصداء من ملتقى الفكر الإسلامي

بالجزائر - صحيفة الأهرام في ١٦/٢/١٩٧١ م .

بعضهم<sup>(١)</sup> إلى أن ، الذي كان في بلادنا هم إخواننا الأتراك المسلمين ، وجودهم بينما كان باستدعائنا واستنجدنا وعر محض إرادتنا واختيارنا ، وما استجابوا لنا امحكموننا بل للتعاون على مقاومة الاستعمار ورداء مدوان وتهاير أرض الإسلام من خبث الكفران . . . ومن المغالطة والتحامل أن يتجنى متعن فينبعته بالاحتلال أو الاستعمار ، وأعداء الإسلام المتربصون بنا الدوائرهم الذين دسوا هذه العبارات السامة والمنفرة ليهزوا روح التضامن الإسلامي الذي كان ولا يزال شجى في حلوهم والسد المنيع الذي انحسرت عنده مؤامراتهم الصليبية الاستعمارية .

وذهب كاتب ومفكر جزائري هو الشاذلي المكي إلى أن الجيش التركي بالجزائر الذي لم يتجاوز عدده ثلاثة آلاف جندي إنما كان ضيفاً مكرماً طيلة ثلاثة قرون ، يشارك في حماية نفور الجبهة ، وكان كبير النفس أياً شجاعاً هب متطوعاً لمشاركتنا ودعم قواتنا في مواجهة الغزو ، وضحي في سبيل ذلك بأعلى الدماء وأعز الأرواح ومن واجب المسلمين أن يقدروا تضحيات الجيش التركي وأن يخلدوا ذكرها باعتراز ، لأن يمحذوها ويغمزوها بالطعن والتجريح ، وليذكروا ما حاق بالعرب - بعد سقوط الخلافة العثمانية من تهاذب وتباغض وتحاذل أسلم أرضهم للصهيونية تذر فيها الرعب والإرهاب وتهش لحم الشعب الفلسطيني نهش الضواري ، وتمعن فيهم تنكيلا وتشريداً ...<sup>(٢)</sup>

ويذهب مولود قاسم وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالجزائر إلى أن الأتراك - في ضوء واقعهم التاريخي - كانوا نعم العون والسند للجزائر فيما

---

(١) من حديث السيد أحمد حامي رئيس المجلس الأعلى الإسلامي بالجزائر أمام ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر ، كما ورد في مقال له كتوة بنت الشاطي<sup>(١)</sup>  
(٢) من مقال الدكتور بنت الشاطي<sup>(٢)</sup> .



عائنه من أهوال الغزو الاستعماري ووطأة جبروته ، ولز نغده فضاهم ولن  
نتردد فى التنويه بشهائهم وانعرفان بهمىل ما قاموا به من جهاد بطولى وقدموا  
من تضحيات باهرة لنصرة إخوانهم المسلمين ، وحماية ثغورهم فى تلسكم الحقب  
من تاريخ الصراع المارر بين الحملات الصليبية الاستعمارية والمسلمين المتصانين  
فى المقاومة ، (١) ،

هذا هو بهمل رأى أهل المغرب العربى فى الوجود العثمانى فى بلادهم ،  
ولهم عذرهم فيما ذهبوا إليه ، ونستطيع أن نفسر نظرهم هذه هى ضوء  
الأحداث التاريخية التى وقعت فى بلادهم وفى بلاد المشرق العربى إبان  
العصر العثمانى .

لقد استندم الأتراك العثمانيون القوة والقمر فى سبيل السيطرة على أقطار  
المشرق العربى ، وكان تقدم قواتهم فى هذه البلاد يتخذ شكل الغزو ولقى  
مقاومة شديدة تتمثل فى المواقف الحربية التى دارت بينهم وبين المدافعين عن  
هذه البلاد ، مثل موقعة مرج دابق والربدانية ، وحتى بعد دخولهم القاهرة  
صادفوا - كما رأينا - مقاومة فى أسماها الشعبية أفلقتهم حتى لقد قيل إن السلطان  
العثمانى الغازى سليم الأول كانت تراوده فكرة الانسحاب ، ولقد استعان  
الأتراك العثمانيون فى غزوهم - إلى جانب القوة العسكرية القاهرة - بالحيلة  
التي تتمثل فى موقف خاير بك وجان بردى الغزالى .

لكن، سيطرة العثمانيين على المغرب العربى تمت بطريقة مختلفة تماما ،  
ووجد الأتراك العثمانيون ترحيبا من أهل هذه البلاد ، بل وكان ذهابهم إليها  
بدعوة من أهلها ، وهذا الاختلاف فى طبيعة التواجد التركى إنما يرجع إلى  
اختلاف الظروف التى كان يعيش فى ظلها أهل المغرب العربى فى ذلك الوقت

---

(١) من مقال الدكتوردة بنت الشاطية .

فإنه عندما هلك مطالع القرن السادس عشر الميلادي كانت أسبانيا في مقدمة الأمم التي تم توحيدها في أوروبا، واستكملت هذه الدولة وحدتها عندما سقطت في سنة ١٥٤٢ غرناطة - آخر معاقل المسلمين في أسبانيا - في أيدي الملوك الكاثوليك، وترتب على سقوط غرناطة انتهاء الوجود الإسلامي في أسبانيا وصارت أوروبا تنظر إلى أسبانيا باعتبارها فارس المسيحية .

وبعد الاستيلاء على غرناطة وجهت أسبانيا جهودها الحربية إلى أقطار شمال إفريقيا التي انسحب إليها المسلمون فراراً من الاضطهاد الذي نزل بهم في أسبانيا ، كما كان من خطة الأسبان تطويق أقاليم المغرب العربي باحتلال موانئه المطلة على البحر المتوسط إمعاناً في الانتقام من العرب المسلمين ، ومحاولة تقويض السكيان الاقتصادي العربي بانتزاع تجارة المشرق من أيديهم .

ولقد شهدت هذه الفقرة من القرن السادس عشر حروباً بحرية طاحنة بين الجانبين ، فقد كان الأسبان يتعقبون سفن الأندلسيين المتجهة صواب سواحل المغرب العربي ويهاجمون موانئ شمال إفريقيا ، ورداً على ذلك حاول أبناء هذه البلاد الدفاع عن سفن المهاجرين ووقف هجمات سفن المسيحيين بل ومحاولة الثأر والانتقام من المسيحيين وسفنهم ، وإذا كان البعض يصف هذه الحوادث بالقرصنة فإنها لم تكن كذلك إلا من جانب الأسبان ، أما من جانب المغاربة فقد كان جهاداً بحرياً من أجل العروبة والإسلام ، وكفاحاً ضد استعمار صليبي كثر من أنيابه ودفاعاً عن حرية موانئ المغرب العربي وتمارته .

ولذلك فإن النتيجة المنطقية لسقوط غرناطة كانت أن تعمل أسبانيا على كسر شوكة المسلمين الذين تزداد قوتهم على الشاطئ المقابل ، ومن شجعوا

الملك الكاثوليك على السير في هذا السبيل الكاديernal فرنسيسكو اكسيميني  
Xemence الذي أخذ على هاتفه نشر المسيحية في شمال إفريقيا وتكوين  
إمبراطورية كاثوليكية في تلك الأصفاق .

وقد استطاع جيش أسباني بقيادة نافارو احتلال أوران (وهران)  
بمساعدة مدافع الأسطول من البحر ، وقد ارتكبت القوات الأسبانية من  
أعمال السلب والنهب والقتل ما يعتبر صفحة سوداء في سجل الجيش الأسباني  
في ذلك العهد . ولكن نشاط الأسبان في تلك الفترة لم يتجاوز احتلال  
عدد من المراكز المبعثرة على الساحل الشمالي لأفريقية

ومنذ سنة ١٥١٩ عندما تولى شارل الخامس ملك أسبانيا عرش  
الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، أصبح يعتبر نفسه بطل المسيحية وحاميها  
ولذلك لم يمتنع بهذه المراكز الساحلية التي تقع بها أسلافه . وإذا حثم النضال  
بين الأسبان والمغاربة في عهد شارل الخامس استدعى حاكم الجزائر الأخوين  
هروج وخير الدين لمساعدته في طرد الأسبان من إحدى القلاع الساحلية  
(بنون) .

وكان هروج قد قاسى من الأسر في سفن المسيحيين ، ثم هرب وهمل في  
سفن الدولة الحفصية في تونس ، وتعاون مع أخيه خير الدين في إنشاء إمارة  
مستقلة في جزيرة جربة اتخذها منها قاعدة بحرية جمع فيها المتطوعين  
والسفن .

وعندما استدعى حاكم الجزائر الأخوين المغامرين خلع هروج الحاكم  
وحل محله ، ولكنه لم يلبث أن مات في إحدى الممراك ضد الأسبان سنة  
١٥١٨ وخلفه أخوه الأصغر خير الدين المعروف باسم برهاروسا أي ذي اللحية  
الحراء ، وكان يفوق أخاه وازداد جيشه قوة بانضمام عدد كبير من المتطوعين

الذين أخرجوا من أسبانيا ومع ذلك لم يكن في استطاعته مواجهة القوة العسكرية الأسبانية برية وبحرية وحده ، وكان الجيش الأسباني في ذلك الوقت يعتبر من أقوى الجيوش في أوروبا .

ولم يلبث برباروسا أن طلب مساعدة السلطان العثماني الذي منحه لقب بك بكرات إفريقيا وأرسل إليه تعزيزاته من الجنود الانكشارية ، بل ونصبه السلطان العثماني على رأس أسطول له في غرب البحر المتوسط الذي نقل إليه العثمانيون فأساعدهم في تلك الفترة ، وقد استطاع برباروسا الاستيلاء على المنطقة الساحلية وقضى على الحامية الأسبانية في بنون سنة ١٥٢٩ ، وأنزل بالتجارة الأسبانية خسائر فادحة وأغارت قواته على سواحل أسبانيا واستطاع خلال تلك الغارات أن ينقذ نحو سبعين ألفاً من المسلمين من برائن محاكم التفتش ويعود بهم إلى الجزائر . وهكذا تدعيم حكم برباروسا في الجزائر .

وأخذ برباروسا يوسع منطقة نفوذه فاحتل بيزنطة ثم تونس التي كان ملكها الوطني مولاي الحسن تحت سيطرة الأسبان . وهكذا صار الإمبراطورية العثمانية بوجود قوى في البحر المتوسط الغربي وقد أثار سقوط تونس مشاعر المسيحيين هامة وشارل الخامس خاصة ، وتدفقت عليه المعونات المالية والعسكرية من جميع الأقطار المسيحية ، وتكونت حملة مشتركة استطاعت استرداد تونس بعد أن دفعت الثمن غالياً ، ولكن ذلك لم يفت في عهد برباروسا الذي تابع بمعونة الأسطول العثماني نشاطه بمهاجمة الجزر في البحر المتوسط الغربي وسواحل أسبانيا . بل ونقل نشاطه إلى الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، ففي سنة ١٥٣٧ ظهرت الأساطيل التركية بقيادة خير الدين برباروسا في المياه الإيطالية وأزالت قوات عند أوترانو وشاع في أوروبا أن السلطان سليمان يريد إلحاحاً روما لتقويض دعائم الكنيسة الكاثوليكية مثلما فعل السلطان محمد الفاتح

من قبل عندما دخل القسطنطينية سنة ١٤٥٣، وقد استطاع الأسطول العثماني أن ينزل هزيمة بالأسطول الأوروبي المشترك مما دعا البندقية إلى التنازل للدولة العثمانية عن جزر بحر إيجة التي استولى عليها برباروسا . وبذلك أصبح الأتراك المسيطرين على البحر المتوسط بأكمله .

وخلال الهواجس تلتاب الإمبراطور شارل الخامس من خيرالدين برباروسا وفشلت محاولة شارل الاستيلاء على الجزائر كما فشلت محاولاته له لـلـكـسـب برباروسا إلى جانبه بل تدبير اغتياله . ولم يتخلص شارل من هواجسه إلا بوفاة برباروسا في سنة ١٥٤٦ فكانت وفاته خسارة كبرى نزلت بالسلطان سليمان ، ولكن وفاة برباروسا لم تفضح حداً للنشاط الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط فقد خلفه دراغوث التي واصل حملاته ضد أسبانيا ، وفي سنة ١٥٥١ استولى على طرابلس وطرد منها فرسان القديس يوحنا ، وبذلك لم يسكن للأسبان في شمال أفريقية سوى تونس ولـكـنـهم رفعوا الحصار عنها ، وفي سنة ١٥٦٥ فقد العثمانيون دراغوث قائدهم العظيم . وقرر السلطان سليم الثاني الذي تولى العرش الإمبراطورية في السنة التالية انتزاع قبرص من البنادقة ، الأمر الذي استثار العالم لمسيحي بزعماء فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي كون حلفاً من بعض الدول الأوروبية ، وتجمع أسطول مشترك بقيادة القائد الأسباني دون جوان ، وأخذ البابا يبارك الحملة الصليبية ويحث في رجالها الاعتقاد بأنهم مقدمون على معركة سوف يتقرر فيها مصير المسيحية جمعاء .

والتي نجم الأسطولان العثماني والمسيحي في معركة ليبانتو البحرية سنة ١٥٧١ التي انتصر فيها الأسطول المسيحي ، واهتز العالم المسيحي طرباً لهذا الانتصار وتم سادى المسيحيون في أحلامهم فصاروا يطمعون في غزو الإمبراطورية العثمانية ودخول القسطنطينية ذاتها .

إلا أن معركة ليبانتو لم تضع حداً للتفوق البحري العثماني كما يقول الأوروبيون المنتعصبون ، فقد مكف القبطان باشا الجديد ، اسمه علوج علي أي السيف علي ، على بناء أسطول جديد بحيث استطاع بعد عام واحد أن يعاود نشاطه في البحر المتوسط ويعترض الأساطيل المسيحية كما أنه في سنة ١٥٧٤ قام القبطان باشا ومعه سنان باشا بحملة انتزعت تونس من أيدي الأسبان ، وبذلك خاض شمال أفريقيا الإسلامي من برائن الاستعمار الصليبي .

ومن هذا العرض التاريخي السريع نجد الفرق بين الظروف التي خضع فيها المشرق العربي للحكم العثماني وتلك التي خضع فيها المغرب العربي : الغزو والقهر والإجبار في حالة المشرق ، أما في المغرب فقد كان هناك الترحيب والقبول عن رضا وطيب خاطر ، وقد رأينا كيف أن الحكم العثماني كان السبيل الوحيد لتخلص المغرب العربي من الغزو الاستعماري الصليبي ، ولو لا هذا الوجود العثماني الإسلامي في المغرب العربي والحوض الغربي للبحر المتوسط لتحققت أحلام الكاينال اكسمينيز في استئصال الإسلام من هذه المنطقة وإقامة إمبراطورية مسيحية كاثوليكية على أشلاء المسلمين . فلا غرو إذ يترحم المعاربة على الحكم الإسلامي في بلادهم ويذكرونه حتى الآن بالخير .

وثمة عامل آخر يجعل للمغاربة هذرم في نظرهم إلى الحكم العثماني في بلادهم . فقد وقعت أقطار المغرب تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي (النصراني) منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، فاحتلت فرنسا الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ، وتونس في سنة ١٨٨١ ، واحتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١ ، واحتلت فرنسا مراكش سنة ١٩١٢ ، أي أن أقطار المغرب العربي الإسلامي وقعت قبل الحرب العالمية الأولى في برائن الاستعمار الأوروبي النصراني الذي ساء

أهل هذه البلاد سوء العذاب وحاول أن يطمس معالم شخصيتها العربية الإسلامية، أما بالنسبة لأقطار المشرق العربي الرئيسية ( باستثناء مصر ) فإنها لم تخضع للحكم الاستعماري الأوروبي النصراني إلا عقب الحرب العالمية الأولى بل إن بعض جهاته مثل معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية - باستثناء المناطق الساحلية - لم تخضع للاستعمار الأوروبي بالمرة ، وبالتالي لم تذق مرارته ولم تعان من قسوته .

ولا شك في أن خضوع المغرب العربي للاستعمار الأوروبي منذ وقت مبكر جعل المغاربة يتعلقون بالوجود التركي الذي كان وجوداً إسلامياً كان من أبرز صفاته عدم التدخل في حياة الناس وشؤونهم .

والى جانب ذلك فهناك اعتبار آخر كان له أثره في اختلاف حكم المشاركة على حكم المغاربة على الوجود العثماني ، فقد ابتلى المشاركة في سنوات الحكم العثماني الأخيرة ، والسابقة على الحرب العالمية الأولى ، وفي عهد حكومة الاتحاديين بفترة قاسية جنح فيها سياسة الدولة العثمانية إلى سياسة التتريك ومحاربة طمس الشخصية العربية ، وإبراز السمات التركية للدولة على ماعداها . ووصل بهم الحال إلى درجة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية . وسار الترك على سياسة عنصرية طابعها التعصب لما هو تركي ومحاوله إعلاء الجنس التركي وهو أمر يتعارض مع الأخوة الإسلامية ، وذكريات هذه السنوات الأخيرة من الحكم التركي في بلاد المشرق العربي لم تمنح من أذهان كثير من المشاركة ، وكان لها تأثيرها على كراهيتهم للحكم العثماني برمته وفي كل عهوده .

\* \* \*

ومع ذلك فإن العرب في المنطقة لم يحاولوا الانتفاض عليه . ويرجع ذلك

إلى الرابطة الدينية التي ربطت العرب بالعثمانيين ، فإن بلاد المسلمين كانت تعتبر دولة واحدة يطلق عليها ( دار الإسلام ) ، ولما كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية حملت لواء الحرب أول ما حملت على الدول الأوروبية (بلاد الكفر) ، فإن المسلمين في مختلف أنحاء الأرض كانوا يعتبرون هذه الفتوحات جهاداً في سبيل الله وتوسيعاً لرقعة الإسلام<sup>(١)</sup> ، وكانت العاطفة الدينية في تلك القرون من أقوى الروابط ، وكانت العاطفتان الدينية والوطنية متزججتين بحيث كان من الصعب الفصل بينهما ، ولم يكن للعروبة كيان منفصل عن الإسلام ، وإلى ما بعد قيام الحرب العالمية الأولى في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين ، ظل هذا الرباط يشد جماهير كثيفة من العرب إلى الخلافة الإسلامية ، ولم يكن العرب يشعرون بأنهم يختلفون عن حكمهم طالما كانت تجمعهم رابطة الدين ، بل كانوا يعتبرون أن الدولة - دولة الإسلام - هي دولتهم ، وأن السلطان المسلم هو الوارث الأعلى لمراسمهم الدينية ، وحامي حرم الإسلام ، ورافع لواء الجهاد ضد الكفار ، حتى أنه في الوثائق وكتب المعاملات لم تكن تطلق عليهم كلمة عرب ، بل كانت تسميتهم الشائعة هي كلمة مسلمين ، ثم والترك على السواء في عصر كان الدين هو الفارق المميز بين الجماعات<sup>(٢)</sup> ، وقد ظهرت في التاريخ أمثلة لهذا الترابط العربي على المستوى الإسلامي كتقدم متطوعي الحجاز بقيادة الكيلاني لمساعدة أهل الصعيد ضد الفرنسيين ، ومتطوعي طرابلس الغرب إلى البحيرة بقيادة رجل من درنة لقب نفسه بالمهدي لمقاتلة الفرنسيين في البحيرة من أجل نصره الدين<sup>(٣)</sup> .

---

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ( ١٩٦٠ ) ص ١٦ - ٢١ .  
(٢) (Saab, H. : Arab Federalists of the Ottoman Empire ١٩٥٨), p 108 .

(٣) د. هبة العزيز الشاوي : مرجع سبق ذكره ص ٧٠ - ٧٨ .



### الانتفاضات في الشرق العربي على الحكم العثماني :

ومع ذلك فقد كانت هناك انتفاضات على الحكم العثماني في بعض الأقطار العربية ، مثل حركة نجر الدين المعني الثاني في لبنان في القرن السابع عشر ، وحركة علي بك الكبير في مصر ، وظاهر العمر في فلسطين في القرن الثامن عشر ، إلا أن هذه الحركات لم تكن سوى حركات فردية أثارها دوافع شخصية بحتة ، أكثر منها تعبيراً قومياً منبعثاً من آلام الشعوب وآمالها يدفعه الاعتزاز بالجنس الذي ينتمون إليه . ثم شهد المشرق العربي - في القرن التاسع عشر - حركتين كانتا أكثر أهمية وأعمق أثراً من الحركات السابقة ، أولاهما الحركة السلفية في شبه الجزيرة العربية ، والآخرى محاولات محمد علي لتسكين دولة تضم بلاد المشرق العربي . أما الحركة السلفية التي ظهرت في نجد منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، فهي حركة دينية رأت أنه لا منجاة للعالم الإسلامي من أخطار الأطماع الاستعمارية المحدقة به إلا بالعودة إلى بساطة الإسلام الأولى وتخليصه من الشوائب ، والبعد عما هو أوروبي ، وبذلك نجد أن هدف الحركة الوهابية السلفية هو نفس هدف محمد علي وبعض سلاطين العثمانيين مع اختلاف الوسيلة ، فبينما هي عند السلفيين العودة إلى بساطة الإسلام الأولى والتمسك بالقرآن نصاً وروحاً ، وعدم التورط في ركة الاستغراب westernization (الآخذ بأساليب الحضارة الغربية) ، فهي لدى محمد علي وسليم الثالث ومحمود الثاني الاتصال بالأنظمة الغربية والآخذ منها ، ويرجع البعض<sup>(١)</sup> هذا الاختلاف إلى أن نجد مهد الحركة السلفية تقع في شبه الجزيرة العربية مهد الدعوة الإسلامية الأولى ، بينما تقع مصر على البحر المتوسط أي في طريق المؤثرات الأجنبية ، وتربطها بالعالم الغربي صلات وثيقة ، إلا أنه لا يمكن اعتبار الحركة السلفية حركة قومية عربية فإنها لم تقم ضد الأتراك

كأجانب يحتلون البلاد العربية ، وإنما باعتبارهم مسلمين خرجوا على مبادئ الدين الاسلامى الحق ، وكان السلفيون يقفون موقف العداء من العرب الشيعة في العراق والسنيين في الحجاز مثلما كانوا يقفون موقف العداء من الأتراك<sup>(١)</sup>

محمد علي وتكوين دولة عربية :

وترجع أهمية الحركة الوهابية السلفية إلى أن قيام محمد علي بإخمادها أضفى عليه شهرة في العالم الاسلامى كما كانت فرصة أتاحت له الاتصال بجزء من العالم العربى بما أوجد لديه ولدى ابنه إبراهيم فكرة إنشاء دولة تنظم الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثمانى<sup>(٢)</sup> ، وقد حاول محمد علي إقناع السلطان ، بأن إخماد الحركة الوهابية يستلزم توجيه حملة مصرية سورية عراقية تتقدم من الأقطار الثلاثة تحت قيادته لى تطبق على السلفيين في نجد ، وبذلك حاول أن يضع إمكانيات هذه الأقطار تحت سيطرته وإدماجها في امبراطورية كبرى دون الالتجاء الى القوة<sup>(٣)</sup> . الا أنه لم يفكر في اتخاذ خطوات إيجابية لتحقيق هذه الأحلام إلا بعد دخوله الشام ، إذ أصبح في يده - حينئذ - جانب كبير من المشرق العربى يضم أمهات المدن العربية في المنطقة : مكة والمدينة والقاهرة والقدس ودمشق ، فقد كنب القنصل البريطانى في الاسكندرية في يناير (كانون ثان) ١٨٣٢ إلى حكومته بأن محمد علي يهدف إلى تدعيم سلطه في باشويات عكا ودمشق ، ثم مد سلطانه إلى حلب وبغداد والمناطق التى تتكلم العربية ، ويعتبرها محمد علي الجزء العربى من الامبراطورية العثمانية<sup>(٤)</sup> ،

Yale, W. : The near East ( 1958 ), P. 183 (١)

Antonius, G. : The Arab AWakening (1938), pp. 22-23 (٢)

Saab : Ouv, Cit., p. 168 . (٣)

Temperley: Harold : the Near East -- The Crimea (١)

( 19.6 ) p. 96 ( From Palmerston to Temple, March 21, 1833 )

بل ذهب البعض الى حد القول ، بأن محمد علي كان يفكر ، ويطمح في الخلافة ذاتها ، والحلول محل السلطان العثماني فيها ، فقد بعث كامبل Campbell قنصل بريطانيا العام في مصر في أول أكتوبر ( تشرين أول ) ١٨٢٨ برسالة إلى حكومته يقول فيها إنه علم أن مشروع الخلافة يدور في رأس محمد علي ، وأن هذا التفكير يلقى التأييد من النمسا عن طريق السكولونيل بروكش Prokesch وأن ميمو Mimaut قنصل فرنسا يغذى آمال محمد علي في هذا الاتجاه ويشجعها ، وأن لاورين Laurin قنصل النمسا العام في مصر أكد لزميله الانجليزى أن ثمة خريطة رسمها بروكش حدد عليها البلاد التي ستندوى تحت الخلافة الجديدة ، والتي ستتضمن جزءاً كبيراً على طول الفرات كان يخضع لباشوية بغداد ، وأرفق القنصل الانجليزى بتقريره صورة من مذكرة بروكش التي كانت بتاريخ ١٧ مايو ( آيار ) ١٨٣٢ ، والتي يقول فيها إن الإمبراطورية العربية تتكون من مصر والنوبة وسنار ودارفور وكردفان في إفريقيا وكل شبه الجزيرة العربية حتى الخليج ( الفارسي ) ، وامتداد الضفة اليمنى للفرات وكل الشام ، ولو أن مقترنح ذكر أن هذه الفكرة خاصة ببروكش وحده ، وليس للحكومة النمساوية أية صلة بها<sup>(١)</sup> . وإلى جانب المعونة والتأييد اللذين كان محمد علي يأمل أن يحددهما لدى بعض الدول في هذا الاتجاه ، فقد كان موقفه قوياً وظروفه خيراً مشجع له ، فعظم أقطار المشرق العربي — بما فيها الأماكن المقدسة — في قبضته ، ولم يكن السلطان يتمتع بحب رعاياه ، هذا بالإضافة إلى تنظيم الجيش المصرى وقوته .

كما أخذ إبراهيم في أثناء تقدمه في الشام يقوم بالدعاية بين الأهالي لفكرة الدولة العربية المستقلة عن الحكم العثماني ، وحاول في منشوراته استشارة

الشعور العربي بإعلان أن الجيوش المصرية لن تقف في زحفها إلا عند الفاصل بين المتكلمين بالتركية والتكلمين بالعربية ، وأنه يعتزم إعطاء العرب حقوقهم ، وأن يجعل منهم كياناً مستقلاً<sup>(١)</sup> كما استطاع أن يقيم نظاماً حديداً على أنقاض النظام القديم المتداعى ، وامندت يد الإصلاح إلى مختلف نواحي الحياة ، وحق المساواة التي لم تعرفها بلاد الشام منذ الحكم العربي الأول ، وعلى ذلك يرى البعض أن هذا الاتجاه من جانب محمد علي وإبراهيم يعتبر بداية للحركة القومية العربية ، إلا أن البعض الآخر ينسكح عليها التفكير العربي ، ويسوق العديد من الأدلة لنفي وجود أي تفكير عربي لدى محمد علي الذي بدأ وعاش و انتهى عثمانياً مسلماً ، وإثبات أن مهمته كما حددها كانت إحياء القوة العثمانية في ثوب جديد<sup>(٢)</sup> وأنه كان ألبانياً لا يعرف العربية ، يميل إلى الترك ويفضلهم على العرب ، وقد فاضته فرنسا من أجل غزو الجزائر لحسابها<sup>(٣)</sup> ، وأن الفتوحات التي قام بها إنما كان كل منها وليد ظروف سياسية أو اقتصادية أو حرية خاصة بكل حملة ، ولم تسكن من بين دوافعها أبداً الرغبة في إحياء القومية العربية ولا تحقيق الوحدة العربية ، فالفتوحات العربية في عهد محمد علي لم تسكن تسير وفق مخطط قومي عربي ، ومشورات إبراهيم في الشام ما كانت تهدف إلا إلى استمالة الأهالي للتسهيل الزحف العسكري ، فهي لا تزيد عن كونها عوداً للاستهلاك المحلي<sup>(٤)</sup> ، ولا شك أن محمد علي لم يكن يؤمن بالعروبة ، ولم ينتفض انتفاضته ضد السلطان العثماني دفاعاً عن القومية العربية ، أو رغبة في تخليص

(١) د . عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ٢٠ .

(٢) محمد شفيق غربال : محمد علي - إعلام الإسلام / ٨ ( ١٩٤١ ) ص ٦٢ .

(٣) Douin, G.: Moh. Ali et l'Expedition d' Alger ( 1930 )

وقد نعر المؤلف في هذا المصدر عن مفاوضات التي دارت بين الحائين الفرنسي والمصري لإرسال حملة مصرية إلى بلاد الجزائر .

(٤) د . عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ٢٠ - ٢١ .

العرب من حكم الترك ، وإنما كان محمد علي وطنياً عثمانياً بطمع لا في تخطيم الإمبراطورية العثمانية ، بأن ينتزع منها أقاليمها العربية ، ويكون بدلاً منها دولة لنفسه وخلفائه ، وإنما كان يهدف أولاً إلى تهديد الإمبراطورية العثمانية بالسيطرة على أزمة الحكم فيها إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ثم محاولة إدخال النظام الغربية مستعيناً بمقدرته وموارد مصر الاقتصادية<sup>(١)</sup> فقد صرح لسكامل قنصل بريطانيا العام في مصر بأن الحكومة العثمانية قد صارت بالية من أساسها ، وقد استنفدت كل مواردها المادية والمعنوية ، وأصبحت مكروهة محقرة من الأمة عاجزة عن الدفاع عن نفسها فتركت نفسها ولا حول لها فريسة للروس<sup>(٢)</sup> ، وإليه لذلك يعمل باسم أمة الإسلام ولعل هذا ما دفع بالأسطول العثماني إلى الأبحار من البسفور إلى الاسكندرية ليضع نفسه تحت تصرف محمد علي في أثناء أزمة ١٨٣٩ ، وبعد وصول الأسطول العثماني إلى الاسكندرية في ١٧ يوليو (تموز) ١٨٣٩ ، ألقى محمد علي في رجال هذا الأسطول خطاباً دعا فيه إلى الوحدة الأخوية بين المسلمين ، وألح على ضرورة الولاء للسلطان كما هب عن رغبته في الذهاب إلى الاستانة لإعادة تنظيم الإمبراطورية العثمانية .

إلا أن محمد علي قدر أنه إذا لم يستطع ذلك فلا أقل من أن تقتصر دولته على الأقطار العربية التي تشترك مع مصر في الجوار واللغة والجنس . وبذلك يحاول أن يجمع بعض الأقطار العربية تحت إمرته في دولة واحدة واختار أن تكون كلها أقطاراً عربية ، لا إيماناً بالعروبة ، ولأنه لكي يخلق بين أجزاء دولته رابطة قوية تصلح أساساً متيناً لدولته فتصير لها مقومات الدولة إذا قدر له النجاح في إنشائها وفصلها عن الدولة العثمانية . ومهما يكن من أمر فإن

---

Tyonbee, A.: A study of History, VIII ( 1951 ) p. 247 . (١)

Saab ; Ouv. Cit. p. 163.

(٢)

محاولة محمد علي هذه لم يقدر لها النجاح ، وكان فشلها يرجع إلى عدة عوامل اهل من أهمها أنه كان متردداً فلم يكن هدفه الذي يسعى إليه واضحاً تمام الوضوح حتى بالنسبة له ، فلو أنه في توسعه ظل على ولائه العثماني لكان الرأي العام الإسلامي قد ساندته - فقد علق عليه المسلمون الآمال الكبار ، لأنه أظهر في تعامله مع الغرب استقلالا لم تظهره حكومة الباب العالي (١) .

وإذا كان محمد علي لم يتخذ الاتجاه العثماني الصرف فإنه كذلك لم يتخذ الاتجاه العربي الصرف ، ولو فعل لكسب تأييد الرأي العام العربي ، فقد كان الناس - حتى في بغداد - ينظرون إلى إبراهيم باعتباره المنقذ من تدهور الحكم العثماني إلا أن محمد علي - رغم أنه هدد عاصمة الخلافة مرتين ، وأصبح يسيطر في إبان قوته عن الأقطار العربية شرق برقة وغربي العراق - فإن لم يستطع أن يتخذ قراراً حاسماً بالاستقلال عن السلطان أو الولاء التام له ، وإنما تردد بين هذا وذاك ، تردد بين تحديد الدولة العثمانية كلها بصفته أحد ولائها وتحت لواء سلطان عثماني يقام باختياره في الأستانة ، وبين الاقتصار على دولته في الأقطار التي تتسكلم العربية .

ولقد كان محمد علي يهتم اهتماماً بالغاً بوضعه الشرعي . وقد ظهر ذلك حتى في أثناء غزو الشام عندما أمر ابنه إبراهيم بالأعلان إلغاء سلطة السلطان العثماني هناك ما لم يحصل أولاً على فتوى بذلك من رعاياه الدين المحليين يعلنون فيه عزل السلطان محمود بوصفه غير أهل للحكم ، كما أنه بعد الهزيمة الساحقة التي نزلت بجيش السلطان تردد في إعلان استقلاله ، فقد كان على علم بالشعور الديني لدى الناس ، وكان يخشى ألا يلقى التأييد السكاني (٢) ، وهكذا لم يستطع

---

Toynbee : Ouv. Cit. p. 248.

(١)

Saab : Ouv. Cit. pp 166 — 173.

(٢)

محمد علي - بسبب عثمانيته - أن يعطى لدولته صفة نهائية محددة

ومهما قيل في تحليل فشل محمد علي في إقامة دولة تضم الأقطار العربية التي فتحها ، فلا جدال في أن أقوى الأسباب التي أدت إلى هذا الفشل كان موقف الدول الأوروبية عامة ، وبريطانيا خاصة ، فإن بريطانيا كانت مطمئنة على الهند في ظل الوضع القائم في الشرق ، وكان بالمرستون يرى أن الدولة العثمانية أفضل دولة يمكن أن يطمئن لترك الطريق إلى الهند تحت سيادتها ، ولذلك فإن وقوع الأقطار التي يمر بها الطريق إلى الهند تحت حكم محمد علي أثار قلق بريطانيا فوقف بالمرستون في وجه محمد علي عندما حاول الأخير أن يتوغل في العراق ، ويضم أورفا إلى حلب ، ثم يتقدم إلى دير الزور عام ١٨٣٤ / ١٨٣٥<sup>(١)</sup> واعتبر بالمرستون أن محاولة محمد علي ضم البلاد العربية ، وتكوين دولة منها يستلزم بالضرورة تفكك الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها وأن هذا أمر لا يمكن السكوت عليه ، كما كانت بريطانيا آنذاك لا تسمح بأن تتعرض الدولة العثمانية لتهديد القوات المصرية من الجنوب والروسية من الشمال ، وكان عطف فرنسا على أحلام محمد علي سبباً لإثارة مخاوف بريطانيا وشكوكها ، ولذلك فإن الحكومة البريطانية لم تلق بالالما اقترحه كامبل قنصلها العام في مصر ، وعيره من ممثلي بريطانيا في أقطار الشرق العربي ، عندما حاولوا إقناع حكومتهم بأن إقامة خلافة عربية تحت إمرة محمد علي قد تكون أكثر مقدرة من الإمبراطورية العثمانية المتداعية على الوقوف في وجه الروس ولما حكومتها البريطانية فضلت الاعتماد على نفسها في صد الروس ، وفضلت الإبقاء على الوضع القائم وتوازن القوى الذي قام على وجود الإمبراطورية العثمانية .

---

Temperley, H. : Ouv. Cit. pp. 94-6 (From palmerston (١) to Temple, March 21, 1833).

ومن بين أسباب فشل محمد علي أن الوعي القومي الحقيقي كقوة سياسية لم يكن قوياً بدرجة كافية بين العرب ، وكانت فكرة تكوين دولة عربية مستقلة ، فكرة سابقة لأوانها في ذلك الوقت ، فإن إسلام الدولة العثمانية ، وخلافة السلطان العثماني ، جعلتا المسلمين عرباً وغير عرب يرتبطون براهبة العقيدة ، وكانت العاطفة الوطنية ممتزجة بالعاطفة الدينية ، وكان الرباط الديني لا يزال يشد جماهير العرب إلى الخلافة الإسلامية <sup>(١)</sup> ، وإذا كان محمد علي قد فشل في إنشاء دولة عربية ، إلا أنه خلال حكم إبراهيم للشام ، نعم المسيحيون بمساواة كانوا يفتقدونها في الحكم العثماني ، كما فتحت أبواب البلاد أمام المؤثرات الغربية ، كما أنه إذا كانت حركة جمع البلاء العربية وتوحيدها قد فشلت على عهد محمد علي لأن من تصدى لقيادتها لم يكن عربياً يؤمن بالعروبة ، فإن الحركة القومية العربية لم تلبث أن أثبتت وجودها بعد أن ازدهر الوعي القومي ، وتقدم من أبناء العروبة من يحمل لواها .

---

(١) د. عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ٢٧ — ٢٨  
Yale, W. : ouv, Cit., p. 193



## الفصل الثالث

### بداية اليقظة العربية

#### عوامل اليقظة العربية :

وعلى الرغم من ولاء العرب للدولة استجابة للعاطفة الدينية ، فإن كراهية العرب للأتراك لم تلبث أن أطلت برأسها من بين ثنايا هذا الولاء ، وذلك في غضون القرن التاسع عشر لأسباب مختلفة متعددة ، منها ما أحدثته المؤثرات الغربية على اختلاف أنواعها من أثر ملوس في الشام بوجه خاص ، وفي العراق إلى حد ما ، فإن انتشار التعليم الغربي . وما صحبه من تسرب الأفكار السياسية الغربية كان له أثره في يقظة أهالي هذين القطرين وفتتح أعينهم على عالم جديد من التقدم والقوة على عكس حالة التأخر والجهل والجمود السائدة في الإمبراطورية ، ومن ثم أخذت الأجناس المختلفة التي تسكون منها الإمبراطورية - بما فيهم العرب - تسير في طريق الوعي القومي (١) .

ومن العوامل الهامة الأخرى ما أسفرت عنه حركة التنظيمات التي شرعت فيها الدولة منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فقد صدر في عام ١٨٣٩ مرسوم سلطاني ( مرسوم الكليخة (٢) ) الذي قضى بعدم معاقبة أحد دون محاكمة علنية ، وبالمساواة في المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين أمام القانون ، وضرورة وضع مشروع لإبطال المتاجرة في الوظائف التي كانت سبباً رئيسياً في فساد الحكم .

كما صدر في عام ١٨٥٦ ( عقب حرب القرم ) مرسوم التنظيمات

Zeine : ouv. Cit., p. 36.

(١)

(٢) نسبة إلى قصر الكليخة الذي قرى فيه المرسوم في حفل رسمي

الخيرية الذى أكد ما تضمنه مرسوم الكلخانة وبخاصة مبدأ المساواة بين كل رعايا السلطان .

وعلى الرغم من أن التنظيمات أعلنت المساواة بين المسلمين وغير المسلمين ، فإن الحكومة العثمانية لم تطبق هذه المساواة تطبيقاً دقيقاً مما أتاح الفرصة لتأثر العناصر غير المسلمة بالنشاط الأوروبى فى مجال السياسة والثقافة والدين ، وكان لذلك أسوأ الأثر فى بعض الإيالات العربية كبلاد الشام حيث تكثرت الأقليات المسيحية ، وهذا هو السبب فى أنه على الرغم من اتجاه المسلمين بأفئدتهم إلى السلطنة والخلافة ، فقد ظلت هذه الأقليات غير المسلمة تتطلع إلى هذه أو تلك من الدول الأوروبية فى طلب الحماية مما أدى إلى تعميق الهوة بين المسلمين والمسيحيين فى أقطار الشرق العربى .

يضاف إلى ذلك أن حركة التنظيمات التى شرعت فيها الدولة اصطفت بالصبغة المركزية فى إدارة المقاطعات بحيث لا يترك للطوائف الدينية والأمرأ المحليين ذلك الاستقلال الذاتى الذى كانوا يتمتعون به وتشديد قبضة الدولة على أطراف الإمبراطورية ، ففضى السلطان محمود ، على حكم المالك فى العراق عام ١٨٣٠ ، وأزاح القرمانيين عن حكم طرابلس عام ١٨٣٥ ، وفى الحجاز عين حاكم عثمانى ليوازي سلطة الشريف بعد خروج المصريين عام ١٨٤٠ ، كما حاول العثمانيون إدماج اليمن فى الحكم المركزى على الرغم من أن اليمن لم يخضع لهم تمام الخضوع ، وظل اليمنيون يلقبون إمامهم بلقب أمير المؤمنين لأنهم يقولون بأن الخلافة لقرشى عامة ولزيدى خاصة<sup>(١)</sup> .

أما لبنان فإنه بعد إخلائه من الحكم المصرى تولى حكمه بشير الثالث الذى

---

(١) د . محمد بديع شريف : اليفطة العسكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر ص ٣٥  
فى ( دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ) . من آخرين .

كان آخر أمير لبناني ، لأن الدولة عيذنت بعده حكاماً من الترك أخذوا يشيرون  
الفتن بما أدى - مع دسائس الدول الأجنبية - إلى مذابح ١٨٦٠ ، وحتى عندما  
وضع للبنان نظامه الإداري عام ١٨٦١ نجح الباب العالي في إبقاء سيطرته على  
ميناء بيروت للمحافظة على صلة دمشق بالبحر لأغراض عسكرية ، ولم ينفذ  
النظام الإداري للبنان على الوجه الصحيح ، بل حاولت الدولة استرداد  
الامتيازات التي حصل عليها فلم يبق له من استقلاله الإداري إلا القليل ،  
وهكذا زى أن هذه الإصلاحات لم تقم على أساس إعطاء الحقوق القومية  
للعناصر التي تتألف منها الدولة ، بل كان هدفها إظهار تمتع رعايا الدولة -  
المسلمين وغير المسلمين - بالمساواة ومزجهم في التبعية العثمانية ، وجعلهم  
كأمراد أمة واحدة حتى تستغنى الطوائف غير الإسلامية عن الالتجاء إلى حماية  
الدول الأجنبية ، ورغم ما قيل من أن قانون الولايات الذي سنه الدولة  
عام ١٨٦٤ في عهد السلطان عبد العزيز كان يرمى إلى إشراك السكان في تدبير  
مصالحهم العامة وتخفيف شدة الحكم المركزي ، فقد ظلت الإدارة المركزية  
هي الهدف ، وظلت مهام الولاية مقصورة على تنفيذ أوامر العاصمة ، كما أن  
الهيئات المنتخبة - طبقاً للقانون الجديد - لمعاونة الولاية لم يكن من بين أعضائها  
النسبة سوى أربعة منتخبون ، وهذا إلى جانب تدخل الحكومة في عملية  
الانتخاب .

#### أثر الحكم المصري على اليقظة العربية :

وفي الحديث عن العوامل التي أدت إلى اليقظة القومية في المشرق العربي ،  
لاستطيع أن نفعل أثر الحكم المصري على بعض جهاته ، فإنه قبل الحكم المصري ،  
كانت الحالة الثقافية في الشام متدهورة ، ولم يكن هناك سوى مدارس ابتدائية  
لا تهتم إلا ببعض الدسائس السطحية ، ولكن منذ عام ١٨٣٤ توالى  
إنشاء المدارس الابتدائية في مختلف أرجاء البلاد ، كما أنشئت مدارس ثانوية

في بعض المدن الرئيسية مثل دمشق وحلب وأنطاكية ، ورغم انهيار هذا النظام عقب إخلاء الجيش المصري للشام عام ١٨٤٠ ، قد ترك أراً باقياً ، إذ أن المسلمين - رغبة في تجنب تهديد أبنائهم - اتجهوا إلى فتح مدارس خاصة ، كما نشأت الرغبة في التعليم الديني ، فأرسل الكثيرون أبنائهم إلى المدارس الأجنبية التي افتتحتها البعثات التبشيرية التي ازداد نشاطها هي الأخرى نتيجة للحكم المصري في الشام<sup>(١)</sup> فضاءت من نشاطها التعليمي .

#### البعثات التبشيرية :

ولم يكن الشام حديث عهد بالبعثات التبشيرية . بل كانت البلاد ميداناً لنشاط الإرساليات منذ القرن السابع عشر ، وذلك بسبب كثرة المسيحيين ووجود الأماكن المقدسة بها<sup>(٢)</sup> ، إلا أن نشاط هذه البعثات كان محدوداً اقتصر على إنشاء بعض المدارس ونشر الكتب الدينية ، وكانت كل البعثات من الكاثوليك وأغلبهم ينتمي إلى الجزويت ( اليسوعيين ) ، وكان جهدهم الأكبر قائماً على الثقافة النظرية والعقائدية ، ولم يفعلوا شيئاً من أجل إحياء اللغة العربية كما أنه لا يمكن القول بأنهم استطاعوا تخفيف حدة التعصب الديني أو تقدم الفكر<sup>(٣)</sup> إلا أن جماعة الجزويت حلت منذ عام ١٧٧٣ وأغلقت معظم مؤسساتهم ولم تقدر لهم العودة إلا عام ١٨٣١ بسبب نشاط البعثات البروتستانتية الأمريكية التي بدأت تفد على الشام من مالطة منذ عام ١٨٢٠ ، حين أنشأوا أول مركز لهم في الشرق في بيروت ، وقد صادفت البروتستانت الأمريكيين صعوبة خاصة ، ألا وهي عدم وجود أقلية بروتستانتية في الشام ، ولذلك لم يكن لهم من مبدل لكسب الأنصار سوى تحويل الأفراد من المذاهب

Antoniuss : ouv. Cit. pp. 40-41.

(١)

(٢) د . العناوي : مرجع سبق ذكره ص ٢٣ .

Antoniuss : ouv. cit. p. 37.

(٣)

الأخرى إلى البروتستانتية ولذلك أدى نشاط البروتستانت إلى إثارة عداوة وكرامية رجال الدين المحليين والكاثوليك الفرنسيين على السواء .

وبدخول الشام تحت الحكم المصري أتيحت الفرصة للبعثات التبشيرية الأجنبية لممارسة نشاطها على نطاق واسع ، فعاد الجزويت وازداد عدد الأمريكيين وبدأ التنافس بين الفريقين ؛ ذلك التنافس الذي ساعد على إحياء اللغة العربية ، وما ارتبط بها من حركة فكرية لم تلبث أن تحولت من الأدب إلى السياسة ، إذ أنه لما لم يكن للبروتستانت الأمريكيين أنصار بين العرب كما كان الحال بالنسبة للكاثوليك والارثوذوكس ، فقد بدأ المبشرون البروتستانت يستعملون اللغة العربية في الصلاة ، كما ترجموا الإنجيل إلى العربية نظراً لأنهم لا يتمسكون بالذات التقليدية لأناجيل كاللاتينية بالنسبة للكاثوليك واليونانية بالنسبة للارثوذوكس ، ولوحظ أن البروتستانت أخذوا يكتسبون نفوذاً كبيراً بين الجماهير ، وتنبه المبشرون الكاثوليك والوطنيون الارثوذوكس إلى خطورة التبشير فعمدوا إلى محاربتهم باستخدام اللغة العربية ، وأخذت جميع الطوائف تنافس في إحياء الثقافة العربية ، وفي هذه الحالة لم تنحصر مهمة الثقافة العربية - كما كان الحال عند المسيحيين في ذلك الوقت - في خدمة العلوم الدينية ، وإنما اهتم بها المسيحيون كثقافة قومية يفخرون بها على الترك ، فصار التعليم باللغة العربية في جميع المدارس البروتستانتية والكاثوليكية<sup>(١)</sup> .

والشر الإنجيل وبعض التعاليم البروتستانتية باللغة العربية فمل المبشرون الأمريكيون مطبعتهم العربية من مالطة إلى بيروت في عام ١٨٣٤ ، وأخذوا بواسطتها في طبع ما تحتاجه مدارسهم من كتب ، بل وصنعوا في ليبرج أنماحاً جديدة من الحروف عرفت باسم الحروف العربية الأمريكية<sup>(٢)</sup> ، كما اهتم

(١) د . الفتاوى : مرجع سبق ذكره ص ٣٤ - ٣٤

Antonijs : ouv. cit. p. 42

(٢)

البروتستانت الأمريكيون بتوفير المدرسين لحولوا مدرستهم العليا في عباي  
بلبنان إلى كلية للعلمين ، كما قام راندوم إلى سميث وزوجته في عام ١٨٣٤ بإنشاء  
أول مدرسة للبنات ، إلا أن العمل الذي توج جهود البعثة البروتستانتية كان  
إنشاء الكلية السورية البروتستانتية في بيروت عام ١٨٦٦<sup>(١)</sup> ، وعين « دانييل  
بليس Daniel Bliss » مديراً لها . وفي بداية الأمر كانت الدراسة مقصورة  
على الدراسات الثانوية العليا ، والطب ، وكان التعليم باللغة العربية ، وبمرور  
الزمن ارتفع مستوى التعليم واتسع نطاقه حتى بلغت الكلية مستوى الجامعات ،  
وقد أثار نشاط البعثات البروتستانتية غير البعثات الكاثوليكية التي أخذت  
بدورها تعمل على نشر التعليم وإقامة المدارس وخاضعة منذ عودة الجزويت  
عام ١٨٣١ ، وكانت أهم مدارسهم مدرسة غازير بلبنان التي تحولت عند نقلها  
إلى بيروت عام ١٨٧٥ إلى جامعة سان جوزيف التي كان لها - كأختها الأمريكية -  
دور كبير في نشر الثقافة ، كما حاكى الجزويت الأمريكيين في الطباعة العربية  
منذ سنة ١٨٤٧ ، إلا أننا يجب ألا نفرق في تمجيد الدور الذي لعبته البعثات  
التبشيرية ( وسنوضح ذلك في فصل نال ) .

وقد دفع نشاط المدارس التبشيرية المختلفة رجال الدين الوطنيين في الشام  
على اختلاف مذاهبهم إلى مضاعفة نشاطهم العلمي بفتح المدارس المختلفة  
من أجل المحافظة على كياناتهم<sup>(٢)</sup> . وما يلاحظ في نشوء الحركة القومية العربية  
أن المسيحيين لعبوا دوراً كبيراً في إثارة الوعي القومي في النصف الثاني من  
القرن التاسع عشر ، ذلك أنه كان من نتائج إعمال العثمانيين لتعليم اللغة العربية  
بل ومطاردتها أن اللغة العربية وآدابها لم تجد ملجأ سوى لدى الإرساليات

---

(١) وصارت منذ عام ١٩١٩ تسمى بالجامعة الأمريكية .

Hurewitz : Middle East Dilemmas ( 1953 ) p. 106 .

Yale : Ouv. cit. pp 194 - 5 .

(٢)

التبشيرية المسيحية في الشام بالذات ، حيث كان التعليم في مدارسها يجرى باللغة العربية ، وهكذا أتيح للمسيحيين فرصة الاطلاع والبحث في تاريخ العرب ولغتهم وآدابهم<sup>(١)</sup> . وعما ساعد المسيحيين على أن يلعبوا هذا الدور في الحركة القومية أنهم كانوا يعيشون في مستوى اقتصادي مرتفع ، ويشكلون عنصراً اقتصادياً في المجتمع العربي ، فقد كانوا قطاعاً نشطاً ، كما كانوا يظفرون بتأييد فرنسا وحمايتها وامتيازاتها في الدولة العثمانية ، وكانوا أوثق اتصالاً بأوروبا من العرب المسلمين ، ولذلك قاموا بدور الوسيط بين الغرب والعالم العربي من الناحية التجارية . وقد أتاح لهم هذا الوضع أن يتأثروا بالحضارة الغربية والفكر الغربي أكثر من المسلمين<sup>(٢)</sup> .

ولقد شهد القرن التاسع عشر عدداً من رواد الأدباء والمفكرين العرب الذين حملوا لواء النهضة الأدبية والفكرية ، وقد برز منهم نصيف اليازجي وبطرس البستاني . أما اليازجي فقد استعان به الأمريكيون في تأليف الكتب التي تدرس بمدارسهم ، وأخذ في ندواته يدعو العرب مسلمين ومسيحيين إلى إحياء الأدب العربي القديم ، وأما البستاني فقد استعان به الأمريكيون أيضاً في تدريس اللغة العربية في كلية المعلمين بعباء ، وفي تأليف الكتب ، واشترك مع ابلي سميت في ترجمة الإنجيل ، ثم وضع سفره العظيم : قاموس ( محيط المحيط ) ومختصره ( قطر المحيط ) ، ثم موسوعته العربية ( دائرة المعارف ) ، وإلى جانب ذلك فقد دفعته حوادث ١٨٦٠ التي أثارها التعصب إلى محاربة تهمة النفوس والقضاء على التعصب . فأصدر في بيروت في عام ١٨٦٠ ( نفي سوريا ) أسبوعياً ، وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل الدعوة إلى الوحدة والتمكثف ونبت التعصب . وبعد ثلاث سنوات أنشأ

(١) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٤ .

(٢) د . الشناوي مرجع سبق ذكره ص ٣٤ .

( ٥ — حركة النهضة العربية )

( المدرسة الوطنية ) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قومي ، وفي عام ١٨٧٠ أصدر ( الجنان ) وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية ، كان هدفها - كنفير سوريا - محاربة التعصب والدعوة إلى التفاهم والوحدة من أجل خير الوطن ، وكان شعارها : الوطنية من الإيمان <sup>(١)</sup> .

#### الجمعيات الأدبية في الشام :

وقد تردد صدى هذا النشاط الثقافي في تأليف الجمعيات الأدبية في الشام وكانت أولاها ( جمعية الفنون والعلوم ) ببيروت التي اشترك البستاني واليازجي في إنشائها عام ١٨٤٧ مع طائفة من أعضاء البعثة التبشيرية الأمريكية ، ولم يدخلها أحد من المسلمين ، ولم يلبث الجزيريت ( اليسوعيون ) أن حذوا حذو الأمريكيين ، فأسسوا ( الجمعية الشرقية ) من المسيحيين العرب والأجانب دون المسلمين إلا أن أهم هذه الجمعيات كانت ( الجمعية العلمية السورية ) التي أنشئت عام ١٨٥٧ ، وكانت تختلف عن الجمعيتين السابقتين في ناحيتين على جانب كبير من الأهمية ، ذلك أن كل أعضاء الجمعية كانوا من العرب فلم تضم أحداً من الأجانب على الإطلاق ، كما أنها كانت تضم أعضاء من العرب المسلمين إلى جانب الأعضاء المسيحيين مما يدل على تطور الوعي القومي ، والارتفاع فوق الخلافات الطائفية ، ورغم أن حوادث عام ١٨٦٠ أدت إلى وقف نشاطها فقد أعيد تكوينها على نطاق أوسع ، فأصبحت تضم عدداً من الشخصيات العربية التي كانت تعيش خارج الشام ، وخاصة في الأستانة والقاهرة وغيرهما ، وهكذا - ولأول مرة تحت الحكم التركي - يلتئم شمل المذاهب المختلفة حول هدف واحد ، من أجل تقديم البلاد العربية . وانفخر بالزراث العربي ؛ كما أصبحت مهداً للحركة السياسية ولذلك يعتبر تكوين هذه الجمعية أول مظهر من مظاهر الوعي القومي الجماعي .



وفي مجلس خاص لبعض أعضاء الجمعية العلمية السورية أطلقت الحركة القومية العربية أولى صيحاتها . ذلك أن إبراهيم اليازجي ألقي قصيدة وطنية كانت بمثابة دعوة للعرب الى الثورة ، والتخلص من الحكم التركي (١) ، وهكذا بدأت الحركة القومية العربية كمحركة أدبية تعمل على إحياء اللغة العربية وآدابها، وبعث التراث الفكري العربي والإفادة منه ، ثم تحولت الى دور العمل السياسي، ففي عام ١٨٧٥ تأسست جمعية بيروت العربية .

---

(١) وما جاء فيها :

تلبهوا واستيقوا أيها العرب	فقد طس الخطب حتى غاصت الركب
أقداركم في أيون الترك نازقة	وحقكم بين أيدي الترك منتصب
صبرا هيا أمة الترك التي ظلمت	دهراً فما قليل ترفع الحجب
لنطابق بحد السيف مآربنا	فلن يريب لنا في جنبه أرب

توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٣٦ - ٢٧



## الباب الثاني

### العهد الحميدى

١٨٧٦-١٩٠٨

الفصل الرابع : الجامعة الإسلامية بين الأفغان وعبد الحميد الثانى

الفصل الخامس : الحركة القومية العربية فى ظل الحكم الحميدى



## الفصل الرابع

### الجامعة الإسلامية بين الأفغانى وعبد الحميد الثانى

دستور مدحت باشا :

لقد دفع سوء أحوال الدولة العثمانية فريقاً من الترك والأحرار برعاية مدحت باشا إلى العمل على تقويض دعائم حكم السلطان عبد العزيز بإرغامه على التخلي عن العرش لابن عمه مراد الخامس ( ٣٠/٢٩ مايو - أيار - ١٨٧٦ ) وقد عزل هذا أيضاً بعد ثلاثة أشهر بسبب اختلال قواه العقلية ، وخلفه أخوه الأصغر عبد الحميد الثانى فى ٣١ أغسطس ( آب ) ١٨٧٦ ، وفى خلال سنة حكمه خطت الحركة العربية خطوات واسعة ، وأبنع الوعى القومى فى الشام ، وبدأ يظهر أثره فى البلاد العربية الأخرى ، حتى أتى ثماره بعد عزل عبد الحميد حين تحول إلى حركة علنية واسعة النطاق .

فقد كانت أحوال الدولة - عند تولى عبد الحميد - سيئة للغاية ، ومستقبلها يبدو قائماً ، فقد أخذت ألوية العصيان ترفع فى أقاليمها وخاصة فى البلقان ، واشتدت المذابح فى بلغاريا ، وأخذت روسيا تهدد بالتدخل العسكرى ضد الدولة دفاعاً عن شعوب البلقان ، وإذا صممت الدول على فرض الإصلاحات على الحكومة التركية فقد انعقد فى الآستانة عام ١٨٧٦ مؤتمر من السفراء لإعداد منهاج الإصلاحات . ولكن عبد الحميد قبطع عليهم جميعهم بإعلان دستور الإمبراطورية وبذلك لم يعد لاجتماعهم ضرورة ، ثم دعا البرلمان إلى الاجتماع ، وبدأت الإمبراطورية العثمانية وكأنها بدأت تسير على النهج الذى

رسمه لها حزب الإصلاح<sup>(١)</sup> . وقد كان مدح ورفاهه يعتقدون أن الألام التي كانت تعانيها الإمبراطورية والأسقام التي تنخر في كيائها المياسي سوف تزول بقيام الدستور الذي ينقذ البلاد من الحكم المطلق ، ولما كان هؤلاء الأحرار هم الذين أقاموا عبد الحميد سلطاناً فإنه لم يلبث أن استجاب لهم فأعلن الدستور في الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون أول) عام ١٨٧٦ بعد أن عين مدحت باشا صديراً أعظم في ١٨ ديسمبر .

وكان دستور مدحت يهدف إلى تقييد سلطة السلطان المطلقة ، وتحقيق المساواة في المعاملة بين الرعايا على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ، واعتقد مدحت كذلك أن الدستور يساعد على خلق رأى عام حرمستثير يستطيع أن يقف في وجه تدخل الدول الأجنبية في الشؤون الداخلية للإمبراطورية<sup>(٢)</sup> . إلا أن السخط الذي كان سائداً بين الشعوب الخاضعة للدولة لم يكن مرجعه الطغيان وفساد الحكم فحسب ، بل كان مظهرأ لنمو الوعي القومي ، الأمر الذي لم يفتن إليه مدحت ، كما أن الدستور ، ولو أنه قيد سلطة السلطان إلى حد ما ، فإن هذا التقييد لم يكن بالدرجة التي أرادها مدحت .

وعلى كل حال فإن عهد الحياة الدستورية لم يطل لأن عبد الحميد لم يأخذ بالدستور إيماناً به ، وإنما أراد أن يفسد خطة التدخل الدولي ، إلى جانب استمالة رعاياه الأحرار حتى يشتد ساعده وتتاح له فرصة القضاء على الحركة التقدمية ، ولذلك فإنه سرعان ما ضاق ذرعاً بالحياة النيابية بعد أن استنفدت أغراضها بتهديم الأحرار ونسف المؤتمر الأوروبي والاطمئنان على عرشه ، خاصة وقد

---

(١) رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ - ترجمة صالح اللب ( ١٩٦٠ )  
س ٤٤/٤٣ .

Saab . Ouv cit. p. 185

(٢)

قوبت المعارضة في مجلس المبعوثان ، وكان كثير من زعماء المعارضة من العرب ، رغم أن معارضتهم لم تكن قائمة على أساس الدفاع عن حقوق العرب ، بل كانت المعارضة لأسباب تتصل بأحوال الدولة العثمانية عامة (١) .

وقد سئحت لعبد الحميد فرصة الانقلاب على الدستور والإحاطة بالحياة الدستورية عام ١٨٧٧ عندما أعلنت روسيا الحرب على الدولة وتقدمت الجيوش الروسية إلى ضواحي الأستانة ، وانتهز عبد الحميد الفرصة لتعطيل الدستور في ١٤ فبراير ( شباط ) ١٨٧٧ ، وتأجيل اجتماع البرلمان - الذي لم يدع بعد ذلك حتى عام ١٩٠٨ (٢) - وأعيد الأعضاء إلى بلادهم ونفي بعضهم إلى مناطق نائية وهزل مدحت ، وبعد ذلك ألصقت به تهمة قتل السلطان عبد العزيز ، وحكم عليه ونفي إلى الحجاز حيث قتل .

وهكذا كان النجاح الدستوري قصير الأجل ولم يعمر طويلا لأسباب داخلية وخارجية ذلك أن مدحت حاول أن يقيم نظاماً دستورياً للإمبراطورية دون أن نكون هناك تقاليد دستورية سابقة ، لذلك لم يحدث رد فعل أثر فض عيد الحميد لمجلس المبعوثان ، لأن الحياة الدستورية لم يكن يسند لها رأى عام واسع ، كما أنه حاول إقامة دستور واحد لوحدة سياسية كبرى لم تكن أقاليمها متجانسة بسبب تنوع ثقافتها ، هذا بالإضافة إلى مؤامرات الدول الأجنبية والعناصر الرجعية لتقويض دعائم الحكم الدستوري (٣) .

#### الاستبداد الحميدي :

وبعد أن عطل عبد الحميد الدستور سارت سياسته في اتجاهات معينة

---

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٣٠ .

(٢) Emin, A. : Turkey in The World war ( 1930 ) p. 31.

Saab : Ouv. Cit. pp. 187. 8.

(٣)

أملت لها عليه ظروف الدولة الداخلية والخارجية ، ذلك أن اقتراب الروس من مشارف الآستانة في الحرب السابقة لم يدع لديه إيماناً بقوته العسكرية ، كما أن معاهدة برلين رغم تدخل بريطانيا - جعلته يشعر بأن حياة الإمبراطورية رهن بمشيئة الدول ، وإلى جانب ذلك كان مركزه المالي سيئاً ، ولذلك فقد لجأ إلى الديون التي خصص جانباً كبيراً منها لإعادة تنظيم جيشه ، وأبدى اهتماماً خاصاً بالكليات العسكرية دون التعليم المدني<sup>(١)</sup> .

ثم فرض على الشعب حكماً فردياً استبدادياً تساوت جميع العناصر في الخضوع له ، بما فهم العرب الذين حاول ربط بلادهم بشبكة من الخطوط البرقية والحديدية ليسهل عليه إرسال القوات الحربية لقمع ما قد يشب فيها من ثورات<sup>(٢)</sup> .

أخذ الاستبداد الحميدى يقوى وتشد قبضته على رعاياه ، بتأثير خوفه من هواقب نشاط العناصر التقدمية ، مما جعله يصطنع شبكة قوية واسعة من الجاسوسية حتى أصبح حكمه من أقسى أنواع الحكم وأشدّها ظغيباً .

سياسة عبد الحميد الإسلامية :

إلا أن أهم الوسائل التي لجأ إليها عبد الحميد لمواجهة الموقف في الداخل والخارج كانت سياسته الإسلامية عندما استخدم الدين لمقاومة معارضة في الداخل ومواجهة أعدائه في الخارج ، بإبراز السمات الدينية ( المقدسة ) لمنصبه بصفته الخليفة زعيم المسلمين ، واستثارة الإخلاص لعرشه بالضرب على الأوتار الحساسة لدى الملائين من رعاياه المسلمين ، وبذلك يضمن ولائهم ، ولا يجد التقدميون أى تأييد من جانبهم ، وهكذا سعى عبد الحميد لإحلال

Antoniüs : Ouv. Cit. pp. 67 — 68

(١)

Zeine : Arab — Turkish Relations, d. 54

(٢)



فكرة الجامعة الإسلامية محل الجامعة العثمانية التي كان ينادى بها (مدحت) وأنصار التنظيمات ، وكان عبد الحميد يرى أنه يمكن استخدام فكرة الجامعة الإسلامية كأداة تضمن التفاف العالم العربي ، بل والعالم الإسلامي حول الخلافة العثمانية ، وبذلك تتأكد السيطرة العثمانية على الأقاليم العربية في وقت كانت الدولة تفقد أقاليمها في البلقان الواحد تلو الآخر ، كما كان عبد الحميد يهدف - إلى جانب تدعيم مركزه بإخماد أى حركة تقدمية - إلى استخدام الجامعة الإسلامية لمقاومة الدول الغربية بل والضغط عليها ، تلك الدول التي كانت تستغل فرصة ضعف الدولة لكنها كانت لا تزال تهاب قوة الإسلام ، إذ أنه بهذه السياسة يجمع حوله الشعوب الإسلامية العربية منها وغير العربية ، بما فيها تلك الشعوب الخاضعة للدول الأوروبية ، وخاصة العرب في شمال أفريقية الخاضعين لفرنسا ، ومسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا والتمر الخاضعين لروسيا<sup>(١)</sup> .

والواقع أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر بحركات ديدلية قوية جاءت كرد فعل لحركة الاستغراب Westernization في الشرق الأدنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء العالم الإسلامي . وكانت بعض هذه الحركات الديدلية تتخذ موقفاً سلبياً من الاستغراب وتنادى بالارتداد أو الرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى ، وهذه هي الحركات السلفية مثل الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، والسوسية في شمال أفريقية ، والمهدية في السودان<sup>(٢)</sup> إلا أن حركة الجامعة الإسلامية كانت أكثر الحركات السلفية إدراكاً لمشاكل العالم الإسلامي .

Antonius ; Opv. cit, p. 75

(١)

(٢) د . محمد أليس : مرجع سبق ذكره ص ٢٣٨ .

### الأفغانى والجامعة الإسلامية :

وقد ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية - قبل عبد الحميد - على يد جمال الدين الأفغانى الذى يعتبر الأب الروحى والعقل لها ، وكان من الشخصيات التى تركت أثراً عميقاً على العالم الإسلامى فى العصر الحديث ، وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر على وجه الخصوص .

وعلم الرخم من كثرة ما كتب عنه فلا يزال يحيط بحياته بعض الغموض ، وليس هنا مجال الخوض فى الخلاف حول أصل الأفغانى ، وهل هو أفغانى سنى كما يقول هو وتلامذته ومريدوه ، أو إيرانى شيعى كما يذهب أعداؤه ومعارضوه ، مثل أبى الهدى الصيادى - عدوه فى أخريات أيامه - والذى ذهب إلى تسميته ( بالمتأفغن ) أى من يدعى الانتساب إلى الأفغان<sup>(١)</sup> .

ومسألة أصل الأفغانى على جانب كبير من الأهمية ، نظراً لأنه عمل على نشر مبادئه وأفكاره بين جموع المسلمين فى العالم الإسلامى ، بمن كانوا لا يتقبلون هذه الآراء من داعية شيعى ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نحسم هذه المسألة برأى قاطع فى هذه الدراسة ، فهى تحتاج إلى بحث خاص يستند إلى أسانيد لم تتوفر لنا بعد ، وكل ما يهمنى إبرازه هنا هو أن العالم الإسلامى الذى جاس فيه الأفغانى داعياً قبله على أنه أفغانى سنى ، وليس إيرانياً شيعياً ، وبذلك انتشرت مبادئ الأفغانى وأثرت فىمن حوله ، الأمر الذى أتاح له فرصة إحداث هذا الأثر العميق .

وحركة الجامعة الإسلامية التى دعا إليها الأفغانى - وإن كانت امتداداً للحركات الوهابية والسنوسية من حيث أنها تهدف إلى تخليص الإسلام من

---

Hourani , A. : Arabic Thought in the liberal Age (1967), (١)  
p. 108.

الشواذب التي علقت به ، إلا أنه في نفس الوقت ، ونظراً لأنه على عهد جمال الدين كان الاستثمار الأوروبي قد أخذ يجتاح الكثير من أقطار العالم الإسلامي ، فقد حاول الأفغان أن يوقف هذا الزحف الاستعماري عن طريق تنظيم الحكومات الإسلامية القائمة ، وإدخال الأفكار والأنظمة الغربية التي كانت سرقة الغرب ، ثم توحيد صفوف المسلمين الوقوف في وجه المد الاستعماري الأوروبي ، أي بينما كانت الحركات السلفية تتجه إلى محاربة السيطرة العثمانية كانت حركة الجامعة الإسلامية تدعو إلى وحدة صفوف المسلمين وراء الدولة العثمانية ، وهذه هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، أي أن الأفغان كان يعمل - إلى جانب إصلاح المساويء الدينية والاجتماعية - على صد النفوذ الأوروبي ، خاصة وأنه كان يرد الاستثمار الأوروبي إلى أساس ديني ويعتبره حركة نصرانية موجهة ضد الإسلام .

ويذهب البعض<sup>(١)</sup> إلى أن تفكير الأفغان مر بمراحل ، أولاها عندما كان يرفض إعطاء أي وزن للفكر القومي والخصائص القومية مكتفياً بوحدة العقيدة ، وفي هذه المرحلة نجد الكثير من عباراته التي ظهرت على وجه الخصوص في مقالات « العروة الوثقى »<sup>(٢)</sup> مثل عبارات « غناء الإسلام عن القومية » ، وقوله بأن : « لاجنسية للمسلمين إلا في دينهم »<sup>(٣)</sup> ، وقوله : « علينا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم »

---

(١) محمد عمارة : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى (١٩٦٨) ص ٤١-٤٢-٤٣ .

(٢) كانت جمعية سرية أسسها جمال الدين وتتكون من أعضاء مسلمين من الهند و مصر وشمال إفريقيا والشم ، وكان هدفها توحيد المسلمين وإيقاظهم من سباتهم وتمرفهم بالأخطار المحدقة بهم ، وإرشادهم إلى طريقة التغلب على هذه الأخطار .

Zeine : Arab - Turkish Relations, p. 69 .

وقد أصدرت الجمعية في باريس صحيفة بهذا الاسم ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عدداً بين ١٣ مارس ( آذار ) ، ١٧ أكتوبر ( تشرين ) ١٨٨٤ .

(١) العروة الوثقى ( ط ١-١٩٠٧ ) ص ٦٩ - مقال ( الوحدة الإسلامية )

واعتقادهم ، وئسنى للفسدين نجاح في بعض الأقطار الإسلامية ، وئبهم بعض الغفل من المسلمين جهلاً وتقليداً فساعدوهم على التنفير من العصبية الدينية بعدما فقدوه ، ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حقاً منهم وسفاهة ... فيا أيها الأمة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ودماؤكم فلا تريقوها . وأرواحكم فلا تزهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت ، هذه هي روابطكم الدينية لا تفرنكم الوسواس ، ولا تستهوينكم الزهات ، ولا ندهشكم زخارف الباطل ، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي ، والفارسي بالهندي ، والمصري بالمغربي ، وقامت لهم مقام الرابطة اللسبية حتى أن الرجل منهم لا يألم لما يصيب أخاه من عاذيات الدهر ، وإن تضاءت دياره وتفاصت أقطاره . هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله إليكم وفيها عزتكم ومتعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها ، (١) .

والأفغاني في هذه الدعوة إنما يتأثر بالتاريخ الإسلامي وحياة المسلمين الأولى بقوله : « هذا ما أرشدنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن ، لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبيات الأجناس ، وإنما ينظرون إلى جامعة الدين ، لهذا ترى المغربي لا ينفّر من سلطة التركي ، والفارسي يقبل سيادة العربي ، والهندي يدّعي لرياسة الأفغاني ، ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض ، وإن المسلم في تبدل حكومانه لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكائها وانتقالها من قبيل إلى قبيل ما دام صاحب الحكم حافظاً لشأن الشريعة ذاهباً مذاهبها ، (٢) .

(١) العروة الوثقى ص ٤٥ ، ٤٨ - مقال ( التمسب ) ،

(٢) المصدر نفسه ص ١١ - مقال ( الجلسية والدبابة الإسلامية ) .

وهكذا كان الأفغانى فى هذه المرحلة من تفكيره يرى أن المسلمين بدلاً عن القومية يفضلها ، وفيه عنها غناء ، ألا وهو اتحادهم فى الملة فى ظل حكم مثالى يحافظ على الشريعة ، وهو شرط أساسى عند الأفغانى لصرف النظر عن بناء الدول على أساس القومية والجنس ، وعلى ذلك كان يرى أن المتدينين بالدين الإسلامى متى رسخ فيه اعتقاده يلمو عن جنسه وشعبه ، ويلتفت من الرابطة الخاصة إلى العلاقة العامة وهى علاقة المعتقد<sup>(١)</sup> ، وأن رابطة المسلمين الملية أقوى من رابطة الجنسية واللغة<sup>(٢)</sup> .

وقد تأثر موقف الأفغانى من الدولة العثمانية بتفكيره الإسلامى فى هذه المرحلة فإنه عندما أيقن من أن الاستعمار الأوروبى هو العدو الذى يتربص بالعالم الإسلامى دعا إلى توحيد كلمة الإسلام وجمع شتات المسلمين فى دولة واحدة تحت ظل الخلافة الإسلامية العثمانية ، التى كان يعلق عليها الآمال فى حماية العالم الإسلامى من الاستعمار الأوروبى النصرانى ، ومن هنا جاء قوله بأن « الذات الشاهانية ، وهى الأب الأكبر لعموم المسلمين ، وهى المكافئة للشريعة الحافظة للدين ، هى أجدر الناس بالائتفات إلى حركة الأعداء فى البسلاد الإسلامية ، وهى لا تألوا جهداً فى تمويق سيرهم وإحباط أعمالهم »<sup>(٣)</sup> .

لذلك فإنه ما كاد السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى يبدأ دعوة الجامعة الإسلامية حتى وجد أنماييد والعون من الأفغانى الذى رأى فيه « من يقظة السلطان وشدة حذره وإعدادة العدة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا ، وحسن

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠ - مقال ( الجنسية والديانة الإسلامية ) .

(٢) المصدر نفسه ص ٥ - مقال ( لماذا صدرت الجريدة ) .

(٣) محمد حمارة : مرجع سبق ذكره ص ٥٢ .

نواياه ، واستعداداته للنهوض بال دولة ( الذى فيه نهضة المسلمين عموماً ) فقد دفعنى إلى مدى له ، فبايعته بالخلافة والمالك ، عالماً علم اليقين أن الممالك الإسلامية فى الشرق لا تسلم من شركاء أوروبا ، ولا من السعى وراء إضعافها وتجزئتها ، وفى الأخير ازدرادها واحدة بعد أخرى ، إلا ببقطة وانتباه عومى ، وانضواء تحت راية الخليفة الأعظم<sup>(١)</sup> .

#### الافغانى يقرر الرابطة القومية :

ومع ذلك فإن الأفغانى لم يلبث أن أقر بقوة الرباط القومى ، فقد كان العصر الذى يعيش فيه هو عصر القوميات فى أوروبا ، وكان سياج العزلة الذى أحاط به العثمانيون متمسكاتهم قد أخذ يتهاوى فى أواخر القرن التاسع عشر إزاء تقدم وسائل المواصلات وانتشار التعليم فى الشرق العربى ، سواء التعليم الوطنى أو التعليم الغربى ولذلك فإننا لا يلبث أن نرى الأفغانى يتحدث عن المسلمين فيرى أن رابطتهم الملية مع رابطة اللسان أقوى من الرابطة الجلسية<sup>(٢)</sup> ، وهذا تطور هام فى حياة الأفغانى وتفكيره واتجاهه وجهة قومية ، فصار يعترف بأن اللغة عنصر حيوى فى خلق المجتمعات المستقرة ، وأن المجتمعات الإنسانية التى ليست لها لغة مشتركة لا تملك أساس الوحدة القوية ، وأنه حتى المجتمع الدينى إذا كانت له لغة مشتركة فإنه سيقوى ويشدد ساعده ، وأنه « لو أن العثمانيين اتخذوا اللغة العربية لغة لكل الامبراطورية فإن كل شعوبها سوف يصبحون وقد جمعهم رابطتان بدلا من رابطة واحدة فتقوى وحدتهم » .

ثم إذا بالفغانى يردد بأنه « لاسبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها .

(٤) المصدر السابق ، نقلا عن المخطوطات ص ٦٧ .

(١) محمد صمارة : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ص ٤٥ — نقلا عن المخطوطات ص ٤١٦ .

فالأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب ، وهذا الأمر من الواضح والظهور للعيان ما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان<sup>(١)</sup> ، وفي الوقت نفسه لم يتخل عن اتجاهه الإسلامى بل حاول التوفيق بين فكرة الإسلام وفكرة العروبة . فكان يرى أن الإسلام كعقيدة إنما هو طريق التعرب واكتساب خصائص الأمة العربية فيقول : « إن كل من رضى بالإسلام أو رضى بدفع الجزية قد سارع عن طيب خاطر وارتياح عظيم إلى التعرب ، فصرينما هي هرقلية رومانية ، ومقوقسها عامل له فيها ، أصبحت بعد قليل من الزمن إسلامية في الأغلبية ، عربية بالصورة المطلقة في كافة مميزات العرب ، وهكذا القول في سوريا والعراق<sup>(٢)</sup> » ويتطرق الأفغانى من ذلك إلى قوله بأن « المسلم أو المسيحي أو اليهودى في مصر والشام والعراق ، يحافظ كل منهم على نسبه العربية . فيقول (عربي) ثم يذكر جامعته الديلية . . . والأغرب أن التركي والحركسى والأرناؤوطى وغيرهم من العناصر يستعرب متى وجدوا وسكن في بلاد العرب بأقرب الأوقات ويمتزج في المجموع حتى يخال أنه (عربي قح) »<sup>(٣)</sup> .

وأخذ الأفغانى يردد عبارة ( جامعة اللسان ) وأنه « لا جامعة لقوم لا لسان لهم ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم . . . وأن العرب ما نجحوا بفنوحاتهم بشكل الدين الظاهرى فقط ، بل بفهم أحكامه والعمل بآدابه ، وذلك ما تم ولا يتم إلا باللسان ، وهو أهم الأركان ، . . . وهو من أكبر الجوامع التى تجمع الشتات وتنزل من الأمة منزلة أكبر المفاخر ، فكم رأينا من دول اغتصب ملكها الغير ، فحافظت على لسانها محكومة وترقبت الفرصة ، ونهضت بعد دهر فردت ملكها ، وجمعت من ينطق بلسانها إليها ،

(١) المصدر السابق ص ٥٧ - نقلا عن الحاطرات ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ عن الحاطرات ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٥ ، ٢٢٣ عن الحاطرات ص ٩٨ .

( ٦ - حركة اليقظة )

والعامل في ذلك إنما هو اللسان قبل كل ما سواه ، ولو فقدوا لسانهم لفقدوا تاريخهم ونسوا مجدهم ، وظلوا في الاستعباد إلى ما شاء الله ،<sup>(١)</sup> .

ويستطرد الأفغانى في بيان وتوكيد الصلة بين الإسلام والعروبة ، فيذكر أن اللسان العربى هو لسان الدين . . ، وأنه كان لغير المسلمين ، ولم يزل ، من أعز الجامعات وأكبر المفاخر ،<sup>(٢)</sup> ، بل يذهب الأفغانى إلى حد القول بأن « الأمة العربية هى عرب قبل كل دين ومذهب ، وهذا الأمر من التوضوح والظهور للعيان ما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان ، كما أشرنا من قبل ، ويقوده ذلك إلى - عند المطالبة بتعرب الدولة العثمانية لأنها - لو تعربت وانتفى من بين الامتين النعرة القومية ، وزال داعى النفور والانقسام بالتركي والعربى ، وصاروا أمة عربية ، بكل ما فى اللسان من معنى ، وما فى الدين الإسلامى من هدل ، وما فى سيرة أفاضل العرب من أخلاق وفى مكارمهم من عادات ، لكان إعادة عصر الرشيد للمسلمين ميسوراً ، ، وأنه - لو أنصف الأتراك أنفسهم ، وأخذوا بالحزم ، واستعربوا ، وترأسوا ذلك الملك ، وعدلوا فى أهله وجروا على سن الرشيد ، ولا نقول على سن وسيرة الخنفاء الراشدين ، فما كان من دول الأرض أغنى منهم مملكة وأعز جانباً وأمنع حوزة ،<sup>(٣)</sup> .

#### الخلاف بين الأفغانى وعبد الحميد :

ولم يكن من المتوقع أن يستمر الوئام والوفاق بين الأفغانى والسلطان عبد الحميد ، لأن الأفغانى - من أجل تحقيق أمنيته فى تجميد العالم الإسلامى - كان يسعى من أجل الثور على حاكم مسلم يستطيع عن طريقه تحقيق هذا

(١) المصدر السابق ص ٦٨ عن المخاطرات ص ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٨ عن المخاطرات ص ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٧١ عن المخاطرات ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ .



المهدف السامى ، وهذا ما جعله يتطلع إلى السلطان العثمانى ، لمحاولة استخدام نفوذه فى سبيل خدمة الإسلام وليكن عبد الحميد كان - على العكس - تراوده الآمال فى استخدام الأفغانى وأفسكاره عن الجامعة الإسلامية فى جمع شتات المسلمين حول عرشه تحقياً لمصلحته هو وأمرته .

وعندما وجد الأفغانى أن دهاء عبد الحميد موجه ضد الأحرار والثوار ومن أجل تحقيق مصلحته التى تصور لها حاشيته الفاسدة الظالمة التى توجه سياسة الدولة ، وأنه لا أمل فى إصلاح عبد الحميد أو صلاحه ، شرع الأفغانى يقف منه موقفاً عدائياً ولا يتحرز فى توجيه اللوم إليه ، حتى لقد دخل عليه يوماً يطلب منه أن يقبله من بيعته له «بايعتك بالخلافة» ، والخليفة لا يصلح أن يكون غير صادق الوعد ... (١) .

ولم يكن من الممكن أن يستمر الوفاق بين الأفغانى وعبد الحميد بعد أن اتضح أن أفكار كل منهما تسير فى مسار يخالف مسار أفكار الآخر ، فالأفغانى لم يعد يرى أن تشجيع الحركات القومية داخل المجتمع الإسلامى يتناقض تناقضاً صارخاً مع فكرة الوحدة الإسلامية ، ذلك أن فكرته عن الاتحاد الإسلامى تقوم على تقوية العلاقات بين الأمم الإسلامية ، ومع أن مثله الأعلى فى الوحدة الإسلامية كان إقامة حكومة واحدة تطبق المبادئ الإسلامية ، إلا أنه أقر بأن هذه الأمنية بعيدة المنال ، ولذلك فقد كان ينادى بتقوية الروابط بين الدول الإسلامية القائمة وهى روابط تقوم على العدل والشورى ، يدفعهم هدف واحد ، مهتدين بهدى القرآن ، ولذلك كان يقترح إنشاء حلف إسلامى ، تنزعه أكبر وأقوى دولة إسلامية وكان يقصد بها الدولة العثمانية ، وقد وصف لنا جمال الدين كيف أنه فكر فى جعل الامبراطورية العثمانية مركزاً للاتحاد الإسلامى ، فكانت خطته تتضمن تحويل الامبراطورية

(١) محمد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٥٣ من المخطوطات ص ٦٨ .

العثمانية إلى (مملكة الممالك) بتنظيمها على أساس لا مركزي حقيقى واقترح ذلك على عبد الحميد متمثلاً بمصر وتقدمها بعد تحويلها إلى خديوية يتمتع حاكمها بسلطات واسعة ، واعتبر جمال الدين أن مثل هذا الخديو سيكون أفضل للأقاليم والإمبراطورية من حكام ترسلهم الاستانة ، ولذلك طلب الأفغانى من عبد الحميد تحويل الولايات إلى خديويات ، وقال إن هذه الوحدة - إلى جانب الخوف من الاحتلال الأجنبى - ستدفع إيران وأفغانستان والإمارات الإسلامية فى الهند إلى الانضمام إلى الإمبراطورية العثمانية فى شكلها الجديد ، وبذلك يصبح السلطان العثمانى - فى نظر الأفغانى - ملك الملوك ، ويصير سيداً على دولة قوية تستطيع أن تعيد للإسلام أجماده وتحمى البلاد الإسلامية من السيطرة الأجنبية ، إلا أن عبد الحميد لم يستجب لأفكار الأفغانى اللامركزية<sup>(١)</sup> .

وإلى جانب ذلك فقد كان ثمة اتجاه دستورى فى دعوة الأفغانى ، فقد كان يريد أن يكون الاتجاه الإسلامى اتحاداً دستورياً ، وسعى إلى تحويل الممالك الإسلامية القائمة إلى ممالك دستورية ، وكان الأفغانى يفضل العمل على ازدياد الوعى الدستورى بين الشعوب الإسلامية حتى ترغم حكامها على إصدار دساتير فتبدو من صنع الشعب وبذلك يكون الشعب مستعداً للدفاع عنها لا كما كان يرى مدحت من أنه لا مانع من أن يكون الدستور منحة من السلطان ، وقد سجل المخزومى عن الأفغانى أنه قال : لا يحى الشرق بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منهم رجلاً قوياً عادلاً ، لا مستبدأ عادلاً ، لأن الاستبداد يتنافى مع العدالة<sup>(٢)</sup> .

---

Seab : Ouv. cit. pp. 191 - 192

(١)

د . محمد بديع شريف : مرجع سبق ذكره ص ٣٧ .

(٢) أنيس صايغ : فى مفهوم الزعامة السياسية - من فصل الأول إلى جمال عبدالناصر

( ١٩٦٥ ) ص ١٥ .

وعندما كان الأفغانى فى الأستانة طلب من عبد الحميد إقامة نظام للشورى فى الإمبراطورية ، وتغيير نظام الحكومة تغييراً جذرياً ، وعند ما رفض عبد الحميد دى اليأس فى نفس الأفغانى وأصبح يعتبر عبد الحميد ( جرثومة فى صدر الدولة )<sup>(١)</sup> وصار الأفغانى يعتقد أن حكم عبد الحميد الفردى المطابق لايمن أن يصلح للوحدة الإسلامية التى كانت نفس الأفغانى تمفو إليها للوقوف فى وجه الخطر الأوروبى .

وإذا كان الأفغانى يدافع بشدة عن الإسلام فقد كان يدافع عن التراث العربى حتى لقد نادى بجعل اللغة العربية لغة الإمبراطورية العثمانية ، مما جعل عبد الحميد يشك فى أن الأفغانى يهدف إلى استقلال البلاد العربية ، ويتجلى هذا فى مصادرة السلطان عبد الحميد للجريدة ( البيان ) التى أصدرها محمد باشا الخزومى مرید الأفغانى عام ١٨٩٣ ، وهى الجريدة التى رسم لها الأفغانى منهاجاً ليكون على غرار منهاج العروة الوثقى ، وكان فى مقدمة أسباب تمطيل جريدة البيان وقوعها فى خطأ مطبعى جعل من إحدى عبارات مقدمتها « من نوايانا الخدمة العامة والاخلاص والنية سابقة العمل ، فصارت د والنية سابقة الين ، فصورت حاشية عبد الحميد هذه العبارة على أن الخزومى وأستاذة الأفغانى - بإصدار هذه الجريدة - إنما يسعيان إلى تحرير الين واستقلالها ثم استقلال البلاد العربية الأخرى »<sup>(٢)</sup> .

وما دامت دعوة الأفغانى تقوم - ضمير أركانها - على الانتفاف حول الخلافة وعلى الحج فقد دعاه عبد الحميد إلى الأستانة ١٨٩٢ ، ورغم اختلافهما حول الناحية الدستورية فقد كانا متفقين بخصوص الجامعة الإسلامية ، وعلى

Saab, H : Ouv. cit. pp. 192-193.

(١)

(٢) محمد حمارة : مرجع سبق ذكره ص ٧٦ من المخطوطات ص ٤١٧ - ٤١٨ .

ذلك سارت جهود عبد الحميد في هذين الاتجاهين ، الخلافة والحج ، ولكن من أجل تحقيق مصالحه الخاصة .

أما عن الخلافة فقد عمل عبد الحميد على إحياء عظمتها الدينية واسترداد هيبتها وأخذ يضيء على حياته الخاصة الكثير من مظاهر التقوى والورع وتغلى - ظاهرياً على الأقل - عن كثير من الأعمال المنافية للدين والتي كان يباشرها أسلافه كما أحاط نفسه برجال الدين ، وعمد إلى استصراخ المسلمين في كافة أنحاء العالم إلى نصرته والالتفاف حوله ، وأخذ يهدد الدول الغربية برهايم المسلمين فسلمو ألبانيا يهدد بهم النمسا ، والتتر والأكراد يهدد بهم روسيا ، والهنود يهدد بهم بريطانيا ، وعرب شمال أفريقية يهدد بهم فرنسا<sup>(١)</sup> كما أنشأ مدرسة للوعاظ لتدريب المبعوثين الذين أخذ يوفدهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي للدعاية لفكرته الإسلامية ، كما أخذ يبذل المساعدات المالية بسخاء للدارس الدينية في داخل الدولة وخارجها ، كما سخر الصحافة لدعوته .

#### سياسة عبد الحميد أولاً العرب :

وقد حاول عبد الحميد كسب العرب على وجه الخصوص بعد أن بدأت تظهر بينهم . بعض مظاهر الوعي القومي فأغدى الهبات السخية على معاهد التعليم العربية ، والمناصب ومظاهر التكريم على بعض الشخصيات العربية ، وأنفق أموالاً طائلة على إصلاح وتزيين مساجد مكة والمدينة والقدس ، كما شكل إحدى فصائل حرسه من العرب ، كما أدخل بعض العرب في خدمته الخاصة ووصل بعضهم إلى مراكز بارزة مثل عزت باشا العابد العربي السوري الذي صار من سكرتيري السلطان<sup>(٢)</sup> وقد كان من الطبيعي أن يحظى العرب بالذات - من خلال تيار الجامعة الإسلامية - بمركز مرموق عند عبد الحميد ،

(١) د . د . محمد أليز ، صريح سبى ذكره ص ٧٤١ .

Antonius : Ouv. cit. p. 71

(٢)

فمنهم الرسول وفيهم الرسالة ، وبلغتهم نزلت ، وفي أراضيهم الأماكن المقدسة الإسلامية ، هذا علاوة على أهميتهم للدولة بحكم عددهم وموقع بلادهم<sup>(١)</sup> ولو أن البعض يعتبر أن القول باعتماد عبد الحميد على العرب وإيثاره إياهم مبالغ فيه لأنه كان يعتمد على كل العناصر الإسلامية مثلما كان ظلمه يشمل كل العناصر في الدولة<sup>(٢)</sup> وعلى كل حال فإن محاولة عبد الحميد كسب العرب لم تسل إلى درجة منحهم أى قدر من مطالبهم التي كانت في ذلك الوقت متواضعة .

إذ أن عبد الحميد - من ناحية أخرى - كان قلقاً إزاء الاضطرابات المعادية للترك وخاصة في لبنان ، وظهور منشورات ثورية في بيروت . وازدادت مخاوفه وشكوكه في أن العرب يعملون من أجل إقامة خلافة عربية<sup>(٣)</sup> ولذلك فإنه كان يلجأ إلى وسائل الإرهاب إذا ما أخفقت وسائله في الترغيب ، فكان دعائه يعملون على بذر الخلاف بين الزعماء العرب وإثارة الخلافات العائلية والقبلية وإذكاء نارها ، وأحياناً كان يوعز بالاعتقال كما كان يرغم بعض الزعماء على الإقامة في الأستانة تحت مراقبة جواسيسه ، ومن هؤلاء الحسين ابن علي الذي أقام في عاصمة الدولة منذ عام ١٨٩٣<sup>(٤)</sup> .

وأما سياسة عبد الحميد إزاء الركن الثاني في سياسته الإسلامية ، وهو الحج فقد دفع شريف مكة لنشر الدعوة بين الحجاج . كما اهتم بإنشاء الخط الحديدي بين دمشق والمدينة ومنها إلى مكة لتسهيل الحج ولدوافع أخرى سياسية واستراتيجية . أما من الناحية الاستراتيجية فقد أتاح المشروع لعبد الحميد - وبشكائيف منخفضة نسبياً - وسيلة لنقل قواته براً إلى شبه الجزيرة بدلاً

---

(١) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٢ .

(٢) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٤٦ .

Zeine : Ouv. cit, p. 54

(٣)

Gontaut - Biron : comment la France . . . . p. 10.

(٤)

من الطريق البحرى البطيء كثير التكاليف عبر قناة السويس ، بل وأصبح عبد الحميد يتطلع إلى اليوم الذى يمتد فيه هذا الخط جنوباً حتى يقوى قبضته على اليمن الشائر ، وبذلك يصير من السهل القضاء على أية محاولة عربية للتحرر من الأستانة ، وبذلك يصير من السهل القضاء على أية محاولة عربية للتحرر من النهر التركى (١) .

ومن ناحية أخرى كان مشروع خط سكة حديد الحجاز مشروعاً ذا بريق جذب الأنظار والقلوب ، إذ أثار حماساً كبيراً فى مختلف جهات العالم الإسلامى فانهالت التبرعات من كل ناحية لإنشاء الخط ، وبفضل هذا المشروع ، وسياسته الإسلامية ضمن عبد الحميد طاعة رعاياه ورضاهم عن حكمه ، أما المظالم التى كانت تنزل بالشعب فإن الناس كانوا يلصقونها بالموظفين ولا يشكون فى أمر الخليفة (٢) .

إلا أن مشروع سكة حديد الحجاز كان مصدر قلق لعرب شبه الجزيرة وخاصة الحجاز لأن الخط الحديدى يضر بمصالحهم ويحرمهم مورداً هاماً من موارد الرزق كانوا يحصلون عليه بنقل الحجاج على الإبل ، ولذلك فقد قاوموا عملية إنشاء الخط وكثيراً ما هاجموا وسطوا على معدات بنائه حتى اضطرت الحكومة التركية إلى متابعة العمل فى الخط تحت حراسة مشددة ، إلى أن تم تنفيذه وانتهى العمل فيه عام ١٩٠٨ هـ وما وصل إلى المدينة (وكان قد بدء العمل فيه عام ١٩٠١) (٣) .

وقد شعر عبد الحميد بالارتياح لأن أغلبية العرب المسلمين فى ذلك الوقت

Ibid.

(١)

(٢) . محمد أليس : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٩ .

Antonijs : Ouv. cit. pp. 74 — 75 .

(٣) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٤٥ .

كانوا يميلون إلى تأييد الخلافة ويرون في ذلك تأييداً للإسلام ، كما أن المستعمرين منهم فطنوا - في قلق - إلى مخططات الدول الأوروبية لاقتسام الدولة العثمانية بما فيها الأقاليم العربية ، ولذلك أدرك المسلمون ضرورة تقوية الإسلام كوسيلة للموقف في وجه الغرب ، ولم يفكروا في تحطيم السيادة العثمانية أو الانسلاخ عن الامبراطورية ، وكل ما كانوا يسعون إليه هو إدخال إصلاحات السياسية والاقتصادية التي تمكنهم من التقدم والنهوض والموقف في وجه أطماع الغرب ، أكثر من دعوتهم للتخلص من الحكم التركي ، وهكذا ظل زعماء المسلمين على إخلاصهم للدولة العثمانية ، ولا تكن لديهم النية لإضعاف الدولة العثمانية التي كانت لا تزال في أعين المعاصرين دولة الإسلام الكبرى تظل المسلمين بظلها الظليل ، ولذلك فإن اليقظة العربية في ذلك الوقت كانت يقظة ضد مساوىء وطغيان الحكم التركي والرغبة في إصلاحه دون التفكير آنئذ - في إقامة دولة عربية مستقلة - (١) .

## الفصل الخامس

### الحركة القومية العربية في ظل الحكم الحميدي

وعلى الرغم من سياسته الإسلامية فقد كان حكم عبد الحميد سيئاً بغيضاً بالنسبة لكافة عناصر الدولة ، الترك وغير الترك ، العرب وغير العرب على السواء ، بسبب المظالم التي حلت بالأهالي ، وسياسة الضغط والكبت التي فرضها على رعاياه رغم أنه لم يناد بالعنصرية وبسياسة التريك ، ولم يعمل على ترويح فكرة القومية التركية كما كان الحال في عهد الاتحاديين ، فقد كانت اللغة التركية مفروضة ضمناً ، إذ كانت شرطاً أساسياً لتولي وظائف الدولة والترشيح لمجلس النواب ، كما اتجهت الدولة في عهده نحو مركزية الحكم وصهر العناصر في بوتقة واحدة<sup>(١)</sup> .

#### جمعية بيروت السرية :

وقد جاء أول رد فعل لطغيان عبد الحميد وسياسته الإسلامية من لبنان حيث كان قد نما الشعور المعادي للترك تغذية عدة عوامل مثل التعليم الغربي وظهور الصحف العربية والسفر إلى الخارج وعودة المغتربين من الولايات المتحدة وتوثق الصلة التجارية بالغرب والتوسع في الأخذ بالأساليب الغربية على أنه كان ثمة عامل آخر هام ألا وهو شعور المسيحيين بأنهم أشبه بجزيرة غريبة وسط محيط من المسلمين وأن الحكومة ليست حكومتهم ، مما جعلهم يسعون جاهدين للانفصال عن الدولة العثمانية والحصول على الاستقلال ، ومن هنا فالحركة القومية في لبنان ضد الترك كانت لبنانية مارونية وليست عربية شاملة<sup>(٢)</sup> ،

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٤٣ .

Zeine : Op. Cit. pp. 38-49.

(٢)



وفي هذه الظروف تأسست جمعية بيروت السرية عام ١٨٧٥ وكانت تهدف إلى استقلال لبنان وسورية إن أمكن ، وقد بدأت بأعضاء مسيحيين إلا أنه لم يثبت أن انضغ لمؤسسيها الشبان أنه من أجل النجاح في تحقيق الأهداف التي يصبون إليها لا بد من حصولهم على معونة العرب المسلمين ، وصار من الضروري مواجهة الترك بجهة واحدة ، ولذلك انضم إلى الجمعية بعض الأعضاء المسلمين .

وقد زاولت الجمعية نشاطها على عهد عبد الحميد إلا أنه بسبب شدة وطأة حكمه اقتصر هذا النشاط على إصدار المنشورات. ولحقها في الشوارع تحت ستر الظلام حتى إذا ما طلع الصبح تجتمع الناس حولها لقراءتها ، وقد تضمنت هذه المنشورات مهاجمة مساوي الحكم التركي ودعوة الشعب العربي للثورة عليه ، وقد أحدثت هذه المنشورات أثرها على سلطات الاستانة التي شددت من قبضتها حتى وجد أعضاء الجمعية أنه من الأفضل وقف نشاطهم فأحرقوا سجلاتها وهرب معظمهم إلى مصر وإذا كان من العسير تحديد تاريخ توقف نشاط الجمعية إلا أنه يمكن القول بأنها أوقفت نشاطها بين عامي ١٨٨٢ - ١٨٨٣<sup>(١)</sup>.

ومن التقارير التي كان يرسلها قنصل بريطانيا المام في بيروت عن هذه المنشورات نستطيع أن نلم بالأهداف التي كانت تسعى جمعية بيروت السرية إلى تحقيقها ، فقد أنحت هذه المنشورات باللوم على أهل الشام لخضوعهم لحكم الترك ، ولانقسامهم وتعصبهم الذي جعلهم فريسة للأطباع الأوروبية ، وأكدت الجمعية أهمية الوحدة ، كما هاجمت الترك لفشلهم في تنفيذ الإصلاحات التي وعدوا بها قبل عشرين عاما ، ودعا المنشور إلى منح لبنان الحكم الذاتي ، وسورية إن أمكن ،

ويعتبر الما شور الذي أرسل قنصل بريطانيا العام صورة منه إلى حكومته في ٣١ ديسمبر (كانون أول) ١٨٨٠ أم هذه المنشورات لأنه تضمن تسجيلاً لبرنامج الجمعية السيامي الذي اتفق أعضاؤها على تنفيذه ولو بمجد السيف ، وكانت أم عناصر هذا البرنامج :

- (١) منح الاستقلال لسورية بالأمان مع لبنان .
- (٢) الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .
- (٣) إلغاء الرقابة وكل القيود المفروضة على حرية التعبير ونشر الثقافة .
- (٤) استخدام الوحدات المجندة من الأقاليم العربية محلياً داخل حدود هذه الأقاليم <sup>(١)</sup> .

ورغم هذا التقدم الذي أحرزته الحركة العربية إذ صار لها برنامج محدد فقد قوبلت منشورات جمعية بيروت بالسلبية الصامتة ، ولم تجد الوسط الملائم لأنها انتشرت في عدد محدود من مدن الشام ولم يدر بها الجانب الأكبر من الأهالي ، وفضلاً عن ذلك لم يكن هؤلاء على استعداد بعد لتقبل مثل هذه الأفكار الثورية ، وبذلك يعتبر مثل هذا النشاط سابقاً لأوانه لأنه كان يتطلب وعياً قومياً متقدماً ، ومع ذلك فإنه إذا كان لم يقدر لهذه الحركة النجاح فإنها على كل حال قد حددت الرغبات والأمان التي كانت تمحش في الصدور ، وبذلك تعتبر خطوة إلى الأمام في طريق الحركة القومية وأول تعبير عن الأهداف السياسية إذ دعت إلى فكرة الدولة الوطنية الحديثة المستقلة سياسياً والقائمة على أساس قومي <sup>(٢)</sup> .

وفي برنامج جمعية بيروت السرية اقتضت الحدود التي طلب لها الاستقلال

---

Antonius : Ouv. Cit. pp. 83 - 4 .

(١)

Ibid pp. 84 - 6 .

(٢)

على سورية ولبنان ، إلا أن هذه الحدود ستتمو تدريجياً لتشمل في برنامج العربية الفتاة كل الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية ممتدة من وادي دجلة والفرات إلى خليج السويس ومن البحر المتوسط إلى بحر عمان<sup>(١)</sup>.

وفي الفترة ما بين عام ١٨٨٠ ونشوب الثورة في الحجاز عام ١٩١٦ كانت الحركة القومية العربية تبدو ساكنة في الظاهر ليس فقط بسبب رقابة عبد الحميد وجواسيسه وشدة وطأة حكمه التي أدت إلى هجرة كثير من الشخصيات القيادية ، ولكن أيضاً بسبب عوامل أخرى أضعفت الحركة إلى حد ما ، منها سياسة عبد الحميد إزاء العرب ، وكذلك نمو التعليم الغربي وازدياد سلطة رجال الدين .

أما سياسة عبد الحميد إزاء العرب فقد سبقت الإشارة إليها وهي إن لم تعرف لنمو الحركة القومية إلا أنها حدثت من قوتها وذلك عن طريق (التغريب والترهيب) ، وقد كانت هذه السياسة متبعة في الشام بوضوح أكثر من غيرها من الأقطار العربية لأنها كانت مهد الحركة العربية ، أو لأنها كانت أكثر بلاد الشرق العربي الآسيوي تقدماً ، علاوة على أنها كانت مفتاح هذه الأقاليم من الناحية الجغرافية .

#### مساوى التعليم الغربي :

ولقد شهد عهد السلطان عبد الحميد الثاني ظاهرة كان لها أثرها على الحركة القومية العربية ألا وهي ظاهرة اتساع نطاق التعليم الغربي في الشام تحت إشراف البعثات التبشيرية . إلا أننا يجب ألا نفرق في تمجيد الدور الذي لعبته هذه البعثات ، فإنه على الرغم من أن التعليم كان عاملاً قوياً في يقظة بعض أقطار المشرق العربي والارتفاع بالمستوى الثقافي ، إلا أن الدور الذي لعبه تعليم

المبشرين في تنوير شباب العرب سياسياً وقومياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مبالغاً فيه . بل وكانت له آثاره الخطيرة في إقليم مثل الشام كان فريسة الخلافات الداخلية والانقسامات المذهبية .

ذلك أن البعثات التبشيرية الكثيرة التي جاءت إلى الشرق كان هدفها نشر العقيدة المسيحية بين المسلمين ، كما كانت تحدوها الرغبة في تحويل المسيحيين من الطوائف والمذاهب الأخرى إلى طائفتها ومذهبها ، فالمدارس كانت أولاً وقبل كل شيء مسيحية ذات مذهب خاص ، وقد ساعد هذا على اندلاع نيران التنافس المذهبي الذي وصل إلى حد العداء ، بدرجة صار معها تدخل القناصل ضرورياً للحيلولة دون وقوع مشاكل سياسية .

كما أن البعثات التبشيرية لم تكن تقتصر نشاطها على المجال الديني ، فإنها لما كانت تدمى إلى دول أوروبية مسيحية كبرى تبدي نحو الشرق اهتماماً خاصاً فقد اعتبرت هذه البعثات ومؤسساتها أن واجبها تدعيم المسكنة السياسية للدولة التي تنتمي إليها والتي تساند هذه البعثات مادياً وأدبياً ، ولذلك فإن هذه البعثات التبشيرية صارت أداة لتحقيق أطماع سياسية مستعينة بالأقليات الدينية وجمعت البلاد مسرحاً للتنافس الدولي ، فالحكومة الفرنسية كانت تمد العون إلى البعثات الفرنسية الكاثوليكية وشجعتها على احتضان الموارنة ، وقامت مدارس البعثات الفرنسية الكاثوليكية هذه والتي يشرف عليها ويديرها المبشرون الجزويون بتلقين الجيل الصاعد تعليماً - رغم كفايته - إلا أنه كان يهدف إلى طبع العقول بطابع فرنسي وجعل رلائهم الفكرى يتجه نحو فرنسا ، وغرس حب فرنسا في قلوب التلاميذ العرب ، كما سعى الروس عن طريق بعثتهم التبشيرية إلى التأثير على الأرثوذكس لأغراض مماثلة لأغراض فرنسا ، كما ساند الإنجليز - عن طريق سلطاتهم القنصلية - الدروز لكي يعتنقوا بريطانيا حاميتهم ، أما الأمريكيون فقد خلقوا الطائفة البروتستانتية الجديدة التي

أضافت عنصراً جديداً زاد من الانقسام الذي كان موجوداً من قبل .

وهكذا لم يكن تقدم التعليم الغربي نعمة كاه ، فرغم أنه ارتفع بالمستوى الثقافي في الشام إلا أنه كان له ضرره إذ وسع شقة الخلاف المذهبي وأضاف هبة كبيرة من أهم العقبات التي وقعت في وجه النمو القومي ، فقد صار التعليم أداة للتدخل السياسي الأجنبي كما أنه ساعد على ازدياد النفوذ السياسي لرجال الدين ، وفي هذا المجال كان التعليم يفسد عمل المصلحين العرب من جيل البستاني الذين وقفوا ضد الخلافت المذهبية وأطاع رجال الدين السياسية ، وقد كان هذا كله يفت في عضد الحركة القومية العربية (١) .

إلا أنه كان من نتائج انتشار التعليم الغربي أن انتقل زمام قيادة الحركة العربية من أيدي المسيحيين إلى المسلمين نتيجة تهجم الثقافة الأجنبية على اللغة العربية ، فإن نشاط المدارس والكتليات الأجنبية أدى إلى تعليم التلاميذ اللغة الأجنبية الخاصة بالدولة التي تنتمي إليها كل مدرسة وكان ذلك بطبيعة الحال على حساب اللغة العربية ، تحقيقاً لأهدافهم السياسية ، وحتى الأمريكيون الذين كانوا رواداً في إحياء المراجع العربية لجأوا إلى هذه الطريقة وفي عام ١٨٨٠ صارت اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في الكتلية السورية ، وبمرور الوقت نشأ جيل يحذق الإنجليزية أو الروسية أو الفرنسية أكثر مما يحذق العربية (٢) .

وقد كما ، لهذه الظاهرة أثرها الحاسم على مستقبل الحركة القومية ، فإن مرئادي المدارس الأجنبية كانوا في الغالب من المسيحيين لأن أغلبية

Antenius : Ouv Cit. P, 93

(١)

Ibid pp, 93 - 44.

(٢)

المسلمين - خشية التبشير - كانوا يفضلون إرسال أبنائهم إلى مدارس أقل مستوى ولكنها مدارس دينية ، ورغم أن التعليم الذي كان يتلقاه تلاميذ المدارس الأجنبية كان أرفع مستوى من الناحية العلمية إلا أنه أضعف التأثير العربي على عقولهم وأبعدهم عن النبع الذي يغذى الحركة القومية العربية ، وبابتعاد المسلمين عن المدارس الأجنبية ظلوا شديدي الصلة بحياتهم التقليدية ومقومات شخصيتهم القومية ، حتى عند التحاقهم بالكليات التركية ، حقا لقد كان التعليم الذي يتلقونه أضيق نطاقا ولكن لغته كانت العربية ، وكان لهذا أثره من وجهة النظر القومية ، فإنه إذا كان العرب المسيحيون الذين تعلموا في المدارس التبشيرية الأجنبية قد دفعوا بالقومية العربية إلى الأمام واتجهوا نحو الانفصال عن الدولة العثمانية متأثرين بهذه المؤثرات الأجنبية أو بتأثير وعى قوى عربى حقيقى أو بعداء المسيحيين للإمبراطورية العثمانية باعتبارها دولة إسلامية<sup>(١)</sup> ، فإن هؤلاء العرب المسيحيين لم يستطيعوا قيادة حركة قومية شاملة تضم العرب جميعاً وأغاليبتهم مسلمون ولم يستطيعوا قيادة حركة ثورية تهدف إلى تحرير العرب من نير السلطان العثماني المسلم الذي كان خليفة على المسلمين في الوقت نفسه . وقرب نهاية القرن التاسع عشر فقط عندما انتشر التعليم بين العرب المسلمين أصبح منهم قادة متحمسين للحركة القومية العربية ، بدأت الحركة تأخذ طابعها السياسى القومى الحقيقى ، فان المسيحيين كانوا يتطلعون إلى هذه أو تلك من الدول الأوروبية لتخليصهم ليس فقط من الحكم التركى ولكن كذلك من سيطرة مواطنهم المسلمين ، وكانوا يتأثرون الافكار الغربية بمشغول الاستقلال تحت سيطرة المسلمين ، وكانت الدول الأوروبية تسعى لاحتضان الحركة القومية العربية لتستخدمها في تحقيق أغراضها الخاصة ، بمحاولة الاتفاق مع الوطنيين العرب وخاصة المسيحيين<sup>(٢)</sup> .

Saab : Ouv, Cit. PP. 201 - 6.

(١)

Yale : The Near East. PP. 196 - 7.

(٢)

وإذا كان طغيان عبد الحميد لم يسمح للحركة القومية العربية بالتعبير عن ذاتها إلا أن الحركة أخذت تعمل سراً داخل الإمبراطورية ، أو صراحة في مصر والعواصم الأوروبية حيث التفتت العناصر القومية والدستورية للتعبير عن أمانيتها ولتنظيم نشاطها بعيداً عن متناول عبد الحميد وبطشه .

وقد كانت سلطات الاحتلال البريطاني في مصر حاقدة على عبد الحميد لسياسته الإسلامية ولا تجاهه فهو التحالف مع ألمانيا ، ولذلك رحبت بالفارين من وجه طغيانه سواء من العرب أو من الترك<sup>(١)</sup> .

ولذلك قامت جمعيات مصرية هدفها العمل من أجل إدخال الإصلاحات في الأقطار العربية وفي بعض الأحوال تحرير العرب من الحكم التركي أو أي سيطرة أجنبية ، وقد وفد على القاهرة والاسكندرية كثير من الوطنيين العرب حيث مارسوا نشاطهم بحرية ، وفي عام ١٨٩٧ أنشأ الزعماء العرب جمعية سياسية ظهرت تحت اسم جمعية الشورى الألمانية وكان من مؤسسيها السيد محمد رشيد رضا ورفيق العظم واشترك فيها وطنيون آخرون من الإمبراطورية ، وكان هدفها معارضة استبداد عبد الحميد وحكمه الجائر ، ومحاولة تغيير شكل الحكومة إلى النظام النيابي ، وكان للجمعية فروع في أنحاء الإمبراطورية وكانت منشوراتها تطبع بالعربية والتركية وترسل مع المسافرين وبجارة السفن الروسية إلى الموانئ التركية على البحر الأسود ومنها توزع في الأناضول . وقد حلت الجمعية نفسها بعد وصول تركيا الفتاة إلى الحكم عام ١٩٠٨<sup>(٢)</sup> .

وإن اشتراك قوميات مختلفة منها الترك أنفسهم في هذه الجمعية ، والهدف

---

(١) د . محمد أليس : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٠ .

Zeine Ouv. Cit p. 67

(٢)

(٧ - حركة اليقظة العربية )

الذى كانت تسعى إليه ، ثم اختفاؤها بعد وصول تركيا الفتاة إلى الحكم ليبدل  
على أن العرب في هذا العمل لم يكونوا مدفوعين بدافع قومي صرف بل انحصر  
هدفهم في تغيير الحكومة مع الاستمرار في الارتباط بالامبراطورية ، وكان  
هذا هو طابع هذه المرحلة من كفاح العرب .

#### السكواكبي :

ومن العلامات المميزة في طريق التطور القومي كان عبدالرحمن السكواكبي ،  
الحلبى المولد ، والذي غادر الشام عام ١٨٩٨ إلى مصر حتى عام ١٩٠٤ فراراً  
من طغيان عبد الحميد .

وكان السكواكبي يكره من أعماق قلبه الظلم والاضطهاد ، كما كان يؤمن  
إيماناً عميقاً بمستقبل الإسلام والعنصر العربى ، وقد عبر عن هذه الآراء في  
كتايبه ( طبائع الاستبداد ) و ( أم القرى ) .

وفى ( طبائع الاستبداد ) - وهو مجموعة من المقالات كان قد نشرها  
في الصحف المصرية - عرض لأسباب الاستبداد وآثاره ، ورغم أنه لم يذكر  
مستبداً معيناً ، إلا أن القارئ يلمح من خلال كتاباته صورة عبد الحميد .

أما فى ( أم القرى ) فقد حلل مفاصل الدولة العثمانية وانتقد إدارتها  
المركزية وأنكر على السلاطين تلقبهم بالقباب الخلافة ، ولذلك فقد دعا إلى  
إقامة خليفة عربى فى مكة . وقد شرح السكواكبي فى ( المنار ) بين عامى  
١٩٠٢ - ١٩٠٣ الدواء الذى كان يرى فيه علاج مشاكل العالم الإسلامى ،  
ورغم أنه نادى - شأنه شأن جمال الدين - بجمع المسلمين بين مراكش  
والصين فى نظام اتحادى واحد كالجامعة الإسلامية إلا أن دعوته انطوت على  
تطور قومى عربى فقد أخذ يشيد بفضل العرب ويعلم حقوقهم المهنومة ،  
ويرى أن النهوض الدينى يجب أن يتم على أيديهم ، وبذلك فإنه رغم أن نشاطه



كان لا يزال داخل إطار الوحدة الإسلامية إلا أنه ميز تمييزاً واضحاً بين المسلمين العرب وغير العرب<sup>(١)</sup>. ودعا إلى الفصل إدارياً بين الترك والعرب باتباع نظام لامركزي في الإدارة ، وبينما كان جمال الدين يدعو إلى توحيد العالم الإسلامي تحت أي خليفة كان السكواكبي ينادى بإقامة خليفة عربي في مكة ، وليس معنى ذلك أنه كان يدعو إلى تعصب ديني أو جنسي بل على العكس كان يدعو إلى نبذ الخلافات الطائفية والحصول على الاستقلال الإداري لكل القوميات الداخلة في الامبراطورية العثمانية ، ولذلك فقد كان له أصدقاء من المسلمين والمسيحيين واليهود وكان دائماً يعلن أن الوطنية تسمو على الخلافات المذهبية .

وإذا كان السكواكبي لم يستطع أن يذهب إلى أكثر من القول بإقامة خلافة عربية محل الخلافة العثمانية . فإن ذلك على أيام السكواكبي وفي ظل الظروف التي كان يعيش فيها يعتبر خطوة جريئة في برهانه للإصلاح الديني والسياسي وثورة على النظم القائمة<sup>(٢)</sup> .

وإلى جانب ذلك فقد ظهرت في بعض العواصم الأوروبية صحف تعبر عن مطالب العرب مثل (الاتحاد العربي) التي أصدرها دكتور لويس مسابونجي في لندن عام ١٨٨١ و (البصير) التي أصدرها خليل غانم في باريس عام ١٨٨٢<sup>(٣)</sup> ولا نستطيع أن نغفل صحيفة (لسان الحال) التي تعتبر من أكثر الصحف العربية تبكيراً في الظهور في بيروت لمحررها خليل مركيس وتضمنت خلال عام ١٨٧٨ الكثير من المقالات عن الإصلاحات المطلوبة في لبنان والشرق الأدنى .

Zeine : Ouv, Cit, p. 60,

(١)

Saab : Ouv. Cit pp. 202-5

(٢)

حاطوم : مرجع سبق ذكره ص ١٤ - ١٥

Saab : Ouv. Cit p. 208.

(٣)

وهنا نحب الإشارة إلى أنه كان هناك بين الكتاب المسيحيين بعض المعتدلين الذين - رغم كراهيتهم للحكم العثماني والإدارة العثمانية - فانهم لم يرغبوا في تخطيم الإمبراطورية العثمانية ، ومن بين هؤلاء سليم تقلا مؤسس الأهرام وفارس نمر صاحب ومحرر الماقطم وجورجي زيدان مؤسس الهلال ، وفرح أنطون صاحب ومحرر ( الجمعية العثمانية ) والشاعر خليل مطران (١) .

#### نجيب عازورى :

ومن مظاهر الدعوة السياسية في عهد عبد الحميد تلك الحملة التي قام بها نجيب عازورى ، وهو عربى مسيحي ، تولى منصب نائب متصرف القدس بين عامى ١٨٩٩ ، ١٩٠٤ ثم اختلف مع رئيسه كاظم بك متصرف القدس بسبب سوء الإدارة العثمانية فاستقال ، وقام بجولة في مدن الشام لمدة شهرين بعد استقالته ، ودعا إلى إنشاء حزب سياسى جديد أسماه رابطة الوطن العربى . إلا أن نشاطه أقلق السلطات التركية ولذلك سارع بالهجرة من الشام إلى فرنسا ثم إلى القاهرة حيث أقام إلى أن توفي عام ١٩١٦ .

وقد أسس (عازورى) عام ١٩٠٤ رابطة الوطن العربى بالاشتراك مع يوجين يونج ( أحد موظفى مصلحة الاستعمار الفرنسى السابقين ) (٢) وغايتها تحرير الشام من سيطرة الترك ووجهت هذه الرابطة نداءات إلى العرب تحضهم على الثورة ، وفي عام ١٩٠٥ نشر (عازورى) كتاباً بعنوان : يقظة الأمة العربية أمام مصالح ومنافسات الدول الأجنبية *Revel de la Nation Arabe en Presence des interets et des Rivalites des Puissances Etrangeres.* وفيه أعرب عن رأيه في وجود أمة عربية تضم المسلمين والمسيحيين ، ودعا إلى

استقلال هذه الدولة التي كانت حدودها - في رأيه - تضم البلاد العربية الآسيوية بحيث تظل مصر وشمال أفريقية خارجها . وقد هاجم (عازورى) الطائفية في كتابه ، واعتبرها شرأ يهدم الحركات القومية من أساسها واعتبر أن المشاكل الدينية التي تنشأ بين مختلف الطوائف ما هي إلا مشاكل سياسية تثيرها الدول الأجنبية في سبيل منافعها الخاصة ، وأن المسيحيين ليسوا أقل عروبة من المسلمين<sup>(١)</sup> ودعا (عازورى) إلى إنشاء دولتين : دولة دينية على غرار الفاتيكان على أن تكون دولة عربية إسلامية مستقلة ، تقوم في الحجاز وتكون عاصمتها مكة وتحكمها أسرة عربية ويلقب حاكمها بالخليفة ويباشر سلطة روحية على جميع المسلمين في كافة أنحاء الأرض ، على أن يكون نفوذه السياسى مقصوراً على بلاد الحجاز .

والدولة الثانية دولة عربية علمانية تتمثل في سلطنة دستورية تضم سورية ولبنان وفلسطين ( أى الشام ) ويكون رئيسها أحد أفراد الأسرة الحديوية في مصر حتى يمكن تجنب ما قد يحدث من نزاع بين الطوائف على اختيار هذا السلطان العربى على أن تدير هذه الدولة على النظم الحضارية العصرية وتقتبس منها<sup>(٢)</sup> .

واعتبر (عازورى) هذا حلاً مرضياً للجميع ، يرضى المسلمين الذين تهفو نفوسهم إلى نظام الخلافة الإسلامية الحققة بعد انتزاعها من الترك لأن العرب أحق بها منهم ، كما كان (عازورى) يرى أن هذا الحل من شأنه أن يقضى على مخاوف المسيحيين في الشام على اختلاف مذاهبهم وكذلك اليهود ، وبذلك لا تخضع العناصر المسيحية واليهودية للنظم الإسلامية في الدولة

(١) نور الدين حاطوم ، مرجع سبق ذكره ص ١٧ - ١٨ .

(٢) د . الشاذلى : مرجع سبق ذكره ص ٣٠ - ٣١ .

العربية الجديدة التي كان يرى قصرها على الشام فلا تنضم العراق أو مصر لأنه كان يخشى قيام وحدة سياسية أكبر فيتحول مسيحيو الشام فيها إلى أقلية . وهكذا أظهر ( عازوري ) أن له نزعة إقليمية سورية رغم أنه ندد أكثر من مرة بالطائفية وأخطارها على الوحدة العربية .

وكان ( عازوري ) قد قدم مذكرة إلى الدليل الكبير عام ١٩٠٥ ونشرها في صدر كتابه قال فيها إن القومية العربية حقيقة واقعة ، وإن الوعي العربي قد انتشر بين العرب وهم يريدون الانفصال عن آل عثمان وتأسيس دولة مستقلة ، وأعلن استعداد العرب - عند قيام هذه الدولة - لاحترام المصالح الأجنبية وجميع الامتيازات التي منحها الترك ، وكذلك احترام استقلال لبنان الداخلي والأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين والإمارات العربية في جنوب شبه الجزيرة والخليج وأعلن أنه لا يطالب الدول الكبرى بالتدخل المساح وإنما كل ما يريده منها تأييد الحركة بمجرد الوقوف على الحياد وتشجيع العرب بالمشاركة الوجدانية على أن يقوم العرب بتحقيق أهدافهم بأنفسهم <sup>(١)</sup> .

ولعل من أم الأمور التي تلفت النظر أن ( عازوري ) نبه لأول مرة إلى المطامع الصهيونية في فلسطين ، ولعل وجوده في متصرفية القدس لمدة خمس سنوات جعله يفتن إلى هذه المسألة التي دبر عن اهتمامها في كتابه ( يقظة الأمة العربية ) وقد وعد بإصدار كتاب مستقل عنها ولو أنه لم يفعل ، ومع ذلك فقد خصص فصلا مستقلا في كتابه عن اليقظة العربية في فلسطين ونعى على الحكومة العثمانية تهاونها في منع تسلسل الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولفت الأنظار إلى أن اليهود قد شرعوا في ذلك الوقت في تأسيس مستعمرات زراعية لهم في المنطقة بين الجليل والخليل والحولة <sup>(٢)</sup> ، وذكر أن ثمة حادثين

(١) د . الشناوي : مرجع سبق ذكره ٣١ / ٣٢ .

(٢) د . الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ .

هامين ومن طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان وهما يقظة الأمة العربية والجهد الحثي لإنشاء ملك إسرائيل القديم من جديد على نطاق أوسع ، وأن مصير الحركتين للقتال والصراع إلى أن تتغلب إحداهما على الأخرى وأن مصير العالم كله معلق على النتيجة النهائية لهذا الصراع<sup>(١)</sup> .

وكان (عازورى) يعتقد أن أوروبا تستطيع حماية العرب من هذا الخطر الصهيوني أكثر مما تستطيعه الدولة العثمانية . ولاحظ (عازورى) كذلك أن بعض قناصل الدول الأوروبية يعملون أحياناً على تسهيل عمليات الهجرة اليهودية وقد خدعتهم الفكرة الإنسانية التي يتستر وراءها اليهود<sup>(٢)</sup> .

وإلى جانب ذلك أصدر (عازورى) في باريس بالاشتراك مع يوجين يونج مجلة شهرية بالفرنسية اسمها الاستقلال العربى (١٩٠٧ - ١٩٠٨) هدفها تعريف الغرب بالقضية العربية<sup>(٣)</sup> .

ورغم أن حملة (عازورى) قد لفتت الأنظار في أوروبا في ذلك الوقت إلا أنها فيما يختص بالحركة القومية العربية كان تأثيرها لا يكاد يذكر فقد توقف صدور مجلة (الاستقلال العربى) عندما صدر الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ ، كما كانت حركته ونشاطه بعيدين عن الجو العربى فلم تنتشر فيه ، كما أنه بصرف النظر عن هذه الكتابات فإن حملة (عازورى) كانت صادرة من عاصمة أجنبية وبلغه أجنبية فلم تصل إلى قلب الحركة<sup>(٤)</sup> .

---

(١) نور الدين حاطوم : مرجع سبق ذكره ص ١٨ .

Yale : The Near East, p. 197 .

(٢) د . الفناوى : سبق ذكره ص ٣٣ .

(٣) وقد صدر العدد الأول منها في أبريل ( نيسان ) ١٩٠٧ والعدد الأخير في سبتمبر ( أيلول ) ١٩٠٨ وفيه ذكر عازورى أن جميع ما يسمى إليه العرب سوف يتم تحقيقه على أيدي جماعة الاتحاد والترقى وبذلك انتهى دوره من أجل القضية العربية .

إبرلاند / خياطة السراق : دراسة في تطوره السياسى ص ١٦٩ / ١٧٠ .

(٤) نور الدين حاطوم : مرجع سبق ذكره ص ١٨ .

بل إن أنطونيوس يعتبر نشاط ( عازورى ) مثلاً على ما ترتب على التعليم  
الاجنبى من انحراف بعض دعاة الثورة العربية عن ملبعها الأصيل .

#### مركز مصر فى الحركة العربية :

وفى الوقت نفسه هاجر عدد من السوريين واللبنانيين إلى القاهرة هرباً من  
طغيان عبد الحميد ، حيث صاروا رواد نهضة صحفية أدبية ، وكان كثير منهم من  
خريجي الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ومن أبرزهم جورجى زيدان ودكتور  
شبل شميل ودكتور يعقوب صروف مؤسس المقتطف وهى أول مجلة علمية  
حديثه باللغة العربية . هذا على الرغم مما يذهب إليه البعض من أن مصر فى  
هذه الفترة من حكم عبد الحميد قد حادت عن طريق الحركة العربية واتبع  
سياسة وطنية خاصة بسبب الحوادث التى وقعت فيها والتى انتهت بالاحتلال  
البريطانى عام ١٨٨٢ ، وأنه بعد أن كانت الحركة الفكرية فى مصر تسير جنباً  
إلى جنب مع الحركة الفكرية فى الشام صار لمصر طابع مصرى صرف كان  
أول وأهم أهدافه إخراج الاحتلال البريطانى من البلاد وبذلك ولدت القومية  
المصرية واتخذت طريقاً يختلف عن الحركة العربية العامة (١) .

ولا شك أن مرد ذلك يرجع إلى تلك العزلة السلبية التى دخلت فيها مصر  
منذ فشل محمد على فى بناء دولة عربية فى الشام وشبه الجزيرة ، وكان محمد على  
وخلفاؤه يعملون على الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ، وقد حققوا فى هذا  
المجال قدراً كبيراً من النجاح فاكتملت مصر شخصية مستقلة عن بقية أجزاء  
الدولة العثمانية مما أدى إلى انعزالها عن بقية أجزاء الدولة فى الشرق العربى الذى  
كان خاضعاً للحكم العثمانى المباشر ، خصوصاً وأنه بعد ذلك اتجهت مصر نحو  
أفريقية وظلت الوحدة السياسية بين مصر والسودان مركز الثقل فى سياسة

ونشاط الخديو بل ونشاط الحركة الوطنية المصرية ، فساعد هذا بدوره على انصراف مصر عن الشرق العربى بقضاياها ومشاكله . ثم حدث الاحتلال البريطانى لمصر فزاد من عزلتها عن الشرق العربى إذ أن هذا الاحتلال جعل قضية مصر تختلف موضوعياً عن قضية الشرق العربى ، فبينما كانت الحركة الوطنية فى مصر تكافح ضد السيطرة الأوربية وتتطلع إلى تأييد ومساعدة الدولة العثمانية كانت الشعوب العربية فى الشرق العربى تكافح فى سبيل تحريرها من السيطرة العثمانية وتتطلع إلى تأييد الدول الأوربية ، فأعداء مصر كانوا حلفاء الحركة القومية فى الشرق العربى وأعداء هذه حلفاء لمصر (١) .

ومع ذلك فلم يكن وفود هؤلاء الكتاب إلى مصر يرجع إلى ما كانت تتمتع به مصر فى ظل الاحتلال البريطانى من حرية فكرية كما يقول البعض (٢) وإنما كان ترحيب سلطات الاحتلال فى مصر بهؤلاء الناقين على حكم عبد الحميد إنما يرجع إلى نقمة بريطانيا على سياسته الإسلامية التى جعلت المسلمين حتى فى مستعمراتها يلتفون حول الخلافة ، يضاف إلى ذلك تطلع الوطنيين المصريين إلى الدولة العثمانية فى كفاحهم ضد بريطانيا ، علاوة على فتح أبواب الدولة العثمانية أمام النفوذ الألمانى .

ومهما يكن من أمر فإنه بسبب وجود الأزهر ، وتخرج عدد كبير من المصريين من جامعات فرنسا ، وإقامة بعض المفكرين السوريين واللبنانيين فيها وتأثير جمال الدين الأفغانى وتلامذته مثل محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، أخذت مصر تحتل مكاناً قيادياً ثقافياً على الصعيد العربى والإسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر (٣) .

(١) هـ . عبد الله : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٨ - ٩ .

Saab : Ouv. Cit. pp. 209 - 210

(٢)

Ibid ,

(٣)

وعلى الرغم من النقد الشديد الذى يوجه إلى عبد الحميد وعهده من جانب الكثيرين وبخاصة الأحرار ، لما شهدته عهده من مصارع الحرية ، وتعقب الأحرار من أنصار الحكم الدستورى ، فى تصورى أن السلطان عبد الحميد الثانى تعرض لمحنة قاسية من النقد .

فإنه إذا كان عهد السلطان عبد الحميد يوصم بالاستبداد فإن الاستبداد فى عهده كان امتداداً للاستبداد طوال العهد العثمانى ، وإن كان العرب قد أحسوا بالاستبداد فى عهده أكثر من أى وقت مضى بسبب نمو الوعى القومى العربى . بل إنه لم يكن القول بأن ظروف الدولة فى عهد عبد الحميد سواء فى الداخل حيث انتشرت الحركات الانفصالية واشتد ساعدها عن ذى قبل ، أوفى الخارج حيث اشتدت أطماع الدول الأوروبية فى ممتلكات الدولة العثمانية ، هذه الظروف جميعاً كان من شأنها أن تؤدى إلى انهيار الدولة بن أساسها ، وإذا أراد حاكم لدولته البقاء وإنقاذها من مثل هذه الظروف فلا بد وأن يلجأ إلى تقوية قبضته وتدعيم حكمه .

بل إننا نستطيع أن نقول إن عهد السلطان عبد الحميد لم يكن أشد استبداداً وطغياناً من عهد الدستوريين الذين جاءوا بعده فى حكم الدولة بعد أن عصفوا بحكمه ( الاستبدادى ) وصاروا يحكمون باسم الدستور حكماً كان أشد استبداداً وتعنتاً وطغياناً من حكم عبد الحميد كما سنرى عند الكلام عن عهد الاتحاديين . وليس معنى ذلك نفي صفة الاستبداد عن عبد الحميد والدليل على استبداده هجرة المفكرين العرب من قبضته .

ولسكن عهد عبد الحميد يستحق كلمة حق وإنصاف ، على الأقل بسبب موقفه من مسألتين كان لها أعمق الأثر على الدولة العثمانية عامة والشرق العربى بل والعالم العربى كله على وجه الخصوص ، وأولها أنه على الرغم من توثق العلاقات بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الألمانية فى عهد عبد الحميد فإن



ألمانيا لم تستطع أن تجره إلى إبرام معاهدة كذلك التي أبرمها معها الاتحاديون فيما بعد في عام ١٩١٤، وكانت سبباً في تورط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي كانت فرصة استغلتها الدول الأوروبية للسيطرة على ما تبقى من أقطار الشرق العربي.

#### موقف عبد الحميد من الصهيونية :

وثانيهما موقف السلطان عبد الحميد من الأطماع الصهيونية في فلسطين، ذلك الموقف الذي تجلّى في أكثر من مناسبة في أثناء عهده، فإنه عندما ساءت أحوال اليهود في روسيا طلبت بعض الشخصيات اليهودية وأعضاء حركة أحباء صهيون من القنصل العثماني العام في أودسا منحهم تصاريحات لدخول فلسطين والاستقرار فيها، وبعد أن اتصل القنصل العثماني بحكومته تلقى منها رداً هادئاً على شكل إعلان خارج مكتبه في ٢٨ أبريل (نيسان) عام ١٨٨٢ وجاء فيه أن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه من غير المسموح لهم الاستقرار في فلسطين، ولكنهم يستطيعون الانتقال إلى الأقاليم الأخرى في الإمبراطورية العثمانية حيث يمكنهم الإقامة شريطة أن يصيروا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا الالتزام بتنفيذ القوانين المعمول بها في الإمبراطورية العثمانية.

ولقد صدم اليهود لهذا القرار، واتجهت وفود منهم إلى الاستانة في مايو (أيار) ويونيو (حزيران) ١٨٨٢. للتأكد من أن هذا الإعلان يتفق وسياسة حكومة الباب العالي إزاء الهجرة اليهودية، وعن طريق معونة السفير الأمريكي لدى الباب العالي ومساعدة بعض كبار الشخصيات اليهودية في العاصمة التركية أمكن لهذه الوفود الاتصال بوزيري الخارجية والداخلية، وفي الثاني عشر من يونيو (حزيران) تحدث السفير الأمريكي - نيابة عن الوفد الروماني - مع وزير الخارجية التركي الذي أبلغ السفير بأنه يمكن لمؤلاء اليهود

الاستيطان بشرط ألا يستقروا داخل حدود فلسطين<sup>(١)</sup> وكان هذا تأكيداً للإعلان الذي ظهر في أبريل ( نيسان ) خارج القنصلية التركية في أودسا .

ومع ذلك ، فإنه في ٢٩ يونيو ( حزيران ) ١٨٨٢ ، أبحر بعض هؤلاء اليهود المتجمعين في الأستانة في طريقهم إلى يافا . وفي اليوم نفسه تلقى متصرف القدس برقية من حكومته تأمره بالآلا يسمح لأي يهودي من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن تطأ قدماه أرض فلسطين ، كما اتخذت إجراءات المنع ذاتها في اللاذقية وبيروت وحيفا ، وبعد ستة أشهر أخطرت البعثات الدبلوماسية لدى الباب العالي رسمياً بقرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان واستقرار اليهود الروس في فلسطين<sup>(٢)</sup> .

وفي عام ١٨٨٤ صدرت تعليمات أخرى من الحكومة العثمانية اشترطت فيها من أجل السماح لليهود بدخول فلسطين - ألا تزيد مدة إقامتهم على ثلاثين يوماً ، وعندما احتجت الدول في عام ١٨٨٧ على هذه القيود أطال الباب العالي الفترة المسموح بها للحجاج اليهود للإقامة في فلسطين إلى ثلاثة شهور .

وعما ساعد على تطبيق هذه القيود بدقة كبيرة إلى حد ما أنه كان يتولى متصرفية القدس في ذلك الحين محمد شريف رهوف باشا الذي كان يؤيد سياسة حكومته في منع اليهود من الإقامة في فلسطين ، وكان يسارع إلى طرد الحجاج اليهود من فلسطين بالقوة بمجرد انقضاء المدة المسموح بها لهم ، كما كان يمنع - بقدر استطاعته - بيع الأراضي لليهود .

U, S, ( Dept. of State ), Papers relating to the Foreign Affairs of the U S, 1882 ( Washington 1883 ), p, 518, enclosure to no. 107 ( 13, 6. 1882 ), Ambassador Lewis Wallace to Sa.d Pacha .

Public Record Office, F. O. 78/3506, enclosure to no, (١)

48 ( 22, 1, 1883 ) ; « Notification Officielle » ,

ومع ذلك فقد استطاع بعض اليهود النفاذ إلى فلسطين عن طريق مساعدة القناصل الأوروبيين في فلسطين ، علاوة على قبول مساعدى المنصرفين الرشوة ، كما أن اليهود لم يعدوا الوسيلة للتحايل على القانون .

ولما كان العرب في فلسطين قد فطنوا إلى الخطر الذى يتهددهم ويتهدد مستقبلهم نتيجة هذا التسلل اليهودى الصهيونى إلى بلادهم ، فقد أرسل بعض أعيان القدس في ٢٤ يونيو ( حزيران ) ١٨٩١ عريضة إلى سلطات الأستانة ، يطلبون فيها اتخاذ إجراءات فعالة كفيلة بمنع دخول اليهود الأجانب وشراهم الأرض ، بعد أن لاحظ العرب أن القيود المفروضة على اليهود الأجانب قد خفت بعد أن ترك رموفى وباشا القدس عام ١٨٨٩ ، ولذلك استجابت الحكومة العثمانية لهذا النداء وجددت القيود<sup>(١)</sup> . وبعد عام صدر قانون يحرم بيع أراضى الحكومة إلى كل اليهود بما فيهم الرعايا العثمانيون منهم<sup>(٢)</sup> .

وعندما اتضحت معالم الحركة الصهيونية وأهدافها الحقيقية بعد ظهور هرتزل وتولييه زعامتها ، اتجه هرتزل - وهو يسمى من أجل الحصول على تأييد الدول لمخططاته في فلسطين - شطر ألمانيا صديقة الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من أن بعض الألمان كانوا يدعون الحكومة العثمانية إلى عدم وضع أية عقبات في طريق الصهيونية من أجل الاستفادة من هجرة اليهود ونجاحهم كاستعماريين في تقوية الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> ، فإن التجاء هرتزل إلى القيصر الألماني

---

(١) Public Record Office 195/1727 no; 25 ( 16, 7, 1891 ) .

J. Dickson ( Jerusalem ) to E. Fane ( Constantinople ) .

Ibid 195/1765 no. 35 ( 30. 12. 1892 ) . J. Dickson (٢)

( Jerusalem ) to Sir Francis Clare — Ford ( Constantinople ) .

Campbell : Report on Zionism p. 1603 ( National Archi-(٣)

ves ; Wasi ington ) .

لم يأت بفائدة ، وعندئذ قرر الزعيم الصهيوني الاتصال مباشرة بالسلطان العثماني ، وكان هرتزل يحلم بمساومة ، فلوح للترك بمعونة مالية يهودية تنقذهم من الأزمه المالية مقابل أن يصدر السلطان تصريحاً لشركة أراض يهودية للاستيطان وتطوير الزراعة في فلسطين حتى يمكن إقامة جمهورية أرستقراطية في فلسطين على نمط جمهورية البندقية<sup>(١)</sup> وفي يونيو ١٨٩٦ كان السلطان عبد الحميد قد أبلغ هرتزل بطريق غير مباشر أن الامبراطورية العثمانية « ليست ملكاً لى ولكنها ملك للشعب ولا أستطيع التنازل عن أى جزء منها ، فدع اليهود يوفرون ملايينهم ، وإذا قسمت لإمبراطوريق فإنهم يستطيعون الحصول على فلسطين بدون مقابل ، ولكن على أشلائنا ، ولن أوافق على تمزيق أوصالنا<sup>(٢)</sup> » .

وقد قابل ( هرتزل ) السلطان عبد الحميد عام ١٩٠١ وتكرر اللقاء . عام ١٩٠٢ وقد اختلفت الروايات حول نتيجة الاجتماع ، فذهب البعض إلى أن عبد الحميد وافق على بيع جزء من فلسطين مقابل خمسين مليون فرنك من الذهب لم يتمكن اليهود من جمعها ، بينما يذهب البعض الآخر إلى أن عبد الحميد رغم إظهار عطفه على اليهود رفض عرض هرتزل ، وأنه عرض تهجير اليهود في مناطق مبعثرة بالأناضول والعراق وايس في فلسطين وبشرط اكتسابهم الجنسية العثمانية . ولم يسمح بالهجرة على نطاق واسع ، فقد كان يعلم تماماً حقيقة أهداف الصهيونية التي كانت قد أعلنتها في مؤتمرها الأول قبل سنوات قلائل ، وكان عبد الحميد يفرق بين الصيونييين واليهود كرهايا عثمانيين ، وكان في أثناء محادثاته مع هرتزل يرى أن المستعمرات الصهيونية في فلسطين سوف

---

Barbour: Ouv; Cit. pp. 45 — 48. (١)

Patai, R. (ed.): The Complete Diaries of th. Herzl (N.Y.) (٢)

1960. 1. p. 328. entry for 19/6/1896.

تخلق أقلية جديدة تسعى إلى الاستقلال بالاستعانة بالدول الأجنبية<sup>(١)</sup> وإلى جانب ذلك فقد كان عبد الحميد يخشى غضب الرأى العام الإسلامى ، ولو أن اليهود نجحوا فى الحصول على فرماتات جزئية لشراء بعض الأراضى فى فلسطين واستغلوا ذلك فى بناء عدة مستعمرات أشرفت عليها جمعية ( الكارن كاييت Keren Kayemeth L-Yisrael أى الصندوق القومى اليهودى ) التى أنشئت عام ١٩٠٧ وورثت مؤسسة البىكا<sup>(٢)</sup> وعلى كل حال فقد باتت مفاوضات هرتزل بالفشل وأيقن أن الترك لن يسمحوا أبداً بهجرة جماعية إلى فلسطين ، رغم محاولة هرتزل الالتجاء إلى وسائل ملتوية بعد ذلك إذ أنه وقد علم بعدم رضا السلطان عن الطلبة العثمانيين الذين يتلقون العلم فى أورربا ويعودون بأفكار تحريرية كذب رسالة خاصة إلى السلطان يطلب السماح له بإنشاء جامعة يهودية فى القدس لتغنى عن إيفاد الطلبة العثمانيين إلى الخارج حيث يستطيعون تلقى أرقى أنواع التعليم تحت إشراف السلطات والقوانين العثمانية ، إلا أنه لم يتلق رداً على خطابه<sup>(٣)</sup> .

من العرض السابق للنشاط القومى العربى فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى أى فى أواخر القرن التاسع عشر ، يلاحظ أنه إذا كانت الیقظة العربية قد بدأت فى الوضوح فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر فقد كان لا يزال يعوقها عن التقدم والازدهار عاملان : أولهما ارتباط العرب بالترك برابطة العقيدة الإسلامية ، وثانيهما هو ما كان لا يزال يراود العرب من أمل فى نجاح مساعيهم المشتركة مع أحرار الترك فى القضاء على الاستبداد الحميدى وإرساء

---

Yale : Ouv. Cit. p, 146.

(١)

(٢) أنيس سار : الهاشميون وقضية فلسطين ص ٢٣ .

Barbour : Ouv. Cit. pp, 48 — 9.

(٣)

قواعد حكومة دستورية يمد فيها العرب والنرك على السواء أمانا من الظلم والاستبداد ، وضمانا لحقوقهم في الدولة ، فقد كان أقصى ما يصبو إليه العرب في ذلك الوقت ، لا الاستقلال والانفصال عن الدولة ، ولكن إدخال الإصلاحات العامة في إدارة الدولة بما يكفل لهم الحياة كعرب لهم شخصيتهم داخل الدولة العثمانية .

## الباب الثالث:

### عهد الاتحاديين

١٩٠٨ - ١٩١٤

- الفصل السادس : مرحلة الوفاق العربي التركي .
- الفصل السابع : مرحلة النفور العربي التركي .
- الفصل الثامن : الجمعيات العربية في الشام والعراق .
- الفصل التاسع : الأحوال في شبه الجزيرة العربية .





## الفصل السادس

### مرحلة الوفاق العربي التركي

حركة تركيا الفتاة ولورة ١٩٠٨ :

لم يكن الفرار من طغيان عبد الحميد واستبداده مقصوداً على أحرار العرب بل شمل الكثيرين من مصلحي الترك وأحرارهم الذين فشلوا في إقناعه بإعادة الحياة الدستورية ، فصب عليهم جام غضبه وطاردهم .

وترجع حركة تركيا الفتاة إلى عهد السلطان عبد العزيز ، وهي حركة تمثل البورجوازية التركية ، إذ كانت تتألف من الشباب الترك المنتمين ثقافة أوروبية ، ولم يكن هدفها تصفية الإمبراطورية ، ولكن إقامة حكم دستوري فيها ، حتى تستطيع الصمود في وجه الاطماع الغربية ، وإرضاء القوميات الثائرة داخلها ، وكان مدح باشا قائداً لهذه الحركة ، وبعد أن تنسك عبد الحميد للحكم الدستوري عام ١٨٧٧ تحولت حركة تركيا الفتاة إلى حركة سرية داخل البلاد وعلمانية خارجها ، من أجل إعادة الدستور ( المشروطة ) (١) .

وفي عام ١٨٨٩ ألف بعض طلاب المدرسة الطبية العسكرية في الأستانة جمعية سرية كانت البداية الحقيقية لحركة تركيا الفتاة ضد عبد الحميد ، وانشرت أفكارها إلى المدارس العسكرية العثمانية خاصة ، وذلك لأن التعليم العسكري كان أنضج أنواع التعليم وأكثرها اتصالاً بالثقافة الأوروبية . وعندما افترض سر الجمعية عام ١٨٩٢ غادر بعض أعضائها البلاد إلى باريس خاصة ، هرباً من إنتقام عبد الحميد ، ولاستكمال دراساتهم ، ومنهم خليل غانم العربي المسيحي ، الذي أصدر في جنيف جريدة ( الهلال ) ثم جريدة ( تركيا الفتاة )

(١) دامزور : تركيا الفتاة : ترجمة صالح المثل (١٩٦٠) ص ٤٠ - ٤١ .

La Jeune Turquie في باريس ، كما هاجم استبداد عبد الحميد في الصحف الفرنسية ، ومنهم أحمد رضا الذي كان مديراً للتعليم في بروسة وأصدر في باريس صحيفة ( مشودت ) كل أسبوعين باللغة التركية مع ملحق لها باللغة الفرنسية ، وكانت تهرب إلى تركيا ذاتها عن طريق دوائر البريد الأجنبية التي كانت تتمتع بامتيازات خاصة داخل الدولة <sup>(١)</sup> .

وكان مراد بك - مدرس التاريخ في الكلية المدنية - من أحرار الترك الذين تركوا بلادهم ، ولجأ أولاً إلى مصر حيث أسس جريدة ( الميزان ) التي أخذت تتسرب خفية إلى الأحرار والمثقفين في الأستانة .

وانداد عدد الترك الأحرار في المنفى ، وخاصة بعد اقتضاح أمر المؤامرة التي دبرت للاحاطة بحكم عبد الحميد عام ١٨٩٦ ، وعتذلت تركت نشاط الأحرار في باريس ، خصوصاً وأنه في العام نفسه غادر مراد بك مصر إلى باريس بعد أن مل الإنجليز نشاطه ، وفي عام ١٨٩٩ هرب إلى باريس الداماد محمود زوج شقيقة السلطان عبد الحميد ، ومعه ولده صباح الدين ولطف الله ، حيث انضموا إلى أحرار العثمانيين في باريس ، إلا أن هؤلاء لم يكونوا مثقفين إلا على أمر واحد ألا وهو محاربة عبد الحميد والقضاء على حكمه الاستبدادي ولكنهم اختلفوا حول طريقة إدارة الدولة بعد ذلك ، فبينما كان أحمد رضا وأنصاره يصرون على قيام حكم مركزي في الأستانة تتجمع في يده كل السلطات ، كان الفريق الآخر ( صباح الدين ) يحشد اللامركزية وتوسيع صلاحيات الولايات . ويدعو إلى تكوين اتحاد عثماني يكون فيه لمختلف قوميات الدولة قسط كبير من الحكم الذاتي <sup>(٢)</sup> ، ولذلك فقد انضم إلى هذا الفريق كثير من رجال القوميات غير التركية ، والطوائف غير الإسلامية .

---

(١) رانزور : المرجع نفسه ص ٥١

(٢) رانزور : المرجع نفسه ص ٩٩

وبتهم (رامزور) أفكار تركيا الفتاة بالجدب حيث لا يجد فيها أى اعتراف بالمشاكل الأساسية التي كانت تواجه الإمبراطورية ، وأنها اعتبرت عيد الحميد وحده سبباً لمعظم الشرور المنتشرة في الإمبراطورية ، وكان العلاج في نظرهما من البساطة بمكان ، ألا وهو تنحية عبد الحميد ، وإعادة دستور مدحت من جديد ، للحفاظ على وحدة الإمبراطورية ، وأما القوميات التي تتكون منها الإمبراطورية فكانت اتهم بالخيانة إذا ما سمعت لتحقيق كياناتها القومية ، ولا يقدم لها بديلاً لهذا الكيان سوى شيء هزيل وهو أن تصبح عثمانية<sup>(١)</sup> .

ولكن هذا الاتهام إذا صح فإنه يكون بالنسبة لفريق أحمد رضا الذي نادى بالمركزية . أما فريق صباح الدين ، فقد رأينا أنه نادى بمنح قوميات الدولة حكماً ذاتياً ، ولو أن هذا الجناح لم يستطع الصمود في وجه دعاة المركزية .

وقد عمل عبد الحميد على عرقلة نشاط الجمعية في باريس بالتدخل الدبلوماسي وباستخدام العملاء ، حتى أنه نجح في إقناع مراد بك بالتخلي عن نشاطه الثوري والعودة إلى الأستانة .

وفي عام ١٩٠٦ استطاع الضابط مصطفى كمال - في أثناء وجوده في دمشق - أن يؤسس جمعية من العناصر الساخطة على عبد الحميد أسمها ( الوطن ) ، لم تلبث - بسبب تعقب عبد الحميد لها - أن نقلت نشاطها إلى سالونيك ، حيث صار اسمها ( الوطن والحرية ) . وفي سالونيك وجد مصطفى كمال جمعية أخرى من الأحرار تمارس نشاطاً سرياً كبيراً وتسمى ( الجمعية الثمانية الحرة ) ، وكان من أعضائها جمال وطلعت .

وكان اختيار أحرار الترك لسالونيك في مقدونيا مركزاً لنشاطهم يرجع إلى

---

(١) رامزور : المرحم نفسه ص ٧٧

أنها كانت أكثر مناطق الدولة تقدماً واتصالاً بالعالم الأوربي ، هذا إلى جانب ضعف قبضة عبد الحميد نسبياً عليها ، كما أن نشاط قوميات البلقان في المنطقة دفع الدولة إلى حشد قوات عسكرية فيها تحت قيادة أنشط وأكفأ الضباط وأكثرهم ثقافة وإقداماً ، يضاف إلى ذلك أنه بسبب الاضطرابات في هذه المنطقة أنشئت إدارة دولية خاصة تحت إشراف خمس دول أوروبية ، فكان أن وجد الجيش الثالث العثماني نفسه في قلب دائرة التدخل الأجنبي .

وفي عام ١٩٠٧ تم في سالونيك توحيد الجمعية العثمانية الحرة ( عثمانلي حريت ) مع جمعية الوطن والحرية ، واتصلت الجمعية الجديدة بأحمد رضا وفريقه في باريس ، واتحد الجميع تحت اسم جمعية الاتحاد والترقي العثماني ( عثمانلي ترقى واتحاد جمعيتي )<sup>(١)</sup> .

وعندما علم أحرار الترك في سالونيك باجتماع ريفال بين نيقولا الثاني قيصر روسيا وإدوار السابع ملك بريطانيا في ١٠ و ٩ يونيو (حزيران) ١٩٠٨ انتابهم المخاوف من احتمال فرض توضيحات جديدة على الدولة العثمانية ، وصار أعضاء الاتحاد والترقي يخشون أن تتنازل بريطانيا عن معارضتها التقليدية للأطماع الروسية وأن هذا قد يعني زوال الحكم التركي من أوروبا<sup>(٢)</sup> .

وعلى ذلك قام الجيش الثالث بثورة يوليو (تموز) عام ١٩٠٨ ، التي أرغمت عبد الحميد على إعادة الدستور ، الأمر الذي قوبل بكثير من الابتهاج في كافة أنحاء الإمبراطورية ، بما في ذلك البلاد العربية ، حتى أنه عندما وضع الشاعر التركي ( توفيق فكريت ) نشيداً وطنياً لهذه المناسبة ، قام موسيق عريف من بيروت هو ( وديع صبرا ) بتلحينه ، ودها الناس إلى الاجتماع

---

(١) رامزور : المرجع نفسه ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٢) د . أنيس : سجع سبق ذكره ص ٢٥٤ .

لإنشاده في أكبر ميادين العاصمة ، ثم قام شاعر عربي من بغداد (معروف الرصافي) بترجمة هذا النشيد إلى العربية<sup>(١)</sup> .

استبشار العرب بالدستور :

وقد امتلأت نفوس العرب - خلال الأشهر الأولى من هودة المشروطة (الدستور) بالبشر والحبور ، وعبروا عن شعورهم بوسائل مختلفة ، فأعرب السوريون في الأرجنتين عن ولائهم للعهد الجديد بفتح اكتتاب عام للترجع بسفينة حربية ، هدية منهم للبحرية العثمانية ، بينما شكل أهالي بيروت حرساً وطنياً لمساعدة الجيش عند الضرورة<sup>(٢)</sup> .

أما طالب بك النقيب فائب البصرة الجديد فقد ابتاع من ماله الخاص مركباً بخاريّاً وأهداه إلى الحكومة ، لكي تستخدمه في المحافظة على شط العرب ، كما تطوع لإصلاح العلاقات بين الأمير مبارك الصباح قائمقام الكويت وبين الحكومة العثمانية<sup>(٣)</sup> .

وقد بلغ من إخلاص العرب للعهد الجديد أن بعضهم صار يتساح في حقوقهم ومطالب القومية كاللغة العربية ، فلشر الدكتور شبلي شميل مقالاً طالب فيه الحكومة العثمانية الجديدة بأن تفرض على أقطار الإمبراطورية لغة واحدة مشتركة تكون اللغة التركية<sup>(٤)</sup> ، كما أيد سليمان البستاني هذا

---

(١) ساطم الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية (١٩٦٠) ص ١٠٩ ، ثورة

العرب (١٩١٦) ص ٤٩ .

(٢) Correspondence d' Orient, 1<sup>ere</sup> Année, no. 4, p. 149.

(٣) كركوكلي عمر فوزي : أوج الطيب في مآثر السيد النقيب ص ٢٣ .

(٤) الأهرام - العدد ٩٤١٦ في ٨-٣-١٩٠٩

الاقتراح من أجل القضاء على التعصب العنصري ، وتوثيق عرى الود والإخاء بين العرب والترك<sup>(١)</sup> .

وإن الابتهاج الذي عم العرب خلال الفترة التي أعقبت إعلان الدستور يدل على أن القوميين العرب عند قيام ثورة الاتحاد والترقي كانوا لا يزالون يخلطون بين حقوقهم القومية وحقوقهم الدستورية ، إذ صاروا يعتقدون أنه لم يعد في الدولة عرب ولا ترك ، بل صاروا كلهم عثمانيين متساوين في الحقوق والواجبات . وكانوا - شأنهم شأن القوميات الأخرى - يحدوهم الأمل في أن يؤدي النظام الجديد إلى منحهم نصيباً كبيراً من الحكم الذاتي ، متأثرين بتصرّيات بعض الترك ، فإنه إثر إعلان الدستور أذاع أنور باشا في حماس بالغ أن « الحكومة الاستبدادية قد انتهت وأصبحنا جميعاً إخواناً » ، لم يعد هناك بلغار أو يونانيون أو يهود أو مسلمان ، فتحت السماء الزرقاء كلنا متساوون نفخر بأننا عثمانيون<sup>(٢)</sup> .

وهذا جلال الدين عارف - الذي كان لاجئاً لمصر في عهد عبد الحميد - يقف خطيباً في مصر يوم الاحتفال بإعلان الدستور ليعلن : « إننا اليوم تنازلنا عن كلمة ترك ، وهي محبوبة لدينا ، فكلنا عثمانيون . لا فرق عندنا بين الترك والعرب والروم وغيرهم »<sup>(٣)</sup> .

كما نشطت جمعية الاتحاد والترقي<sup>(٤)</sup> ، فانهزت ذلك الخماس الذي غمر العرب لكي تنضم إليها أكبر عدد ممكن منهم ، فأوفدت مندوبين إلى سائر المدن العربية لافتتاح فروع للجمعية وبادر الناس إلى قيد أنفسهم فيها ، ولم يمض شهران حتى كان قد انتظم فيها كثيرون من زعماء العرب وضباطهم مثل رفيق

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٧٧ .

(٢) رامزور : مرجع سبق ذكره ص ١٤٩ .

(٣) المنار ، مجلد ١٢ ج ١٧ ص ٩١٥ .

بك العظم وحقى بك العظم ومحسن السعدون وياسين الهاشمي وطالب النقيب وعزيز على المصري وعبد الرحمن شهنشدر وسليم الجزائري<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر إخلاص العرب للدولة في هذه الفترة من الوفاء مع حكومة الاتحاديين استنكار العرب لتلك الدعوة التي قادها نخلة باشا مطران ورشيد بك مطران ، بعد شهور قلائل من إعلان الدستور ، حين أذاعت ( الجمعية السورية ) في باريس برئاسة نخلة ورشيد مطران بياناً تدعو فيه إلى استقلال سوريا استقلالاً إدارياً ، وعلى الرغم من أن رشيد مطران لم يطلب الاستقلال التام لسوريا بل واحتج على وصف هذه الحركة بالانفصالية مؤكداً أن دعوة جمعياته لا تخرج عن مبادئ الرئيس صباح الدين في اللامركزية الإدارية ، التي لا يلائم الدولة غيرها<sup>(٢)</sup> . فقد تعرضت هذه الدعوة إلى هجوم شديد من جانب شكري غانم وسليمان البستاني على صفحات إحدى المجلات الفرنسية في باريس<sup>١</sup> ، ومن جانب رفيق العظم وحقى العظم على صفحات جريدة الأهرام في القاهرة ، كما أ برق عدد من أعضاء الجالية السورية بباريس إلى رئاسة مجلس المبعوثان في الأستانة وإلى جمعية الاتحاد والترقي في سالونيك ، يستنكرون ما جاء في المنشور ، ويعربون عن ولائهم للدولة العثمانية والجمعية<sup>(٣)</sup> كما أرسلت برقية إلى مجلس المبعوثان وقعها ثلاثمائة من دمشق ، تصف المنشور بالهذيان ، بل إن ندره مطران شقيق رشيد مطران تبرأ - في برقية منه إلى جريدة استانبول في الأستانة - من دعوة شقيقه واستنكر ضلاله السياسي المشنوم ، معلناً تمسكه بالدولة العثمانية<sup>(٤)</sup> . أما رفيق العظم فإنه لم ير في دعوة

---

(١) أوليفي برو : مرجع سبق ذكره - ص ٧٩

(٢) Correspondence d'Orient — 2<sup>eme</sup> Année, no. 9 1. 2.

1909, p. 268 .

Ibid, no 8, 15. 1. 1909, p. 229 .

(٣)

Ibid, no, 9, pp. 268—6 .

(٤)

نخله ورشيد مطران إلا بذرة للتفريق بين صفوف الأمة العثمانية ، وحركة  
تجنح بسوريا إلى الانفصال عن تركيا انفصالا تاماً<sup>(١)</sup> .

#### جمعية الأخاء العربي العثماني :

وليس أدل على شعور العرب في هذا الدور ، دور الوفاق مع الحركة  
القومية التركية ، من تكوين جمعية الإخاء العربي العثماني .

فقد اجتمعت الجالية العربية في الآستانة في الثاني من سبتمبر ( أيلول )  
١٩٠٨ وحضر الاجتماع عدد من أعضاء جماعة الاتحاد والترقي ، وكان هدفها -  
كما جاء في المادة الأولى من قانونها الأساسي - معاونة جماعة الاتحاد والترقي  
في سبيل المحافظة على أحكام الدستور وتمكين الرابطة الجامعة بينهم من أجل  
خدمة الدولة العثمانية بتوحيد جميع القوميات والأجناس في الولاء للسلطان ،  
وقد ركزت الجمعية اهتمامها على الأمة العربية . فأعلنت عزمها على العمل على  
رفع مستوى الأمة العربية على أساس المساواة مع القوميات الأخرى في  
الإمبراطورية ونشر التعليم باللغة العربية ومراعاة العادات العربية وتنمية  
الثروة في البلاد العربية بإرشاد المواطنين العرب إلى إقامة المصانع ، كما تعهدت  
الجمعية بمساعدة أي عربي له مطلب قيد البحث لدى حكومة الآستانة<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من اعتدال هذه الجمعية وعدالة مطالبها ، فإن بعض العرب

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٩٣ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧ ؛

Antonius, G. : *Op. Cit.*, pp. 102 — 103.

وفي التقرير الذي أصدرته قيادة الجيش الرابع الثاني تبريراً لإعدام الزعماء الوطنيين  
العرب في العام التالي للشووب الحرب العالمية الأولى ، كانت جمعية الإخاء — شأنها شأن  
الجمعيات الأخرى — متهمة بأن لها برنامجاً ذا وجهين ، وجه شرعي علني ووجه سري غير  
معروف ، وأن الإخاء العثماني كان هدفها الظاهر بنها هدفها الحقيقي هو نشر فكرة انفصال  
العنصر العربي ، وأنها استخدمت بعض الصحف في الآستانة ودمشق والقاهرة لترويج هذه  
الفكرة ، ويذكر تقرير الجيش الرابع أن جمعية الإخاء تعاونت مع الحزب المعارض للاتحاد



الذين غالوا في إخلاصهم للدولة العثمانية على حساب بعض حقوقهم القومية المشروعة ، رفضوا الانضمام إلى هذه الجمعية بدعوى الحرص على الإخلاص للدولة وعدم التشويش على جمعية الاتحاد والترقي بكثرة الجمعيات التي تؤلفها العناصر المختلفة ، رغم أن جمعية الإخاء العربي العثماني نصت صراحة في برنامجها السياسي على تأييد خطة جمعية الاتحاد والترقي ، ونصت المادة الأولى على أنها ستعمل على معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي وجمع كلمة الملل العثمانية المختلفة وتمسكين الرابطة الجامعة بينهم خدمة للدولة العثمانية ، مع عدم إهمال شأن العرب .

وكما يبدو من اسم الاتحاد والترقي كان الحكم الجدد في الاستانة يهدفون إلى إقامة عهد جديد من الاتحاد والتقدم للإمبراطورية ، الاتحاد أى تحقيق الانسجام بين جميع العناصر على أساس المساواة ، بحيث يتمتعون بنفس الحقوق ، ويتحملون نفس الأعباء بغض النظر عن اللغة والجنس والدين<sup>(١)</sup> أما التقدم أو الترقى فهو يعنى تجديد وإصلاح الإمبراطورية بعد تحريرها من السيطرة الأجنبية واستبداد عبد الحميد على يد حكومة قوية قادرة ، تقتبس من الغرب نظمته ووسائله في المركزية ، وعلى الرغم من أن العناصر القيادية بين الاتحاديين كانوا من الترك ، فقد ضمت الجماعة عناصر من مختلف القوميات في الإمبراطورية ، حتى لقد صار من المعترف به أن العرب والأكراد والألبان قد أسهموا في إنجاح حركة تركيا الفتاة .

وبإنجاح ثورة ١٩٠٨ انتصرت جماعة القائلين بسياسة إدماج عناصر الدولة

---

== والترقي وساهمت في الانقلاب ضد الدستور عام ١٩٠٩ ( ٣١ مارس - آذار ) وذلك أمر الاتحاديون بكل الجمعية وفروعها .

Saab, H. : Ouv. cit., pp. 226 — 227 : La Verité sur la Question Syrienne ( 1916 ), p. 5.

Tekin Alp : The Turkish and pan — Turkish Ideal (١)

( 1915 ), p. 2 ( National Archives, Washington ).

عن طريق الحكم المركزي على الجماعة التي كانت تنادى باللامركزية ، ومع ذلك فإن فكرة القومية التركية لم تكن بعد قد خطت خطواتها المتطرفة الجريئة ، أو اتسمت بطابع التعصب العنصرى . فإن جمعية الاتحاد والترقى كانت تهدف إلى هتنة كافة القوميات ، وهذا ما كان يسمى ( بالجامعة العثمانية ) إلا أن هذا لم يكن ممكناً في عصر تحركت فيه القوميات ، ومع أن الغرض الذي تقدم به النظام الجديد - وهو حقوق المواطن المتساوية مع الترك - كان مغرباً ، إلا أنه كان نظرياً فقط ، ولذلك فإنه على الرغم من موجة الحماس التي شملت أنحاء الإمبراطورية والأقطار العربية على وجه الخصوص ، فإن فريقاً من المستنيرين العرب كانوا يشكون في حقيقة هذه التجربة الديمقراطية الجديدة<sup>(١)</sup>

ويذكر توينبى أن الاتحاد والترقى كانا هدفين متناقضين ، وأنه عندما أرغمت الأحداث الحزب على الاختيار والمفاضلة بينهما ضحوا بالترقى على أمل إنقاذ الوحدة ، وفي هذه الظروف كان لا بد من استخدام القوة من أجل تماسك الإمبراطورية وتعنى القوة العودة إلى استبداد من النوع الحميدى ، يفرضه الترك وحدهم على باقى العثمانيين من غير الترك ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين<sup>(٢)</sup> .

وكان فرض الاستبداد التركى ، وما صحبه من إحياء الروح القومية التركية من الأسباب الرئيسية للانشقاق بين أحرار العرب وأحرار الترك .

---

Saab, H. ; Ouv. cit. pp. 215—216 .

(١)

Toynbee, A. ; Study of History. Vol. VIII. pp. 261 — 2 (٢)

## الفصل السابع

### مرحلة النفور العربي التركي

إلا أن فترة الوهم العربي التركي لم تطل . إذ لم يلبث أن حل محلها النفور والتباعد والحصام ، وقد تجمعت عوامل شتى أدت إلى هذا التحول في مشاعر العرب نحو الترك ، وكان الترك أنفسهم مسئولين عن ذلك النفور .

#### عوامل نفور العرب من الترك

ومن العوامل التي أدت إلى هذا النفور تفضيل العنصر التركي على بقية العناصر التي تتكون منها الامبراطورية وفي مقدمتها العرب ، وعلى الرغم مما كان يدعيه الزعماء الجدد من الرغبة في تحقيق المساواة ، فقد اتضح أن هذه المساواة كانت ظاهرية ، وأن ما يتخذونه من إجراءات تبين تحيزهم للعنصر التركي ، وقد كتب حسين جاهد في صحيفته (طنين) في أكتوبر ( تشرين أول) ١٩٠٨ أن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية ، وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين ، وأنه لا مجال للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر الجنسية الأخرى ، وأن الدستور العثماني لا يمكن أن يكون في شكله النهائي سوى دستوراً تركياً<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من أن كثيرين من رجال تركيا الفتاة انتقدوا بشدة تصريحات حسين جاهد ، فإن النصرة التالية إنما كانت تأييداً للكلامه ، ويتجلى هذا عند ما كونا الاتحاديون لجائناً لإعادة النظر في الموظفين من العناصر غير التركية ، فعزلوا بضعة عشر متصرفاً منهم ، ولم تعد وزارة الخارجية تضم إلا واحداً من العرب بعد أن كانت تضم اثني عشر منهم .

(١) تولى بيرو : مرجع سبق ذكره ص ٩٦ .

وإلى جانب ذلك أخذ شباب تركيا الفتاة يذيعون الشائعات بقصد الطعن في ولاء العرب للسلطنة العثمانية ، بدعوى أن العرب يسهون من أجل إقامة خلافة عربية .

وكان من أهم عوامل نفور العرب أن الترك كانوا يظهرون الميل إلى فرض اللغة التركية على مختلف عناصر وأجناس الدولة بما فيهم العرب على حساب لغاتها القومية ، فلم يسمحوا بفتح مدارس أهلية تعلم دروسها باللغة العربية ، أما مدارس الحكومة فإنها كانت تدرس البرامج التي وضعتها الحكومة والتي تهدف إلى التثريك ، كما صدرت التعليمات إلى رؤساء المحاكم بأن تكون المرافعات باللغة التركية ، وأبلغت لجان الاتحاد والترقي في الولايات العربية بأن تكون مخابراتها مع اللجنة المركزية في سالونيك باللغة التركية . وفرض على التجار العرب تقديم البيانات إلى دوائر الجمارك باللغة التركية ، ومنع قبول الشكاوى المكتوبة باللغة العربية في مجلس المبعوثان ، وأهمل تعليم العرب حتى أن بعثة قوامها أربعائة طالب أوفدت إلى أوروبا لتحصيل العلوم المالية لم يكن بينها إلا اثنان من العرب .

وما يدل على تعصب الترك لغتهم ومخاربتهم للغات الأخرى تلك الحادثة التي جرت في البرلمان قبل معنى شهر واحد على افتتاحه ، فقد وقف وزير الأوقاف - وهو عربي - ليلقي بيانا عما قامت به وزارته ، وبعد أن ألقى بيانه باللغة التركية اختتمه بدعاء في كلمات عربية ، فحب النواب الترك محتجين على استعمال لغة غير اللغة التركية في المجلس ، ولم يستطع رئيس المجلس تهدئة هذه العاصفة من الاحتجاج على الوزير إلا عند ما أكد للنواب أن ما قاله الوزير ليس إلا دعاء تقليديا ليس من صلب الخطاب وإنما هو دعاء خاص بين الوزير وبين الله<sup>(١)</sup> .

وقد اتخذت هذه المشكلة اللغوية طابعاً دينياً وقومياً ، فإن العربية كانت لغة القرآن وبمنعها اتهم الترك باحتقار الإسلام والعروبة ، فقد أقدموا على شيء لم يقدم عليه سلاطين العثمانيين وهم في أوج قوتهم ، ألا وهو ترجمة القرآن إلى اللغة التركية . وفرض هذه اللغة كلغة تعليم حتى في الأقاليم العربية ، وقد صار هذا الإجراء في نظر العرب جميعاً الأحرار التقدميين والتقليديين أنصار الوحدة الإسلامية على السواء ، يعتبر مظهراً عدائية ضد الإسلام والعروبة ، وكان هذا يعني أن سياسة المشنة تحوات إلى سياسة تبريك<sup>(١)</sup> .

وعما تجدر ملاحظته أنه قبل ذلك سعى جمال الدين الأفغانى لدى السلطان عبد الحميد من أجل إحلال اللغة العربية محل التركية على أساس أن هذا الإجراء من شأنه زيادة هيبة تركيا كدولة إسلامية ، وهيبة السلطان كخليفة على المسلمين في العالمين العربي والإسلامي ، وأيقن جمال الدين أن الأتراك يفترون خطأ فاحشاً بمحاولة تبريك العرب<sup>(٢)</sup> .

كما أن الإجراءات التي كانت تهدف إلى تركيز كل السلطة في الأستانة كانت من ضمن الأسباب التي أغضبت العرب ، فقد كان العثمانيون الأحرار الذين كانوا ينادون باللامركزية يسعون إلى إقامة حكم ذاتي على أساس تعاون كل العناصر على قدم المساواة ، ولكن زعماء الاتحاد والترقي رفضوا هذا الاتجاه وانضح للعرب والقوميات الأخرى غير التركية أن العثمانيين يريدون مركزية على أساس سيادة العنصر التركي<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نرى أن بذور الحركة الانفصالية العربية بدأت تنبثق من تربة القومية التركية منذ عام ١٩٠٩<sup>(٤)</sup> .

Saab : Ouv. cit. pp. 219 - 220

(١)

(٢) الخزومي : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسيني ص ٢٣٦-٢٣٧ .

Saab : Ouv. cit. d. 221

(٣)

Zeine : Ouv. cit. p. 77

(٤)

ومن الأمور الهامة التي باعدت بين العرب والترك سياسة الاتحاديين في الانتخابات ، إذ صمموا على أن تكون أكثرية المبعوثين من الترك أولاً ، ومن المنقسمين إلى جمعية الاتحاد والترقي ثانياً . وعلى الرغم من أن المادة ٧٢ من الدستور تنص على أنه من الواجب على الناخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالي دائرة الولاية التي هم منها ، فإن الاتحاديين لم يتقيدوا بهذه المادة بدعوى أنها لا تفيد الحتمية : ولذلك عمدوا إلى ترشيح مبعوثين من الترك في مختلف الولايات العربية ، وقد فاز منهم خمسة عشر نائباً تركياً ليثلوا الشعب العربي<sup>(١)</sup> وكانت الانتخابات تتم على درجتين ، ويسمى من يشترك في المرحلة الأولى ناخباً من الدرجة الأولى ، ومن يشترك في المرحلة الثانية ناخباً من الدرجة الثانية وكان ناخبو المرحلة الأولى ينتخبون عدداً من المرشحين يكونون بدورهم ناخبين للدرجة الثانية فيقوم هؤلاء بدورهم بانتخاب مبعوثي الأمة .

واهتم الاتحاديون بتكوين جماعات تطوف على المنازل لتسليم الناخبين من الدرجة الأولى جداول بأسماء من يجب عليهم انتخابهم ، وكان هؤلاء بطبيعة الحال من جمعية الاتحاد والترقي ، بحيث إذا ما تقدم ناخبو الدرجة الثانية لانتخاب مبعوثي الأمة لم يختاروا إلا أعضاء اتحاديين .

وقد اتخذ الاتحاديون من الإجراءات في تقسيم الدوائر الانتخابية ما يضمن فوز الترك بأكثرية المقاعد وإغفال حقوق بقية العناصر في اختيار عدد من النواب مناسب لتعدادها وعلى الرغم من أن العرب كانوا يشكلون نحو خمس ( ٢٠ ٪ ) سكان الدولة<sup>(٢)</sup> وتعدادهم يزيد على تعداد الترك فيها ، فقد صار يمثلهم

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ١٠١ .

(٢) كان الاتحاديون يحددون عدد نواب كل منطقة حسب تقديرهم لتعدادها ، ولم يسكن للأقطار العربية تعداداً صحيح في ذلك الوقت .

وقد ذكر جورج الطوبس أن تعداد الدولة كان ٢٢ مليوناً منهم ١٠٠٥ من العرب  
٧٥٥ من الترك Arab Awakening, p. 104

رسمياً خمسة وستون نائباً ، وفي الحقيقة خمسون نائباً فقط ( لأن خمسة عشر من النواب عن الأقاليم العربية كانوا من الترك<sup>(١)</sup> ) من جملة عدد أعضاء المجلس وم ٢٧٥ أى أقل من الخمس ، بينما كان يجب أن يمثل العرب بما لا يقل عن مائة من أعضاء مجلس المبعوثان . وكذلك كان الحال في مجلس الشيوخ حيث لم يكن يمثل العرب سوى ثلاثة من أعضائه الأربعين ، فكان ذلك صدمة كبرى للتفاهم العربي التركي ، وكشفت هذه الإجراءات عن الهوة التي تفصل بين ما يدعيه الترك من المساواة بين مختلف العاصر ، وما يفعلونه في الواقع ، مما أيد مخاوف المنشككين في حقيقة نوايا رجال الاتحاد والترقي .

ومع ذلك فقد ظل بين العرب من كان لا يزال يتمسك بالوفاق مع الترك ، مثل رشيد رضا ورفيق المعظم وشكري غانم ، فاستمروا في الدعوة إلى الاتحاد بين العناصر والتمسك بالجامعة العثمانية ، بل وذهب شكري غانم إلى حد القول بأن عمل الحكومة هذا وإن يكن خاطئاً إلا أنه لم يكن في الإمكان عدم إقراره لعدم إمكان تطبيق المساواة المطلقة خوفاً من نشوب الاضطرابات في الأوساط الإسلامية<sup>(٢)</sup> بل وذهبت مجلة الهلال إلى حد القول إلى أنه « نعم الاستبداد استبداد العادلين العادلين ، وأن العقلاء أجمعوا على أن الشرق لا ينهض به إلا حاكم مستبد عاقل<sup>(٣)</sup> » . وأخذ الشيخ رشيد رضا يهاجم السيد طالب الزنبيب لمنافسته الاتحاديين في انتخابات البصرة .

إلا أن بعض أحرار العرب لم يرغبوا في السير في ركاب الاتحاديين ويتجلى هذا في موقف بعضهم في أثناء الانتخابات النيابية في دمشق فقد أرادوا أن يكون مرشحوها يمثلون دمشق حق التمثيل .

(١) مثل فؤاد خلوصي التركي الذي انتخب نائباً عن طرابلس الشام .

Corresp. d'Orient, 2<sup>eme</sup> Année, no. 7, Janvier 1909. (٢)  
pp. 205-208 .

(٣) للنار مجلة ١١ ، ج ٨ ، ص ٨٦٥ .

( ٩ - حركة البقطة )

## الانقلاب المضاد وموقف العرب منه :

ولكن الموقف لم يلبث أن تبدل ، وتعرض العهد الجديد لمشكلات عديدة داخلية وعارجية ، إذ أن جمعية الاتحاد والترقي - بعد أن سيطرت على مقاليد الأمور - لم تلبث أن وجدت نفسها تواجه حزباً معارصاً ، هو حزب الاتحاد الحر الذي كان ينادى باللامركزية ، وهي دعوة تتعارض مع الاتحاد والترقي الذي كان يدعو إلى المركزية ويتمسك بها ، وبدأ الاحتكاك بين الفريقين حين قتل حسين فهمي محرر جريدة ( الاتحاد الحر ) ، وأعقب ذلك اضطرابات في العاصمة في أبريل ( نيسان ) عام ١٩٠٩ : وتحالفت العناصر ( الرجعية ) من أنصار عبد الحميد مع جمعية الاتحاد الحر وقام فريق من الجنود بقيادة أحمد الألبانيين باحتلال البرلمان وفي أثناء هذا الانقلاب قتل وزير العدل (١) . ولما كانت الثورة (المضادة) مقصورة على العاصمة فقد قررت جمعية الاتحاد والترقي تحريك جيش من سالونيك في مقدونيا نحو العاصمة لأديب العصاة والقضاء على ( الرجعية ) ، ووصل الجيش بقيادة محمود شوكت - وهو من العرب - إلى العاصمة واحتلها ، واجتمع المبعوثون مع أعضاء مجلس الأعيان في هيئة جمعية وطنية وقرروا خلع عبد الحميد مستندين إلى فتوى من شيخ الإسلام ، وأعلن في الوقت نفسه تولية أخيه محمد رشاد على العرش باسم السلطان محمد الخامس (٢) .

ولم يؤثر فشل الانقلاب المضاد على العرب ، فلم يتأثروا بالإجراءات التي اتخذها الاتحاديون عقب إحباطه ، فقد وقف العرب على الحياد أثناء الثورة المضادة ، وأكثر من ذلك كان محمود شوكت يظل الزحف على الأسانة

(١) د . محمد أليس : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٥ .

(٢) المصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١١٢ .



هزياً عراقياً ، كما اشترك في الجيش الزاحف كثير من الضباط العرب مثل  
هزير على المصري ، الذين كانوا متحمسين للقضاء على الحكم المضاد للاتحاديين  
في الآستانة ، إما لأنهم كانوا لا يزالون على ولايتهم للاتحاديين ، وإما لأنهم  
توهموا أن الدستور صار في خطر من جانب الجمعية<sup>(١)</sup>.

وبعد القضاء على الانقلاب المضاد أصبح زمام الأمور في قبضة الاتحاديين ،  
فأقاموا دكتاتورية . وإن كانت تختلف عن دكتاتورية عبد الحميد - إلا أنها لم  
تسكن أقل وطأة منها ، وصارت السلطة في أيدي الوزراء الذين انتقوهم من  
أقوى شخصيات الحزب مثل طلعت بك وجاويد بك و خليل بك وإسماعيل  
حقي باهان بك ، ولم يعد للسلطان محمد رشاد أى سلطة فعلية .

#### سياسة الاتحاديين بعد الانقلاب المضاد :

وقد بدأ الاتحاديون عهدهم الجديد بعد إحباط الانقلاب المضاد بإظهار  
بعض التساهل مع القوميات الأخرى ، بتعيين حسين حلى باشا صدراً أعظم ،  
وكان من الشخصيات المعروفة بالاعتدال ، وخاصة فيما يتصل بالقضايا العربية ،  
حيث أمضى شطراً كبيراً من حياته والياً على البين ، كما كان يجيد اللغة العربية ،  
كما عين خليل باشا حمادة اللبنازي الأصل و وزيراً للأوقاف ، كما أدخل الاتحاديون  
في برنامج جمعيتهم أن يكون التدريس في المدارس الابتدائية باللغة المحلية  
بدلاً من اللغة التركية ، على أن يكون تدريس اللغة التركية إجبارياً في هذه  
المدارس ، أما المدارس الثانوية والعالية فيبقى التدريس فيها باللغة التركية ، أما  
لغة الدولة الرسمية فقد تقرر أن تظل هي اللغة التركية .

وإلى جانب ذلك اهتم الاتحاديون ( بتوسيع المأذونية الإدارية) فقرروا

(١) لوفيتي بيرو : مرجع سبق ذكره ص ١٣١ .

الاهتمام بالمؤسسات الإدارية المحلية ، على أن تؤخذ في الاعتبار احتياجات الأهالي .

إلا أن هذه المظاهر لم تكن إلامراباً خداهاً ، إذ سرعان ما بدأ الاتحاديون يطهرون على حقيقتهم ، عندما أخذ التطرف يحل محل الاعتدال مما أوغر صدور العرب ، مثال ذلك أنهم بدعوى الحفاظ على العهد الدستوري منعوا صدور بعض الصحف متعللين بأن حوادث ١٣ أبريل ( نيسان ) أثبتت أن الدولة غير مهيأة تماماً للحرية المطلقة ، كما شرعوا في حل الجمعيات التي أنشأتها العناصر غير التركية ومن بينها جمعية الإخاء العربي العثماني ، التي حضر افتتاحها - قبل ثمانية شهور - زعماء الاتحاديين في فترة الوثام والانسجام بين العرب والترك<sup>(١)</sup> بدعوى أن أعضائها كانوا ضالعين في الانقلاب المضاد .

كما أخذ الاتحاديون يستبدلون بالوزراء المعتدلين وزراء متطرفين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، متذرعين ببعض الحجج الواهية التي كانت تسوقها جريدتهم ( طنين ) ، مثلما اتهموا فريد باشا الألباني ووزير الداخلية بأنه كان من جواسيس السلطان عبد الحميد تمهيداً للتخلص منه ، كما تخلصوا من خليل باشا حماده وزير الأوقاف بدعوى بطله الأعمال في وزارته ، بينما كل السبب الحقيقي لإبعاده هو أنه عين الأربعة من المثقفين العرب في وزارته مما أثار عليه فائرة الصحف التركية<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من أن وزارة الأوقاف أسندت بعد ذلك إلى شخصية عربية وهي شخصية الشريف علي حيدر إلا أن هذا كان من الاتحاديين ، ولم يلبث هو الآخر أن استقال . الأمر الذي دفع أحد النواب العرب من الاتحاديين في

---

Antonius, G. Ouv, Cit, p. 103.

(١)

(٢) المؤيد ، العدد ٦٥٤٣ الصادر في ١٩١٠/٤/٢٠ .

اجتماع الحزب إلى طلب تفسير سبب استقالة الشريف على حيدر من وزارة الأوقاف . وطالب بأن يكون خلفه عربياً على أساس أن هذه الوزارة كانت من نصيب العرب لفترة ما ، إلا أن حزب الاتحاديين لم يعر هذا الأمر انتفاً ، وظل العنصر العربي غير ممثل في الوزارة العثمانية على الإحلاق إلى أن وقع الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب ، وعندئذ عين سليمان البستاني وزيراً للزراعة والتجارة (١).

#### الاتحاديون وقضية اليمن :

ومن الأمور التي أثارت العرب على الترك موقف هؤلاء من قضية اليمن ، التي كانت النورة فيها لا تنقطع ، واستبشر الإمام يحيى بالهدد الدستوري ؛ ودخل في مفاوضات للصلح مع الترك وكاد الصلح أن يتم بفضل وساطة عزيز على المصري لولا انقلاب أبريل المضاد ، وبعد فشل الانقلاب اختار مجلس المبعوثان لجنة من أعضائه لوضع مشروع لتسوية مشكلة اليمن . وفعلت وضع مشروع معقول يقوم أساساً على تقسيم اليمن إلى ولايتين : إحداهما على الساحل والآخرى في المنطقة الجبلية في الداخل ، على أن تعهد الولاية الجبلية إلى الإمام يحيى ، وعلى الرغم من موافقة مجلس الوزراء على المشروع ورفعته إلى مجلس المبعوثان لإقراره ، وإعلان نصوصه في الصحف فإنه ما كاد طلعت بك يتولى وزارة الداخلية حتى استرد المشروع من المجلس وطلب أن يعهد إليه شخصياً بحل هذه المسألة ، مدعياً أن الحال قد تغيرت في اليمن بهجوم أشياخ الإدريسي على إحدى القوافل ومصرع بعض العسكريين الترك بحيث صار طلعت بك يرى أن الأمر يستدعي استخدام القوة (٢) كما أشاع الاتحاديون أن المشروع

(١) توفيق مرو : مرجع سبق ذكره ص ١٤٨ .

(٢) المؤيد : العدد ٩٩٤ الصادر في ٢١-٢-١٩١٠ .

المقترح يتضمن شبه تقسيم للدولة ومنح امتيازات خاصة لولاية معينة ، وكان الترك يظنون أيضاً أن يطالب الإدريسى في عسير بمثل ما يحصل عليه الإمام يحيى من امتيازات ، بل وخشوا أن تطالب الأقطار العربية بامتيازات مماثلة ، وقد أدى العدول عن تنفيذ مشروع الاتفاق إلى اندلاع نيران الثورة في اليمن مرة أخرى .

كما أخذت الصحف التركية عموماً والاتحادية على وجه الخصوص تشن الهجمات الصحفية العنيفة على العرب عامة ، واليمن خاصة ، فطالبت ( طنين ) باستخدام الأسلوب الاستعماري الانجليزي في اليمن ، كما نشرت ( إقدام ) في فبراير ( شباط ) سنة ١٩١٠ مقالا بتوقيع « خليل حامد » ، ويقال إنه اسم مستعار لأحد ضباط الترك<sup>(١)</sup> انهم فيه أهل اليمن بأنهم « يعبدون المال ، وأنهم في سبيل المال يضعون بكل شيء حتى بأعراض نساءهم »<sup>(٢)</sup> ، مما أدى إلى ثورة العرب في الآستانة : من ضباط ونواب وطلاب ، واندفع الشباب العربي إلى مقر جريدة ( إقدام ) وحطم مكانها ، كما أخذت الصحف العربية في الأقطار العربية ترد الهجوم ونظم الشعراء العرب القصائد في هجاء الاتحاديين<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ١٥٧ .

(٢) الأهرام : العدد ٩٧٣٠ الصادر في ١٧-٣-١٩١٠ .

(٣) من ذلك قول الشاعر يوسف حيدر البعلسكي :

قال لجهول راح يلمّ مرضهم	ولم يدرك أن الويل من جلمهم طرا
لعل أمة الأتراك أضحت فيورة	عليهم وكل الأرض من فطلمهم غربا
ولم يمت الرحمن فيكم محمدا	وفي لغة الأتراك لم تنزل الذكرى
خلافتكم كما كانت بقاءها فطارم	ونلتهم هدى الإيعان من فطلمهم طرا

### سخط العرب على ادارة الاتحاديين :

وقد تضافرت عوامل أخرى أدت إلى تزايد سخط العرب على إدارة الاتحاديين في الأقطار العربية ، ومن الأمور التي أغضبت العرب عامة والعراقيين خاصة ذلك الاتفاق الذي عقده حكومة الاتحاديين مع شركة لينش Lynch ، والذي بمقتضاه انضمت البواخر العثمانية العاملة في أنهار العراق إلى البواخر الإنجليزية في شركة واحدة تحمك النقل النهري في العراق لمدة خمسة وسبعين عاماً ، على أن تكون نصف أسهم الشركة الجديدة مملوكة للحكومة العثمانية والنصف الآخر لشركة لينش والماليين الإنجليز ، وأن يكون مجلس الإدارة من ثمانية أعضاء نصفهم من العثمانيين والنصف الآخر من الإنجليز ويكون رئيسها إنجليزياً<sup>(١)</sup> ، وقد عم السخط بين العرب وخاصة في العراق خوفاً من تزايد النفوذ البريطاني في المنطقة ومع ذلك فقد صدر الامتياز رغم المعارضة له في مجلس المبعوثان .

وإلى جانب ذلك فقد عينت الدولة العثمانية الفريق ناظم باشا وزير الحربية السابق والياً عاماً ذا صلاحيات واسعة وسلطات مطلقة على العراق ، وكان العراق في ذلك الوقت يموج باضطرابات وخاصة في منطقة البصرة ، وقد استطاع ناظم باشا - وقد جمع في يديه السلطتين والمدنية والعسكرية - أن ينجز الكثير من الإصلاحات ، ففضى على الاضطرابات وأخضع القبائل ، هذا إلى جانب الملوك العامة التي أقامها ، مما جعل له سيرة محمودة بين العراقيين ، إلا أن الحكومة العثمانية لم تلبث أن عزلته دون تفكير ، وذلك بأثير الوشاة والحاقدين عليه ، وقد أدى عزله إلى اضطراب الأمن ، وعودة الثورة في العراق تلك الثورة التي أخذ الشعوب القومي يغذيها<sup>(٢)</sup> .

(١) الأهرام : العدد ٩٦٥٤ في ١٥-١٢-١٩٠٩ .

(٢) محمد المهدي البصير تاريخ القضية العراقية ، ص ٩٠ .

ومن الأمور التي أدت إلى سحق العرب على سياسة الاتحاديين في بلادهم موقف حكومة الاتحاديين من الأحداث التي جرت بين الدروز في حوران وجبل الدروز ، فقد ثار الشعور بين الدروز بسبب ارتفاع الأسعار وانتشار الرشوة بين الموظفين ، وتزايد الضرائب والتجنيد ، هذا إلى ما كان يعتور الشعور بين العرب والترك عامة في ذلك الوقت من نفور بدت مظاهره على صفحات الجرائد ، ودخل مجلس المبعوثان .

وبواجهة هذه الفتنة جهزت الدولة حملة بقيادة اللواء سامي الفاروق باشا وهو عربي من أهل العراق - لتأديب الدروز وتجهيزهم من سلاحهم ، وكان أسلوب الاتحاديين في ذلك أسلوباً إنجليزياً ، لأنها توفد قائداً عربياً لإخماد ثورة عربية حتى تظهر أمام الملا بنوايا حسنة ، بينما كان يحيط بالفائدة العربي عدد من الضباط الترك المتطرفين الذين كانوا ينفذون خطة الدولة باسمه ثم تلتصق الدولة هذه الأعمال بالفائدة العربي ، ويتخلى هذا في الغدر بزعيم الدروز يحيى باشا الأطرش والقبض عليه بعد إعطائه الأمان .

وقد آثر المبعوثون العرب هذه التصرفات في مجلس المبعوثان وانتقدوا موقف الحكومة بما اضطرها إلى إيفاد لجنة للتحقيق في الفظائع التي ارتكبت<sup>(١)</sup>.

#### الاتحاديون ومسألة فلسطين :

ومن الأمور التي أدت إلى استياء العرب من الاتحاديين موقف هؤلاء من مسألة فلسطين والأطباع الصهيونية فيها ، وهو موقف يتسم بالتراخي إذا ما قورن بسياسة الدولة على عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، خصوصاً وأن اليهود في فلسطين انتهزوا فرصة ثورة ١٩٠٨ وشعارات الحرية التي كانت ترددها

---

(١) توفيق برو . مرجع سبق ذكره ص ٣١٨ .

لكي يطالبوا بانتخاب السبويين لبرلمان العثماني حتى يتمكنوا من عرض مطالبهم الخاصة بحصول فلسطين على الحكم الذاتي<sup>(١)</sup>.

كما أنه عقب الثورة التركية مباشرة عين دكتور فيكتور جيسكيسون - وهو صهيوني روسي المولد وكان يدير فرع الشركة الإنجليزية الفلسطينية في بيروت - ممثلاً للمنظمة الصهيونية في الأستانة، الذي أخذ يتعاون مع كبير الحاخامات واليهود الخسة الذين كان يضمّنهم البرلمان العثماني على أساس عدم معارضتهم لليهود الصهيونية في فلسطين<sup>(٢)</sup>.

وعندما انتشرت القلاقل في فلسطين بسبب نمو النفوذ اليهودي سمح قائمقام طبرية لليهود بتكوين حرس خاص بهم بدعوى الخوف من أن تنزل بهم مذابح مماثلة لما نزل بالأرمن<sup>(٣)</sup>.

ولذلك فإن صحيفة عربية كانت تظهر في باريس وتسمى ( نهضة العرب ) أخذت تهتم بالاتحاد والترقي بالتفام مع اليهود ، وذهبت إلى حد القول بأن اليهود يسيطرون على هذه الجمعية وأنهم هم الذين خططوا للثورة ، وإن هدفهم النهائي هو التعميل بانهايا الإمبراطورية حتى يمكنهم الفوز بفلسطين لإقامة

---

CZA (Central Zionist Archive) W/198 11 ( 25. 8. 1903). (٢)

G. Levontin ( Jaffa ) to Wolffsohn (cologne) citées dans : St. —  
— Antony's papers, no. 17 ( ed Alb Hourany ) Oxford Univ.  
Press, 1965 'Turks Arabs & Jewish Immigration into Palestine  
( 1862 — 1914 ) by Nevill's Mandel, pp. 77 — 108,  
Ibid Z2/7 ( Several letters, Oct. 1908 — Feb 1909 ) V. (١)

Jacobson ( Constantinople ) to Dr. Wolffsohn ( Cologne ).

J.C.A. ( Jewish Coloniza'tion Association, no. 294 ( 7. 6 (٢)

1907 ). E. Krause ( Sej-ra ) to J C A ( Paris ) citées dans :  
Neville Mandel ; Ouv. Cit.

دولة يهودية<sup>(١)</sup>.

وفي حيفا أصدر نجيب نصار صحيفة (الكرمل) منذ أواخر عام ١٩٠٨، وفيها أخذ يحمل على الصهيونية والمستوطنين لليهود، وفي عام ١٨٠٩ عطلت السلطات صحيفة (الكرمل) مرتين، وفي عام ١٩١٠ قدم نصار للمحاكمة بتهمة سب اليهود. ولو أنه أفرج عنه على أساس أن كتاباته تهدف إلى خدمة الإمبراطورية عن ضمير مخلص.

وإذا ما كان يشاع عن حصول اليهود على أراض في فلسطين توالى برقيات الاحتجاج من حيفا والناصرة على الاستانة في مايو (أيار) ١٩١٠م، ونشرت البرقيات في الصحف، وأخذ النواب العرب يطالبون الحكومة العثمانية، وطالعت بك وزير الداخلية على وجه الخصوص، باتخاذ إجراءات أكثر صرامة لمنع دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين ووقف بيع الأرض لهم<sup>(٢)</sup>. كما وجه شكرى بك العسلى قائمقام الناصرة خطاباً بتوقيع مستشار (صلاح الدين الأيوبي) إلى سامي باشا الفاروقى القائد الذى أرسلته الحكومة العثمانية إلى الشام في أواخر عام ١٩١٠ لإخماد اضطرابات حوران وقد شرح العسلى للقائد ازدياد إمكانيات اليهود في فلسطين بحيث صار لهم علمهم الأزرق الذى تتوسطه نجمة داود، وكيف يعملون أبناءهم المصارعة والمبارزة، ويملاون بيوتهم بالأسلحة وجعلوا لأنفسهم خدمة بريدية خاصة<sup>(٣)</sup>.

كل هذه الشواهد جمعت سخط العرب على الحكومة المركزية في الاستانة يزداد، وصاروا يمتدنون أن الوطن العربى سيضيع لليهود بموافقة الاتحاديين الضمنية.

(١) Public Record Office, F. O. 371/992 File 177, no. 992 (27. 12. 1909), G. Tarling (Constantinople) to Sir. Ed. Grey (F. O. 3; The Times (14, 4. 1911) etc. citées dans Neville Mandel : Ouv. Cit.

Ibid 195/3151 minute (13. 6. 1910), by G. H. Fitzmaurice (Constantinople) : no. 25 (21. 5 1910). H. E. Satow (Jerusalem) to Sir G. Lowther (Constantinople).

(٣) من الكرمل في ١٢/٨/١٩١٠.



وفي خريف ١٩١٠ باع إلياس سرسق ( من بيروت ) للصهيونية مساحة  
خيرية قليلة من الأرض الزراعية الجيدة في فلسطين بين الناصرة وجنين ، فقامت  
عنده حملة قوية في الصحافة العربية ، وحاول شكرى بك العسل الذي تقع  
الأرض المبيعة في منطقته أن يحول دون إتمام البيع دون جدوى وتم البيع  
في يناير ( كانون أول ) ١٩١١ ، ولذلك فإنه في نفس الشهر قدم ما صار شكرى  
العسل نائباً عن دمشق في البرلمان العثماني أخذ على عاتقه بحث المسألة الصهيونية  
وطاؤه في ذلك روحى بك الخالدي بمبعوث القدس .

وقد وزع العسل على أعضاء مجلس المبعوثان طوابع بريد أصدرها  
الصهيونيون في فلسطين ، تحمل اسم هرتزل ونوردوا وأوضح ما يحيطون به  
أنفسهم من نفوذ ، وأنهم يريدون شراء الأرض المشرقة على سكة حديد  
الحجاز بغية التوسع في سوريا حتى العراق . ثم تحدث روحى بك الخالدي  
مردداً ما جاء في التوراة عن أمانى اليهود في استعادة ملك فلسطين ، منها إلى  
ازدياد عددهم حتى أصبح في متصرفية القدس وحدها - على حد قوله -  
مائة ألف يهودى ، وأن القوانين التي سنتها الحكومة طهرتهم وتخصيص جواز  
السفر الأحرار الأجانب منهم لم تنفع في منع هجرتهم لأنها لم تنفذ ، وكيف  
أسسوا بنك الاستثمار اليهودى .

وعندئذ قام النائب اليهودى لاسيم مزلياح أفندي<sup>(١)</sup> وطالب التحقيق دفعا  
للاشكوك ، معلناً تمسك اليهود العثمانيين بمشائيتهم ، وحاول أن يؤلب الحكومة  
على التواب العرب الذين أثاروا هذه المسألة ، مدعياً بأنهم لم يشيروها إلا من  
أجل معارضة الحكومة . ثم قام خليل بك وزير الداخلية بإعلان أن اليهود  
العثمانيين ليسوا من دعاة الصهيونية ، أما اليهود الأجانب فإن الحكومة

---

(١) تولى منصباً وزارياً في ما - ١٩١٣ في وزارة التركية عقب سقوط حكومة  
الائتلاف ، بينما لم يكن في هذه الوزارة عرب واحد ( توفيق مرو : مرجع سبق ذكره  
ص ٢٨٣ ) .

سوف تتخذ الوسائل حتى لا يجتمعوا في مكان واحد<sup>(١)</sup>، مؤكدا أن الحكومة ستبحث تنفيذ القبول القائمة وكان هذا هو كل ما وعدت به الحكومة.

ولذلك فقد استمرت معارضة العرب للاتحاديين، الأمر الذي دفع مؤلاء إلى التفكير - في أواخر عام ١٩١١ - في إصدار تشريع جديد ضد الهجرة اليهودية، من أجل تهدئة العرب<sup>(٢)</sup>.

وبعد مؤتمر باريس حاولت حكومة الاتحاديين تهدئة العرب مؤقتاً بأن وعدت بتلبية مطالبهم الخاصة بمواجهة الاطماع الصهيونية في فلسطين، ولكن من ناحية أخرى أبلغ الاتحاديون الصيونيون عن طريق كبير الخاضعات في الأستانة (حاجام باشي) بأنهم إذا استطاعوا التفاهم مع العرب فإن الاتحاديين كفيلون بمعالجة الموقف أى القضاء على القيود المفروضة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>(٣)</sup>.

فقد كان الاتحاديون يريدون الحصول على أموال يهودية .. في مواجهة حرب البلقان - وفي سبيل ذلك فكر الاتحاديون في تقديم تسهيلات للصهيونية، ولذلك فإنه قبيل نهاية عام ١٩١٣ ألغيت مهلة الثلاثة أشهر المحددة لإقامة الحجاج اليهود في فلسطين بدعوى أن حكام القدس وبيروت قرروا أنها لم تحقق الغرض منها<sup>(٤)</sup>.

(١) الأهرام : العددان رقم ١٠٠٩١، ١٠٠٩٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦/٥/١٩١١.

(٢) Central Zionist Archive, Z3/43 (30, 12, 1911 & 4, 1, 1912). V, Jacobson & Auerbach (Constantinople) to Smaller (Zionist) Actions Committee (Cologne), in Neville Mandel, Our Cit.

Ibid, Z3/47 (25 9, 1913) V, Jacobson (Berlin) to R. (٣) Leichtheim (Constantinople).

Public Record Office, F. O. 195/2152, file 1254, no. 67 (٤) (27, 10, 1913). W. Hough (Jaffa) to, Mc Gregor (Jerusalem) in Neville Mandel.

كما أن ثلاثة من أشد الصحف العربية عدااة للصهيونية عطلت لمدة متفاوتة وهي : المقتبس في دمشق ، والكرمل في حيفا ، وفلسطين في باقا ، وسمح بانتاح جمعية سبونية في الآستانة ، وعلى الرغم من تحذيرات رجال الإدارة في فلسطين من النتائج التي قد يحدثها على الرأي العام العربى لإلغاء القيود المفروضة على شراء الأرض ، فقد استمر انتقال الأرض في فلسطين إلى الصهيونيين دون صعوبة كبيرة (١) .

سخط العرب على موقف الاتحاديين من الاعتداء الإيطالى على طرابلس الغرب ؛ بعد أن حققت إيطاليا وحدتها عام ١٨٧٠ سمحت لكي تتخذ لنفسها مكاناً تحت الشمس ، وتشارك الدول الأخرى في تكوين إمبراطورية استثمارية في إفريقية ، تلك القارة التي أخذت الدول الأوروبية تتسابق - في القرن التاسع عشر - من أجل الاستحواذ على أقاليمها المختلفة وتطلعت أنظار إيطاليا - بادية ذى بدء - إلى تونس ، إلا أن فرنسا كانت هي الأخرى تطمع فيها ، وقد أدت الظروف الدولية في أوروبا وقتئذ إلى جعل فرنسا تسبق جارتها الكاثوليكية إيطاليا إلى تونس عام ١٨٨١ ، بينما الدول الأوروبية تغض الطرف بل وتشجع فرنسا .

ونتيجة لذلك تحولت أنظار إيطاليا إلى شرق إفريقية لكي ترث الإمبراطورية المصرية في تلك الأصقاع ، إلا أن مزينة القوات الإيطالية على أيدي الأحباش في واحة عدرة جعل إيطاليا تتخلى عن أحلامها في إمبراطورية واسعة في شرق إفريقية مكنتها بالصومال وإثيوبيا لكي توجه أنظارها مرة أخرى إلى الشمال الإفريقي وإلى طرابلس الغرب هذه المرة .

---

[Neville Mandel : Turks, Arabs & Jewish Immigration into (٢) Palestine ( 1882 - 1913 ) in St. Antony's Papers no. 17. ( Oxford Univ. Press 1965 ), pp. 77 — 108.

وأخذت إيطاليا - بعد أن اطمأنت إلى عدم معارضة الدول الأوروبية لها - في تدعيم نفوذها في طرابلس الغرب بإنشاء المدارس والبنوك والشركات وتوظيف روس الأموال ، وإيفاد البعثات التبشيرية والحصول على امتيازات مختلفة (١) .

وعلى الرغم من انضاح مطامع إيطاليا في طرابلس الغرب ، فإن الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الإقليم لم تتخذ ما يلزم من إجراءات لدعم الدفاع عنها بل أهملتها في مختلف نواحي النشاط والعمران ؛ بل وسحبت منها معظم قواتها لمواجهة الثورات ضد الدولة في ألبانيا واليمن ، وقد بلغ من إهمال الترك أنه بعد عزل والي طرابلس الغرب في سبتمبر (أيلول) ١٩١١ لم يمينوا والياً آخر ، ولذلك كانت البلاد بدون وال عندما بدأ العدوان الإيطالي عليها .

وإذ أيقنت إيطاليا أن الظروف مواتية للاستحواذ على طرابلس الغرب وجهت قواتها البرية والبحرية إليها في أواخر سبتمبر (أيلول) ١٩١١ بعد أن وجهت إلى حكومة الباب العالي إنذاراً بعدم مقاومة الاحتلال الإيطالي .

وقد أثار العدوان الإيطالي على طرابلس الغرب الكتاب العرب فهاجموا حتى باشا الصدر الأعظم لإهمله ، بل واتهموه بالتواطؤ مع إيطاليا (٢) وطالبوا بتقديمه ووزرائه إلى محاكمة عسكرية ، وعلى الرغم من استقالة حتى باشا وتنصل الاتحاديين من المسؤولية بإلقاء تبعة ضعف الأسطول عثمانى

---

(١) د . هولا زيادة : ليبيا من الاحتلال إلى الاستقلال ص ٨٠ .

(٢) كان حتى باشا قبل ذلك سفيرا للدولة في إيطاليا .

على عائق العهد البائد ، فقد استثمرت المعارضة سواء من جانب العرب أو من جانب الترك أعداء الاتحاديين .

وعلى الرغم من تدهور العلاقات بين العرب والاتحاديين بسبب هذا الإهمال ، فإن شعور العالم العربي اتجه إلى مساعدة الدولة مادياً وأدبياً لدفع ثأمة هذا الخطر الأجنبي النصراني ، فانهالت التبرعات ، وتدفق المتطوعون من مختلف الأقطار العربية وفي مقدمتها مصر ، وبد كما لو كانت الرابطة الدينية مستجمع ما بين العرب والترك مرة أخرى .

كما أن العدوان الإيطالي على طرابلس الغرب جعل العرب يدركون مزية اللامركزية ، وأيقنوا أن الاتحاديين لو تركوا شئون طرابلس الغرب لأهلها لما وقع العدوان ، خصوصاً وأن التجربة التي خاضها القادة : أنور ، وعزيز علي المصري ، ومصطفى كمال الذين تطوعوا للذهاب إلى طرابلس الغرب لتنظيم أمر الدفاع عنها على رأس الضباط العرب المتطوعين والذين انضم إليهم الطرابلسيون والمتطوعون المصريون ، والسودانيون . هذه التجربة نجحت في إيقاع الغزو الإيطالي عند الشواطئ مما زاد من اقتناع الساسة الوطنيين العرب بأفضلية اللامركزية<sup>(١)</sup> .

وعندما علم المبعوثون العرب أن حكومة الاتحاديين — قبل سقوطها في يوليو (تموز) ١٩١٢ — كانت تنوى عند صلح مع إيطاليا على أساس ترك السواحل الطرابلسية الإيطاليين مع بقاء برقة وداحلية البلاد تحت السيادة العثمانية<sup>(٢)</sup> ، انبرى المبعوثون العرب لفضح نوايا حكومة الاتحاديين ، ووقف

(١) ساطح الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١١٩ .

Documents Diplomatiques Française.-8 eme Serie, Tome (٢)

III, no. 47 .

النائب العربي خالد البرازي مبعوث حماة ليعلم أنه إذا استصدرت الحكومة فرماناً يُلحق طرابلس الغرب بإيطاليا ، فإنني أقول باسم الأمة العربية أننا نحمو هذا فرمان بدمنا ولو لم يبق عربي على وجه الأرض . . .

ومع ذلك فإنه بعد تفلي الاتحاديين عن الحكم حملوا لواء المعارضة ضد وزارة مختار باشا الغازي ( الائتلافية ) في محاولة التوصل إلى اتفاق مع إيطاليا ، وخصوصاً بعد أن بدت في الأفق نذر حرب البلقان ، وكان أن توصلت حكومة الائتلافيين إلى عقد صلح أوشي في ١٨ أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٢ على أساس انسحاب القوات والموظفين العثمانيين من طرابلس الغرب وبرقة تحت ستار منح هذه البلاد الاستقلال الداخلي مقابل انسحاب إيطاليا من الجزر التركية التي كانت قد احتلتها في بحر إيجة ، أما إيطاليا ، فقد استمرت في العمل بالمرسوم الذي كانت قد أصدرته منذ ٢٥ فبراير ( شباط ) ١٩١٢ وبمقتضاه صارت طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين للسيادة الإيطالية<sup>(١)</sup> .

وقد كان لعقد هذا الصلح أثر سيء على العرب أهالي طرابلس الغرب ، فقد ترتب عليه حرمانهم من معونة الضباط العثمانيين ، والمساعدات المالية والأسلحة التي كانت ترسلها الدولة ، كما كان لهذا الصلح أثره السيء على العرب في الأقطار العربية الأخرى ، لأنه كان دليلاً على تهاون الدولة ، واعتبروا هذا التصرف بمثابة تسليم العرب لأعدائهم ، الأمر الذي اضطر عزيز على المصري - الذي ظل يدير دفة القتال بعد انسحاب الضباط الترك - إلى العودة إلى القاهرة ، ومنها إلى الأستانة بعد أن أيقن من استحالة مواصلة القتال .

---

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٤٠٣ .

### المعارضة العربية في مجلس المبعوثان :

ولم يقتصر نضال العرب ضد الاتحاديين على صفحات الجرائد ، بل اتخذ من ساحه مجلس المبعوثان ميداناً كان أفضل من ميدان الصحافة ، لأن مجلس المبعوثان كان المكان الوحيد الذي لم يقع تحت ضائلة الأحكام العرفية في العاصمة التركية ، هذا إلى جانب أن الصحافة كانت تقيد أقرارات التي تحد من حريتها ، وهي القرارات التي أصدرها مجلس المبعوثان بعد الانقلاب المضاد ، والتي تمنى للصدارة النظامي صلاحية ، اتخاذ ما يجب ضد المطبوعات التي تجرأ على نشر مواد مغالطة للثنايف العثمانية وماسة بكرامة الأمة وبالشرف العسكري ، أو تشيع الفرقة والخلاف ، (١) .

ومن الموضوعات التي أثيرت في مجلس المبعوثان ووقف فيها العرب موقف المعارضة ، موضوع تسوية حكومة الاتحاديين في اعتماد إعادة انتخاب جامي بك وهو تركي مبعوثاً عن فزان بطرابلس الغرب ، ورغم احتجاج نواب العرب ، فقد أغلق باب المناشئة .

وفي مناسبة أخرى نوقشت المادة ٤ من نظام الاجتماعات العامة ، وهي المادة التي وضعها الاتحاديون بقصد منع تشكيل الجمعيات السياسية ذات الأهداف القومية ، ولكن القوميات الأخرى في الإمبراطورية العثمانية رأت في هذه المادة إضعافاً لها دون القومية التركية . فنارضا مندوبوها بما فيهم العرب ، وإن كان البعض قد لاحظ أن معارضة عبد الحميد الزهراوي المبعوث العربي كانت تنعم بروح الاعتدال (٢) .

ومع ذلك صدرت موافقة المجلس على هذه المادة بأغلبية ٩٠ صوتاً ضد ٦٩ مما يدل على تسكتل مبعوثي القوميات الأخرى ضد هذه المادة .

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .

كما نكثرت المبعوثون العرب لا انتخاب مبعوث بيروت سليمان البستاني  
نائبا لرئيس المجلس النيابي . وفي أبريل ( نيسان ) ١٩١٠ اشترك مبعوث دمشق  
شفيق بك المؤيد العظم في مناقشة الميزانية ، وكان حديثه ذا صبغة موضوعية  
إذ تنازل الميزانية بالتعاليق كما تحدث عن الضرائب .

وإلى جانب ذلك فقد هاجم شفيق المؤيد حكومة الاتحاديين بسبب  
قيودها على حرية الرأي ، وخاصة في أثناء إثارة مسألة مقتل الصحفي أحمد صميم  
محرر جريدة ( صداى ملت ) - أى صدى الشعب ، واتهام جمعية الاتحاد  
والترقي بتدبير الجريمة فانتقد النائب العربي رضا بك الصلح مبعوث بيروت  
الحكومة الاتحادية لعدم إظهار الجناة .

وهنا نقسام : إلى أى مدى كانت المعارضة العربية في مجلس المبعوثان  
ذات صبغة قومية ؟

إننا نلاحظ أعراض هذا النشاط العربي نجد أنه يكاد ينحصر في مجرد المطالبة  
بإصلاحات في البلاد العربية ، ومن أم الإصلاحات التي كان يطالب بها العرب  
التوسع في نظام اللامركزية الإدارية ، وتمثيل العرب في وظائف الدولة تمثيلا  
يتناسب مع نسبتهم العددية بين سكان الإمبراطورية العثمانية ، ويتجلى هذا في  
موقف شكري العسلي النائب الدمشقي في مجلس المبعوثان أثناء شهر مارس  
( آذار ) سنة ١٩١١ ، عندما أعلن أنه باستثناء أسماء الموظفين المنشورة في  
( السالنامة ) أى حولية الحكومة لم يجد بينها إلا أسماء قليلة جداً من العرب  
الذين منهم نصف السلطة ، كما أننا نشترك مع بقية العناصر في دفع الضرائب ،  
والقيام بالتكاليف . وهناك من أبناء العرب شبان أكفاه خرجوا من  
المدارس العليا ، وطالب بإصدار قانون عادل لترقية الموظفين . . . وهذا  
ما نطالب به بلسان الأمة العربية وبالصياغة (١) .

---

(١) توفيق برو : مرجع سبق ذكره ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .



وقد وجه الاتحاديون اليوم النائب العرب لإثارته هذه المسألة التي اعتبروها من قبيل النمرة الجنسية ، وانهايات الصحف التركية تهاجم شكري العسلي ، كما حاول الاتحاديون بذر الفرقة والانقسام في صفوف العرب ، فاعزوا إلى بعض النواب العرب الموالين لهم<sup>(١)</sup> بإرسال برقيات إلى الصحف يطلبون منها عدم التعرض للأمور التي أثارها شكري العسلي ، ويهيئون بها للتمسك بالجامعة الإسلامية العثمانية ونبد النمرة الجنسية ، وتحاشي الضرب على نعمة ( العرب والترك ) ، وقد أثارت هذه البرقية معارضة المسيحيين الذين عبروا عن مخاوفهم من ترديد عبارة الجامعة الإسلامية العثمانية .

ولما كان العرب - حتى ذلك الوقت - لم يتطلعوا إلى أكثر من تطبيق الحكم اللامركزي في إدارة أقاليمهم ، وتوسيع صلاحيات هذه الإدارة اللامركزية فقد انضم كثير من العرب إلى حزب الحرية والائتلاف الذي تشكل في نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١١ ، وانضم إليه الحزب الحر المعتدل ، وانضم إلى الحزب الجديد النواب العرب المنشقون على حزب الاتحاد واترقى ، خصوصا وأن برنامج الحزب الجديد كان ينص على « توسيع المأذونية وتفريق الوظائف ، إلا في مسائل الدفاع عن الوطن ، أو المنافع المشتركة بين الولايات ، مع بقاء مبدأ الرابطة العثمانية وشجب الاعتماد على الفكرة القومية والإسلامية التي تمنع الائتلاف الحقيقي واتحاد العناصر ، مع تسليم أعمال الولايات المحلية كالتعليم والأشغال العمومية والتجارة والصناعة والزراعة للإدارات المحلية »<sup>(٢)</sup> .

ولم يستطع العرب في ذلك الوقت تشكيل حزب على عرب صرف نظراً

(١) منهم فؤاد خلوصي نائب طرابلس الشام ( وهو تركي ) وعبد الوهاب قرطاس ( البصرة ) وسليمان الباروني ( طرابلس الغرب ) .

(٢) توفيق برو مرجع سبق ذكره ص ٣٠٤ .

لأن المادة الرابعة من قانون الجمعيات - كما سبق وأشرنا - كانت تمنع تشكيك الأحزاب أو الجمعيات السياسية على أساس قومي ، إذ كان ذلك العمل يعتبر خروجاً على الدستور والجامعة العثمانية ، وتسم القائمين به بالخيانة وإثارة النمرة الجلدية .

• • •

ولم تقتصر متاعب الاتحاديين على الأحداث الداخلية، بل اقترنت ببعض السكوارات الخارجية بسبب اهتمام حركة الاتحاد والرقى بالمحافظة على الدولة العثمانية وتماسك ممتلكاتها أمام ضغط بعض الدول الأوروبية، وكان مما أثار هذه الدول أن ظلت الدولة العثمانية إلى ذلك الوقت محتفظة ببعض الأقاليم المهمة في أوروبا مثل البوسنة والهرسك وكريت ومقدونيا، وحتى بلغاريا، ومن ثم لم ترحب روسيا والإمبراطورية النمساوية والمجرية بحركة تركيا الفتاة خشية أن تنجح في أن تخلق من تركيا دولة كبرى قوية، وبذلك يصير من الصعب على هذه الدول تحقيق أطامعها الاستعمارية، ولذلك قررت الدول الأوروبية تغيير سياستها السابقة<sup>(١)</sup>. فسحبت ممثلها من هيئات المراقبة الدولية في مقدونيا، وهددت بضمة أشهر من إعلان المشروطية الثانية (٥ أكتوبر - تشرين أول ١٩٠٨) - أعلنت بلغاريا استقلالها عن الدولة بصورة رسمية، ولم تلبث أن أعلنت النمسا في السابع من الشهر نفسه ضم مقاطعتي البوسنة والهرسك (ولربما بتشجيع ألمانيا التي فقدت نفوذها في تركيا بعد الثورة مباشرة<sup>(٢)</sup>) .

وفي خلال السنة الثانية من المشروطية اتحدت كريت مع اليونان، وفي

---

Emin : Turkey in the World war ( 1930 ) p. 42 (١)

Emin : Ouv. Cit. p. 6. (٢)

Fisher, Sidney - The Middle East ( 19٠0 ) pp. 3١2 - 3.

عام ١٩١١ قامت إيطاليا بالاستيلاء على طرابلس الغرب ، كما تحركت روسيا وحاولت أن تقنع الدولة بالسماح للسفن الحربية الروسية بالمرور في المضائق ، وعندما رفضت - بتحريض بريطانيا وألمانيا - عمدت روسيا إلى تشجيع شعوب البلقان على التسلل بزعامة الصرب للعمل على تهفئة مانق من الامتيازات التركية في البلقان ، فقامت حربا البلقان الأولى ( ١٩١٢ ) ، والثانية ( ١٩١٣ ) وكان من أهم نتائجهما انكشاف الدولة العثمانية في أوروبا بعد انهزاماتها المتكررة أمام الدول الأوروبية مما حدا بالأتراك إلى التركيز على ممتلكاتهم في الشرق الأدنى وخصوصاً الولايات العربية<sup>(١)</sup>.

#### تطور سياسة الاتحاديين تجاه القوميات في الامبراطورية :

ولقد مرت سياسة الاتحاديين تجاه القوميات في الامبراطورية عموماً واتجاه العرب على الخصوص في الفترة ما بين توليهم الحكم وقيام الحرب العالمية الأولى بعدة أطوار ، أملت فيها الحوادث والظروف التي كانت تمر بها حكومة الاتحاديين ، والتي أشرنا إلى بعضها .

أما الطور الأول فقد كان طور العثمانية أو الجامعة العثمانية ، فإن أهم اتجاه لرجال الاتحاد والعرفي عقب توليهم الحكم كان تحويل الإمبراطورية إلى أمة عثمانية بـ"تساوي فيها رعايا السلطان على اختلاف لغاتهم وجملياتهم ومعتقداتهم ومواهبين متساوين في الحقوق والواجبات"<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من هذه المساواة فإن هذا المبدأ لم يكن مقبولاً لدى القوميات الأخرى غير التركية التي كان معنى تمسكها بالعثمانية تخليها عن قوميتها الأصلية

---

(١) د. محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(٢) Tekin Alp : The Turkish and Pan-Turkish Ideal, 1915 (٢) p. 2, National Archives ; Washington .

ومن ثم كانت فكرة العثمانية فكرة غير طبيعية ليست لها جذور متصلة بين شعوب الإمبراطورية ، ولذلك لم يكن مقدراً لها أن تسكسب ولاء أحد ، ويشبه أحد المؤرخين الإنجليز هذه المحاولة ببنيان يشيد على الرمال<sup>(١)</sup> ، ولم يلبث أن عصف الاتحاديون بمبدأ المساواة بين مختلف العناصر والطوائف إذ انجموا نحو مراعاة مصالح الترك على حساب إخوانهم العثمانيين واتجهوا إلى حكم الإمبراطورية على أساس سيادة العنصر التركي ، وقد كان من العسير على الاتحاديين المضي قدماً في سياستهم على أساس المساواة بين الآراك وبين غيرهم من رعايا الدولة ، لأن حركة القومية التركية بدأت تشتد في الآفاق وكانت تهدف إلى إعلاء القومية التركية ، وكان هذا المبدأ يتعارض مع مبدأ العثمانية ، ولم يفتن رجال الاتحاد والترقي إلى هذا التعارض ، وإذا كانوا قد فطنوا إليه فقد حارلوا التوفيق بينهما ، وهو أمر لا رجاء فيه لأنهم باتجاههم إلى هذا السبيل قد أثاروا القوميات الأخرى وخصوصاً العرب الذين طلب إليهم أن يخلصوا لمبدأ العثمانية . ثم اتضح لهم بعد ذلك أن الأمر مجرد إدعاء وأنه لا يعنى سوى أن يتخلوا عن قوميتهم وأن يستسلموا لسياسة التريك من أجل الإبقاء على الوحدة<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من أن الاتحاديين في بداية عهدهم كانوا ينادون بفكرة الجامعة العثمانية إلا أنهم من أجل المحافظة على كيان الإمبراطورية رسمياً وراء مصالحهم كانوا ينمسكون بفكرة الوحدة الإسلامية أيضاً ويتشبثون بها كلما اوجتهدوا الظروف واستخدموها في محنتهم كالحرب الطرابلسية مع إيطاليا وحروب البلقان .

---

(١) Kedourie : England and the Middle East, ( 1956 ) p. 59

Antoniou : Op. Cit. pp 106 — 7.

(٢)

تم ظهر الاتجاه نحو التريك على وجه الخصوص إثر فشل الانقلاب المضاد عام ١٩٠٩ إذ أصبحت مقاليد الأمور في يد الأتراك الأحرار لا ينازعهم فيها منازع ، ومنذئذ عمدوا إلى سياسة تريك الامبراطورية العثمانية فأصبحت اللغة الرسمية في كل الولايات العثمانية هي التركية وأصبحت معاهد التعليم تركية مائة ، كما اقترن التريك بمركزية في الحكم ، وقوى هذا الشعور ، إذ أن الحركة القومية التركية الصرّف بدأت تظهر في الأفق ويرجع أساءها إلى توكيد الأصل الطوراني للشعب التركي مما أدى إلى الاعتقاد بأن وسيلة إحياء الشعب التركي إنما تسكن في توحيد الشعوب المتشابهة والتي من أصل طوراني والتي كان معظمها تحت الحكم الروسي ، هذه هي فكرة الجامعة الطورانية وهدفها إعلاء القومية التركية وتأكيد الصلة بين الترك في الامبراطورية العثمانية وإخوانهم في وسط آسيا ، ومما قوى الاتجاه الطوراني لدى الاتحاديين أن فكرة الجامعة العثمانية لم تمنع روسيا من احتضان رعايا الديلة في البلقان استناداً إلى الجامعة العنقلية فكان هذا دليلاً على أن رابطة القومية المشتركة أقوى من أى رابطة أخرى (١) .

والحركة الطورانية حركة تركية بحثة تقوم دعوتها على اعتبار أن الأتراك عنصر نقي ممتاز يكون قومية على غرار القوميات الأخرى ، فهي دعوة إلى الوطنية المتطرفة ، دعوة إلى تفوق قومية معينة على غيرها من القوميات وقد دعم زعماء هذه الحركة وجهة نظرهم بأساليب علمية دخلها كثير من المغالطة والتضليل شأنها شأن الحركة القومية القائمة على أساس جنسي كالنازية الألمانية (٢) ، وهدف هذه الحركة تكوين دولة تركية غالبة تضم شتات العناصر التركية المبعثرة ، وقد ظهر هذا الاتجاه الجديد نحو الطورانية في أثناء الحرب البلقانية التي أثارت في الترك نبرة القومية التركية وجمعتها تعافى

(١) Linczowski : The Middle East in world Affairs, (1957).

(٢) د . محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ١١٨/١١٦ .

على الوحدة العشائية ، فقد أثارت كارثة البلقان في الترك شعوراً جديداً ، إذ جعلهم يشعرون بأنهم يختلفون عن القوميات الأخرى في الإمبراطورية ، كما أن تدفق الأعداد الكبيرة من اللاجئين الترك . الهاربين من وجه المذابح التي نزلت في البلقان ، على الأستانة والأناضول يروون قصص الاستشهاد وما عانوه على يد مسيحيي البلقان أثار شعوراً بالمطف على كل ما هو تركي والتعلق به ، وبذلك صار الترك الأحرار يعتقدون أن المعونة الحقة للإمبراطورية المتداعية إنما يمكن أن تأتي من الشعوب التركية فقط (١).

وفي أواخر حرب البلقان ( يوليو - تموز - ١٩١٣ ) استولى الترك على أدرنة حاصمتهم القديمة قبل القسطنطينية ، مما أثار ذكريات الانتصارات التركية القديمة وبعث الشخصية العسكرية للإمبراطورية ، مما أدى إلى تدعيم دكتاتورية العناصر العسكرية في جماعة الاتحاد والترقي بزعامة أنور باشا . الذي كان متأثراً إلى حد كبير بالمدرسة العسكرية الألمانية . وقد اتجهت الحركة الطورانية إلى إحياء أجداد الترك الأوائل وربط الأتراك المحدثين بترائهم الحضاري القديم ، وتخليص الفكر التركي وآدابه من المؤثرات الفارسية والعربية ، وقد تمخض هذا الاتجاه عن تأسيس الأكاديمية التركية عام ١٩١٢ وترجمة القرآن إلى التركية ، وظهرت الدعوة إلى إنشاء لغة جديدة وأدب جديد فأُنشئ اتحاد ( يني لسان ) أي اللغة الجديدة ، وتبعه اتحاد ( يني حياة ) أي الحياة الجديدة اللذين لم يلبثا أن أندجا في اتحاد واحد (٢).

وقد ظهرت مقالات شديدة المهجة حافلة بالشعور المعادى للعرب وذلك في الصحيفة التركية المشهورة ( إقدام ) مما أثار شباب العرب وخاصة الطلبة الذين كانوا يعيشون في الأستانة حتى نظموا مظاهرة اتجهوا بها إلى دار

Saab : Ouv. Cit. p. 224 .

(١)

Tekin Alp : Ouv. Cit. pp. 6 - 7.

(٢)

الجريدة وهاجموها بالحجارة ، ثم ذهب وفد منهم إلى رئيس الوزراء محتجين على نشر مثل هذه المقالات التي كان لها أيضاً صدى سيء في الأقطار العربية من الإمبراطورية إذا انتهت الصحف السورية والمراقبة تدافع عن العرب وتهاجم الترك<sup>(١)</sup> .

وقد أساءت هذه الحركة الطورانية إلى الشعور القومي لدى القوميات غير التركية داخل الإمبراطورية ، وخاصة العرب والأرمن ، خصوصاً أنه في الوقت نفسه نما التيار القومي العربي .

فظهر الحركة الطورانية من ناحية والحركة القومية العربية من ناحية أخرى يحدد بداية انفصام عرى الوحدة الإسلامية في الشرق الأوسط<sup>(٢)</sup> .

ولقد اتى الاتجاه الجديد معارضة شديدة من كثير من كتاب الترك ومفسكريهم وكذلك من رجال الدين ، وقد استخدمت الطائفة الأخيرة مصنفها مثل ( الصراط المستقيم ) ، ( سيفيل الرشاد ) واسعى الانتشار من أجل معارضة الحركة التركية<sup>(٣)</sup> .

وبينما الزعماء الترك في جماعة الاتحاد والترقي يتجهون نحو التركية كان الزعماء غير الترك يتلبهون إلى خطتهم في الخطأ السابق بين الحقوق الدستورية والحقوق القومية ، وقد وصلت الخصومة مع القوميات الأخرى إلى ذروتها عندما أوعز زعماء الاتحاد والترقي للترك إلى البرلمان لمنع أى نشاط سياسي وثقافي يزاول على أساس قومي<sup>(٤)</sup> .

وهكذا نرى أن رجال الاتحاد والترقي في علاقتهم بشعوب الإمبراطورية

Zeine : Ouv. Cit. p. 94.

(١)

(٢) د . محمد أليس مرجع سبق ذكره ص ١١٦/١١٧ .

Tekin Alp : Ouv. Cit. p. 20-21 .

(٣)

Saab : Ouv. Cit. p. 225.

(٤)

قد مروا بأدوار ثلاثة حسب احتياجات الدولة ، أولاً الاتجاه العثماني أو الجامعة العثمانية لكسب العناصر غير الإسلامية في الدولة إلا أنهم لم يلبثوا أن تحولوا عنها بعد قليل حين تجددت الاضطرابات القومية في البلقان وفي أرمينية، فلجأ الاتحاديون إلى فكرة الجامعة الإسلامية لكسب المسلمين عامة، وخاصة مواجهة مسيحي البلقان . إلا أن أملهم في هذا الاتجاه لم يلبث أن تزعزع بسبب الثورات التي اشتعلت في ألبانيا واليونان وهوران<sup>(١)</sup> ، ثم الحركة الطورانية - بعد حروب البلقان - لكسب التتر الواقعين تحت حكم الدول الأخرى والذين كانوا يطفون على إخوانهم في المجلس وهم في محنتهم .

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد أظهرت إفلاس فكرة الجامعة الإسلامية حين وقف العرب ضد الترك وحالفوا بريطانيا، فإن الاتجاه الوحيد الذي بقي هو الاتحاد الطوراني الذي خرجت منه القومية التركية الحديثة .

ويحمل بعض الكتاب العناصر غير التركية مسئولية اتجاه الاتحاديين نحو الجامعة الطورانية لتسلك هذه العناصر باتجاهاتها الانفصالية رغم سعي الاتحاديين لاقامة (قومية محايدة) عن طريق عشمة القوميات المختلفة في الامبراطورية مما دفع الأتراك من ناحيتهم للشعور بأنهم يشكلون مجموعة متميزة في الأصل واللغة والأمال<sup>(٢)</sup> مستدين إلى أن اليونان والبلغار والعرب الذين نزولوا من الجبال وألقوا السلاح يحتفلون بميلاد الدستور ويشاركون الترك الأحرار في سالونيك ، لم يلبثوا أن عادوا تدريجياً إلى الجبال وإلى حمل السلاح لاستئناف النضال ضد السلطات التركية<sup>(٣)</sup> .

Tekin Alp. Ouv. Cit p. 3.

(١)

Em'in : Ouv. Cit, p. 188.

(٢)

Tekin Alp. Ouv. Cit p. 3.

(٣)



وحق من تبنا مبدأ التركية أو الطورانية من ساسة الدولة ومفكرها لم يتفقوا على اتجاه واحد ، فبعضهم كان يرى أن السياسة الطورانية السليمة تستلزم التخلي عن الأقطار غير التركية ، واسكن هذه الفئة كانت أناة حشيلة تسكاه تنحصر في ( يوسف أفجورا ) الذي كان يقول : إن الدولة العثمانية لا يمكن أن تعيش لأنها مؤلفة من عناصر وقوميات مختلفة وأما ستموت لا محالة ، ولكن بعد موتها ستقوم دولة تركية لا تضم غير الأتراك ، وكان يتمنى أن تنفصل البلاد العربية بسرعة حتى لا يتأخر تحول الدولة العثمانية إلى دولة تركية قومية بكل معنى الكلمة .

ولكن أكثرية الانحاديين - ولا سيما بعد انتهاء الحرب البلقانية وانفصال الولايات الأوروبية - كانوا يدعون إلى القومية التركية والسياسة الطورانية دون أن يعترفوا بحقوق القوميات الأخرى ، ولذلك كانوا يستنكرون حركات القومية العربية<sup>(١)</sup> .

#### تطور العلاقات بين العرب والدولة العثمانية بعد للشروطية :

وإزاء ما شهدناه من تطور أفكار ساسة الاتحاد والترقي كان لا بد وأن نسكون اتجاهات هذه الحركة القومية العربية صدى لهذه الأفكار .

ويمكن تقسيم الحركة القومية فيما بين إعلان المشروطية عام ١٩٠٨ وفيام الحرب العالمية الأولى إلى دورين من عام ١٩٠٨ حتى ١٩١١ ، والثاني من عام ١٩١١ حتى ١٩١٤<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المصري : البلاد العربية والدولة العثمانية من ١٢٣/١٢١

(٢) وامزور : مرجع سبق ذكره من ٢٤ (من مقدمة نقولا زيادة) .

La verite Syrienne. p. 1. 13.

أما الدور الأول ، فهو دور الوفاق مع الحركة التركية القومية ، ذلك أن استبداد عبد الحميد كان قد شمل الولايات العربية في الدولة كما شمل غيرها من أقاليم الامبراطورية . ولذلك كان من الطبيعي أن يولد سقوط الاستبداد وإعلان الدستور في جميع الولايات العربية موجة من السرور والإبتهاج وصار يحدو الجميع أمل قوى في التقدم السريع في ظل الهدوء الجديد وفق شعار الحرية والعدالة والمساواة الذي صارت تردده السنة الجميع وليس أدل على الوفاق في هذه الفترة من تكوين جمعية الإخاء العثماني .

أما الدور الثاني فيبدأ من عام ١٩١١ تقريباً ، وفي هذا الدور بدأت الحركة القومية العربية تتخذ لها موقفاً متميزاً بل ومعادياً للدولة العثمانية والاتحاديين إذ اتضح لرجال العرب بين ١٩٠٩ - ١٩١١ أن استمرار التعاون مع الاتحاديين مستحيل ، وأنه يجب عليهم أن يتخذوا الخطوات اللازمة للدفاع عن حقوق بلادهم والمحافظة على مصالحهم .

ولقد كانت سياسة الاتحاديين مشحولة عن ذلك الموقف إلى حد كبير ، فقد رأينا كيف دعوا إلى عثمانة الولايات التابعة للدولة ، وكان معنى ذلك أن القوميات الأخرى تذوب وتفقد ذاتيتها في الدولة العثمانية ، ثم أصبح موقف العرب عدائياً صريحاً حين تطورت حركة الجامعة العثمانية إلى الجامعة الطورانية وهي كما رأينا دعوة إلى تفوق واستعلاء الجنس التركي وطمس معالم المقومات العربية الأساسية وأعلن الاتحاديون في سياستهم المركزية وفي حركة التتريك . ومن مميزات الحركة القومية العربية في هذه الفترة أن التفسير القومي العربي أخذ يتضح ويتخلص إلى حد كبير مما كان قد عاق به من تفسير ديني إسلامي

سيطر على عقول العرب حتى نشوب الحرب العالمية ، ويتجلى ذلك في الكلمات التي أقيمت في مؤتمر الطلبة العرب في باريس سنة ١٩١٢ عندما أعلن عبد الغنى العريسي أنه استناداً إلى تعريف علماء السياسة لمقومات الأمة من حيث وحدة اللغة والعنصر والتاريخ والمادات والمطمح السيامي فإن العرب على هذا الأساس يكونون أمة .

## الفصل الثامن

### الجمعيات العربية في الشام والعراق

ولقد اتخذت الحركة العربية في هذه المرحلة شكل جمعيات بعضها علنية وبعضها سرية ، وكان من أهمها :

#### المنتدى الأدبي :

وأول هذه الجمعيات ظهوراً كانت جمعية ( المنتدى الأدبي ) التي أسسها في الآستانة منذ صيف عام ١٩٠٩ عدد من الموظفين والنواب والأدباء والطلبة ، لتسكون ملتقى العرب الذين يقيمون في عاصمة الدولة أو يزورونها ، فصارت بذلك مركزاً للوطنيين العرب يستطيعون فيه الاجتماع لتبادل الآراء ، وقد احتملت حكومة الاتحاديين وجودها لأن أهدافها الظاهرة كانت ثقافية وليست سياسية ، ومع هذا فقد كان لها بعض النشاط السياسي عندما كانت تقوم بالوساطة لتسوية الخلافات بين العرب وجماعة الاتحاد والترقي ، وقد انضم إليها كثيرون ، وكان لها فروع في مختلف مدن الشام والعراق ، ولها نشاط في القاهرة كذلك ، وظلت حتى عام ١٩١٥ حين أغلقتها الحكومة بتهمة تركية<sup>(١)</sup>

وقد نظمت الجمعية محاضرات وتمثيليات قدمت فيها موضوعات من التاريخ العربي ، كما أنشئت فيها قصائد قومية حماسية ، وبذلك كان نشاطها أنموذجاً للأندية الثقافية القومية في الوطن العربي . ويمكن أن نعرف على الموضوعات التي تناولتها الأحاديث في المنتدى من التقرير الذي وضعته قيادة الجيش الرابع التركي ، وجاء فيه أن مؤتمرات عقدت تناول فيها بعض الشخصيات مثل

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٩

Antonius : Ouv, Cit, pp. 108—9.

عبد الحميد الزهراوى وعزيز على وسليم الجزائرى والشيخ رشيد رضا موضوعات تاريخية تعالج بطريقة تساعد على خالق فكرة الاستقلال السياسى . وقد انزعجت السلطات التركية على وجه الخصوص من قصيدة نشرت فى الصحيفة الناطقة بلسان المنتدى ( وكانت تسمى لسان العرب ، ثم صار عنوانها المنتدى الأدبى ) حول ( الليل والنهار ) ويذهب تقرير الجيش الرابع إلى أن القصد من هذه القصيدة هو تحريض العرب على الثورة ضد الترك<sup>(١)</sup> .

#### حزب اللامركزية الادوية العثمانى :

أما الجمعية العلنية الأخرى فهى ( حزب اللامركزية الإدارية العثمانى ) وقد تأسس فى القاهرة قبيل نهاية عام ١٩١٢ . وكان هدف هذا الحزب إقامة نظام لامركزى فى الولايات العربية داخل إطار الدولة العثمانية ، وتعبئة رأى العام العربى لتأييد هذا المطلب . وكان مؤسسو هذا الحزب من المهاجرين السوريين فى مصر مسلمين ومسيحيين ، وكان للحزب غرور فى مدن الشام كما كان على اتصال بالجمعيات الأخرى فى الشام والعراق ، ومع المنتدى الأدبى فى الأستانة<sup>(٢)</sup> . أما سبب اختيار القاهرة مقراً لهذا الحزب فيرجع إلى أن مصر رغم تبعيتها الرسمية للدولة العثمانية كانت خاضعة من الناحية الفعلية لسلطات الاحتلال البريطانى . وبذلك لم يكن من السهل على السلطات العثمانية أن تتعقب نشاط هذا الحزب . كما أن العلاقات ( السنية ) فى هذا الوقت بين الدولة العثمانية وبريطانيا جعل الأخيرة ترحب بهذا النشاط الموجه ضد الدولة العثمانية ، شريطة ألا يمتد إلى القضية المصرية ، وأن يظل محصوراً فى قضية العرب فى الولايات العثمانية ، حتى يؤكد البعض أن اعتمد البريطانى كشتنر كان على علاقة طيبة بهذا الحزب<sup>(٣)</sup> .

Saab : Ouv, Cit p. 229.

(١)

La verité sur la Question Syrienne, p. 19.

Antonius Ouv. Cit, pp 109 - 110.

(٢)

(٣) د. محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ٢٧١/٢٧٠ .

وقد اعتبر تقرير الجيش الرابع حزب اللامركزية مركز الانفصاليين العرب واتهم الحزب بالتعاون مع الجبهة المعارضة للاتحاد والترقي ، بقصد الاستيلاء على الحكم . وقد كان من الطبيعي أن يتعاون حزب اللامركزية مع معارضي الاتحاد والترقي الذين كانوا ينادون باللامركزية أيضاً .

#### الجمعية القحطانية :

وفي ذلك الأثناء قامت جمعيتان صريتان أولاهما الجمعية ( القحطانية ) التي أنشئت قبل نهاية عام ١٩٠٩ وبعد المنتدى الأدبي بقليل ، واشترك في تأسيسها عزيز علي ( المصري ) ، وكان أعضاؤها من ذوي الجراء ، وكذلك كانت مشروعاتهم جريئة ، فقد كانوا يهدفون إلى تحويل الامبراطورية العثمانية إلى دولة ثنائية ، بحيث تتكون من الأقاليم العربية دولة واحدة ، لها برلمانها وحكوماتها المحلية ولغتها العربية ، ويتولى الملك فيها السلطان العثماني ، إلى جانب حكمه الدولة التركية ، وذلك على نمط إمبراطورية النمسا والمجر ، واعتبروا أنه بذلك تقوم علاقات الترك والعرب على أساس أكثر ثباتاً لأنه أكثر واقعية (١) .

وقد اختير أعضاء الجمعية بدقة من كانوا موضع ثقة ولا يرقى الشك إليهم ، وقد انضم إليها عدد من الضباط العرب في الجيش العثماني ، وعندما وصل خبرها إلى السلطات التركية اختفت من تلقاء نفسها ، وانضم بعض أعضائها إلى جمعية العربية المتحدة وجمعية العهد .

ولم يكن انجاء القحطانية نحو الحكم الثنائي في نطاق الامبراطورية العثمانية مقصوراً على أحرار العرب بل جالت هذه الفكرة الثنائية في أذهان

بعض القوميين الأتراك ، فهذا ضيا جوكالب - الذى يعتبر الأب الروحى للقومية التركية - كان يأمل أن يأتى يوم تستطيع فيه قوميات غير التركية فى الإمبراطورية أن تعيش متعاونة وفى وئام مع الترك ، وقد اقترح قبل انشوب الحرب العالمية الأولى بقليل لإنشاء دولة ثنائية تحت اسم الدولة التركية العربية تحت حكم الخليفة العثمان . وفى عام ١٩١٨ اقترح لإنشاء اتحاد من دولتين مستقلتين الأناضول التركية وعربستان وقال إن هذا الاتحاد أمر طبيعى لأسباب جغرافية ودينية وحيوية من أجل سلامة الأمتين ، ولو أنه أعلن أن مثل هذا النظام سيكون مفيداً للعرب الذين ينقصهم التنظيم المدنى والعسكرى لأنهم سوف يتعرضون لسيطرة الدول الأجنبية بمجرد أن يفصلوا عن إخوانهم الترك<sup>(١)</sup>.

#### جمعية العربية الفتاة :

أما الجمعية السرية الأخرى فكانت جمعية العربية الفتاة التى أنشئت فى باريس على يد دكتور أحمد قدورى وعونى عبد الهادى ورستم حيدر وتوفيق الناطور وغيرهم من شباب العرب فى أثناء دراستهم فى باريس ، وكان اسم الجمعية بادى الأمر جمعية ( الناطقين بالضاد ) حين أسست فى باريس فى ١٤ نوفمبر ( تشرين ثان ) سنة ١٩٠٩ ثم أصبح اسمها ( العربية الفتاة ) منذ عام ١٩١١<sup>(٢)</sup>.

وكانت الجمعية تهدف إلى النهوض (بالامة) العربية وتمتعها بالحكم الذاتى ، أى عدم الانفصال عن الترك ، ثم عدل البرنامج بعد انشوب الحرب العالمية الأولى وأصبحت الجمعية تسعى إلى الاستقلال عن الترك تماماً وإنشاء دولة عربية ذات

---

Zeins : Ouv. Cit. pp. 81 — 2.

(١)

Ibid pp. 80 — 81.

(٢)

( ١١ - حركة النهضة )

### سيادة في المنطقة العربية غربي آسيا (١)

وهذه الجمعية - كما يقول انطونيوس - تعيد إلى الذاكرة جمعية بيروت السرية ( ١٨٧٥ ) مع فارق واحد وهو أن القيادة انتقلت إلى أيدي المسلمين، وكان يتبع في قبول الأعضاء نظام دقيق فلا يقبل عضو إلا بعد التأكد من أنه موضع ثقة، وكان الأعضاء لا يعرفون بعضهم البعض. وظل مقر الجمعية في باريس لمدة عامين، وبعد أن تخرج أعضاؤها وعادوا إلى وطنهم انتقلت إلى بيروت ١٩١٣ ثم إلى دمشق، وازداد عدد أعضائها وكان معظمهم من المسلمين. وظل نشاطها في حلي السكتان حتى النهاية. وفي أثناء الحرب، وعندما كان أحرار العرب يساقون إلى المشاق لم يبع أحدهم بسر الجمعية (٢).

وإلى جانب هذه الجمعيات كانت هناك أخرى ولو أنها أقل أهمية تتمثل في جمعية (الجامعة العربية) التي أنشأها في القاهرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بعد عودته من رحلته إلى الأستانة عام ١٩٠٩/١٩١٠ إذا صار يعتقد بعدم إمكان التعاون بين العرب والترك، وكان يهدف إلى إيجاد تحالف بين أمراء شبه الجزيرة العربية، ثم التعاون على عمران البلاد وإيجاد صلة بين الجمعيات العربية في الشام والعراق (٣).

#### جمعية بيروت الإصلاحية :

وفي أواخر عام ١٩١٢ ظهرت في الأفق حركة عربية أخرى تتمثل في نشاط جمعية بيروت الإصلاحية، فقد كان الزعماء المسلمون يحشون أطباع فرنسا الاستعمارية متذرعة بسوء أحوال الدولة وعجزها، فاتهمزوا فرصة ما حل بالدولة من هزيمة في حرب البلقان للتقدم بمطالبهم، فاجتمع أعيان بيروت

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٩ .

(٢) Antonius : Ouv, Cit. pp, 111-112

(٣) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٤٩ - ٥٠



مسلمون ومسيحيون وكان عددهم ستة وثمانين<sup>(١)</sup> يمثلون كل الطوائف في دار بلدية بيروت في الحادى والثلاثين من يناير (كانون أول) عام ١٩١٣ . وفي هذا الاجتماع وضع المندوبون مشروعاً من خمس عشرة مادة تحدت فيه مطالبهم ، وقد نصت المادة الأولى في هذا المشروع على أن تظل الولاية عاصمه للقوانين الاساسية للامبراطورية في المسائل ذات الطابع العام كالعلاقات الخارجية وشئون الدفاع والمالية والمواصلات الرئيسية التي تظل من اختصاص الحكومة المركزية ، أما المسائل والخدمات ذات الطابع الإقليمي المحلى فإنها تكون من اختصاص مجلس يمثل الولاية ، ويتكون - كما جاء في المادة الثالثة - من ثلاثين عضواً ، منهم خمسة عشر من المسلمين والباقي من غير المسلمين .

ونصت المادة الثانية على أن الوالى يعتبر ممثلاً للحكومة المركزية من ناحية ، ولذلك فعليه تنفيذ القوانين وتعليمات الآستانة ، إلا أنه من ناحية أخرى يعتبر ممثلاً للولاية وعليه تنفيذ القرارات التي يصدرها مجلس الولاية ، ورسمت حدود معينة يستطيع فيها الوالى وقف تنفيذ قرارات المجلس .

كما كان من بين مطالب الجمعية أن يكون تعيين كبار الموظفين صادراً من الحكومة المركزية بشرط معرفتهم باللغة العربية ، أما بقية الموظفين فيلغى أن يكونوا من أهل البلاد . كما اشترطت الجمعية (المادة ١٤) أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للولاية تجرى بها كافة المعاملات . كما تعتبر لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية وعلى قدم المساواة معها فى مجلسى المبعوثان والاعيان ،

---

National Archives,] Washington : The Desires of the (١).  
Syriaus ( Report by E. H. Byrne — October, 7. 1918 ).

وفيا يخصص بالخدمة العسكرية ، فقد اشترطت الجمعية أن يقتصر استخدام الوحدات المجنّدة من الولاية على بلادها في وقت السلم<sup>(١)</sup>.

وفي منتصف فبراير (شباط) سنة ١٩١٣ أذاعت جمعية بيروت الإصلاحية خطتها التي تضمنت المبادئ السابقة وحظيت بتأييد شعبي كبير في أقاليم الشام وبغداد والبصرة والقاهرة ، كما أرسلت البرقيات إلى حكومة الآستانة تعتبر البرنامج تعبيراً عن الأمان في كافة الأقاليم العربية . وفي مارس (آذار) قدمت الجمعية إلى الوالي مذكرة بهذه الإصلاحات ، ولما كانت جماعة الاتحاد والترقي - التي عادت إلى الحكم بعد وزارة كامل باشا - تعارض أي اتجاه نحو اللامركزية ، فقد اتخذت الإجراءات لإخماد الحركة ، وفي ٨ أبريل (نيسان) تدخلت الشرطة لفض أحد الاجتماعات ، كما صدرت التعليمات من حكومة الآستانة إلى الوالي بإغلاق نادي الإصلاحيين وحل الجمعية ، كما احتقل ثلاثة من أعضائها واثنان من التجار المتصلين بها وقدموا للمحاكمة العسكرية ، وقد عبر الشعب عن غضبه وخيبة أمله وأغلق التجار متاجرم احتجاجاً إلى أن يتم الإفراج عن المعتقلين وظهرت الصحف مجلّة بالسواد ، وأرادت الحكومة أن تواجه هذا التحدي بتنظيم مظاهرة في مدينة بيروت ضد الإصلاحيين ، مما دعا القنصل الأمريكي إلى التليخ للوالي بأنه في حالة اشتداد الاضطرابات . فإن السفينة الحربية الأمريكية مونتانا الراسية وقشذ في بيروت سوف تنزل بعض القوات من أجل المحافظة على الرعايا الأمريكيين .

وقد لاحظ القنصل الأمريكي في تقريره هذا بتاريخ ١٤ أبريل (نيسان)

---

(١) أمي سعيد مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٠ - ٢٣ ، ثورة العرب ص ٦٢/٦٧ بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية .

سنة ١٩١٣ أن التصميم الهادي المنظم بين سكان بيروت ، وكذلك الوحدة بين المسلمين والمسيحيين أمران لم يسبق لهما مثيل ، وأعرب عن اعتقاده بأن بأي إجراء رجعي من جانب الحكومة سيعجل بنشوب أزمة خطيرة ، ويزيد من وحدة كل العناصر العربية ضد الترك بينما إذا منحت بعض الامتيازات ونفذت ، فإن ذلك يدعم حركة الإصلاح ، وأضاف القنصل الأمريكي أن الدلائل تشير إلى أن الحكومة سوف تقتصر على الوعود كما كان الحال في الماضي إلى أن يهبط تدريجيا الحماس الذي وحد بين كافة العناصر<sup>(١)</sup>.

وفي عدد صحيفة الاجيشان جازيت Egyptian Gazette الصادر في القاهرة في ١٥ أبريل ( نيسان ) ١٩١٣ ظهر مقال بعنوان ( ترك وعرب ) شبه موقف العرب داخل الدولة العثمانية بموقف الصقالبة داخل إمبراطورية النمسا ، وأشار إلى أنه إذا كانت رابطة الآلام ربطت حتى ذلك الوقت العرب بالترك فلا بد وأن تنتهي هذه الحالة ويشب الصراع بينهما ، وعرضت الصحيفة لما بعث به مراسلها في بيروت عن الوفاق والتعاون بين المفكرين العرب على اختلاف نزعاتهم سواء الوطنيين المتطرفين أو أنصار الجامعة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وإزاء برقيات الاحتجاج التي أنهالت على الحكومة العثمانية من كافة الأقطار العربية والمظاهرات الصاخبة التي قامت احتجاجا على إجراءاتها لجأت الحكومة إلى سياسة الملاينة بإطلاق سراح الرعماء المعتقلين وإصدار الوعود بالإصلاح ، وفي ٥ مايو ( آيار ) ١٩١٣ صدر قانون جديد للولايات

---

National Archives ( Washington ) : Political Affairs in (١)  
Turkey, Report no. 523: from Beirut ( April 14, 1913 )  
Ibid. Report no. 527, from vice — American consul in (٢)  
Beirut to Secretary of State ( April 21, 1913 ).

لكنه لم يحقق أهداف جمعية بيروت ، بل كان يعتبر إجراء مقنناً نحو إحكام المركزية وتقوية قبضة العاصمة على الأقاليم العربية وخنق الحريات فيها<sup>(١)</sup> .

وبعد أن رفضت حكومة الاتحاديين مطالب الإصلاحيين بدأ الاتحاديون حملة في الصحافة الموالية لهم ، فنشرت صحيفة ( الحق يعلو ) التي كانت تصدر في الأستانة تحت إشراف الشيخ عبد العزيز جاويز المقالات ، محاولة إثارة تعصب المسلمين باتهام المسيحيين في الدولة العثمانية بأنهم عملاء سريون لأوروبا وخونة للوطن الإسلامي ، كما أرسلت جمعية الاتحاد والترقي العملاء إلى الشام لبذر الشقاق بين المسلمين والمسيحيين ، كما حاول حازم بك الوالي العثماني عكسب زعماء المسلمين بإغرائهم بالوظائف وزعماء المسيحيين بالامتيازات الاقتصادية ، ولكنهم - كما جاء في مقال الإيجشيان جازيت الذي نشر في عدد ٢٦ أبريل ( نيسان ) ١٩١٣ - فطنوا إلى هذه المحاولة ومن العدل والإنصاف لهم الإقرار بأن حماسهم الوطني ارتفع فوق الاعتبارات والمصالح الشخصية ، بل إنه بعد أن رفضت الحكومة العثمانية الاستجابة لمطالب الإصلاحيين في بيروت استقال الموظفون احتجاجاً ، وتعاونت الصحف المعبرة عن رأى المسلمين والمسيحيين على السواء ، وعندما احتشدت جماهير الشعب في ساحة المعتقل مطالبين بإطلاق سراح أعضاء لجنة الإصلاح المعتقلين خاطب هؤلاء الجماهير يطالبونهم بالشباب وعدم الاستسلام فلم يتملك الضباط العرب أنفسهم فعبروا بصراحة عن مشاركتهم لمواطنيهم في مشاعرهم ، والامر الذي لامرأ فيه أن الشعور الديني الذي كان يملك العرب المسلمين منذ قرون في ظل الحكم العثماني قد حل محله الشعور القومي<sup>(٢)</sup> ، ولو أن الترك

Antonius : Ouv. Cit. pp. 113-114

(١)

National Archives ( Washington ) : Political Affairs in (٧)

Turkey, Report no. 539 from American Vice-consul in Beirut =

ظلوا يعتقدون أن فكرة الاستعانة بمستشارين أوروبيين التي وردت ضمن برنامج جمعية بيروت الإصلاحية قد أدخلتها العناصر المسيحية السكائوليكية التي كانت تحاول تهديد الطارق لإقامة حماية فرنسية على الشام ، وأن بعض هؤلاء الزعماء المسيحيين كتبوا لقنصل فرنسا في بيروت يؤكدون ذلك .

ومع ذلك فإنه إذا كانت بعض مؤسسى جمعية بيروت من المسيحيين. يعتزمون أن تكون جمعيتهم ستاراً للسيطرة الفرنسية ، فإن الأعضاء المسلمين لم يكونوا مقتنعين بضرورة الحاجة إلى سيطرة أجنبية ، فأعلنوا في كل مناسبة أنهم إنما يسمون من أجل الإصلاح أو الاستقلال ، وليس من أجل الاحتلال الفرنسي ، وقد وجه وفد من جمعية الإصلاحية نداء إلى وزير خارجية فرنسا ، وكان أحد أعضاء الوفد المسلمين هو ( مختار بيهم ) الذي أعلن للوزير الفرنسي « إننا نحترم الفرنسيين ، ولكننا لا نريد سادة علينا ، إننا سنشد مساعداً فرنسا لتحسين حالتنا بشرط أن نظل هتافيين ، ولن يرحب السوريون بالفرنسيين. كما قيل لكم ،<sup>(١)</sup> .

#### الحركة القومية في العراق :

أما العراق فقد تأثر - كما تأثر غيره من أقطار المشرق العربي - بما كان يجري في أنحاء الإمبراطورية العثمانية ، فقد شمله النرج أيضاً لثورة عام ١٩٠٨ وصار له نواب في البرلمان العثماني وفي الآستانة إلتقى النواب العراقيون بزملائهم السوريين وكونوا جبهة واحدة في المجلس واشتركوا في المنتدى الأدبي ، وعندما كانوا يعودون إلى العراق كانوا ينثرون الأفسكار

---

( May 6, 1913 ) enclosure : extracie from « Egyptian Gazette »  
of April 26, 1913 .

La Verite Sur la Question Syrienne p. 82.

(١١)

Saab : Ouv, Cit. p, 232.

الجديدة التي صاروا يؤمنون بها خاصة إزاء اتساع الهوة بين الترك والأماق العربية ، فانصل العراقيون بالجماعات السرية العربية مثل القحطانية والفتاة وحزب اللامركزية الذي انتشرت مبادئه في بغداد والبصرة كما شهد العراق بين عامي ١٩١٠ - ١٩١٤ تطوراً ملحوظاً في الصحافة ، فقد توالى ظهور الصحف العربية والتركية تدعو إلى القومية العربية ، وتعبّر عن شكوكها وغاؤها إزاء أطماع الأجانب<sup>(١)</sup> .

وهكذا كانت في العراق في ذلك الوقت حركة مماثلة للحركة في الشام ، وإن اختلفت في قوتها بسبب اختلاف المستوى الثقافي ، فقد كتب القنصل الأمريكي في بغداد إلى حكومته تقريراً بتاريخ ١٧ مارس ( آذار ) ١٩١٣ ذكر فيه أن « عرب العراق يشتركون في الحركة التي تهدف إلى إقامة حكم ذاتي إن لم يكن الاستقلال التام عن الدولة العثمانية ، وأنهم انضموا إلى جمعية سرية ( اللامركزية ) مقرها القاهرة ، ولها فروع في ولايات بغداد والبصرة والموصل وهدفها الحصول على الاستقلال لهذه الولايات الثلاث . وثمة شائكة بأنهم يهدفون إلى إقامة دولة عربية تكون عاصمتها دمشق ، واستطرد القنصل الأمريكي في تقريره ، فذكر أن الوطنيين في البصرة بعثوا بذكر إلى حكومة الأستانة ، يطالبون باستقلال ذاتي واسع وخاصة احتجاج الضرائب التي تجمع من الولاية لكي تنفق عليها ، وأن الحكومة العثمانية وعدت ببحث ما جاء بهذه المذكرة ، ولكن الوطنيين في البصرة مصممون على نيل الاستقلال ، وأن السيد طالب ( النقيب ) يتزعم هذه الحركة ويتجول بين مختلف جهات العراق محاولاً جمع شمل المشايخ والرؤساء .

أما في بغداد - كما جاء في تقرير القنصل الأمريكي ذاته - فإن الشرطة

وضعت يدها على أحد المنشورات التي أصدرتها الجمعيات السرية ، وكان المنشور بعنوان : « الصرخة الأولى » . وأن الوطنيين في بغداد طلبوا من الوالي العثماني أن يغادر هو وهيئة الإدارة العثمانية البلاد ، وذكر القنصل الأمريكي أن قوة الحركة القومية في العراق غير معروفة تماماً بسبب السرية التي تحيط بها ، ولكنه سمع أن الجمعية تضم بين أعضائها عدداً من الضباط العرب ، وأن ذلك يعطيها ولا شك قوة .

ويشير القنصل الأمريكي كذلك إلى أنه التقى بأحد الوطنيين في بغداد الذي ذكر له أن الإمبراطورية العثمانية على وشك الانهيار ، وأن عرب العراق يكرهون الحكم العثماني نظراً لأنهم يؤدون ضرائب فادحة ولا ينالون شيئاً مقابلها ، وقد سأله القنصل عما إذا كان عرب العراق يفضلون الخضوع لبريطانيا ، فأجاب بأنهم يفضلون الاستقلال<sup>(١)</sup> .

وكما فعلت في العام حاولت السلطات التركية أن تخمد هذا الصوت بشقي الوسائل يبرز الخلاف بين عرب العراق ، ففي صحيفة ( الزهور ) الصادرة ببغداد في الحادي والعشرين من أبريل ( نيسان ) سنة ١٩١٣ ظهر مقال افتتاحي ينهم اللامركزية بأن مطالبها تتعارض مع العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة بينا اللامركزية تؤدي إلى تفكك الإمبراطورية الإسلامية ، كما أشار المقال إن أن سكان العراق أجمل من أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وأن دعوة المستشارين الأجانب سوف تؤدي إلى زيادة التدخل الأجنبي . كما تضمن عدد الزهور الصادر في الثامن والعشرين من أبريل ( نيسان ) حديثاً

National Archives ( Washington ) : Political Affairs in (١)  
Turkey, Doc. no. 517, from American Consulate in Baghdad to  
Secretary of State ( March 17, 1913 ).

لأحد العلماء في اجتماع لهم بالنجف دعا فيه إلى حرب دينية مقدسة للوقوف في وجه النفوذ الأجنبي ، الذي سيؤدى إلى تحويل المساجد إلى كنائس<sup>(١)</sup> .

وقد استغل الترك احتلال ( عبد العزيز آل سعود ) أمير نجد لإقليم الحسا لزيادة مخاوف أنصارهم في العراق من النفوذ الأجنبي ، ففي مقال في صحيفة ( الزهور ) في عددها الصادر في السادس والعشرين من مايو ( آيار ) أشار إلى أن البريطانيين هم الذين حرضوا ابن سعود على الاستيلاء على الحسا ( وقد وقع عقب زيادة كابتن شيكسبير ممثل بريطانيا السياسى في الكويت ) ، مما يجعل المحتمل وقوع العراق تحت النفوذ البريطانى قريباً<sup>(٢)</sup> .

#### جمعية البصرة الإصلاحية :

ومع ذلك فقد استمر أنصار اللامركزية في نشاطهم ، فأخذت جمعية البصرة الإصلاحية تدعو إلى الحكم الذاتي الكامل لولايات الإمبراطورية العثمانية جميعاً ، ووضعت لذلك برنامجاً ولو أنه كان من أجل جميع الولايات العثمانية إلا أنه وضع خصيصاً لولاية البصرة . وفي الخامس والعشرين من سبتمبر ( أيلول ) ١٩١٣ بعث القنصل الأمريكى ببغداد إلى حكومته بترجمة لبرنامج جمعية البصرة الإصلاحية التى كان يرأسها السيد ( طالب النقيب ) جاء فيها نص على أنه لن يعطى أى امتياز للأجانب في البلاد ، وأن الأمور العامة مثل السياسة الخارجية والجيش وغيرها ستكون من اختصاص الحكومة

---

Ibid, Doc, no. 548. from American consulate, Baghdad to (١)  
American Embassy constantinople ( May 3, 1913 )

Ibid, Doc, no. 566 from American Consulate, constantinople (٢)  
to Secretary of state ( July 31, 1913, enlosed : Report from  
American consul in Baghdad to American Embassy, Constantinople  
( June 9, 1913 ).



المركزية ، أما الشئون المحلية فستسكون تحت إشراف المجلس العمومي الذي يتسكون في كل ولاية من أعضاء يختارون لمدة أربع سنوات بحيث يمثل كل عضو ١٢٥٠٠ من السكان ، وكانت مهمه الوالى - كما حددتها البرنامج - هي تنفيذ تعليمات الحكومة المركزية والمجلس العمومي على السواء .

وقد كان للمجلس العمومي المذكور أهمية في برنامج جمعية البصرة إذ وضعت في يده السلطة العليا في الشئون الداخلية المتصلة بتقديم الولاية ورعايتها ، ولما كان المجلس لا يضم بين أعضائه أحداً من موظفي الولاية ، فإنه لذلك كان يتمتع باستقلال ونفوذ كبيرين بحيث يتمكن من متابعة تنفيذ القرارات والتفتيش على الأعمال العامة في الولاية

ونص البرنامج على أن تعين الحكومة المركزية الوالى على أن يكون من أبناء العراق كما يجب أن تستشير الحكومة المركزية المجلس العمومي في تعيين القضاة والمتصرفين ومديرى الجمارك وغيرهم على أن يسكون هؤلاء جميعاً على معرفة تامة باللغة العربية .

وأجاز البرنامج للمجلس العمومي الحق في عزل الوالى بشرط موافقة أغلبية الثلثين من الأعضاء ، كما نص على أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الإدارات الحكومية والمحاكم ولغة التعليم في المدارس مع التوصية بتشجيع دراسة اللغة التركية<sup>(١)</sup> .

إلا أن المجلس العمومي الذى أنشئ لولاية بغداد لم يكن يتمتع بالسلطة

---

National Archives ( Washington ) : political Affairs in (١)  
Turkey, Doc. no, 586 from American consulate, Baghdad to  
Secretary of state ( Sept. 25, 1913 ).

المرجوة ، ففي تقرير لنائب القنصل الأمريكي في بغداد بتاريخ ١٥ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٣ أن المجلس العمومي الذي أنشئ مؤخراً بأمر حكومة الاستانة كان عمله هديم الجدوى ولم تكن له أية فائدة ، فقد كان الوالى هو المسيطر على ما يجرى فيه من مناقشات ، إلا أنه من المهم أن نشير إلى ما ورد في تقرير نائب القنصل الأمريكي - من أنه في إحدى جلسات هذا المجلس قام أحد الأعضاء ويدعى ( فؤاد أفندى ) وأعلن أن العراق كان ويجب أن يكون ملكاً للعراقيين على غرار مبدأ ( مصر للمصريين ) ولم يصدق الوالى أذنيه فاستعاد ما قاله العضو العراقى الذى لم يتردد في إهادة ما قاله على مسامع الحاضرين<sup>(١)</sup> .

وإذاً عدم تنفيذ مطالب الجمعيات الإصلاحية فقد صار الأحرار العرب حتى المعتدلون منهم يعتقدون باستحالة التعاون مع رجال الاتحاد والترقى .  
مؤتمر باريس :

لذلك فإنه عندما دعا حزب اللامركزية والعربية الفتاة إلى عقد مؤتمر في باريس في يونيو ( حزيران ) ١٩١٣ اشترك فيه ممثلون عن كافة الجماعات الوطنية العربية وحضره مندوبون عن الشام والعراق ( وكان يمثلهم عضوان ) وكذلك بقية الأقطار العربية ( على نطاق ضيق ) كما حضر بعض الأعضاء ممثلين للجانليات العربية في الولايات المتحدة .

وقد جاء في الدعوة لعقد المؤتمر أنه في مقدمة الأسباب التى دعت إليه حالة الفوضى والاضطراب التى شملت الأقاليم العربية نتيجة إنكار مطالبها مما يعرضها للتدخل الأجنبى ، وأعلن أن المسائل التى سيدور حولها البحث

---

Ibid, Doc, no, 592 from American Vice - Consul Baghdad (١)  
to Secretary of State ( Nov. 15, 1913 ).

في المؤتمر هي : حقوق العرب في الدولة العثمانية ، وضرورة الإصلاح على أساس اللامركزية ، الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

وفي الثامن عشر من يونيو (حزيران) ١٩١٣ بدأ المؤتمر أول جلساته التي بلغت أربعاً على مدى ستة أيام ( ١٨ — ٢٣ يونيو حزيران ) عقدت في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع (سان جرمان) وكانت المناقشات تدور بالفرنسية .

وقد اقتصرت قرارات المؤتمر بالعصا والاعتدال . فقد أكد الرغبة في تمتع العرب بالحقوق السياسية كاملة والاشتراك فعلياً في إدارة شئون الإمبراطورية ، كما طلب بأن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة محلية ، وأن تصبح العربية لغة رسمية إلى جانب التركية في البرلمان العثماني - وأن تكون رسمية في الولايات العربية ، وأن تكون الخدمة العسكرية محلية تقتصر على الأقاليم العربية إلا في حالة الضرورة القصوى .

وقد أكد المتحدثون رغبتهم في المحافظة على كيان الدولة العثمانية شريطة الاعتراف بحقوق العرب في نطاق حكومة لامركزية ، ولم يطالب أحد بالانفصال عن الدولة العثمانية ، وقرر المؤتمر إبلاغ قراراته إلى الحكومة العثمانية والحكومات الأوروبية وشكر الحكومة الفرنسية لترحيبها بهم<sup>(١)</sup> . إلا أنه في الوقت نفسه أعلن أحد الأعضاء وهو أحمد مختار بهم أن الوطنيين العرب لا يرضون أن تكون فرنسا أكثر من معضدة لهم في إصلاح شئونهم مع بقائهم عثمانيين ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إحداث أولئك الذين أشاعوا أن المؤتمر عقد لخدمة السياسة الفرنسية وأن غايته طلب المساعدة الفرنسية<sup>(٢)</sup> .

وكان من الطبيعي أن تعارض حكومة الاتحاديين هذا الاتجاه نحو اللامركزية وبذلكت مساعيها لبذر بذور الشقاق والخلاف بين زعماء المؤتمر ، وحاولت إقناع الحكومة الفرنسية بمنع عقد المؤتمر في الأراضي الفرنسية ، ولما ذهبت

Samné, G, La Syrie, pp, 89—91

(١)

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٣١/٢٩ .

كل هذه المحاولات سدى لم يجد الاتحاديون مفرأ من تغيير وسيلتهم فبعثوا بسكرتير جماعة الاتحاد والترقي وهو مدحت شكرى بك إلى باريس للتفاوض مع زعماء المؤتمر وأمكن التوصل إلى اتفاق على أسس اعتقد قادة العرب أنه يمكن موطأ كدفعة لمفاوضات تالية ، وسافر ثلاثة من العرب إلى الآستانة لبدء المفاوضات الرسمية ، وقد بعث هذا الاتفاق آمالا عذبة في نفوس الوطنيين العرب حتى أن أحدم وهو أحمد طوباره أعلن من بيروت مؤكداً ولاء العرب للإمبراطورية العثمانية<sup>(١)</sup> .

ورغم استقبال الوفد العرب استقبالا طيباً فإن الاتحاديين لم تسكن لديهم نية تنفيذ الاتفاق ، وإنما كانت غايتهم تهدئة مشاعر العرب النائرة ، ولذلك فإنه في الثامن عشر من أغسطس ( آب ) ١٩١٣ صدر امر سلطاني بتنفيذ اتفاقية باريس ، ولكن بعد تعديل كبير بحيث طمس كل معالمها ، فخص باللغة العربية نص القرار على استخدامها كأداة للتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية مع إضافة نص على أن تستمر المدارس الثانوية في عواصم الأقاليم ، في التعليم باللغة التركية ، وقد كانت كل المدارس الثانوية تركز في عواصم الأقاليم ، ولم يرد ذكر استخدام اللغة العربية كلغة رسمية أو اعتبارها إحدى اللغات الرسمية في الأقاليم العربية ، ولم يرد ذكر شيء عن الوظائف التي تقرر حفظها للعرب في إدارة الولايات والوزارة ، وقد أحس العرب بخيبة أمل كبيرة ويأس ، وفي الوقت نفسه سعى الاتحاديون إلى التقرب إلى بعض الشخصيات العربية وإعراهم بالوظائف ، من ذلك تعيين خمسة من العرب أعضاء في مجلس الأعيان في ٤ يناير ( كانون ثان ) ١٩١٤ كان أحدم عبد الحميد الزهراوي الذي كان يرأس مؤتمر باريس<sup>(٢)</sup> ، مما جعله موضعاً

---

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٣٦ .

Saab : Ouv. Cit. p. 234

(٢) أمين سعيد : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨/٣٩ ، ثورة العرب ص ٩٩ .

لنقد معظم الوطنيين العرب لموافقتهم على التعاون مع الاتحاديين ، وأرسل إليه عزيز على المصرى رئيس حزب العهد ثلاثة من العرب هم جميل المدفعى ويوسف العزاوى وسعيد الشكري لاثباته عن التعاون مع الحكومة التركية<sup>(١)</sup>.

وحاول الزهراوى فى خطاب منه إلى السيد محمد رشيد رضا فى القاهرة مؤرخ فى السادس عشر من يناير (كانون ثان) ١٩١٤ أن يدافع عن نفسه ، ويرد موقفه وسياسته . فذكر أنه استطاع أن يفتن إلى إمكانيات الحركة العربية ، وأن أهم فئة هى الضباط ولسكنهم - كما يقول - ليس لديهم خبرة بالمسائل السياسية ، ومن الأفضل لو كفوا عن التدخل فيها ، وأن (عزيز المصرى) يحدد على الحكومة العثمانية ، ولذلك فهو يعارض التفاهم معها ، واعتبر الزهراوى أنه فى مركزه كعضو فى مجلس الأعيان قد يستطيع تحميم العلاقات التركية العربية وإقناع الاتحاديين باتباع سياسة تحررية نحو الأقاليم العربية<sup>(٢)</sup>.

#### عزيز على (المصرى) وجمعية العهد :

وهذا الموقف من جانب حكومة الاتحاد والترقى أيقن العرب أنه لا أمل فى التفاهم ، ومن ثم بدأ بعض القوميين بزراعة عزيز على المصرى فى تنظيم جمعية سرية عربية ثورية بين الضباط العرب فى الجيش العثمانى هى جمعية العهد ، التى أفسم أعضاؤها على التعصية بحياتهم من أجل تحقيق أهدافهم .

وكان عزيز على قد آثر تلقى العلوم العسكرية فى الآستانة مفضلاً لإياها على باريس ، بسبب ما كان يتمتع به الحوراء العسكريون الألمان من سمعة طيبة فى العاصمة العثمانية ، حتى لقد كان التعليم العسكرى فى الدولة العثمانية أرقى

Kedourie : Ouv. Cit. p. 61.

(١)

(٢) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٤٥ ، ثورة العرب من ١٩٠٠-١٩٠١

Anintous : Ouv. Cit., pp. 116 — 8

أنواع التعليم وقد أظهر عزيز تفوقاً في أثناء دراسته في الكلية الحربية بالآستانة ثم في كلية أركان الحرب .

وعقب تخرجه من كلية أركان الحرب أرسل عزيز للعمل في مقدونيا حيث أظهر كفاءة ملحوظة في تتبع المصائب البلغارية ، وفي القتال على طول الحدود اليونانية والبلغارية والألبانية. وفي أثناء خدمته انضم إلى جماعة الاتحاد والترقي السرية وكانت تضم بعض زملائه في الدراسة ، وعندما زحفت قوة من الجيش العثماني على الآستانة في أبريل ( نيسان ) ١٩٠٩ لإحباط الانقلاب المضاد كان عزيز على يقود إحدى الفصائل في القوة الزاحفة وأظهر مقدرة في تطهير المنطقة من الثوار<sup>(١)</sup> .

وقد لمس عزيز على - وهو عضو بارز في جماعة الاتحاد والترقي ومن أنصار الوحدة العثمانية - خطراً شديداً تنطوى عليه سياسة التتريك ، فدها إلى الاعتدال ، وكان على علاقات طيبة بعدد من زعماء القوميات ، وحاول أن يقيم تفاهما بينهم وبين الاتحاديين لأنه أيقن بأنه في مجتمع مركب كالامبراطورية العثمانية فإن أفضل وسيلة للحفاظ على كيانها لا تكون بمحاولة إخماد أنفاس هذه القوميات وإخضاعها ولكن بالاعتراف بها كوححدات لها شخصيتها وكيانها ، وتمتع بالحكم الذاتي داخل البناء العثماني الكبير ، ويبدو أنه صارع بعض رفاقه برأيه ودعاهم لبحثه في اجتماع عقد في منزله .

إلا أن صدور هذه الفكرة من رجل غير تركي الأصل أثارت شكوك منافسيه من الاتحاديين ، وجعلتهم يتصورون أنه منحاز إلى جانب القوميات الساخطة ، بما فيهم العرب .

---

Djemal Pacha : Memoires of a Turkish Statesman. pp. (١)

وقد استطاع عزيز علي أن يكسب محبة الجبل الصاعد من ضباط الجيش . كما كان لشخصيته وجراته ووطنيته ما جعله موضع إعجاب واحترام حتى من كانوا أكرهه سناً ، وقد سبقت الإشارة إلى الجمعية القحطانية التي اشترك في تأسيسها . والتي كانت تهدف إلى إقامة ملكة عثمانية . وقبل أن يذهب إلى اليمن ضمن الحملة العثمانية بقليل عارض — في حديث له مع جمال باشا — سيرة رجال تركيا الفتاة إذا . العرب ، وحذر من عواقبها الوخيمة ، وقد لفت جمال باشا نظره إلى الأثر السيء الذي قد يحدثه هذا النقد على الوحدة العثمانية<sup>(١)</sup> ،

ثم استطاع عزيز علي في عام ١٩١١ أن يقنع إمام اليمن بتسوية خلافاته مع حكومة الباب العالي ، وقد زادت هبة عزيز علي في أعين العرب نتيجة لتوسطه ، ليس فقط لأنه أنهى نزاعاً قديماً بإبرام إتفاقية بين الطرفين في ٩ أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١١ ، ولكن لأن الإتفاقية بين عزت باشا والإمام يحيى اعترفت بالاستقلال الداخلي للإمام .

وبتوسطه في هذا النزاع وإنهائه هذه النهاية السعيدة أَرْضَى عزيز علي عاطفته الإسلامية ونزخته القومية على السواء .

وقد قام عزيز علي بدور إيجابي في الدفاع عن برقة عقب نزول الإيطاليين إلى البر عند درنة في سبتمبر ( أيلول ) ١٩١١ ، وأظهر مقدرة فائقة في إنزال خسائر فادحة بالعدو ، وعندما عاد أنور باشا قائد القوات العثمانية في برقة إلى الأستانة عهد بالقيادة إلى عزيز علي ، رغم ما كان بينهما من جفاء ، إلا أن أنور لم يستطع أن ينكر كفاءة عزيز علي ، وظل عزيز في قيادة القوات العثمانية إلى أن أبرمت معاهدة الصلح بين إيطاليا وتركيا في أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٢ ،

Djemeal Paoha : Ouv. Cit., pp. 61 — 62

(١)

( ١٢ — حركة اليقظة )

وبعد انسحاب القوات العثمانية طبقاً لهذا المصلح ، استمر عزيز على تسعة أشهر يقود المقاومة الوطنية في طرابلس الغرب ، إلى أن أدرك تعذر مواصلة القتال ، فعاد إلى الأستانة في صيف عام ١٩١٣ ليرى انهيار آمال العرب في الشهور التي تلت مؤتمر باريس ، واتجاه حكومة الاتحاديين إلى نقل جميع الضباط العرب — بما فيهم هو — إلى الحاميات العثمانية في الأقاليم النائية فأعزل وظيفته ، ومنذئذ بدأ في تنفيذ خطة كانت قد اختمرت في ذهنه أولاً وهي تحويل القبطانية إلى جمعية سرية تقتصر على الضباط العرب في الجيش العثماني ، وكان التنظيم الجديد منفصلاً عن القبطانية ولكن البرنامج متشابه ، وقد ضم إليه عدداً من الضباط العرب مثل سليم الجزائري ونوري السعيد وياسين الهاشمي وجميل المدفعي ومولود غلص وصارت جمعية العهد بالنسبة للعسكريين كجمعية الفتاة بالنسبة للدينيين ، ولم تكن كل منهما تعلم بوجود الأخرى حتى عام ١٩١٥ حين تم الاتصال بينهما في دمشق ووجدتا جهودهما لإشعال الثورة العربية<sup>(١)</sup> .

وكانت أهداف جمعية العهد هي السعي للحصول على الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تظل متحدة مع حكومة الأستانة اتحاداً يشبه اتحاد المجر مع النمسا مع بقاء الخلافة الإسلامية في آل عثمان<sup>(٢)</sup> .

وكانت مكانة عزيز على المصري في الأستانة ، وتنظيمه للمقاومة العربية في ليبيا ضد الغزو الإيطالي ونجاحه في التوفيق بين الإمام يحيى في اليمن

---

Antonius ; Ouv. Cit. pp. 188 — 189.

(١)

اختلفت الآراء في تحديد تاريخ نشأة جمعية العهد فيذكر أمين سعيد أنها أسست في ٢٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٣ وأطوفوس يذكر أنها أنشئت في عام ١٩١٤ ، يذكر عزيز على نفسه في صحيفة الجريدة (عدد ١٨ أغسطس آب ١٩٥٥) أنه أنشأها منذ عام ١٩١٢

Saab : Ouv. Cit. p. 234

(٢) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٤٦ .



عربين حكومة الاتحاديين ، كل هذه الاعمال جعلت له شهرة عظيمة حتى خشي بعض رءساء الاتحاديين أن يكون هدفه أن يصير إمبراطوراً على العرب<sup>(١)</sup> .

وقد كانت علاقة عزيز على الشخصية بأنور سيئة ، فقد كان عزيز لا يفتأ يوجه النقد إلى أنور ، وعندما كان الإثنان في برقة كان عزيز - رغم أنه مرءوس لأنور - فقد كان يوجه إليه ملاحظات تحط من قدره أمام الترك والعرب على السواء ، وظل عزيز يهاجم أنور حتى بعد هودة هذا إلى الأستانة وتولية وزارة الحرية .

وبعد ما عاد عزيز من برقة إلى الأستانة أراد أنور إبعاده عنها ( بسبب عدائه الشخصي ، ولعل أخباراً عن جمعية العهد وصلت إلى السلطات التركية ) ، فأصدر أنور قراراً بنقل عزيز على رئيساً لأركان إقطاع أنقرة ، فرفض عزيز تنفيذ النقل وقدم استقالته من الجيش . مما أدى إلى ازديادية أنور وجمال في نواياه ، وخشياً أن يكون قد قدم استقالته ليتحرر من قيود الوظيفة ، ليمارس نشاطه القوي متحرراً من كل قيد<sup>(٢)</sup> .

وبعد أسبوعين ، وفي التاسع من فبراير ( شباط ) ١٩١٤ أمر أنور باشا بالقبض على عزيز على ، بتهمة إساءة التصرف في مبلغ من أموال الدولة كان أنور باشا قد سلمه إليه قبل مغادرته طرابلس الغرب .

وسواء كان الترك على علم بنشاطه السري أو لم يكونوا على علم بهذا النشاط فإن التهم التي وجهت إليه خلعت من ذكر صلته بالجمعيات السياسية وإنما جاء في حريضة الاتهام في أثناء محاكمته السرية التي بدأت في الخامس والعشرين من مارس ( آذار ) ١٩١٤ أمام المحكمة العسكرية أنه إساء التصرف

Saab : Ouv. Cit. p. 235.

(١)

(٢) أحمد حزة الأظمى : القضية العربية ج ٤ ص ٥٨ - ٥٩ .

في أموال الجيش ، وترك برقة الإيطاليين مقابل رشوة ، وحاول إقامة دولة عربية في شمال أفريقية ولا شك أن نشاطه السياسي كان هو السبب ، فقد ذكر سير لويس مالتى Mallet سفير بريطانيا في الأستانة في الرابع والعشرين من فبراير ( شباط ) ١٩١٤ أن سبب اعتقال عزيز على المصرى سياسى ، لأنه لا شك في أن عزيز المصرى أحد القوى المحركة في جماعة شباب العرب المدنيين والعسكريين الناقين على الحكومة العثمانية الحالية ، ومن الصعب تقرير قيمة هذه الجماعة ولكن وصل إلى على أن بعضهم على الأقل معروفون بمنظمتهم لتنظيم حركة تهدف إلى تخليص كل المنطقة من الموصل إلى الخليج ( الفارسى ) من السيطرة العثمانية <sup>(١)</sup> .

وقد أدى اعتقال عزيز المصرى إلى إثارة المشاعر بين العرب في الأقطار العربية عامة وفي مصر خاصة ، فعقدت اجتماعات شعبية ، وقامت حملة صحفية ، وسارت المظاهرات في الشوارع ، وتوالى برقيات الاحتجاج على الأستانة ، وسارت في شوارع القاهرة مظاهرة كبرى اشترك فيها الحزب الأمازيكى ، ورفعت العرائض إلى السلطان مطالبة بانقاذ بطل برقة وبنغازى كما قصد أحد الضباط العرب منزل الزهراوى وأبلغه استياء العرب ، وطلب منه التحرى عن أسباب اعتقال عزيز على ، وزارت بعض الوفود لورد كيتشنر المعتمد البريطانى في مصر يطلبون تدخل بريطانيا دبلوماسياً ، وكما ذكر كيتشنر في خطابه إلى جراى في ٤ أبريل ( نيسان ) أنه كتب أكثر من مرة إلى السفير البريطانى في الأستانة يسأله السعى لدى الحكومة العثمانية من أجل عزيز على

---

Gooch and Temperley : British Doc. on the Origins of (١)  
the war ( 1936 ) Vol X part II pp. 833-4.

وقد علق عزيز على الحكم عليه مؤكداً زيف الاتهامات التى وجهت إليه وذكر أنه الحقيقة أنه كان يدعو إلى إقامة اتحاد فيدرالى من البلدان العربية .

المصري وعلل كقشعر ذلك بأن اعتقال ومحاكمة هزيم المصري قد أثارا الرأي العام في مصر (١) .

وفي أوائل أبريل (نيسان) علم أنه قد حكم عليه بالإعدام فازداد الغضب بين الضباط العرب ، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما وأخيراً صدر العفو عنه في ٢١ أبريل (نيسان) نتيجة استمرار الضغط على الحكومة العثمانية وأطلق سراحه على الأيقيم في الأستانة فجاء إلى مصر حيث استقبل استقبالاً حماسياً ، واعتبرت محاكمته حدثاً هاماً في العالم العربي هوأ هنيئاً كما قوى عزيمة العرب في طلب الحرية ، ولم يؤد العفو عنه إلى إرضاء الشعور العربي بل على العكس فعلن الوطنيون العرب إلى أن الانفصال التام عن الإمبراطورية أمر لا مناص منه وهكذا مهدت جماعة الاتحاد الترقى لثورة ١٩١٦ (٢) .

ولما كانت العهد جمعية سرية فقد كان من العسير الوقوف تماماً على الاتجاه الذي سارت فيه من أجل تحقيق أهدافها . إلا أنه لما كان بعض زعماء الترك المعارضين للاتحاد والترقي يتنادون بإقامة الإمبراطورية على أساس فيدرالى أو اتحاد فيدرالى تركى عربى ، فإن هؤلاء الزعماء الترك المعارضين كانوا يميلون إلى التفاهم مع العرب وإقامة ملكة ثنائية ، لكل منها برلمانها وكلاهما تحت حكم الخليفة السلطان على غرار إمبراطورية النمسا والمجر ، حتى لقد فكروا في اختيار عاصمة جديدة وكانت النية متجهة نحو حلب باعتبارها في موقع متوسط بين الترك والعرب (٣) . وحتى (جو كالب) فيلسوف

Gooch and Temperley : Ouv . Cit p. 831. (١)  
( from Kitchener to Grey, April 4, 1914 ).

فرنان ويلييه : الأسس التاريخية لمشكلات الشرق الأوسط . ترجمة نهدة هاج وطارق شهاب ( ١٩٦٠ ) ، ص ٥٩ .

(٢) أمين سعيد : المصدر السابق ج ١ ص ٤٨ .

Saab : Ouv. Cit. p. 237.

(٣)

القومية التركية نفسه يذكر — كما كتب في مقاله في ( بنى مجموعة ) في ١٥ مارس ( آذار ) ١٩١٨ — أنه نادى صراحة باستقلال العرب وتكوين اتحاد فيدرالى جديد يشترك فيه الترك والعرب كدولتين مستقلتين ، إلا أن ذلك جاء متأخراً (١) .

وعلى هذا الأساس فلا بد أن العهد وزعماءه حاولوا أولاً التعاون سرّاً مع الزعماء الترك المعارضين للاتحاد والترقي والمنادين بحل مشكلة الامبراطورية صوما والمشكلة التركية العربية على وجه الخصوص على أساس فيدرالى ، وهذا يفسر كراهية زعماء الاتحاديين لعزير على ، وبذكر تقرير الجيش الرابع أن عزير على كان على صلة بمجموعة اللامركزية التى كانت تتعاون مع المعارضة التركية (٢) .

والى جانب التعاون مع المعارضة التركية فقد اتجه نشاط جمعية العهد الى محاولة بث الدعوة بين الضباط العرب فى الجيش العثمانى ، ويقدر أمين سعيد عدد الضباط العرب الذين انضموا الى العهد بثلاثمائة وخمسة عشر من مجموع الضباط العرب فى الجيش العثمانى البالغ عددهم أربعمائة وتسعين ضابطاً . ويذكر تقرير الجيش الرابع أن جمعية العهد كانت تهدف إلى حشد الضباط السوريين والعراقيين فى بلادهم حتى يكون تحت تصرف الجمعية قوة على أهبة الاستعداد للثورة عندما يهين وقت العمل وبذلك تفاجأ الحكومة العثمانية وتصبح أمام الامر الواقع (٣) .

Emin, A. Ouv. cit. pp. 185-208

(١)

La Verité sur la Question Syrienne, p. 27.

(٢)

Saab : Ouv. cit. p. 237 .

La Verité ... p. 27.

(٣)

Saab : Ouv. cit. p. 238.

وخوفا من احتمال نشوب مثل هذه الثورة فقد قررت حكومة الاتحاديين إبعاد الضباط العرب للخدمة في أماكن نائية بعيداً عن بلادهم .

وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر جمعية العهد إحدى المحاولات العربية لتجديد الإمبراطورية على أساس فيدرالى تركى عربى ، وكذلك فهي محاولة مبكرة لخلق كيان للشرق العربى الحديث ، فقط كانت جمعية العهد تنادى بدولة عربية ولكن ضمن نطاق الإمبراطورية العثمانية وبذلك يمكن أن نعتبر أن جمعية العهد حملت لواء الوحدة الإسلامية العثمانية والقومية على السواء ، ولاشك أن عزيز على كان مخلصاً في الرغبة في التوفيق بين الترك والعرب ، وكان يعتبر أن هذا التوفيق في مصالحة الترك والعرب والإسلام ولذلك فإننا لا نستطيع أن نؤيد ما ذهب إليه تقرير الجيش الرابع العثمانى من أن الجمعيات العربية ومنها العهد كان لها برنامج ذو وجهين ، إذ أن عزيز على وزملاء كانوا مخلصين في رغبتهم تجديد الإمبراطورية ولكنهم عندما فشلوا في تحقيق هذا الهدف اتجهوا إلى العمل من أجل خلق كيان عربى مستقل تمام الاستقلال .

ولعل من الأسباب التى أوجت للعهد باختيار النظام التساوى المجرى أنه يشبه الخلافة من حيث أنها كانت نظاماً مركزياً من الناحية النظرية ولا مركزياً من الناحية العملية ، كما أن إمبراطورية النمسا والمجر كانت أقرب الدول شبهاً بالإمبراطورية العثمانية من حيث تعدد اللغات والأجناس (القوميات) داخل كل منهما (١) .

ورغم أن جمعية العهد نادى بقيام مملكة عربية في نطاق الخلافة العثمانية فإن برنامجها لم يعين حدود هذه الدولة العربية ، إلا أنه بالنظر إلى عضوية العهد وإلى بروتوكول دمشق في مايو (آيار) ١٩١٥ الذى وضعته العهد والعتاة عن الألمانى العربية ، ومن تقرير الجيش العثمانى الرابع ، يمكن أن نستنتج أن

هذه المماسكة كان مقدراً لها أن تشمل بوجه عام كل الأقاليم التي تتكلم العربية في الشرق العربي الآسيوي ومنطقة الهلال الخصيب على وجه الخصوص. فإن معظم أعضاء العهد إن لم يكن كلهم كانوا من الهلال الخصيب وخاصة من العراق ، باستثناء عزيز على المصري الذي كان المصري الوحيد في العهد .

وبمطالبة العهد بإقامة الدولة على نمط إمبراطورية النمسا والمجر وأن يكون للعرب كيان سياسي ، تكون الجمعية قد ذهبت إلى أبعد مما ذهب إليه أولئك الذين نادوا بكيان إداري وأقل من أولئك الذين طالبوا بكيان عربي منفصل تماماً .

ولا شك أن هذا التقدم كان نتيجة لنمو الوعي العربي وازدياد وطأة حكم الاتحاديين الذين أمعنوا في سياسة المركزية والترك ، ولو أن هذا الوعي القومي العربي كان وعي الصفوة لا وعي الجموع فكان يؤثر في سلوك العرب المثقفين مدنيين وعسكريين ، وكان معظم المثقفين في الشام والعراق يسمو وعيهم القومي فوق مستوى الطائفية ، واعتبروا أنفسهم عرباً أولاً وقبل كل شيء .

ومن المهم أن جمعية العهد لم تطالب بإقامة وحدة قومية عربية سياسية مستقلة تمام الاستقلال ، ولعلها كانت متأثرة بالوحدة الإسلامية التي تربط العرب بالترك أو أن الجمعية كانت ترى التدرج في الوصول إلى أهدافها ، أو لعله الخوف من الوقوع تحت سيطرة الدول الأوروبية التي تطمع في الاستحواذ على ما تبقى من ممتلكات في المشرق العربي . وهذا يجعل مطالب العهد معتدلة ومع ذلك فإن العهد لم تنجح في تحقيق أغراضها بسبب تعارض خططها مع سياسة الاتحاديين في المركزية والترك (١) .

ومن نواحي الأهمية في جمعية العهد إشراك الضباط العرب في هذا التنظيم ومزاولتهم للنشاط السياسي ، ولم تسكن هذه المحاولة الأولى في تاريخ الشرق العربي إذ سبقتها محاولة هراي في مصر إلا أن الظروف لم تسمح لحركة هراي بالاستمرار وبذلك لم تتح الفرصة للأعضاء العسكريين مثلما أتاحت لجمعية العهد ، لأن الأعضاء العسكريين في جمعية العهد لم يشتركوا فقط في الدفاع عن الأمة بل أسهموا كذلك في البناء السياسي ، ولم يقتصر اشتراكهم على الثورة العربية ، بل كذلك في الثورات العراقية والسورية ، وبعد أن كانوا قادة عسكريين لهذه الثورات لم يلبثوا أن أصبحوا زعماء سياسيين مدنيين في دولهم الجديدة (١) .

\* \* \*

وثمة امران يلتفتان النظر في الحركة القومية العربية خلال صدامها مع الاتحاديين ، أولهما أن معظم أحرار العرب كانوا لا يزالون متمسكين بالبقاء ضمن الإمبراطورية . وانحصرت مطالبهم في الإصلاح واللامركزية أو الاستقلال الذاتي ، وكما قاله توفيق الناطور إن فكرة القومية العربية لم تكن قوية بين جموع العرب ، وإن كل ما كانوا يطالبون به المساواة مع الترك في الحقوق والواجبات داخل نطاق الإمبراطورية وأقصى ما طالبوا به الاستقلال الذاتي مع استمرار الخضوع للخليفة العثماني .

والامر الثاني أن بعض العناصر العربية المسيحية وخاصة في لبنان كانت تسكره السيادة التركية ، وتتطلع نحو التحرر من حكم الترك لا بقصد تأليف دولة مستقلة في الشام لأنهم في هذه الحالة يكونون مضطرين للخضوع لحكم الأكثرية المسلمة ، وبذلك يتعرضون — حسب اعتقادهم — إلى الاضطهاد

والظلم ، وعليه كانوا يتطاعون فهو التحرر من السيادة الإسلامية بمساعدة دولة أوربية . وهي فرنسا تطرد الترك من البلاد وتحكم الشام بدلا منهم .

وفي مذكرة رفعها الأعضاء المسيحيون في اللجنة التنفيذية للجلس العمومي إلى مسيو كوجا Gougar قنصل فرنسا العام في بيروت في السادس والعشرين من فبراير ( شباط ) ١٩١٣ طالبوا بحماية فرنسا على كل الشام مع تمتع ولاية بيروت بعد ضمها إلى لبنان بحكم ذاتي تحت حماية وسيطرة فرنسا .

وقد رفع الوثيقة كل من د . أيوب ثابت وميشيل تويني ويوسف هاني وبيير طراد ورزق الله أرقش و خليل زيني . وقد وقعت هذه الوثيقة في يد الترك مما أدى إلى صدور حكم المجلس العرفي عليهم بالإعدام ١٩١٦ إلا أن الحكم لم ينفذ إلا في يوسف هاني ، أما تويني فقد كان في باريس وزيني وأرقش في القاهرة وطراد في الإسكندرية وأيوب ثابت في نيويورك<sup>(١)</sup> .

ولم يكن الموارنة يعتبرون ذلك خضوعا لدولة أجنبية طالما أن الدولة التي تحكمهم من نفس دينهم ، وقد تجل شعور الموارنة إزاء الفرنسيين في أثناء زيارة المدرسه الفرنسية ( Jules Ferry ) لميناء بيروت وجونيه في أواخر عام ١٩١٢ إذ خفت جموع الموارنة إلى الميناء ، وعندما عزف البحارة الفرنسيون نشيد المارشيلز انطلقت المظاهرات بحياة فرنسا حاميه المسيحيين<sup>(٢)</sup> .

وقامت مجموعة من ضباط السفينة بزيارة رسمية للبطريرك الماروني ، ورأى الموازنة في هذه الزيارة تعبيراً عن عطف فرنسا إلا أن حفاوة الموارنة بضباط السفينة الفرنسية كانت موضع انتقاد الصحف التركية ، ونقمة الاتحاديين على السوريين وعلى الحركة الإصلاحية في الشام .

---

(١) National Archives (Washington) , Djemal Pasha:Memories(1)  
of a Turkish Statesman ( N D. ) pp. 228 — 231 .

(٢) توفيق برو : مرجع سبق ذكره في ٢٣٢/٢٣٣ .



وعلى الرغم من أن هذا يعتبر انحرافاً شوه الحركة القومية العربية ، إلا أن هذا لم يكن شعور جميع مسيحي الشام ، وفي تقرير القنصل الأمريكي في بيروت مؤرخ في التاسع من ديسمبر ( كانون أول ) ١٩١٣ تعليقاً على زيارة بعض قطع الأسطول الفرنسي للساحل السوري جاء على أنه على الرغم من أن زعماء الموارنة والجزويت يميلون إلى فرنسا ويسعون إلى زيادة هيبتها في الشام ، وقد يرحبون باحتلال فرنسا البلاد ، فإن عامة هذه الطوائف ، وكذلك أعضاء الكنيسة اليونانية إلى جانب المسلمين والدروز والآلاف ممن تخرجوا في الجامعة الأمريكية ومدارس البعثات الأمريكية يعارضون بشدة إقامة النفوذ الفرنسي في الشام ، وأضاف التقرير الأمريكي أنه إذا جرى استفتاء ، فإن ٧٥ ٪ من الأصوات بل وربما ٩٠ ٪ سيكون ضد سيطرة فرنسا (١) .

وما يلتفت النظر أيضاً ما أثير حول مقدرة الشام على حكم نفسه ، وما إذا كانت فرنسا على صواب في التطلع للسيطرة عليه ، فقد كتب القنصل الأمريكي في بيروت عن الأحوال السياسية في الشام معلقاً على ما جاء في المجلة الأمريكية للقانون الدولي من أن فرنسا قد وصلت إلى ذروة توسعها ولم يعد هناك إقليم يمكنها أن تضع يدها عليه ، وأن الشام — الذي يطمح فيه المتعصبون الفرنسيون — راغب وقادر تماماً على أن يعنى بأموره في حالة تفكك الإمبراطورية العثمانية .

وعلى الرغم من أن القنصل الأمريكي — استناداً إلى آراء من استطلع رأيهم من الأمريكيين الذين أقاموا في الشام مدة طويلة — أكد أن الشام ليس قادراً على القيام بشئون نفسه بسبب عدم الانسجام بين الطوائف

---

National Archives ( Washington ) : Political Affairs in (1)  
Turkey, doc. no. 594, from American consulate, Beirut to secretary of state ( Dec. 9, 1913 ).

المسيحية بعضها وبعض وبين المسيحيين ، إلا أنه من ناحية أخرى عبر عن اعتقاده بأنه ليس من مصلحة فرنسا السيطرة السياسية على الشام إذ تكفيها الصعوبات التي تواجهها في إمبراطوريتها في شمال أفريقيا ، وأضاف أنه في حالة قيام حرب ، فإن فرنسا سوف تحشد كل جهودها ومواردها السياسية والعسكرية من أجل حماية مصالحها المتشابكة في أوروبا وشمال أفريقيا ، ولن تستطيع أن ترسل قوة كافية إلى قشام البعيدة ، بينما فرنسا ذاتها معرضة للغزو ، وقد أطلق القنصل الأمريكي هذا القول على أساس أن فرنسا ستتولى على الشام بقوة السلاح قبل الحرب العالمية ، أو في أثناءها ولم يدر بخلد القنصل الأمريكي ما وقع فعلا عندما استولت فرنسا على الشام عقب الحرب العالمية الأولى وذوال أخطارها عن فرنسا مع الحصول على تأييد حليفتها بريطانيا في الوقت الذي انسحبت فيه الولايات المتحدة بأفكارها ومبادئها المثالية من الميدان .

ويرى بعض من اسفرشد القنصل الأمريكي برأيهم أن على فرنسا - إذا تغلبت الحكمة على تصرفاتها - أن تقنع بالامتيازات الاقتصادية لرعايائها في الشام وبهيبتها الاجتماعية والثقافية في البلاد لأن الأغلبية المسلمة فيها وفي شبه الجزيرة العربية تعارض فرنسا وسوف تسبب لها المشاكل إذا حاولت أن تسيطر على الشام سياسيا ، وأنه إذا أتاحت الفرصة لأهالي الشام فإنهم سينظمون مقاومة مسلحة ضد السيطرة الفرنسية ، وسوف يهددون التأيد الأدبي من مصر أيضاً ، لأن العالم لن يرضى بانتزاع شعب الشام سياسيا من إخوانه في مصر وشبه الجزيرة العربية .

وفي رأى أمريكي آخر مقيم في الشام أنه إذا ترك وشأنه ، فلا يحتمل أن يظهر في البلاد فوضى واضطرابات ، ذلك أن الزعماء الوطنيين ... من

أجل كسب تأييد الدول الأجنبية — سيذلون كل ما في وسعهم من أجل المحافظة على الهدوء (١) .

وليس أدل على حقيقة شعور أهالي الشام نحو فرنسا وأطماعها في بلادهم من أنه عندما أخذ القنصل الفرنسي في لبنان يقوم بزيارات من أجل زيادة هيبة فرنسا وتقوية نفوذها وتدخل القنصل الإيطالي مطالباً بضرورة استشارته في شئون لبنان حيث كانت إيطاليا مصممة على مقاومة محاولة فرنسا إعلانه نفوذها في لبنان فإن الكثيرين من الأهالي رحبوا بهذا التطور الجديد بعد أن صاروا يملكون ما تردده فرنسا عن حقوقها في الشام ، ويبدو ذلك في ازدياد الإقبال على المدارس الإيطالية بقصد موازنة النفوذ الفرنسي (٢) .

---

National Archives: ( Washington ) : Political Affairs in (1)  
Turkey, Doc. no, 616 ( From American consulate, Beirut to  
Secretary of State, April 11, 1914 ),

« Political conditions in Syria, French influence and claims »  
Ibid, Doc, no, 631 ( from American consulate in Beirut (2)  
to Secretary of State, June 19, 1914 ) « Political conditions in  
Syria, Italian Opposition to French claims »,

## الفصل التاسع

### الأحوال في شبه الجزيرة العربية

وبينما هذا النشاط السياسي القوي يجري في النطاق الشمالي من الشرق العربي الآسيوي فإن أحداثنا أخرى مختلفة تماما كانت تجري في النطاق الجنوبي منه ونعني به شبه الجزيرة العربية التي كانت ظروفها تختلف كل الاختلاف عن الشام والعراق بحكم بعدها عن المؤثرات التي خلقت النشاط القوي فيهما .

ولقد شهدنا في فصل سابق كيف أن السيطره العثمانية على مختلف أنحاء شبه الجزيرة كانت سيطره إسمية ، ولكن القرن التاسع عشر شهد تغيراً في سياسة الدولة العثمانية تجاه تلك البقاع سواء كان هذا التغير تطبيقاً لحركة التنظيمات التي كانت تهدف إلى تقوية قبضة الدولة على ولاياتها ورعاياها أو لاستجابة لمصالح ألمانيا التي صارت حليفة للدولة العثمانية منذ الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، تلك المصالح التي تهم هذه المنطقة لخطورة موقعها الجغرافي .

ولذلك نجد أن الدولة العثمانية بدأت تقبّع إزاء هذه المناطق سياسة تهدف إلى إثبات ملكيتها لها ، وتدعيم سيادة الدولة عليها مادياً وأدياً ، ولكنها في كثير من أجزاء شبه الجزيرة العربية وبخاصة في منطقة الخليج كانت الجهود العثمانية تصطدم بالسياسة البريطانية ، تلك السياسة التي كانت تقدر هي الأخرى أهمية هذه المنطقة باعتبارها طريقاً حيويًا يؤدي إلى الهند ومن هنا وقعت بريطانيا بالمرصاد لأية محاولة من جانب الدولة العثمانية لإعلاء نفوذها في المنطقة ، واستخدمت بريطانيا في ذلك شتى الوسائل التي تتيحها لها الظروف سواء القوة إذا استطاعت ، أو التحالفات المحلية بين أمراء حكام الأقاليم ، والمنازعات القبلية داخل الإقليم الواحد .

### الحجاز :

لقد كان من أهم اختصاصات شريف مكة تأمين قوافل الحج ولذلك صار الأشراف مركز ممتاز باعتبارهم سدنة الأماكن المقدسة الإسلامية .

وحيث أن الدولة العثمانية كانت ترسل من مصر إلى الحجاز مبلغاً عديداً من المال سنوياً ويانتظام إلى جانب الأوقاف على الحرمين وأهل مكة والمدينة فقد ظل الأشراف في الحجاز على ولائهم للدولة العثمانية ، فكان شريف مكة يتسلم براءة منصبه في كل عام ويعترف بالقاضي الذي يعينه السلطان ويفخر بأنه خادم الدولة والخليعة العثمانية<sup>(١)</sup> . هذا على الرغم من أن نفوذ الدولة العثمانية قد أخذ في الضعف في مختلف أنحاء شبه الجزيرة منذ بداية القرن الثامن عشر .

وبعد ما استخلص محمد علي الحجاز من السلفيين ( الوهابيين ) في أوائل القرن التاسع عشر ( ١٨١١ - ١٨١٩ ) صار منصب شريف مكة تحت سيطرة ( عزيز مصر ) الذي أخذ يتدخل في اختيار الشريف وفق رغبته ، فعين الشريف محمد بن عون بدلاً من الشريف عبد المطلب بن غالب من آل زيد ( وكاف التنافس على الشرافة شديداً بين آل عون وآل زيد ) وقد ساعد الحكم المصري في كسر شوكة القبائل الأمر الذي عاون الأتراك في تقوية قبضتهم عقب انسحاب الحكم المصري سنة ١٨٤٠ ، فأخذ الأتراك يستغلون شريفاً بشريف وفق مصالحهم وعواطفهم . وكان مما ساعد العثمانيين على تشديد قبضتهم على الحجاز افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية منذ سنة ١٨٦٩ مما أتاح للدولة السيطرة على المناطق الغربية من شبه الجزيرة العربية .

ولذلك فقدت شرافة مكة خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الكثير من نفوذها السابق وخسر الحجاز بالتالي ذلك الاستقلال الذاتي

---

(١) هـ . السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ١٠٢ .

الذى كان يتمتع به من قبل . وأصبح زمام الأمور في الحجاز يجرى وفق مشيئة الوالى التركى ، وذلك بسبب التنافس الشديد بين آل عون أنفسهم ، ثم بينهم جميعا وبين آل زيد .

وعندما خلا منصب الشرافة سنة ١٩٠٨ تنافس عليه اثنان هما الشريف حسين بن على والشريف على حيدر ، وقد مال الاتحاديون إلى تعيين الشريف حسين بن على بسبب الوعود التى بذلها لهم بمساعدة الدولة فى القضاء على الأمراء الثامرين ضدّها فى عسير ونجد واليمن ، فعين فى سبتمبر ( أيلول ) سنة ١٩٠٨ ، وكان فى سياسته حريصا على اظهار ولائه للحكومة الاتحاديين ، وفعل استجاب لطلبهم فوجه فى سنة ١٩١٠ الحملات للقضاء على ثورة السيد محمد على الادريسي فى عسير ، كما أرسل الحملات إلى إقليم القصيم وكاد يشتبك فى قتال مع عبد العزيز آل سعود أمير نجد ، واستمرت مضايقاته لابن سعود طوال عامى ١٩١١ . ١٩١٣ :

وبقال إن الحسين ابن على أراد — بولائه الظاهر للأتراك — أن يخفى أطباعه الحقيقية التى كانت تهدف إلى توسيع سلطنة شرافته .

وعلى كل حال فإن الخلاف لم يلبث أن دب بين الشريف حسين وحكومة الاتحاديين بسبب سياسة المركزية التى أخذ الاتحاديون فى اتباعها ، وهى السياسة التى كانت تهدف إلى ربط الولايات العثمانية التى تتمتع بقدر من الاستقلال ربطا حكما بعاصمة الدولة ، وكان معنى هذا الحد من نفوذ الشريف مكة ، وقد ساءت العلاقات بين الشريف حسين بن على وحكومة الاتحاديين ، خصوصا عندما عين هؤلاء وهيب باشا واليا على الحجاز على أن يجمع فى يده كل السلطة ، وبذلك يتعادل نفوذ الشرافة بجانب نفوذ الوالى العثمانى ، كما أخذ العثمانيون يفكرون فى مد خط سكة حديد الحجاز — والذى كان فى

عام ١٩٠٨ يربط الشام بالمدينة - من المدينة إلى مكة ولذلك يصبح الحجاز كله في متناول أيديهم وتحت سيطرتهم .

ولا شك أن هذه المشروعات والمخططات أفلقت بال الشريف حسين الذي أيقن أنه لا مفر من وقوع صدام بينه وبين الاتحاديين، وهذا ما سيدهوه إلى التطلع إلى دولة كبرى يستطيع أن يعتمد عليها وعلى معوتها في حالة وقوع هذا الصدام فعلاً (١) .

\* \* \*

نجد :

تركز الحكم العثماني في شبه الجزيرة العربية على سواحلها الغربية ولم يتوغل في قلبها ، وحاولت الدولة في عهد السلطان سليمان المشرع غزو وسط شبه الجزيرة في عام ١٥٥٠ لإخضاع نجد وشمرو لكن هذه الخلة لم تصل إلى تحقيق هدفها .

ولقد أهملت قبائل شبه الجزيرة شعار الدين الإسلامي وانشرت كثير من البدع التي كانت قائمة في الجاهلية وقبل ظهور الإسلام الأمر الذي أدى إلى ظهور الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتنقية تعاليم الدين الإسلامي مما شابها من ضلال ، داعياً للعودة بالدين إلى سيرته الأولى .

ولجأ محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن سعود أمير الدرعية من مدائن نجد ومنذ منتصف القرن الثامن عشر اعتنق ابن سعود الدعوة السلفية وتعمد بنشرها في شبه الجزيرة العربية ، بل وأراد توسيع نطاقها في البلاد العربية المحيطة بها الأمر الذي أدى إلى الصدام مع العثمانيين .

---

(١) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٢٥ .

(١٣ - حركة القفلة )

وأخذ آل سعود يعملون لأداء هذه المهمة في شبه الجزيرة شرقاً وغرباً وجنوباً ، فسيطروا على الحسا وشرعوا في غز المدن العراقية الجنوبية ، ثم اتجهوا إلى الحجاز ومنه تطلّعوا إلى الشمال فوصلوا إلى حوران والكرك ووقفوا على مشارف فلسطين والشام ، بل وهزموا قوات الدولة التي خرج بها والي الشام عبد الله العظيم للحج سنة ١٨٠٥ (١) .

وعندما تقلص نفوذ العثمانيين من شبه الجزيرة وضاع منهم الحجاز على وجه الخصوص بل وأصبح العراق والشام مهددين وعجزت جيوش الدولة عن كسر شوكة السعوديين واضعاعهم اجأت الدولة إلى واليها على مصر محمد علي لاسترداد سلطتها في شبه الجزيرة العربية . وتوالى حملات محمد علي (١٨١١ - ١٨١٩) حتى استطاع دخول الدرعية والقضاء على الامارة السعودية الأولى ، وأصبحت نجد منذئذ تابعة لباشوية القاهرة ، واستمرت كذلك أكثر من عشرين عاماً وأصبحت الرياض عاصمة جديدة لنجد .

وإزاء الفوضى التي سادت الإقليم بسبب اعتمادات القوات التركية والألبانية فقد سعى تركي بن عبد الله آل سعود لإعادة سيطرة السعوديين على نجد ، فدخل الرياض واستعاد الحسا ، ولكنه ظل يدين بالولاء والتبعية لباشوية القاهرة (٢) . وبعد اغتيال تركي سنة ١٨٣٤ انتهى ابنه فيصل تركيز حكومة القاهرة اهتمامها على السواحل وإهمال شئون نجد وشرق شبه الجزيرة . فكف عن دفع الجزية لباشوية القاهرة فأرسلت حكومتها حملة سنة ١٨٣٨ هزمت فيصلاً ونقلته أسيراً إلى القاهرة . ولكن القوات المصرية لم تلبث أن انسحبت سنة ١٨٤٠ من كافة أنحاء شبه الجزيرة ، فهرب فيصل من سجنه

(١) د . السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٣٣ .

(٢) د . السيد رجب حراز . مرجع سبق ذكره ص ١٣٥ .



بالقاهرة وعاد إلى نجد ودخل الرياض وظل يحكم من سنة ١٨٤٣ حتى آخر ١٨٦٥ وفي خلال هذه الفترة لم يكن لحكومة الأستانة أى سلطة أو نفوذ في نجد، وحتى الحاميات العثمانية المتناثرة في وسط شبه الجزيرة كانت قد انسحبت إلى الحجاز وتمركزت في المدينة المنورة .

وفي هذه الفترة انصرف فيصل إلى الاهتمام بشئون نجد واستعادة الأملاك التي فقدتها الإمارة السعودية ، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير، فأخضع الحسا وامتدت سلطته إلى القصيم وحتى أطراف الحجاز وعسير كما دانت له إمارة جبل شمر حيث كان يحكم آل الرشيد في حائل .

وقد بلغت الإمارة السعودية الثانية - منذ منتصف القرن التاسع عشر - درجة من القوة لفتت نظر حكومة الهند البريطانية وكذلك فرنسا ، حتى أوفدت بريطانيا الكولونيل لويس بلي Lewis Pelly المقيم البريطاني في الخليج لمباحثة فيصل ويقال إن هذه الزيارة أسفرت عن توقيع اتفاق بين الطرفين لم يثر على نصوصه (١) . كما أوفدت فرنسا في سنة ١٨٦٢ ولیم جيفورد بلجريف Palgrave ورغم أنه انتقد السلفية والسلفيين إلا أنه لم يستطع أن ينسکر أن الأمن انتشرت ألویتة في ربوع نجد في عهد فيصل (٢) .

وبعد وفاة فيصل في ديسمبر (كانون أول) ١٨٦٥ دب النزاع بين أبنائه واشتعلت نار الفتن والحروب فانتزع سعود من أخيه الأكبر عبد الله إقليم الحسا وأصبح يهدد الرياض فأراد عبد الله الالتجاء إلى آل الرشيد في حائل . وبينما هو في طريقه إليها راسل مدحت باشا والى بغداد طالباً المعونة لمواجهة ثورة أخيه وعارضا التبعية للدولة العثمانية ، إلا أنه سرعان ما ندم على هذا التصرف ؛ فعاد إلى الرياض ولكن أخاه سعوداً دخلها سنة ١٨٧١ .

Philby, et J, ; Saudi Arabia, p. 216

(2)

(٣) د . السيد وجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٢٩ .

ولما كان استنجد عبد الله قد وصل إلى مدحت باشا ، كان هذا من ناحيته يفكر جديداً في ضم الحسا ونجد فقد انتهر مدحت هذه الفرصة السانحة فأصدر بيانا أعلن فيه أن نجد خاضعة للدولة العثمانية وإن عبد الله ابن فيصل مفوض من قبل السلطان العثماني ( أو قائم مقام ) في نجد ، وأن حملة عسكرية تركية سوف ترسل من بغداد لإقرار النظام ومساندة قائم مقام الدولة ضد أخيه المتعرد (١) .

وفي ٢٠ أبريل ( نيسان ) تحركت الحملة العثمانية من البصرة واستولت على الحسا ، وقد أصدر مدحت باشا - عند تحرك الحملة - بيانا وجهه إلى سكان نجد أعلن فيه أن « نجد من الممالك المقدسة الراجعة إلى الدولة العثمانية وإذا كانت الدولة قد تناقلت عنها حيناً من الزمان فقد كان ذلك لانشغالها عنها ونتج عن ذلك استحكام الفوضى في داخلها ، وأن الدولة تتدخل الآن لإصلاح ما فسد ، (٢) . وقد استطاع الترك إزلال الهزيمة بسعود في معركة خويرة .

وقبل نهاية سنة ١٨٧١ أصدر مدحت باشا بيانا أعلن فيه أنه بسبب شكايات أعيان نجد صدرت الأوامر بمزل آل سعود من حكم هذه البلاد وإناطة حكمها إلى حاكم تركي وأن نافذ باشا قائد الحملة التركية قد عين متصرفاً على نجد ، كما وصلت الإمدادات لتعزيز القوات التركية في الحسا بما أثار شكوك عبد الله الذي فطن إلى أن الغرض من الحملة التركية على الحسا لم يكن حمايته من أخيه سعود بل إزالة الحكم السعوي كاه وإدارة البلاد مباشرة كأي إقليم عثماني ، ولذلك هرب من قبضة الترك ووصل إلى الرياض حيث رُحِبَ به أهلها .

ويبدو أن الأتراك أدركوا أن حكم نجد حكماً مباشراً سيكون عبئاً ثقيلاً

(١) Dickson : Kuwait and her Neighbours, p. 126.

(٢) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ( ١٨٤٠ - ١٩١٤ ) ص ١٨٣ - ٤ .

بسبب ظروفها الطبيعية لدخلوا في مفاوضات مع سعود ، إلا أن هذا لم يلبث أن توفي في يناير (كانون ثاني) ١٨٧٥ ، فعاد الانقسام مرة أخرى بين أفراد البيت السعودي الأمر الذي أدى إلى إضعافه وانحيار الإمارة السعودية الثانية في أوائل العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، فقد أتاحت الفرصة لآل الرشيد في حائل لوسط نفوذهم على المناطق الشمالية من نجد وبخاصة القصيم وكانت الحكومة العثمانية تساعد آل الرشيد بالمال والسلاح للإطاحة بحكم آل سعود في نجد ، وزحف أمير حائل على الرياض ودخلها ونقل عبد الله إلى حائل وأعدم ثلاثة من أبناء سعود وبذلك أصبح محمد بن الرشيد صاحب السيطرة في المنطقة .

وبعد وفاة عبد الله سنة ١٨٨٩ هـ قادت البيعة لأخيه عبد الرحمن الذي طاه إلى الرياض تحت سيطرة آل الرشيد ولكنه أخذ يكافح من أجل الاستقلال عنهم ولكن محاولته لم تنجح واحتلوا الرياض فغادرها عبد الرحمن .

ويبدو أن الترك صاروا ينظرون بعين القلق إلى ازدياد نفوذ حليفهم ابن الرشيد ، فحاولوا الاتفاق مع عبد الرحمن آل سعود على أساس تمكينه من استرجاع الرياض شريطة اعترافه بسيادة الدولة العثمانية عليه ودفع الجزية السنوية لها ، ويقال إن ثمة شرطا آخر وهو السماح لحامية عثمانية بالإقامة في الرياض ، ولكنه رفض لعدم ثقته بالعثمانيين فإن ذاكرته كانت لا تزال تسمى حاصمه عن شتى الإمام عبد الله بن سعود في الميدان المواجه لمسجد أيا صوفيا بالاستانة<sup>(١)</sup> .

وإزاء ازدياد شكوك العثمانيين في نوايا ابن الرشيد قرروا مساعدة عبد الرحمن على استرداد ملكه ، فأرسلت الحكومة العثمانية إلى الشيخ محمد آل

---

(١) د السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٥٤ .

الصباح أمير الكويت للاقامة عنده فانتقل إليها سنة ١٨٩٣ ، بل ويقال إنه الحكومة العثمانية هي التي تسكّلت بنفقات إقامته في الكويت دون عليه<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ١٩٠١ خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من الكويت على رأس سرية ، وفي ١٥ يناير (كانون ثان) ١٩٠٢ هاجم حامية آل الرشيد في الرياض وانتزع المدينة من الأمير المعين من قبل ابن الرشيد .

واستدعى عبد العزيز إلى الرياض أباه عبد الرحمن الذي احتفظ بلقب الإمام رأس الأسرة المالكة ، بينما ظل ابنه عبد العزيز الرئيس الفعلي للحكومة وقائد جيشها وظل الأمر كذلك حتى قضى عبد الرحمن سنة ١٩٢٨ . وأخذ عبد العزيز يعمل على استعادة مركز أسرته في نجد وبناء الإمارة السعودية الثالثة .

إلا أن توسع عبد العزيز أزهج الترك وآل الرشيد في آن واحد فماد التقارب بينهم وأمد الترك عبد العزيز بن متعب وارث إمارة حائل بالمساعدات العسكرية إلا أن عبد العزيز آل سعود هزمه في معركة البكرية . ولما كانت ثورة الإمام يحيى على أشدها في ذلك الوقت رأت الحكومة العثمانية أن تضيق من نطاق عملياتها العسكرية في وسط شبه الجزيرة ، فاستعانت بوساطة الشيخ مبارك أمير الكويت وتمسك الإمام عبد الرحمن بموقفه ولم تسفر المفاوضات إلا عن الاتفاق على جلاء القوات التركية التي جاءت لمساعدة ابن الرشيد وعودتها إلى بغداد والمدينة المنورة وفشلت محاولات الترك جعل القصيم منطقة حيادية تقيم بها حامية عسكرية تركية .

وفي الواقع فإنه منذ سنة ١٩٠٦ أصبح عبد العزيز آل سعود هو القوة

المسيطرة في وسط شبه الجزيرة ، ونجح في سنة ١٩١٣ في إلتزاع الحسا منه الترك وبذلك وصلت الإمارة السعودية إلى شواطئ الخليج .

ومن العوامل التي ساعدت عبد العزيز آل سعود خلال هذه الفترة على تدهيم سلطته وتوسيع رقعة ممتلكاته انشغال الترك بثورة الإمام يحيى في اليمن والاضطراب في إمارة حائل بعد مقتل عبد العزيز بن متعب آل الرشيد في معركة مع عبد العزيز آل سعود ١٩٠٦ ، ثم انشغال الترك في عاصمة الدولة ذاتها بالصراع الداخلي بين السلطان عبد الحميد الثاني والآتراك الأحرار ، ثم انشغال حكومة الاتحاديين بالحرب الطرابلسية ضد الطليان ( ١٩١١ - ١٩١٢ م ) ، وبالحرب البلقانية ( ١٩١٢ - ١٩١٣ م ) ، يضاف إلى ذلك معارضة النجملات للتوسع العثماني في الخليج خصوصاً بعد ازدياد النفوذ الألماني في الدولة العثمانية بظهور مشروع سكة حديد بغداد .

واضطرب الترك للاعتراف بالأمر الواقع وعقدوا اتفاقاً مع ابن سعود وبمقتضاه اعترفوا بحكم آل سعود في نجد والحسا وتعهدوا بعدم التدخل في شئونه وفي مقابل ذلك وافق ابن سعود على الاعتراف بالسيادة التركية الإسمية<sup>(١)</sup> .

#### الخليج :

وعندما شرعت الدولة العثمانية في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر في محاولة إخضاع الخليج لسيظرتها وجدت أن النفوذ البريطاني قد سبقها وتسلسل إليه ، وصارت بريطانيا تجاهد في مقاومة محاولات الدولة العثمانية ، وذلك باستخدام وسائل شتى منها استعراض قوة الأسطول البريطاني ، أو تكميل مشايخ الخليج بمعايدات تحت ستار محاربة تمهارة الرقيق والقرصنة ، ولقد أرادت

بريطانيا الانفراد بهذا العمل حتى أن حكومة الهند عارضت اقتراح حكومة  
الاستانة سنة ١٨٤٧ بمشاركة سفن الاسطول العثماني في تفتيش المراكب التي  
يشتهب في أنها تحمل رقيقاً .

ومن المرجح أن الدولة العثمانية لم تفكر جدياً في إقامة نفوذها الفعلي على  
سواحل الخليج إلا بعد سنة ١٨٦٩ لأنه في ذلك العام افتتحت قناة السويس الملاحة  
البحرية الأمر الذي جعل في استطاعة الاسطول العثماني الانتقال من البحر المتوسط  
إلى الأحمر ومنه إلى الخليج ، كما أنه في السنة نفسها عين مدحت باشا والياً على  
بغداد وظل في المنصب حتى سنة ١٨٧٢ ، وكان مدحت من زعماء الإصلاحيين  
الذين كانوا يدعون إلى تدعيم نفوذ الدولة الفعلي على ولاياتها الآسيوية التي  
لا تتمتع فيها إلا بسيادة اسمية وذلك لتعويض خسائرها في أقاليمها الأوروبية  
ولتقوية الدولة في مواجهة الأطماع الأوروبية ، ولذلك أخذ مدحت يخطط  
... . لنفوذ العثماني على الكويت وجزر البحرين وشبه جزيرة قطر .

#### الكويت

ظلت إمارة الكويت حتى الستينات من القرن التاسع عشر تخضع للسيادة  
العثمانية الاسمية ، وفي سنة ١٨٧٠ وجرياً على سياسة استعادة نفوذ الدولة العثمانية  
في الأقاليم العربية استصدر مدحت فرماناً سلطانياً يقضى بإعلان الكويت  
منجماً تابعاً لمنصرفية الحسا على أن يحمل شيخ الكويت لقب قائمقام ، ويستقل  
بإدارة شؤونه الداخلية ، ولا يدفع أية رسوم للحكومة العثمانية (١) .

وقبل عبد الله بن صباح آل الصباح شيخ الكويت (١٨٦٦ - ١٨٩٢)  
لقب القائمقام ، ومنحته الدولة أيضاً لقب الباشوية وأنعمت عليه بأراض

---

(١) د . صلاح المتباد : الاستعمار في الخليج المارسي ص ١٦٩ - ١٧٠

واسعة على شاطئ الفرات قرب الفاو ، وأخذ يمد يد المساعدة للدولة في إخماد الثورات التي قامت ضد الحكم التركي في شرقي شبه الجزيرة العربية .

وبعد وفاة عبد الله آل الصباح سنة ١٨٩٢ دب الخلاف بين إخوته إلى أن استطاع أخوه مبارك في سنة ١٨٩٦ الاستيلاء على السلطة بعد قتل أخويه وبعد أن كانت الدولة تفكر في عقابه استجابت لنصيحة رجب باشا وإلى بغداد بعدم التدخل وأصدر السلطان عبد الحميد الثاني في يناير ١٨٩٧ فرماناً بتعيين مبارك قائماً عن الكويت ، وقد قبل مبارك اللقب رغبة في الاحتفاظ بممتلكات أسرته في الفاو . ومع ذلك فقد حاول مبارك مقاومة جهود الترك لبسط سلطتهم على الكويت حتى أنه - في سبيل ذلك - عرض على أحد مساعدي المقيم البريطاني في الخليج رغبته في وضع نفسه وبلاده تحت حماية بريطانيا<sup>(١)</sup> .

إلا أن الحكومة البريطانية لم تستجب لهذا العرض لأنها كانت تعترف بتبعية الكويت للدولة العثمانية ، ولأن مباركاً نفسه قبل من الترك منصب قائمقام مما يجعل اعتراف بريطانيا باستقلاله أمراً صعباً ، كما أن بريطانيا لم تكن ترغب في إثارة الاضطرابات والفتنة في الخليج<sup>(٢)</sup> ، ولعلها حتى ذلك الوقت لم تكن قد تبينت أن ثمة خطراً يهدد مصالحها في هذه المنطقة .

ولكن لم تلبث أن ظهرت عوامل دفعت السلطات البريطانية في الهند إلى إعادة النظر في عرض الأمير مبارك منها ما يتردد عن محاولات روسيا الحصول على منفذ لها على الخليج ، علاوة على المشروع الألماني لخط سكة حديد برلين / بغداد .

(١) د . السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٧٢ .

(٢) Wilson, A, T, : The Persian Gulf. p, 251, 2.

فقد كان الروس في ذلك الوقت يزدون من نشاطهم في إيران ، وكان كروجلو Kruglo القنصل الروسى في بغداد يسعى من أجل الحصول لروسيا على ميناء أو محطة للنحم على الخليج مع بسط النفوذ الروسى في المنطقة ، وفي نفس الوقت تقريبا تقدم السكونت فلاديمير كابنيست Valadimir Kopnist في سنة ١٨٩٨ وهو أحد رجال الأعمال الروس إلى السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى بمشروع لبناء خط حديدى من ميناء طرابلس على ساحل الشام إلى أحد موانئ الخليج ، وقد أحال السلطان هذا المشروع إلى وزير الأشغال فى الدولة العثمانية لدراسته (١) .

وإلى جانب ذلك فإن ألمانيا - فى ذلك الوقت أيضاً - كانت قد أخذت تعمل على إهلاك نفوذها فى الدولة العثمانية ، وصارت سياسة ألمانيا تقوم على استغلال موارد تركيا المعدنية والزراعية بواسطة مد شبكة واسعة من الخطوط الحديدية تحت سيطرة الألمان ، وكان السلطان عبد الحميد من ناحيته - وقد استجاب للتقارب الألمانى - يؤمن بفائدة الخطوط الحديدية عموماً لأنها تتيح له فرصة تقوية قبضته على أقاليم الدولة وإخضاع أى محاولة من جانبها للخروج على طاعة الدولة أو عدم القيام بالتزاماتها نحوها أو محاولة الانفصال عنها ، وخصوصاً الخط الذى يربط البصرة ببغداد والخليج من ناحية ، ودمشق والحجاز من ناحية أخرى .

وفى سنة ١٨٩٣ وصل الخط إلى أنقرة ، وسار المشروع الألمانى قدماً بين سنة ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ حتى لقد أدى إلى وضع مشروع كابنيست الروسى ( على الرف ) حيث إن السلطان عبد الحميد لم يكن مرتاحاً إليه لأنه يؤدى إلى

---

Earle, E. M.: Turkey, the Great Powers and the Baghdad (١)  
Railway. p. 58 .



توغل نفوذ روسيا في الدولة العثمانية . وفي نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٨٩٩ أصدر السلطان العثماني قراراً بمنح البنك الألماني امتياز مد خط حديدي من قونية إلى بغداد والخليج .

وفي البداية لم يساور الحكومة البريطانية القلق إزاء هذا المشروع طالما أنه لم يكن قد اتضح بعد أن الألمان يعملون على مد هذا الخط إلى الخليج ، كما كان البريطانيون يفضلون وجود الألمان في الأناضول والمراق على وجود الروس .

ولكن لم يلبث أن اتضح لبريطانيا أن الألمان قد عقدوا العزم على جعل الكويت نهاية لهذا الخط الحديدي ، وعندئذ استبد بها القلق خوفاً على مصالحها وسيطرتها في الخليج وبالتالي في الهند ، وكان كيرزون الذي صار منذ سنة ١٨٩٨ نائبا للملك في الهند حريصا على الوقوف في وجه أى خطر يهدد مركز بريطانيا ومصالحها في الخليج الذي كان يعتبره منطلقه بريطانية مغلقة لا يمكن السماح لأى دولة بالحصول على مركز تجارى أو بحرى على سواحلها ولذلك فإنه في تقرير له إلى حكومته بتاريخ ١٨ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٨٩٨ دعا إلى بسط الحماية البريطانية على الكويت في أقرب وقت ممكن ( وبنفس الطريقة التى بسطت بها الحماية البريطانية على البحرين في سنة ١٨٩٢ ) ، وكان من رأيه أن هذا لا يستلزم بالضرورة التدخل في الشئون الداخلية للكويت وإنما يكفي تخصيص سفينة حربية بريطانية لزيارة الكويت من حين لآخر ، وبذلك تحول بريطانيا دون إقدام أية دولة على رفع علمها على الكويت ، ودون محاولة الأتراك مهاجمة الكويت والاستيلاء عليها .

وعلى هذا الأساس عهد كيرزون إلى الكولونيل مالكولم جون ميد Meade المقيم السياسى في الخليج بالتوجه إلى الكويت ومفاوضة شيخها من أجل وضع إمارته تحت الحماية البريطانية ، وفي ٢٣ أبريل ( نيسان ) ١٨٩٩ أبرم

عبد مع الشيخ مبارك اتفاقية تعهد فيها الأمير بالآلا مستقبل وكيلا أو ممثلا لآلية دولة أو حكومة فى الكويت بدون إذن سابق من الحكومة البريطانية ، كما تعهد بالآلا يتنازل أو يبيع أو يؤجر أو يرهن أو يمنح بغير الضل الاحتلال أو أى فرض آخر أى جزء من أراضيه إلى حكومة أو رعايا أية دولة أخرى بدون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية<sup>(١)</sup>. كما أن بريطانيا تعمدت مقابل ذلك بمنح شيخ الكويت مساعدة مالية مع الدفاع عنه وعن إمارته .

وهكذا وضعت هذه الاتفاقية الكويت من الناحية العملية تحت الحماية البريطانية .

وإذا كان الخوف من النشاط الروسى والنشاط الألماني هو الذى دفع لورد كيرزون إلى التعجيل بعقد اتفاقية سنة ١٨٩٩ مع شيخ الكويت ، فقد كان لدى هذا الأخير من الدوافع ما حفزه إلى الارتباط ببريطانيا وهى دوافع نتجت عن توتر علاقاته مع الدولة العثمانية من ناحية ومع بعض جيرانه من ناحية أخرى .

فقد كانت الدولة العثمانية تسعى لبسط سيطرتها على الكويت وترددت شائعات عن تجمع القوات العثمانية فى البصرة للزحف على الكويت لعزل الشيخ مبارك الذى لم تكن علاقته طيبة بوالى البصرة حمدى باشا الذى كان يساند إخوة مبارك ضده فى الادعاء بملكية الأراضى الزراعية فى منطقة البصرة ، وحاول الزوج بأمر آل الصباح اللاجئين إلى البصرة فى مشروعات سياسية لتتخلص من مبارك ، وكان اشتراك الكويت مع العراق فى الحدود من شأنه أن يجعل الغزو سهلا ميسورا .

---

Hurewitz : Diplomacy in the Near East, Vol. I. Doc. no. (١)  
100, pp. 218, 219

كما أن السلطان عبد الحميد الثاني ولو أنه كان قد اعترف بالامر الواقع في الكويت عندما أصدر في يناير ( كانون ثان ) ١٨٩٧ فرماناً بتعيين الشيخ مبارك قائماً على الكويت إلا أنه لم يلبس أن مباركاً اغتصب حكم الإمارة من أخيه ممثل السلطان في الكويت وتبوأ عرشاً دون الحصول على موافقة الحكومة العثمانية .

لذلك أراد الأتراك معاقبة مبارك مستخدمين في ذلك عبد العزيز بن متعب آل الرشيد أمير حائل الذي أفهموه أن من يمتلك الرياض وحائل لابد وأن يمتلك الكويت حتى يكون له منفذ على الخليج . وبذلك حرصوه على الشيخ مبارك ، لذلك كان هذا الأخير يشعر بالقلق على إمارته من ناحية أطماع ابن الرشيد التوسعية ، لذلك ومن أجل الحفاظ على الكويت من أطماع الأتراك وابن الرشيد لحا الشيخ مبارك إلى عقد اتفاقية ١٨٩٩ مع بريطانيا ، ولو أن ذلك لم يضع حداً لمحاولات الحكومة العثمانية فرض سيطرتها على الكويت .

في أوائل عام ١٨٩٩ وبعد أن قامت الفرق الألمانية أنقرة بدراسة منطقة رأس الخليج غادرت العاصمة التركية بعثة ألمانية برئاسة المستعرب Stemrich مع الملاحق العسكري الألماني لدراسة المناطق التي سوف يمر بها خط سكة حديد بغداد لمعرفة إمكانياتها الاقتصادية والاستراتيجية حتى يمكن تحديد مسار الخط وشراء المساكن الذي يصلح نهاية له<sup>(١)</sup> .

وفي أوائل سنة ١٩٠٠ وصلت البعثة الألمانية إلى الكويت للبحث عن مكان مناسب ينتهي عنده خط سكة حديد بغداد ، وحاول المستعربين ،فاوضة الشيخ مبارك لاختيار موقع رأس كاظمة نهاية للخط ، ولكن

---

Earle : Ouv. Cit, p. 34,

Jastrow : The war and the Bagdad Railway. p. 83.

(١)

الشيخ مبارك — بإيعاز من السلطات البريطانية — لم يحسن استقباله ورفض التنازل عن أية أراض حول رأس كاظمة استناداً إلى اتفاقية بنابر (كانون ثان) ١٨٩٩ مع بريطانيا ، وعندما فكرت الحكومة العثمانية في إخضاع أمير الكويت انبرت بريطانيا للدفاع عنه في صيف ١٩٠٠ ظهر هزم الترك على استعادة مصالحهم في الكويت خصوصاً بعد الاصطدامات المسلحة بين الشيخ مبارك وابن الرشيد بسبب تأييد الأول للشيخ عبد الرحمن بن فيصل آل سعود في الهجوم على نجد لانتزاعه من ابن الرشيد . وأخذت الحكومة العثمانية في تدبير هجوم مزدوج على الكويت بحيث ترحف القوات التركية من البصرة من ناحية ، وقبائل شمر من حائل من ناحية أخرى ، إلا أن القوات البحرية البريطانية في الخليج اتخذت الترتيبات اللازمة والعاجلة للدفاع عن الكويت مما اضطر كلا من ابن الرشيد والترك إلى الانسحاب إلى حائل والبصرة على التوالي ، كما لم تفلح محاولات الترك استخدام بعض منافسي الشيخ مبارك من آل الصباح بفضل تلبه الأسطول البريطاني في الخليج واحتجاج السفير البريطاني في الأستانة .

وفي مارس ١٩٠٢ منح السلطان العثماني شركة حديد الأناضول الألبان الثاني لبناء خط سكة حديد بغداد ، ومنذ السنة التالية شرع الألمان في بناء الخط ، وفي الوقت نفسه أخذت بريطانيا تدعم نفوذها في الكويت ، ففي سنة ١٩٠٤ وافق الشيخ مبارك على عدم السماح لاية دولة غير بريطانيا بإقامة مكاتب للبريد في الكويت ، وفي يونيو (حزيران) من نفس السنة عين أول وكيل سياسي لبريطانيا في الكويت ، ولم تجد نفعا الاحتجاجات التي قدمتها الحكومة العثمانية .

ومع أن خط السكة الحديد إلى بغداد لم يمتد — في سنة ١٩٠٤ — لاكثر من مائتي كيلومتر وراء قونية ، وتأخر عبور الخط جبال طوروس حتى سنة

١٩١٠ بسبب المصاعب المالية والسياسية ، إلا أن الإنجليز كانوا يذلون كل ما في وسعهم من أجل عرقلة وصول الخط إلى الكويت ، ففي سنة ١٩٠٧ عقدوا مع الشيخ مبارك اتفاقاً وافق بموجبه على أن يؤجر بصفة دائمة إلى الحكومة البريطانية قطعة من الأرض في بندر الشويخ ومدينة الكويت لتحسينها وتحويلها إلى قاعدة بحرية ومحطة للفحم لبريطانيا ، الأمر الذي يمكن بريطانيا من التحكم في ثغر الكويت وبذلك يجعل الموضوع المقترح لنهاية الخط الحديدي على الجانب الشمالي من خليج الكويت تحت رحمة المدفعية البريطانية ، واحتفظت الحكومة البريطانية لنفسها بحق إنهاء إيجار منطقة بندر الشويخ في أى وقت تشاء<sup>(١)</sup> .

وبعد أن استأثر رجال الاتحاد والترقي بالسلطة في الأستانة لم يكفوا عن محاولة إخضاع الكويت بإرسال الحملات إليها مستخدمين في ذلك شيخ قبائل المنتفك سعدون باشا الأمر الذي دعا بريطانيا إلى التمسك بنفوذه السياسي والاقتصادي في الكويت ، ففي أغسطس ١٩١١ تعهد الشيخ مبارك للسكاتبين شيكسبير Shakespeare الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بالامتثال للطلبات التي تقدم إليه للبحث عن اللؤلؤ ولصيد الإسفنج في مياهه الإقليمية إلا بعد استشارة المقيم السياسي البريطاني في الخليج وموافقة حكومة الهند البريطانية ، وفي ٢٧ أكتوبر ١٩١٣ تعهد الشيخ مبارك بالامتثال حق التنقيب عن النفط واستغلاله في الكويت لأي شخص دون الرجوع إلى الحكومة البريطانية<sup>(٢)</sup> .

ونظراً لرغبة الحكومة العثمانية في تدوية خلافاتها مع بريطانيا بشأن

Dickson : Ouv. Cit. p. 141

(١)

Hurewitz : Ouv. Cit., Vol. I, p. 272

(٢)

الخليج بما فيه إمارة الكويت فقد دخلت في مفاوضات مع حكومة اسكوت. وفي ٢٩ يوليو (تموز) و ١٢ أغسطس (آب) ١٩١٣ وقعت اتفاقية الخليج بين حق باشا المفوض العثماني وإدوار جراي وزير خارجية بريطانيا ، وإلى جانب النص في الاتفاقيتين على أن تتنازل الدولة العثمانية عن كل ما لها من حقوق ومطالب في قطر وتتعهد بسحب جنودها وموظفيها منها ، وكذلك بالنسبة لحرر البحرين ، فقد اتفق على أن تبقى الكويت تحت السيادة العثمانية على ألا تتدخل الدولة العثمانية في شئونها الداخلية أو الخارجية بأية وسيلة ، ولا ترسل إليها جنوداً ، مع حق شيخ الكويت في استعمال العلم العثماني مع إضافة كلمة (كريت) إلى زوايته إذا أراد ، وأن تعترف الدولة العثمانية بالاتفاقيات التي سبق أن عقدها شيخ الكويت مع بريطانيا ، وأن تعهد أيضاً بالمحافظة على حقوق الشيخ مبارك في أملاكه بالعراق الجنوبي (١) .

واتفاقية ١٩١٣ هذه تنطوي على تناقضات واضحة صارخة ، فبينما تعتبر الكويت تحت السيادة العثمانية فإن الحكومة العثمانية لا تملك التدخل في أي شأن من شئونها ، وفي الوقت نفسه تعترف بالاتفاقيات التي ربطت الكويت ببريطانيا ربطاً محكماً .

وإلى جانب ذلك وفيما يختص بخط سكة حديد بغداد فقد اتفق في الاتفاقيتين أيضاً على أن يضم مجلس إدارة شركة سكة حديد بغداد عضوين بريطانيين يختاران بالاتفاق مع الحكومة البريطانية . وأن تكون البصرة نهاية للخط ولا يمتد إلى ما بعدها إلا بموافقة الحكومة البريطانية وشروطها ، وتعلن الحكومة العثمانية أن شركة سكة حديد بغداد قد تحلت عن جميع

---

(١) سامح الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

الحقوق التي كانت قد منحت لها لمد الخط الحديدي إلى ما بعد البصرة ولإنشاء مرفأ على الخليج<sup>(١)</sup> .

. . .

#### الحسا :

وقد اتمت مدحت باشا في أثناء توليه ولاية بغداد فرصة تقدم عبد الله ابن فيصل يطلب مساعدة الأتراك له في نزاعه ضد أخيه سعود وإعادته للحكم في الرياض مقابل قبوله التبعية للدولة العثمانية ودفع الجزية لها فأسرع مدحت بقبول هذا العرض من أجل ضم الإمارة السعودية إلى الدولة العثمانية بحجة إقرار النظام في أقاليم السلطان البعيدة . فأرسل حملة من البصرة إلى الحسا بقيادة الفريق نافذ باشا في أبريل ( نيسان ) ١٨٧١ ، وقدم شيخ الكويت المساعدات للحملة التي استطاعت الاستيلاء على كل إقليم الحسا ورفعت الراية العثمانية على قاعدتها المحفوف ، وزار مدحت باشا بنفسه الحسا وأعلن أنها صارت من ممتلكات الدولة العثمانية ، وعين نافذ باشا متصرفاً عليها وعلى المقاطعات التابعة لها باسم متصرفية أولواء نجد .

واستمرت هذه الترتيبات التي وضعها مدحت للحسا حتى سنة ١٨٧٤ حين أدركت الدولة أن الإدارة العثمانية المباشرة في الحسا ستكون باهظة النفقات ، فعمدت إلى متصرف البصرة وزعيم قبائل المنتفك ناصر باشا السعدون بإدارة الحسا بواسطة قوة من القبائل المحلية بدلا من الحاميات العثمانية ، وظل إقليم

---

(٢) د . السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٢ - ٢٠٣ وما يجدر ذكره أن هاتين الاتفاقيتين لم يتم التصديق عليهما بسبب نفوب الحرب العالمية الأولى ودخوله الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا .

الحسا خاضعاً للدولة العثمانية حتى سنة ١٩١٣ حين نجح عبد العزيز آل سعود في الاستيلاء على الحسا وطرده الأتراك منها<sup>(١)</sup>.

° ° °

### البحرين وقطر

وبعد أن نجح مدحت في الحملة على الحسا أرسل عارف بك قائد بحرية البصرة إلى البحرين محاولاً الحصول على ولاء شيخها للسلطان العثماني، وذلك تحت ستار إقامة مستودعات للفحم لتكوين السفن العثمانية. وأشجع أن شيخ البحرين هجر عن مروره وسعادته لرؤية السفن العثمانية التي كانت بصحبة عارف بك، وقال إن البحرين لم تر من قرنين سفناً عثمانية في هذا البحر، وتنازل عن بعض الأراضي لإقامة المستودعات المطلوبة، وعندئذ أخذت السفن العثمانية تكثر من الترداد على البحرين بدهوى التزود بالماء والفحم.

إلا أنه إذا كانت حكومة الهند البريطانية قد تفاضت عن نشاط الأتراك في الحسا وسلمت باحتلالهم للأقليم فإنها كانت تعارض سيطرتهم على جرد البحرين والمناطق التي تليها جنوباً.

ولقد كانت الدولة العثمانية تسعى جدياً من أجل احتلال البحرين حتى بعد هزل مدحت باشا من ولاية بغداد سنة ١٨٧٢، فأخذوا يدعمون حامياتهم في قطر ويحاولون إعادة بناء ميناء الزبارة على الشاطئ الغربي لقطر والمقابل لجزر البحرين، الأمر الذي أدى إلى ازعاج بريطانيا ومبادرة حكومة الهند إلى الاحتجاج باسم شيخ البحرين عيسى بن خليفة على أساس أن ميناء الزبارة يتبع البحرين وأن شيخ البحرين يتخذ منه مقراً صيفياً للحكم، وأندرت الحكومة

---

(١) د. السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٥ - ١٦٦.



البريطانية حكومة الباب العالي بأنها لن تسمح بأى عمل من شأنه المساس باستقلال البحرين ، فتوقفت أعمال البناء فى ميناء الزبارة .

ولكن الأتراك أخذوا يحرضون القبائل الموالية لهم على مهاجمة البحرين ، وكان شيخ البحرين - بتشجيع بريطانيا ومساندتها - يرد على ذلك بمهاجمة ساحل قطر .

وفى سنة ١٨٧٩ تجددت محاولات الترك للسيطرة على جزر البحرين الأمر الذى دعا لإدوار روس المقيم البريطانى فى الخليج إلى وضع هذه الجزر رسمياً تحت حماية بريطانيا كأفضل وسيلة لمنع العثمانيين من ضمها ، فعقد مع عيسى شيخ البحرين فى سنة ١٨٨٠ اتفاقية تعهد فيها الأخير ألا يدخل فى مفاوضات أو يعقد معاهدات مع الحكومات الأخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية ، كما تعهد ألا يسمح لغير بريطانيا بإقامة تمثيل دبلوماسى أو قنصل أو محطات للفحم فى أراضى البحرين<sup>(١)</sup> . وفى مارس ١٨٩٢ أبرمت بريطانيا مع الشيخ عيسى معاهدة أخرى تعهد فيها بعدم التنازل أو بيع أو رهن أى جزء من أراضيه إلا للحكومة البريطانية<sup>(٢)</sup> .

وفى العام التالى ١٨٩٣ أسست بريطانيا وكالة سياسية لها فى البحرين ، واتخذ الوكيل السياسى من المنامة مقراً له وأصبح المتصرف الوحيد فى شئون الإمارة بما فى ذلك حق الفصل فى قضايا الأجانب .

وفى سنة ١٩٠١ منحت بريطانيا وكيلها السياسى فى البحرين سلطات واسعة وعينت مستشاراً بريطانياً إلى جانب شيخ البحرين فى المنامة ، وفى سنة ١٩٠٥

Hurewitz : *Op. Cit.* vol. 1, Doc. 86, p, 194.

(١)

Ibid. Vol, I, Doc. 97, p, 209.

(٢)

استولت على ميناء الزبارة ، ثم جعلت لنفسها الحق في استغلال ثروة البحرين بمقتضى اتفاقيتين عقدهما مع شيخ البحرين الأولى في سنة ١٩١١ بشأن استغلال مصايد اللؤلؤ والإسفنج ، والأخرى في مايو ١٩١٤ وفيها تعهد شيخ البحرين بالألا يسمح لأى شخص باستغلال النفط - ولا حتى هو بنفسه - إلا بمسند الحصول على موافقة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين<sup>(١)</sup> .

ولقد رأينا كيف أنه في اتفاقيتي ٢٩ يوليو (تموز) ، ١٢ أغسطس (آب) ١٩١٣ بين الحكومة العثمانية والحكومة البريطانية تعهدت الأولى بالتنازل عن كل ما لها من حقوق ومطالب في شبه جزيرة قطر ، وتعهدت بسحب ما كان لها من موظفين وجنود هناك ، كما تعهدت بالتنازل عن كل ما كان لها من حقوق ومطالب في جزر البحرين .

أما في مسقط فقد كان رد الفعل البريطاني عنيفاً عندما علمت وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند بـ لاتفاقيات الفرنسية مع مسقط عام ١٨٩٨ ، حين نجح أوتافي Ottavi نائب القنصل الفرنسي في التأثير على السلطان فيصل ابن تركى حتى منح الأسطول الفرنسى ميناء بندر جزيرة جنوب شرقى مسقط لاستعماله كمحطة للفحم وكادت تحدث نتيجة لذلك حادثة مماثلة لحادثة فاشودة في العام نفسه ، عندما حاولت السفينة البريطانية سفنكس Sphinx رفع العلم البريطانى على بندر جزيرة وإنزال العلم الفرنسى فتصدت لها مدمرة فرنسية ، ولم يلبث الأسطول البريطانى أن استعرض قوته أمام سلطان مسقط حتى أرهبه وأرغمه على ولائه لبريطانيا وتخليه عن اتفاقه المبرم مع فرنسا<sup>(٢)</sup> .

(١) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) Graves: The Life of Sir Percy Cox, ch VIII pp. 35-91.

د . محمود عى الفاود : الخليج العربى والعلاقات الدولية ج ١ ص ٨٦ - ٩٧ .

من هذا نرى أنه إذا كانت مناطق الخليج العربي قد خرجت تدريجياً من تحت السيطرة العثمانية فإنها انتقلت للخضوع للسيطرة البريطانية ولم يكن أحد من أمراء هذه المنطقة يملك من أمر نفسه أو إمارته شيئاً ، وإنما الأمر كله صار في يد المقيم البريطاني في الخليج ، باستثناء إقليم الحسا الذي انضوى — منذ سنة ١٩١٣ — تحت لواء عربي إسلامي هو لواء آل سعود في نجد .

. . .

اليمن :

أما اليمن فقد كان في العهد العثماني ولاية واحدة تنقسم إلى أربعة متصرفيات (تعز ، صنعاء ، عسير ، الحديدة) ، ولم يستقر الحكم التركي فيه بل كان يمزج بثورات واضطرابات عامة متناثرة ، تشتد أحياناً عند صنعاء مقر الوالي ، وقد كان لليمن — شأنه شأن شبه الجزيرة عامة — ظروف إجتماعية خاصة تختلف عن بقية بلدان المشرق العربي فقد كانت الوحدة الاجتماعية فيه هي القبيلة ، وحتى التشكيلات السياسية من إمارات ومشيخات كانت تعتمد على النفوذ الأسري<sup>(١)</sup> .

ولقد بذل الترك محاولات عديدة للضرب على أيدي القبائل الفائرة ، ولكن لم يستتب السلام ولم يدم أى صلح تعقده الدولة العثمانية مع الإمام ، فاستمرت الثورات والاضطرابات مما حدا بالبعض إلى أن يطلق على اليمن (مقبرة الأتراك) .

وبما ساعد على ذلك طبيعة اليمن الجبلية وبعده عن مقر الدولة ، هذا إلى جانب الطبيعة القبلية التي كانت تعارض تدخل الدولة في شئونهم ، فقد كان كل

---

(١) السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث (١٩٦٣) ص ٤٢/٤١ .

شيخ قبيلة أو رئيس قرية يعتبر نفسه الزعيم الوحيد في البلاد ، ولأن على أهالي منطقته طاعته وتأييده الضرائب والزكاة له .

وعلى الرغم من أن المذهب الزيدى يحصر الخلافة في الأئمة إلا أن معارضة العثمانيين كانت في الغالب ترجع إلى رغبة الأئمة في اعتراف العثمانيين برهانتهم الدينية على شيعتهم مع الاعتراف بوضع خاص لهم في اليمن ومنحهم بعض السلطة الزمنية ، يضاف إلى هذا أن الشعب اليمنى ضج من فساد الإدارة العثمانية في اليمن الذي كان يعتبر منفي للموظفين المغضوب عليهم . ولكن لم تظهر أفسكار قومية مثل تلك التي ظهرت في الشام والعراق ، وإنما تبلورت مطالب الأهالي في أن يتركوا وشأنهم دون تدخل مكومي مع اعترافهم بالسيادة العثمانية استجابة لعقيدتهم الدينية المتمكنة من نفوسهم .

ولذلك لم تنقطع ثورات اليمنيين ضد الحاميات العثمانية ، تلك الثورات التي اتخذت الأسلوب الذي ألفه اليمنيون في منازعاتهم الشخصية وهو القتال والفكر بسبب حياتهم البسيطة وظروف يدهم الجبلية ، فكان تاريخ اليمن في ربع القرن السابق على نشوب الحرب العالمية الأولى تاريخ « السيف والنار »<sup>(١)</sup> .

وإذا كان عرب شبه الجزيرة ومنهم اليمنيون ابتهجوا - شأن بقية العرب - ثورات ٢٠ يوليو ( تموز ) ١٩٠٨ ، ١٣ - ٢٦ أبريل ( نيسان ) ١٩٠٩ إلا أنهم لم يلبثوا أن خاب رجائهم بسبب تسويق الاتحاديين في تنفيذ أى مشروع لإصلاحى واتجاههم إلى فرض الهدوء على اليمن بالقوة . فولوا على اليمن ( محمد على باشا ) في مايو ( آيار ) ١٩١٠ الذى كان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى وكان يؤمن باستخدام سياسة العنف والشدّة خصوصاً وأن سياسة

---

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ص ٦٥ .

الاتحاديين كانت تقوم على أساس المركزية ولا تسمح للولايات بأى قدر من الحكم الذاتى ، وترتب على ذلك قيام الثورة فزحفت القبائل على المدن تحاصرها وتغربها فحوصرت صنعاء من يناير ( كانون ثان ) إلى أبريل ( نيسان ) ١٩١١ وذلك رغم الامدادات التى بعثت بها الدولة لتدعيم قواتها فى اليمن حتى اضطرت أخيراً لتجريد حملة كبيرة بقيادة ( عزت باشا ) رئيس أركان حرب الجيش ، وكان إلى جانب كهامة العسكرية على قدر كبير من الحسكة السياسية، ورغم ما لقيه من مقاومة شديدة من عرب اليمن فقد تقدم من الحديدة حتى دخل بقواته صنعاء فى مساء الخامس من أبريل ( نيسان ) ١٩١١ إلا أن ذلك لم يكن معناه أن اليمن قد خضع تماماً للقائد المنتصر ، فقد كان الإمام ما زال له النفوذ الأكبر على المنطقة (١) .

وقد تكشفت فى الثورة ضد الترك القبائل الزيدية وغير الزيدية ، مدفوعين إلى ذلك - إلى جانب اختلاف المذهب - بسوء الادارة العثمانية والضرائب العالية علاوة على ما ينتظرهم من غنائم .

وعلى الرغم من أن محمد على باشا وإلى اليمن قاد حملة ضد الإمام لمطاردة الثوار فى الشمال الغربى بيد دخول ( عزت باشا ) صنعاء إلا أنه عاد أدراجه إلى صنعاء دون أن يحقق نتائج تذكر ، وإزاء فشل الحملات العسكرية رأى عزت باشا أن يكون أكثر واقعية بالاتفاق مع الإمام رأس المقاومة اليمنية ، وقد بذل ( عزت باشا ) مجهوداً كبيراً فى عقد الصلح وقابل الإمام فى دهان ثم سافر إلى الاستانة ليعرض مشروع الصلح على الباب العالى ويحصل على موافقته ، وقد لعب عزيز على المصرى ومعه سليم الجزائرى - - وكثا من هيئة أركان حرب عزت باشا - دوراً كبيراً فى تسهيل سبيل الاتفاق مع الإمام .

وعما ساعد على التقريب بين وجهتي النظر وعقد صلح عام (١٩١١) أن الطرفين كانا يميلان - بسبب ظروفهما - إلى الصلح ونشر السلام بين ربوع اليمن ، كما تدخلت بعض الشخصيات مثل الشريف حسين أمير مكة (السير) أحمد سلطان الحج إذ كتب الشريف إلى سلطان الحج في مارس (آذار) ١٩١١ بأن الحكومة العثمانية طلبت منه أن يلعب دوراً معيناً ضد تمرد الإدريسي في عسير ، ثم طلب من السلطان أحمد أن يكتب للإمام يحيى بالأيتامدى في حدائه للترك لأن هذا سيعود بالضرر عليه عما قد يحطمه نهائياً ، كما أخبره بأن الحكومة ستهتم بأمر الإصلاح في اليمن ، ثم كتب الشريف مباشرة إلى الإمام وتحدث عن ضخامة قوات (عزت باشا) وحاول أن يقنعه بأهمية وحدة المسلمين وخطورة انقسامهم على أنفسهم في ذلك الوقت الحرج وأنه من واجب كل مسلم أن يعضد خليفة الإسلام (ولو بعقال بعير) وأضاف بأنه هو نفسه على وشك التوجه لإخماد ثورة الإدريسي .

يضاف إلى ذلك أن الحرب الطرابلسية أدت إلى تعجيل حكومة الباب العالي بالموافقة على الاتفاق الذي عرضه إمام اليمن مع تعديل طفيف ، كما أدت إلى اتضاح خطأ إرسال قوات لإخماد الثورة في اليمن بينما ميدان القتال في طرابلس في أمس الحاجة إليه لمقاومة الغزو الإيطالي (١) .

وقد كان من أهم ما جاء في صلح دحان أن يعترف الإمام بالسيادة العثمانية ، وفي مقابل ذلك اعترفت الدولة بوضع الامام الخاص في إشرافه على المسائل الشرعية بتعيين قضاة هذه المحاكم (الشرعية) وأن يجمع موظفو الترك الزكاة من الزيدية باسم الامام ويقدموها له (٢) .

(١) السيد مصطفى سالم : مرجع سبق ذكره ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ج ١ (١٩٢٩) ص ١٤٦ .

وإذا كان هذا الاتفاق قد أوجد حالة من السلام والهدوء في اليمن بين الإمام والتürk محل حالة الحرب بينهما إلا أنه من ناحية أخرى يعتبر استمراراً لفكرة المركزية في الحكم باستثناء حكم الشريعة الزيدية فهو لم يحل مشاكل اليمن حلاً حاسماً كما أنه لم يذكر شيئاً عن المشروعات العمرانية النافعة<sup>(١)</sup>.

عسير :

كانت عسير — حسب التقسيم الإداري العثماني — تعتبر جزءاً من اليمن إلا أنه قد صار للأدراسة فيها خلال القرن التاسع عشر نفوذ وحي ، استغله السيد محمد علي الإدريسي ليحقق لنفسه نفوذاً زمنياً سياسياً إلى جانب النفوذ الديني ، فإنه بعد أن تلقى تعليمه ما بين القاهرة ( الأزهر ) والسكفرة ( مقر السنوسيين في برقة ) عاد إلى ( صيدا ) في أوائل القرن العشرين ، وبدأت تظهر خطورته في عسير عام ١٩٠٧<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من أن الإمام يحيى كان يهتم بأمر الإدريسي ويسمى للتحالف معه حتى يحمي ظهره أثناء محاربته للترك خصوصاً وأن الهدف واحد هو محاربة العثمانيين فلم يلبث أن دب الجفاء بينهما بعد صلح إدعان ١٩١١ بعد أن ثبت مركز الإمام في اليمن ، فأحس بخطورة منافسه الإدريسي الذي يتزايد نفوذه في عسير ، خصوصاً وأن الإمام كان يطمح في السيطرة على اليمن كله بمعناه الواسع ( بما فيه عسير ) ومن ناحية أخرى فإن الإدريسي رغم أنه في عام ١٩٠٩ كان يؤكد حرصه على ( اتئلاف العرب والدولة ) فإنه لم يلبث بعد صلح دعان مباشرة أن بدأ في أعماله العدائية ضد الدولة العثمانية ، ولعله كان حائقاً لاعتقاده بأن الدولة لن تمنحه ما تمنحه للإمام ، ولذلك فإنه بعد صلح

(٣) توفيق برو . العرب والترك في العهد الدستوري ص ٢٣٦/٢٣٧ .

(١) السيد مصطفى سالم : مرجع سبق ذكره ص ٨١ .

دعان صار من مصلحة الترك والإمام على السواء القضاء على البيت الإدريسي وصار الإمام يحيى يعتقد أنه إذا كان الترك عاجزين عن إبادة الإدريسي فعليه أن يساعدهم .

وكان لابد من وقوع الصدام بين الإدريسي الذي قوى نفوذه ودانت له القبائل في عسير وبين الترك المتمسكين بسياسة المركزية والتريك وعدم السماح للقوى المحلية بالظهور ، رغم أن الإدريسي كان يعبر عن استعداده لاستمرار مركز العثمانيين مع الاعتراف له ببعض السلطة ورغبته في الصلح معهم على هذا الأساس ولذلك فإن قوات الإدريس عقب صلح دعان مباشرة ( مايو آيار ١٩١١ ) احتلت ( أبها ) عاصمة عسير وهزمت الترك وشريف مكة الذي خف لمعاوئتهم ، إلا أن إمدادات الترك بدأت تتدفق على عسير فخلت الهزيمة بالإدريسي ، خصوصاً وأنه بعد صلح دعان صار في إمكان القوات التركية في اليمن أن تتجه شمالاً لتحصن الإدارة بينها وبين قوة من الحجاز تعاونها قوة من لدن شريف مكة بقيادة ابنه فيصل الذي أغراء الترك بإياداة عسير إذا تمكن من القضاء على الإدريسي (١) .

ولما كانت إيطاليا في ذلك الوقت تحارب الترك للاستحواذ على طرابلس الغرب وترغب في شغل الترك في ميدان آخر غير طرابلس فقد مدت يد العون إلى الإدريسي خصوصاً وأنه بعد أن نشر الأمن في عسير ونظم وائنها شجع تهاوتها مع مصوع وعصب في أرترية الإيطالية وحتى لا يستعمل الترك موانئ عسير ضد أرترية ، وقد استجاب الإدريسي فتحالف مع الإيطاليين بعد أن وجد نفسه في مواجهة الترك يؤازره الشريف حسين والإمام يحيى . ولذلك أمدت إيطاليا الإدارة بالسلاح والمؤن وحاصرت اليمن وأطلقت

---

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ص ١٥٦ - ١٦٣ .



مدافعها على موافقه ، إلا أن إيطاليا بعد أن حصلت من العثمانيين على الاعتراف باحتلالها طرابلس الغرب اتفق الغرض من تحالفها مع الإدريسي فتخلف عنه بما دعاه إلى الاتجاه صوب بريطانيا .

وقد جرت في مارس ( آذار ) عام ١٩١٣ مفاوضات بين الترك والإدريسي وعرض الترك عليه الاعتراف بوضعه الخاص في عسير مقابل مرتب شهري من الدولة على أن يقدم الطاعة للإمام يحيى ويتخلى عن محافه الأجانب ، إلا أن الإدريسي لم يقبل الخضوع للإمام يحيى خصوصاً وأن مركز الإدريسي كان قوياً وتدعم نفوذه في عسير بينما الدولة تعاني النكبات في حرب البلقان ، فأصر على الاستقلال الإداري التام تحت سيادة الدولة<sup>(١)</sup> .  
ولهذا فقد فشلت المفاوضات وعادت الحرب بين الترك وعاونهم الإمام يحيى وبين الإدارة .

---

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٨٥ .



# الباب الرابع

## الشرق العربي الأسوي

في

الحرب العالمية الأولى

الفصل العاشر : الشرق العربي الأسوي والحرب

الفصل الحادي عشر: الاتفاق العربي البريطاني

الفصل الثالث عشر : الثورة العربية في الحجاز



## الفصل العاشر

### الشرق العربي الآسيوى والحرب

لقد كان دخول تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط وضد دول الوفاق على جانب كبير من الأهمية والخطورة لتأثيره على توازن القوى بين الفريقين المتحاربين .

فقد ترتب على دخولها الحرب أن صار على روسيا أن تحارب في جبهة ثانية إلى جانب ميدان الحرب ضد ألمانيا ، وبذلك يتحول جانب كبير من مجهود روسيا — وكذلك بريطانيا — من ميدان الحرب في أوروبا . وإلى جانب ذلك فإن دخول تركيا الحرب — بموقعها الجغرافى والاستراتيجى — كان من شأنه أن يؤثر تأثيراً بالغاً على سلامة خطوط مواصلات بريطانيا ، ويفتح الطريق لامتداد النفوذ الألمانى إلى ممتلكات بريطانيا الشرقية ، ولربما أثر على مستقبل الهند ذاتها<sup>(١)</sup>

#### أهمية الشرق العربى الآسيوى :

ذلك أنه بفضل سيطرة الدولة العثمانية على الشرق العربى الآسيوى كانت تستطيع أن تهدد مصالح بريطانيا في منطقتين هامتين تحيطان به من الشرق والغرب : أولاهما منطقة قناة السويس ، وثانيهما الهند ومنطقة الخليج الفنية بآبار النفط ، التى تستغلها شركة البترول الانجلى إيرانية ، التى تمد بريطانيا باحتياجاتها من البترول ، الذى ينقل من حقول إيران إلى مصافى عيدان بخط

من الأنايب ، فقد كانت تركيا تملك الفاو على الضفة اليسرى لشط العرب . كما كانت بريطانيا قد اعترفت بحقوق تركيا في ساحل القطيف ، وكانت لتركيا قوة برية مرابطة في البدعة في جنوب جزيرة البحرين ، وإلى جانب ذلك فإنه لا يمكن إغفال الدور الذي يمكن أن تلعبه الجزيرة العربية بالذات في المجالين العسكري والسياسي . فإن البحر الأحمر بسواحل الطويلة يوفر لتركيا وحيلفتها ألمانيا قواعد يمكن استخدامها في الأعمال البحرية ضد بريطانيا ، كما يمكن اتخاذها مركزاً لبث الدعوة إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية المجاورة والتي تخضع لحكم الحلفاء أو بجوار ممتلكاتهم لنشر الدعوة إلى العصيان والتمرد على سلطة بريطانيا وغيرها من دول الوفاق ، فضلاً عن أن اليمن - وكانت فيه وقتئذ حامية تركية من فرقتين - كان يستطيع أن يكون مصدر تهديد لعدن<sup>(١)</sup> .

وتتمثل لنا الأهمية التي هلقتها ألمانيا على دخول تركيا الحرب إلى جانبها والثمار التي تأمل أن تجنيها من وراء ذلك ، في مطاوعة ألمانيا لتركيا باتخاذ إجراءات معينة مثل إغلاق المضائق في وجه سفن الدول الأخرى<sup>(٢)</sup> وقطع الطريق البحري بين قناة السويس وعدن ، وغزو القوقاز لشغل جانب كبير من القوات الروسية ، وأخيراً وليس آخراً إعلان حرب دبلية مقدسة ضد دول الوفاق .

وقد استطاعت ألمانيا أن تضمن وفاء تركيا بهذه الالتزامات وذلك عن طريق مبعوثيها السياسيين في الأستانة ، كما سيطرت ألمانيا على الأداة الحربية التركية بتولي بعض الضباط الألمان كثيراً من المناسبات القيادية في الجيش .

---

Antonius : Ouv. Cit p. 134

(١)

Morgentau : Ouv. Cit. p. 99

(٢)

العثماني مثل الجنرال ليمان فون ساندرز ، والجنرال فون فالسكنهاين الذي تولى القيادة في العراق<sup>(١)</sup> .

ولم يقتصر نشاط ألمانيا الدبلوماسية والعسكرية على الامبراطورية العثمانية بل إنها حاولت أيضاً أن تجذب إيران إلى جانبها من تخنة السخط بين الإيرانيين لتقسيم بلادهم إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وروسيا ( اتفاقية ١٩٠٧ ) ، ونهضت البعثات الألمانية التي أوفدتها وزارة الخارجية الألمانية إلى إيران ، وكذلك إلى أفغانستان وشط العرب ، وحتى بدون علم البعثة العسكرية الألمانية في تركيا ، وأظهر العملاء الألمان - أو كما كان يسميهم البعض (بالفرنسيين الألمان) تشبيهاً لهم بلورنس الإنجليزي - نشاطاً كبيراً من أجل تهديد الحدود الشمالية الغربية للهند والمنشآت البترولية في قارون والبحيرة ، وهي مناطق حساسة بالنسبة للامبراطورية البريطانية إلى جانب إثارة قبائل إيران وأفغانستان وجرح هذه الأقطار إلى معاداة الحلفاء إن أمكن .

وبمجرد أن نشبت الحرب أخذ الألمان فونكههاوس woakhaus يعمل من أجل فسف المنشآت البترولية الانجليزية في الخليج واسكنه فشل رغم ما أبداه من جرأة ، ومن ناحية أخرى تولى القنصل الألماني فاسموس رئاسة بعثة اتخذت من الخليج ميداناً لنشاطها فسبب الارتباك للحامية الهندية في بوشهر بقيادة سيم برسي كوكس ، وأنزل بها خسائر في الأرواح وهدد جناح القوات البريطانية العاملة في العراق ، وحال دون إرسال تعزيزات إلى الجنرال نيكسون

Nixon عند هجمومه على السكوت<sup>(١)</sup> ، أما الضابط البافاري أوسكار فون نيدر ماير Niedermeyer الذى كان على معرفة تامة بإيران وأهلها ولهجاتهم فقد أوفدته الحكومة الألمانية وتقدم حتى وصل إلى كابل في نهاية عام ١٩١٥ ، وكان معه أربعة وأربعون شخصاً ، وأقامت البعثة في أفغانستان ثمانية أشهر ووصلت إلى هيرات ، وقامت بتوزيع منشورات ، والدعاية بين قبائل الملا وشجعت الباثانيين على الهجوم على الحاميات البريطانية على حدود الهند ، كما شجعت اللاجئين الهنود على الانضمام إلى الألمان والنسائيين الهاريين من التركستان ، كما نشط شونمان Schonemann القنصل الألماني في كرمانشاه في مطاردة الرعايا البريطانيين والروس ، وكذلك فير weber القنصل الألماني في همدان وبوجن pugan في أصفهان بعد أن اعتنق الإسلام<sup>(٢)</sup> .

وقد حقق هذا النشاط الألماني قدراً غير قليل من النجاح في هذا الميدان وذلك عندما استطاعت ألمانيا أن تدفع زعماء الحزب الديمقراطي الإيراني الموالي لها لإقامة حكومة ثانية في كرمانشاه القريبة من الحدود التركية مستندة إلى حماية القوات التركية في العراق وكان يرأس هذه الحكومة نظام السلطنة الذى أبرم مع ألمانيا معاهدة في ديسمبر (كانون أول) ١٩١٥ وكان من شأن ذلك التأثير على مجهود بريطانيا الحرب حيث كان الأسطول البريطانى يستمد وقوده من النفط الإيراني ، كما كانت هناك خطة يجرى الاستعداد لها في بغداد لإرسال قوات نظامية تركية إلى أفغانستان<sup>(٣)</sup> .

( ) Vernier, B: La Politique Islamique de l'Allemagne (1939)

P. 12, 13, 15.

Ibid ; pp. 14 - 15.

Linczowski ; Ouv. Cit., pp. 41-43

(٢)

(٣)



وقد كان العراق قاعدة أساسية لهذا النشاط بحكم مجاورته لإيران ، فقد علم القنصل الأمريكي في بغداد من مصادر عليمة بأن الترك في العراق يبدون محاولات لإثارة المسلمين في جنوب غرب إيران في حرب مقدسة ضد دول الوفاق<sup>(١)</sup> .

وقد لاحظ القنصل الأمريكي في بغداد وصول عدد من الضباط الألمان إلى بغداد لتنظيم الحملة الموجهة لإثارة الأفغان . كما لاحظ أن عدداً كبيراً من الفتيين الألمان يقيم في العراق ، وأنهم نجحوا في إقامة محطة لاسلكية بلغت من القوة ما يجعلها تستطيع إبلاغ رسائلها إلى الأستانة مباشرة<sup>(٢)</sup> .

كما يذكر القنصل الأمريكي في بغداد أن الألمان في العراق أعدوا بعثة قوامها مائة وخمسين شخصاً . لتوجيهها إلى أفغانستان ، وقد حضر الوزير الألماني والنمساوي في طهران إلى بغداد حيث أمضيا أسبوعاً ، ثم رافقا البعثة صوب الحدود ، فوصلوا إلى خانقين عند الحدود العراقية الإيرانية ، وعبرت البعثة الحدود في السادس من إبريل ( نيسان ) ١٩١٥ ، وعلم القنصل أن هذه البعثة ستترك الوزيرين في طهران لكي تستكمل رحلتها إلى أفغانستان ، وندهى المصادر الألمانية أن هؤلاء الألمان سيكونون بعثة عسكرية في طهران .

واعتقد كثيرون أن هذه البعثة أعظم مشروع يخرج من بغداد ، خاصة إذا فُهم هذا المشروع في جر إيران وأفغانستان إلى جانب ألمانيا في الحرب .

---

National Archives (Washington) Microcopy No. 353, from (1)  
U. S. Consul, Baghdad, October 24, 1914 to H. Morgenthau, U.S.  
Ambassador . Constantinople.  
Ibid, from Ch. Brissel, U. S Consul, Baghdad, to H. Mor- (2)  
genthau U. S. Ambassador Constantinople, February 0, 24, 1915

ولذلك فقد قررت روسيا إبعاد بعثة عسكرية روسية إلى طهران أما بريطانيا فقد عرضت مبالغ كبيرة مكافأة لمن يعتقل أعضاء هذه البعثة الألمانية ( ألف جنيه مقابل كل عضو )<sup>(١)</sup> .

ولم ياجب ذلك فقد علم القنصل الأمريكي في بغداد أيضاً أن قوة من الفدائيين تتكون من ثمانين هندياً من رعايا بريطانيا قد تشكلت في بغداد ، وأن ضابطاً ألمانيا يقوم بتدريبها ، وأن كثيراً من الهنود من رعايا بريطانيا صاروا جواسيس لتوكيا يجمعون لها المعلومات<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

#### استعداد الترك للهجوم على مصر :

ومن الأخطار التي كانت تهدق بدول الوفاق وخاصة بريطانيا نتيجة دخول تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط كان ذلك الخطر الذي يهدد مصر وقناة السويس شريان بريطانيا ، فإنه حتى قبل أن تدخل تركيا الحرب كانت الأنباء ترد إلى دار المعتمد البريطاني في مصر عن نشاط الجيش الرابع التركي في الشام ، وتجمع القوات سرّاً قرب الحدود المصرية ، وتوزيع الترك للأسلحة على البدو في جنوب الشام ، ومحاولة استمالتهم للاشتراك في الهجوم على مصر ، إلى جانب وصول طائفة من الضباط الألمان برئاسة الكولونيل كرس فون كرسنشتين Kreis Von Kressenstien من بعثة فون ساندوز

---

Ibid. Cipher Despatch no. E 51 dated April 9, 1915 from (1)  
Ch. Brissel U.S. Consul, Baghdad to H. Morgenthau U.S. Ambassador ( Constantinople ).

Ibid. Cipher Despatch no. E 268 from U. S Consul, (2)  
Baghdad, to H. Morgenthau ( Constantinople ) July 1, 1915.

لتول بعض المراكز القيادية في الجيش الرابع ، بينما كانت مجموعة أخرى من سلاح المهندسين تقوم بتمهيد الطريق ومد الخطوط الحديدية المتجهة صوب مصر ، كما كتب القنصل الأمريكي في بيروت منذ الخامس عشر من أغسطس ( آب ) ١٩١٤ - أى قبل أن تدخل تركيا الحرب - بأنه لاحظ أن الترك يستعدون لشن هجوم على مصر حتى لقد سمع أن السلطات التركية في الشام تجمع الغزائر الفارغة لتملاها بالرمال لكي تلقى بها في قناة السويس لإغلاقها وإيجاد مخرج فوقها<sup>(١)</sup> .

وحملت رسائل القناصل الأمريكيين و مندوبيهم في مختلف مدن الشام بأنباء استعدادات الترك لغزو مصر ، وإرسال القوات التركية إلى الحدود بين الشام ومصر عند العريش<sup>(٢)</sup> .

ونشط العملاء في مقدمة الجيوش الألمانية التركية في خطاب بتاريخ ١٦ أكتوبر ( تشرين أول ) سنة ١٩١٤ من الجنرال ماكسويل إلى لورد كلفنر يشير القائد الإنجليزي إلى أن العملاء الألمان يحرضون على قيام ثورة في مصر ، وأنه تم القبض على ألمان يحمل مفرقات وخرائط لقناة السويس<sup>(٣)</sup> .

---

National Archives ( Washington ) : Political Affairs in (1)  
Turkey Doc No, 644 from American Consul, Beirut to Secretary of State (August) 15, 1914; Doc, No, 649 from American Consulate, Beirut to Secretary of State (August) 10, 1914, enclosed report from American Consular Agent at Haifa dated August 6, 1914 : « Political Conditions in Haifa »

Ibid. from U.S. Beirut to Secretary of State, Washington (2)  
No. 869 October 23, 1914 & from T. Sabbagh, French Consular Agent at Safed & Tibaius to U.S. Consul, Beirut, August 27, 1914,  
Vernier : Ouv. Ci , p. 17 , (3)

### الدعوة الى الجهاد :

ومن أشد الأخطار التي كانت تهدد دول الوفاق من جانب تركيا بعد دخولها الحرب خطر إعلان الجهاد ، فقد كان من المؤكد أن تركيا سوف تستخدم سلاح الحرب الدينية بالعمل على إثارة العالم الإسلامي ضد دول الوفاق ، خاصة وأن ملايين عديدة من المسلمين كانوا تحت حكم كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وقد أكدت التقارير الأمريكية أن المسلمين من رعايا الدولة العثمانية كانوا يرحبون بالحرب أملاً في القضاء على الخطر الروسي ويؤمنون بهزيمة روسيا وبريطانيا بالاستعانة بألمانيا . فقد ذكر ( فانجنهايم ) السفير الألماني في الأستانة لمورجنثاو السفير الأمريكي بأن خطة ألمانيا تعتمد على إثارة العاطفة الدينية لدى المسلمين ضد الدول المسيحية، ولأن إمبراطور ألمانيا اقترح حرباً دينية مقدسة لتحطيم النفوذ الإنجليزي والفرنسي في الشرق ، وأخاف أن تركيا في حد ذاتها ليست بذات قيمة ، فإن جيشها ضعيف - ونحن لا نعول عليها في إنجاز شيء له قيمته ، ولكن العمل العظيم هو الشعب المسلم ، فإذا نجحنا في حشده ضد الإنجليز والروس فإننا نستطيع أن نرغم هاتين الدولتين على طلب الصلح <sup>(١)</sup> .

ومن المعروف، أن هزيمة الترك في حرب البلقان ١٩١٣ أثارت عطف مسلمي الهند على إخوانهم في الدين ، كما سبق أن أثارت المعاهدة الإنجليزية الروسية عام ١٩٠٧ شكوك مسلمي الهند في أن الهدف منها هو القضاء على استقلال إيران المسلمة <sup>(٢)</sup> ، وقد ظهر صدى هذا الشعور أثناء هجوم الترك من اليمن على الحج في طريقهم إلى عدن في أثناء الحرب ، فإن الجنود الهنود

Morgentau, H. : Memoires, p461

(1)

Graves : Life of Sir Percy Cox, p, 176

(2)

المسلمين نخلوا عن مرا كرم لانهم كرهوا محاربة إخوانهم في الدين (١)

وقد كان السلطان العثماني بصفته خليفة على المسلمين يستطيع أن يدخل في روح مسلمي العالم أن تركيا أكبر دولة إسلامية ومقر الخلافة تخوض غمار حرب ضد دول مسيحية تسعى إلى تحطيمها ، وأن البلاد الإسلامية في خطر وأنه يجب على كل مسلمي العالم أن يلتفتوا حول لواء الإسلام ، ولذلك لم تسكن بريطانيا تخشى خطر تركيا وحليفاتها عسكرياً وحسب ، وإنما الخطر الأعظم كان يكمن في قوة تركيا بصفاتها الدولة الإسلامية الأولى التي توازرها الاموال الألمانية والضيابط الألمان بحيث كان في استطاعة تركيا أن تولب على بريطانيا الشعور الديني والتبرم السياسي وتثير القلاقل في وجهها ، حتى لقد كتب آرثر هر تزل السكرتير السياسي لوزير الهند في مذكرة له بتاريخ ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ ، بأن الخطر العسكري الذي يحدته تحول تركيا قد لا يعا به ، وإنما سيستغل ذلك التحول من الوجهة السياسية لتأثير على مسلمي الهند (٢) .

كما يذكر الجنرال بارو ، في مذكرة له بتاريخ ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ عن خطورة التعاون بين العرب والترك نتيجة إعلان الجهاد وامتداده من مصر إلى الهند عن طريق إيران وأفغانستان ، وأن الحرب مع تركيا يجب ألا نفزعنا إلا إذا نجح الترك في جذب العرب إلى جانبهم ففي هذه الحالة ، سيعلمون الجهاد وسيحاولون إثارة أفغانستان وقبائل الحدود ضدنا مما يخلق خطراً كبيراً على الهند وهذا يدلنا على أهمية العمل الذي يجب أن نقوم به للحيلولة دون حدوث إتحاد تركي عربي (٣) .

ورغم أنه لم يكن من السهل التمسك بأثر هذه الحرب الدينية ، كما أن

---

(١) Young : The Independent Arab, ( 1933 ). p 271

(٢) ، (٣) ، إيرلاند / خياط : العراق دراسة في تطوره السياسي (١٩٤٩) ص ٦٥

تركيا ذاتها كانت متحالفة مع دولة مسيحية هي ألمانيا إلا أنه لا شك في أن الدافع الديني كانت لا تزال له قوته بحيث لم يكن في استطاعة دول الوفاق وتحت حكمها ملايين عديدة من المسلمين أن تتجاهل هذا العامل ، لأن الحرب الدينية - حتى ولو تمخضت عن ثورات محلية محدودة النطاق وفي جهات متناثرة - فإنها على أى حال سوف تخلق بال دول الوفاق ، وتشغل جانباً من مجهودهم الحربي ، كما أن ألمانيا - خليفة تركيا - لم يكن لها ممتلكات في مناطق يسكنها مسلمون .

وعلى ضوء هذه الأهداف التي رسمتها تركيا وحليفاتها من دخول الحرب تحددت استراتيجية تركيا في هبارتين : الجامعة الإسلامية والجامعة الطورانية ، ولذلك فإنه بعد دخول تركيا الحرب أصدر السلطان العثماني بوصفه خليفة على المسلمين بياناً في الثالث والعشرين من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ هـ يهدفه المسلمين في كافة أنحاء الأرض إلى الجهاد ، وكان هذا البيان يحمل توقيعات أكبر الشخصيات الدينية في الإمبراطورية بما فيهم شيخ الإسلام ، وكانت هذه الدعوة تمثل ذروة سياسة الجامعة الإسلامية التي بدأها السلطان عبد الحميد الثاني ولم يثن السلطان عن إصدار هذا البيان أن ألمانيا - وهي دولة مسيحية - خليفة تركيا ، فإنه على الرغم مما يذهب إليه البعض من أن التحالف مع ألمانيا أضعف من تأثير الدعوة إلى الجهاد (١) ، إلا أن ألمانيا لم تكن تحتل بلاداً إسلامية ، وإنما كانت خليفة تركيا . تدافع عن الإمبراطورية والخلافة . بل إن إمبراطور ألمانيا - استمراراً لسياسته في التودد إلى الإسلام - كان قد أصدر منذ ٩ سبتمبر ( أيلول ) ١٩١٤ بياناً إلى المسلمين الذين يحاربون في صفوف دول الوفاق بأنهم لا يعتبرون في نظر الألمان من الأعداء ، وأنهم

إذا وقعوا في أسر الألمان فسيرسلون إلى تركيا ليكونوا تحت تصرف الخليفة (١) .

وإلى جانب هذا البيان كتبت منشورات بعدة لغات وأذيعت على الملايين في كافة أنحاء الإمبراطورية ، وهربت إلى مصر والسودان والهند وغيرها ، فبعضها يدعو المسلمين إلى التخلي عن مرا كزهم في جيوش دول الوفاق ، وكلها تضرب على وتر حساس ألا وهو أن الإسلام يجابه خطراً يتمثل في أطاع دول الوفاق، وأن حمل السلاح دفاعاً عن الإسلام واجب مقدس يجب ألا يتقاعس عنه أى مسلم .

ومن نماذج الدعوات التي وجهت إلى المسلمين لحثهم على الجهاد ذلك البيان الذي وصل إلينا من الوثائق الأمريكية ، فقد وزع في حلب ، ووصل إلى يدى جاكسون القنصل الأمريكى في حلب ، الذي أرسله بدوره إلى هنرى مورجنتاو سفير الولايات المتحدة في الأستانة ، فعهد هذا بترجمته ، ثم بعث بالأصل والترجمة إلى وزارة الخارجية الأمريكية .

وهذا البيان الذى يتكون من ثلاثين صفحة يحمل العنوان التالى :

# بلاغ عام

لجميع أهل الإسلام

أشرته

جمعية المدافعة المالية

دار الخلافة العلية

١٣٣٣

طبع في المطبعة الخيرية (١)

وقد تضمن البيان الكثير من العبارات التي تستثير المسلمين في شتى أنحاء الأرض إلى « بذل الوسع في إنقاذ أى شعب من شعوب المسلمين فكيف إذا تألب الكفار الظالمون بعدوانهم على مركز الخلافة وناصروا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ... لا ريب أنه يفترض في هذه الحالة فرض عين على كافة أهل الإيمان في كل مكان أن يبادروا إلى نصرته والذب عن بيضة الإسلام بما يستطيعون من حول وقوة .. فعلى كل مسلم أن يتهمياً للقيام بهذا الفرض يلغى اليوم للعالم الإسلامى بجملة أنه يجمع إرادته الكلية في نقطة واحدة ، ويعطى كل عمل له مؤقناً دون العمل لنصرة دين الله والجهاد في سبيل الله . قد توجهت اليوم على كل قوم من الأقوام الإسلامية وظيفة مقدسة جداً ألا وهى الجهاد .

ألا فاعلموا أن الجهاد اليوم صار فرض عين على كل كائنة المسلمين وأنه

---

National Archives. from American Embassy, Constantin- (1)  
ople to Secretary of State, Washington, May 11, 1915 No. 302  
Pamphlet enclosed with translation,



قد جاء الزمان الذى يلغى استعمال كل وسيلة لتخليص الوطن الإسلامى من سلطة الكافرين الظالمين ... .

ولما كان البيان يصف المستعمرين بالكفار فقد دعا هذا القنصل الأمريكى فى حلب ، إلى قصور أن هذا الجهاد موجه ضد غير المسلمين من أهل الممتلكات العثمانية مثلما هو موجه إلى الأجانب (١) ، وأنه لذلك يتوقع سفك دماء بين الوطنيين إلا أن القنصل الأمريكى كان مغالياً بل ومخطئاً فى اعتقاده ، بدليل ما جاء فى البيان نفسه الذى نص على أنه : يجب أن يعلموا منذ اليوم أن الجهاد المقدس قد أصبح فرضاً ، وأن دم الكفار الذين فى البلاد الإسلامية ( ماعدا الدمين المستأمنين والحلفاء ) قد أصبح هدراً .

فقد كان البيان يقصد غير المسلمين الذين كانوا وقتئذ يحكمون بلاداً إسلامية ، وقد أورد البيان أمثلة لهم : مثل الإنجليز فى الهند ومصر والسودان والفرنسيين فى شمال أفريقية والروس فى التركستان والهنديين فى جاوا .

#### دول الوفاق تحاول التدخل العسكرى فى الشام .

ومن المرجح أن القنصل الأمريكى فى حلب وهو يتحدث عن احتمال تعرض مسيحيي الشام لعدوان مواطنيهم المسلمين ، كان متأثراً بما تروجه دول الوفاق فى هذا المعنى ، وتتخذ منه ذريعة لكي ترسل بعض سفنها الحربية أمام سواحل الشام ، وقد ذكرت تقارير القنصل الأمريكى فى بيروت أن سفناً إيطالية مثل كلابريا وروسية مثل اسكولد وقفت أمام بيروت فى ديسمبر ( كانون أول ) سنة ١٩١٤ ، وأن ظهور السفينة الروسية على وجه

---

National Aichives (Washington). microcopy No 353, from (١)  
American Consulate, Aleppo to Morgenthau (Constantinople), April  
8, 1915, No. 258.

المخصوص قد أثار الذعر بين الأهاليين (١) .

كما ظهرت السفينة الحربية الإنجليزية دوريس Doris أمام بيروت بل إن بعض القطار البحرية الإنجليزية أطلقت قذائفها على مكان ماعلى الساحل بالقرب من خليج الاسكندرونة (٢) ، هذا إلى جانب مرور السفينة الفرنسية هنري الرابع أمام بيروت ، وما تردد من أن إحدى السفن الفرنسية أطلقت قذائفها على الساحل عند حيفا (٣) .

وفي ٧ مايو ١٩١٥ ظهرت سفينة إنجليزية أمام حيفا وانطلقت منها طائرة إلى الناصرة حيث ألقت منشورات باللغة العربية ، تعلن للعرب في الشام بأن الأمري العرب في مصر في حالة طيبة ، وأنه إذا ذهب السوريون صوب قناة السويس ، فإنهم سوف يجدون الترحيب من جانب المصريين (٤) .

ومما يجدر ملاحظته أنه حتى قبل أن تدخل الدول العثمانية الحرب ضد دول الوفاق ، فإن قنصل هذه الدول في بيروت حاولوا إقناع زميلهم الأمريكي بالخطر المحدق بالأجانب وبمسيحي الشام، بما حدا بالقنصل الأمريكي إلى أن يطلب من حكومته إرسال بعض القطار الأمريكية إلى مياه الشام ، وفعلا وصلت السفينتان الأمريكيتان نورث كارولينا وتينيسى إلى بيروت ، ولم تلبث أن ارتفعت الأصوات من اللاذقية محذرة من الخطر المحدق بالمسيحيين فيها ، فطلب القنصل الأمريكي في بيروت من قبطان نورث

---

Ibid. from U. S. Consul, Beirut. to secretary of state (١)

(Washington), December 18, 1914 Nos. 926.927.

Ibid. from U.S. Consul, Beirut, to Secretary of State (٢)

(Washington) January 1915.

Ibid. from U.S.S. North Carolina, Beirut to Secretary of (٣)

the Navy no. 1101 (March 18, 1915) & no. 1112 (March 31, 1915).

Ibid; from U.S. Consulate, Beirut to Secretary of State, (٤)

(Washington), May 17, 1915, No 1103.

كارولينا أن يمر باللاذقية حتى يدخل الطمانينة على الأجانب بل والمسيحيين الوطنيين فيما وفي الاسكندرونه (٣) .

ولقد وصل بالقنصل الأمريكي في بيروت التهور إلى درجة أنه أخذ يلح على حكومته من أجل إزال قوات مسلحة أمريكية على ساحل الشام بدعوى حماية المصالح الأمريكية من عدوان الترك ، بل أنه بحث فعلا تنفيذ هذا الإجراء مع قبطان السفينة الحربية الأمريكية نورث كارولينا (٤) ، كما أنه في رسالة إلى وزارة الخارجية الأمريكية عبر عن اعتقاده بضرورة تدعيم القوة البحرية الأمريكية في المنطقة بعدد من السفن الحربية وقوارب الطوربيد من أجل حماية المصالح الأجنبية ومصالح العواصم الوطنية غير المسلحة (١) ، بل إن القنصل الأمريكي بعث في ١٦ نوفمبر ( تشرين أول ) إلى السكاكبتن أو مان Oman قبطان السفينة الحربية نورث كارولينا بأنه مادام الأمريكيون وحدهم هم الذين تسمح لهم ظروفهم بالقيام بمعمل بوليسى دولي ، واتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية الأجانب المقيمين في هذه البلاد، وكذلك المسيحيين من أهل البلاد في حالة الاضطرابات العنصرية فإنه يستحسن تدعيم قوتك بأسرع ما يمكن ، واقترح عليك أن تبحث الموضوع مع وزارة البحرية في الوقت الذي أبحثه أنا مع وزارة الخارجية وسفارتنا بالأساتانة ، (٢) .

---

Ibid; from Hollis, U. S. Consul, Beirut, October 8, 1914, (١)  
Enclosure : Copy from James Stewart, Latakia Hollis Bairut  
October 1, 1914 ; from U.S. Consul, Aleppo to Secretary of State  
(Washington), October 26, 1911, no 731.

Ibid, Cipher telegram from U.S. Consul, Beirut, to American  
Ambassador, Constantinople: October 3<sup>rd</sup>, 1914.

Ibid, from U.S. Consul. Beirut to Secretary of State (٢)  
Washington. November 10, 1914.

Ibid, From Hollis, U.S. Consul, Beirut. to Capt. Oman, U.S. (٤)  
Navy, Commanding U. S. S. North Carolina in Beirut Harbor,  
November 16, 1914.

إلا أن هنري مورجنتاؤ سفير الولايات المتحدة في الاستانة لم يشاطر  
القنصل الأمريكي في بيروت تهوره ، وعبر ... في برقية منه إلى وزارة  
الخارجية الأمريكية . عن عدم رضائه عن موقف القنصل ، معتقداً أن  
الأضرار التي قد تنجم عن سواء استخدام السفن الحربية الأمريكية ستكون  
أعظم من أى حماية قد توفرها هذه السفن ، وأعرب السفير عن تأييده لبقاء  
إحدى هذه السفن في بيروت ، على أن تصدر الحكومة الأمريكية تعليمات  
مشددة إلى قائدها بالآلا يتورط في أى حادثة قد يثيرها القنصل الأمريكي في  
بيروت ، وأن تواجد السفينة في بيروت إنما لتكون بمثابة ملجأ في حالة  
الطوارئ ، وللحيلولة دون وقوع حوادث وليست مهمتها إثارة الأحداث ،  
وأعلن السفير اعتراضه على فكرة نزول بحارة مسلحين إلى البر إلا في حالة  
الضرورة القصوى (١) .

#### اثر الدعوة الى الجهاد :

وكانت حكومة الاستانة تأمل أن يؤتى لإعلان الجهاد ثمرته المرجوة في  
داخل الإمبراطورية وخارجها ، في داخلها بضمان ولاء كافة العناصر الإسلامية  
التي تقيم في الإمبراطورية عرباً وغير عرب ، وفي خارجها بإثارة العناصر  
الإسلامية في الأقاليم الخاضعة لحكم دول الوفاق .

كما أوفدت بموت لتدعيم هذه الدعوة ، وقد رأينا بعضها في إيران  
وأفغانستان ونجح بعضها الآخر في الوصول إلى مصر والسودان وأجزاء  
أخرى من أفريقية تحت حكم الحلفاء وإثارة مشاعرها ، وخاصة العرب نظراً  
لأهمية موقع بلادهم .

---

(١) Natinal Archives, Cipher Despatch from U.S. Ambassador  
(Constantinople) to U.S. Consul (Beirut), October 30, 1914 : Telegram  
from U.S. Ambassador (Constantinople) to Secretary of State  
(Washington) December 1914.

فَعمندما نشبت الحرب العالمية الأولى كال الرحلة الألمانية ليو فروبنيوس موجوداً في تونس ، فرحل منها إلى دمشق ، وفي ليلة عيد الميلاد عام ١٩١٤ غادرها مع أربعة من رفاقه بينهم المهندس مارتان Martin متسكرين في زي البدو ، وفي ٧ فبراير (شباط) ١٩١٥ استقلوا مركباً في قنفذه وانجسوا صوب الحبشة حيث نزلوا في مصوع ، وقد قام فروبنيوس بتشجيع نجاحي الحبشة لدج ياسو Lji yassou - الذي توج عام ١٩١٤ - على اعتناق الإسلام وإثارة قبائل الجالا والدنا كل المسلمين - الذين كانت تربطه بهم صلة النسب - ضد بريطانيا ، حتى عزل عام ١٩١٦ ، كما سرت عدوى الثورة إلى الصومال ولو أنها أخذت بعد قليل ، وفي عام ١٩١٥ أرسل فون ستوتزينجن Stotzingen الذي كان على المسام تام باللغة العربية إلى شبه الجزيرة العربية على رأس بعثة كبيرة وكان عليه أن يقيم في صنعاء محطة للأسلحة حتى يمكن الانصال بشرق أفريقية الإيطالية وإقامة علاقات مع قبائل السودان وأرتية الصومال لإثارة القبائل في هذه البلاد إلى جانب تنسيق العمل مع الترك لمهاجمة عدن <sup>(١)</sup> .

وقد تضمنت الوثائق السودانية <sup>(٢)</sup> الكثير من التقارير التي توضح اهتمام الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا ببعث الدعاية ضد بريطانيا في شرق أفريقية ، وقد ظهر أثر الدعوة إلى الجهاد واضحاً في كل من ليبيا والسودان ، فأنار السنوسيون المشا كل لبريطانيا على حدود مصر الغربية ، كما اتصلوا بلى دينار سلطان دارفور التي ثار هو الآخر ضد بريطانيا متأثراً بالدعوة إلى

Vernier, B. : Ouv, Cit., p. 18

(١)

Sufian Archives, Khartoum, Intelligence Group, Box 2, 48 (٢)

files 407 - 410

الجهاد ، إلا أنه سرعان ما قضى عليها في مايو (آيار) ١٩١٦ ، ولقي على دينار نفسه حتفه في نوفمبر (تشرين ثان) من تلك السنة (١) .

وعلى الرغم من أن النشاط المعادي لبريطانيا في ليبيا والسودان كان يتمثل في هذه الحركات الفردية المنعزلة ، ولم يؤد إلا إلى عمليات عسكرية محدودة لم تؤثر على المجرى العام للحرب ، إلا أنه لا شك في أن هذه الحركات أقلقـت بال بريطـانيا فترة من الوقت .

أما في أملاك دول الوفاق في آسيا ، فإن أكبر مجموعة تأثرت بالدعوة إلى الجهاد هم مسلمو الهند ، إلا أنه رغم الاحترام الذي كانوا يكنونه للخليفة وسلطته الروحية فإنهم لم يقوموا بأي عمل عسكري صريح ضد بريطانيا ، ورغم اشتراك بعض المتطرفين في محاولة إقامة علاقات مع دول الوسط إلا أن محاولتهم أخفقت ، ومع هذا فإن حكومة الهند لم تستطع التفاوض عن مشاعر مسلمي الهند ، وبذلت جهودها من أجل عدم إثارتهم حيث كانوا ساخطين على بريطانيا لتعاونها مع الشريف خصوصاً وأنه كان يعتبر في نظرهم حائناً لخروجه على الخليفة (٢) .

وكان هذا هو ما أحدثته الدعوة إلى الجهاد من أثر ، ونلاحظ أنها لم تنجح النجاح المرجو وذلك لبعد المسافة بين مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، وقلة المواصلات ، هذا علاوة على كراهية بعض المناصر المسلمة كالعرب للترك ، حتى ليعتبر البعض أن ثورة الشريف حسين تمثل فشل سياسة الجامعة الإسلامية .

---

(١) صحيفة الكوكب العدد ١٩ الصادر في ديسمبر ١٩١٦ ، بلاغ رسمي بباريس ٣٠ نوفمبر ١٩١٦ عن انتهاء الثورة في داغور .

Linczowski : Ouv. Cit., p. 52.

(٢)

إلا أننا لا نستطيع أن نفعل أن دول الوفاق قد اضطرت إلى اتباع سياسة تنطوي على الحذر بعدم تجنيد كثير من مسلمي مستعمراتها في القوات التي كانت تحارب الدولة العثمانية مع الاحتفاظ بقوات كبيرة في البلاد الإسلامية لإخماد أية محاولة للثورة فيها ، في وقت كانت في حاجة ماسة إلى هذه القوات لاستخدامها في ميادين الحرب المختلفة <sup>(١)</sup> .

وسوف نرى كيف أن بريطانيا - في مواجهة الدعوة إلى الجهاد - لجأت إلى سلاح مضاد ألا وهو سلاح القومية، الذي أثبت أنه أقوى وأمضى من الانجاء الديني الذي لجأت إليه تركيا ، فإن دعاية بريطانيا بين العرب في السنة الثانية من الحرب أنت ثمارها ، وحتى مكة - المركز الروحي للعالم الإسلامي - لم تلبس أن انضم أميرها إلى الوفاق <sup>(٢)</sup> . فقد كانت الحياة سحيقة بين العرب والترك نتيجة سوء الإدارة التركية ، وكان الشرق العربي يموج بمقدمات ثورة قومية بعد أن ضاقت الأمة العربية ذرعا بالخلافة وسياستها ، ووجدت في ظروف الحرب فرصة لتحقيق مطالبها في الاستقلال والوحدة ، وكانت دمشق هي القلب النابض للحركة القومية في الشرق العربي الآسيوي ، وكانت بريطانيا وفرنسا على اتصال بأوضاع المنطقة العربية وعلى علم بتياراتها ، لارتباطهما ببعض الطوائف مثل ارتباط فرنسا بالموارنة ، ولذلك كان من الطبيعي أن تعمل بريطانيا على ضم العرب إلى جانبها ومهاجمة تركيا عن طريق رعاياها العرب <sup>(٣)</sup> . ولا شك أنه كان من عوامل ضعف أثر الدعوة إلى الجهاد تناقضها مع الاتجاه الآخر للحكومة العثمانية وهو الجامعة العثمانية ، وقد رأينا

---

Emin, A. : Ouv. Cit. p. 177. (١)

Ibid, p. 181 : Sanders : Ouv. Cit. p. 34. (٢)

Zeine : Struggle for Arab Independence ( 1960 ) p. 1 (٣)

( ١٦ - حركة النهضة )

من قبل كيف أن الاتحاديين قد اتجهوا في سنوات ما قبل الحرب مباشرة وخاصة بعد حوادث البلقان - نحو فكرة ضم العناصر التركية جميعاً ، ولذلك فإن سياسة الجامعة الإسلامية لم تكن موضع ترحيب من بعض عناصر الترك وسياسة الاتحاديين الذين كانوا يرفضون الانجساء إلى الدين لتقوية الإمبراطورية ، بل اعتبروا للدين معوقاً لتقدمها ، ولذلك رفضوا فكرة العثمانية وكذلك الجامعة الإسلامية واستند ( ضياجو كالب ) Zia Gok Alp إلى أن الجامعة العثمانية لم تمنع روسيا من كسب ولاء رعاية الدولة في البلقان استناداً إلى الجامعة الصقلية ، وكان هذا في نظر الوطنيين الترك دليلاً على أن الرابطة القوية التي تستطيع أى دولة أن تعتمد عليها في جمع شمل أبنائها هي رابطة الدم والقومية المشتركة ، وعلى ذلك كان يرى هؤلاء أن خلاص تركيا يمكن في تقوية الوعي القومي لدى الرعايا الترك والاتجاه نحو وحدة الشعوب التي تنتمي إلى المجلس التركي أينما كانت تعيش (١) .

ولذلك فإن سياسة الحكومة التركية كانت غير مستقرة ، فبينما لم تتخل عن اتجاهها نحو الجامعة الإسلامية التي كانت لا تزال تأمل أن تكون ذات نفع في الحرب ، فإنها من ناحية أخرى كانت تميل ويزداد ميلها بمرور الوقت نحو الجامعة الطورانية دون أن تفتن إلى تعارض الاتجاهين ، فلم يكن من الممكن دعوة الإيرانيين كسليين إلى خوض ضمار الحرب إلى جانب تركيا بينما كان إيران مهدد بانحياز تركيا نحو الجامعة التركية التي كانت تعنى فصل أذربيجان وضمها إلى الإمبراطورية التركية ، وكذلك كان الحال بالنسبة للعرب .

وقد أدى هذا التمازج إلى انشغال خلافتات في وجهات النظر بين تركيا وألمانيا ، إن الحكومة الألمانية أيدت منذ البداية الدعاية للجامعة الإسلامية ، وكانت الدعاية الألمانية المواجهة إلى إيران وأفغانستان والهند تستخدم



شعارات إسلامية ، إلا أن الألمان كانوا يرون أنه إذا كان الاتجاه نحو الجامعة الطورانية سيؤثر على الترك في روسيا إلا أنه سيؤدي إلى اضطرابات في مناطق هامة وحساسة مثل إيران والبلاد العربية (١) .

ولذلك لم تسكن الحكومة الألمانية ترحاب إلى تولى الترك الدعاية في العالم الإسلامي لأن ذلك لا يؤدي إلى كسب ثقة العرب والایرانيين، وكان الفشل في كسب تأييد شعبي واسع للحكومة الإيرانية الثانية التي ترأسها (نظام السلطنة) في کرمان شاه يرجع إلى وجود قوات تركية في الأراضي الإيرانية ، مع أن الإيرانيين - بسبب عدائهم للروس والإنجليز كانوا على استعداد للتحالف مع ألمانيا وليس مع هدوتهم تركيا (٢) .

وقد تحقق الخطر التركي الذي كان يتوقعه البريطانيون على مصر وقناة السويس وذلك بمهمة الترك عام ١٩١٤/١٥ ، فقد كان الألمان يريدون الهجوم على قناة السويس باعتبارها من أكثر المناطق أهمية في خطوط مواصلات بريطانيا ويرون أن الهجوم عليها يحول دون وصول الإمدادات من آسيا إلى الجبهة الأوروبية ، ولو أن ساندروز كان يعتقد بصعوبة الهجوم على مصر عبر صحراء التبة الماحلة (٣) . وكان الترك من فاحيتهم يرون في الهجوم على مصر

Ibid, p. 53 — 55.

(١)

(٢) وقد تزايد اتجاه الحكومة التركية نحو الجامعة الطورانية بعد الثورة الروسية عام ١٩١٧ إذ ازداد أمل الترك في تحقيق أحد أهدافهم من الحرب وهو تحرير الجماعات التركية في روسيا وضماها ، وثالث فإن تركيا ركزت كل جهودها في العام الرابع من الحرب على الفرار بما أدى إلى غضب القيادة الألمانية العليا إذ كان معنى ذلك إهمال الميادين الأخرى للحرب بما فيها الشرق العربي ، حيث كانت ألمانيا تريد وقف التقدم البريطاني ، ولذلك فقد سار ييدو للحكومة الألمانية عام ١٩١٨ كما لو كان الترك قد تخلوا عن التحالف معهم

ليخوضوا غمار حرب خاصة بهم ومن أجل مصالح الترك وحدهم. Li czo , ski p.55. Sanders : Five Years in Turkey pp. 26 - 7.

(٣)

وسيلة لحجز قوات بريطانيا فيها والبلولة دون تدعيم الهجوم البريطاني على العراق ، أو استخدامها في النزول على السواحل التركية في بيروت أو الاسكندرونة أو أزمير أو غاليسولى لغزو الإمبراطورية العثمانية<sup>(١)</sup> ، إلى جانب احتمال تحقق آمال الترك في استعادة مصر خصوصاً وأنهم كانوا يعلقون آمالاً كبيرة على ثورة الوطنين المصريين ضد بريطانيا إذ ما وصلت القوات التركية إلى قناة السويس<sup>(٢)</sup> .

ورغم أن شعور المصريين كان ينطوى على العطف على الترك والميل للألمان والحقده على البريطانيين<sup>(٣)</sup> ، إلا أن أمل جمال باشا في ثورة المصريين قد خاب ، إذ أخذ البريطانيون حيطتهم وأعلنوا الأحكام العرفية منذ ٢ نوفمبر وحشدوا في مصر نحو مائة ألف جندي معظمهم من الاستراليين الذين لا تجد الدعاية الإسلامية سبيلاً للتأثير عليهم مثلما قد تؤثر على الهنود المسلمين ، وأقامت بريطانيا عرضاً عسكرياً لقواتها في شوارع القاهرة في ١٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٤ ، كما أخذ البريطانيون بدعمون استحكامات قناة السويس وفى هذا السبيل لم يحاولوا تنظيم أى دفاع على الضفة الشرقية للقناة ولم يلبثوا مراكز أمامية في سيناء بل كان دفاعهم ينحصر في قطارات مسلحة على الخط الحديدى بين بور سعيد والسويس ، علاوة على بعض السفن الحربية فى القناة والمدفعية على الضفة الغربية<sup>(٤)</sup> .

وقد قام الترك بالهجوم على قناة السويس فى الثانى من فبراير (شباط) ١٩١٥ إلا أن قواتهم لم تستطع عبور القناة فتقهقرت ، ولم يكن لدى

Djamal Pasha : Memories of a Turkish Statesman p.137. (١)

Ibid p. 154. (٢)

Arthur : Life of Lord Kitchener Vol. 11, p. 107. (٣)

Yale : Ouv. Cit pp. 220—221. (٤)

البريطانيين استعداد لتعقب الترك في الصحراء، ولذلك فقد استطاعت القوات التركية الانسحاب دون خسارة كبيرة وبذلك لم يفتت الهجوم بكارثة عسكرية بالنسبة للترك ، إلا أنه في الوقت نفسه حقق نجاحا إذ أدى إلى احتفاظ البريطانيين بقوة كبيرة في مصر كان من الممكن استخدامها والاستفادة منها في حملة الدردنيل طوال عام ١٩١٥ وهي الحملة التي باءت بالفشل<sup>(١)</sup> ، ولأن هذه القوة التي احتفظ بها البريطانيون في مصر كانت نواة الجيش الذي قام بغزو الشام بعد ذلك ، فقد صار العسكريون البريطانيون - إثر تجديد الهجوم التركي على مصر عام ١٩١٦ - مقتنعين بأن السيطرة على جنوب الشام أمر ضروري لتأمين قناة السويس ومصر ، تلك الفكرة التي كان لها تأثير في توجيه سياسة بريطانيا في الشرق العربي خلال السنوات الثلاثين التالية<sup>(٢)</sup> .

• • •

#### ١١-١٢ الشرق العربي بظروف الحرب :

وقد كان من الطبيعي أن تتأثر أحوال الشرق العربي الآسيوي بظروف الحرب والإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية نتيجة لهذه الظروف، مما كان له أثره على انتشار السخط على الإدارة العثمانية .

وقد حفلت تقارير القناصل الأمريكيين في مختلف مدن المنطقة بوصف أثر ظروف الحرب على أهل أهل المشرق العربي الآسيوي ، مثل انقطاع ورود السلع والبضائع . فقل دخل الجمارك ، مما أثر بدوره على سوء الحالة المالية مما أدى في بعض الأحيان إلى عدم صرف المرتبات، وإلحاح السلطات التركية في جمع مزيد من الضرائب والأموال وجمع المواد الغذائية لإمداد

---

Sanders : Ouv. ' it., p. 44 - 45°

(١)

Yale : Ouv, Cit. p. 222,

(٢)

القوات المسلحة دون دفع أثمانها ، هذا إلى جانب تهديد الحكومة التركية للأهالي في أقاليم المشرق العربي الاشتراك في العمليات الحربية التي تقوضها الدولة العثمانية ، حتى أنه بعد إعلان التعبئة العامة استدعت السلطات العثمانية للخدمة العسكرية كل الذكور المدنيين الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والأربعين (١) .

وبما تجدر ملاحظته في هذا المجال أن عدداً من شيوخ القبائل في العراق عبروا للسلطات العثمانية في بغداد على استعدادهم للدفاع عن البلاد في حالة تعرضها للهجوم فقط ، وأن لديهم الكثير من الرجال ولكن ينقصهم السلاح والعتاد، كما طالبوا ببعض الضمانات فيما سيعود عليهم من فائدة إذا ما اشتركوا في الحرب (٢) .

---

National Archives, from T. Sabbagh French Consular Agent (١)  
at Safed & Titerius to U.S. Consul, Beirut, August 27, 1914.  
Ibid. from ch. Brissel, U.S. Consul (Bagdad) to H. Mar- (٢)  
gontLau (Constantinople), October 17, 1914, no, E 38.

## الفصل الحادى عشر

### الاتفاق العربى البريطانى

#### محاولة بريطانيا الاستلادة من لمر العرب

لم يكن من المنتظر أن تقف بريطانيا ساكنة أمام احتمالات الخطر التى تهدد ممتلكاتها ومصالحها ، والمترتبة على دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ولقد أدركت بريطانيا قيمة الشرق العربى والأهمية الاستراتيجية لموقعه ، كما انضمت لبريطانيا أهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه عرب الشرق العربى الأسبوى فى الصراع الدائر ، خاصة وقد سبق أن أبدى هؤلاء بعض مظاهر السخط على الحكم التركى ، فكان من الطبيعى أن تحاول بريطانيا النيل من الإمبراطورية العثمانية مستخدمة رهاياها العرب ، فقد كان يهم بريطانيا كثيراً إخراج تركيا من صوف الأعداء وذلك من أجل تحقيق الاتصال مع روسيا ورومانيا ، ذلك الاتصال الذى لم يكن قائماً. وبدونه كان من الممكن أن يتخرج مركز الدولتين فى الحرب ، كما أنه بإخراج تركيا من الحرب كان يمكن تغيير مجراها وتقصير أمدها لأن الامبراطورية العثمانية تقع على الطريق البحرى والبحرى إلى ممتلكات بريطانيا فى الشرق .

وقد وجدت السلطات البريطانية أن قيام ثورة ضد الأتراك فى بلاد الشرق العربى الأسبوى سوف يرغم تركيا على الاحتفاظ بجانب كبير من قواتها فيها وبذلك لا تسام فى جهات القتال الرئيسية الأخرى وخاصة الجبهة الروسية ، كما أن الثورة فى شبه الجزيرة العربية بالذات من شأنها أن تقطع الصلة بين القوات العثمانية الرئيسية المتمركزة فى الشام والفرق العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة العربية كالير وحسير ، وبذلك لا تستطيع هذه الأخيرة

أن تصبح ذات خطر على المراكز البريطانية في الجنوب وخاصة في عدن ، وإلى جانب ذلك فقد كان من المعروف أن ألمانيا سوف تحاول الاستفاعة من تعالفاها مع تركيا في العمليات العسكرية بإيجاد جسر بوصل بين المستعمرات الألمانية في شرق أفريقية وبين ألمانيا عن طريق ممتلكات تركيا في شبه الجزيرة العربية ، ولو قامت هذه الصلة لأصبح في استطاعة ألمانيا أن تهدد مصالح بريطانيا في المحيط الهندي ، ولكن لو قامت ثورة في شبه الجزيرة العربية فإن من شأنها أن تفسد هذا المخطط الألماني . هذا بالإضافة إلى صعوبة إثارة ثورة في الشام حيث الحركة القومية العربية أقوى منها في غيرها من بلدان المشرق العربي والأسوى بسبب قربها من مقر الدولة ووجود حشود كبيرة من القوات التركية فيها يمكن تعزيزها بسهولة ، هذا إلى جانب صعوبة إخضاع الحركة القومية العربية في الشام وزعائها إخضاعا مطلقا لمخططات بريطانيا وما عرف من أطامها في المنطقة .

#### المعاهدة مع الإدريسي في عسير

أما في شبه الجزيرة العربية فقد كان في استطاعة بريطانيا اتخاذ بعض الخطوات لمواجهة هذه الأخطار المترتبة على دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، فقد كان الإدريسي في عسير يستطيع إثارة الصعوبات في وجه المواصلات التركية بين الحجاز واليمن ، وتهديد الترك من الخلف في حالة هجومهم على عدن ، علاوة على إمكان الحيلولة دون استخدام ساحل عسير ضد الإمام يحيى الذي ظل مواليا للترك ولذلك فقد قام الميجور جنرال ( شو ) Shaw المقيم السيامي البريطاني في عدن بإبرام معاهدة في الثلاثين من أبريل ( نيسان ) ١٩١٥ ( ١٥ جمادى الثانية ١٣٣٣ هـ ) ورعها عن الإدريسي السيد مصطفى بن السيد عبد العلى . لتقوية أواصر الصداقة بين الطرفين ، وفي هذه المعاهدة تعهد الإدريسي بمهاجمة الترك ومحاولة إخراجهم من مراكزهم في اليمن ، والعمل

على مد نفوذه على حساب الترك وأعلن الإدريسي أن هدفه الترك فقط ، وأنه لن يقدم على أى إجراء ضد الإمام يحيى طالما أن الأخير لم ينضم للترك وفى مقابل ذلك تعهدت الحكومة البريطانية بحماية منطقة نفوذ الإدريسي ضد الهجوم من جانب أى عدو ، وحماية وضمان استقلاله فى بلاده ، وعند انتهاء الحرب تتعهد بريطانيا باستخدام كل وسيلة دبلوماسية لقسوية المنازعات بين السيد الإدريسي والإمام يحيى أو أى منافس آخر ، كما تعهدت الحكومة البريطانية بأنها - رغم محاصرتها للدوانى التركية على البحر الأحمر - سوف تسمح للإدريسي بتبادل التجارة مع عدن . وقد صدق على هذه المعاهدة ( هاردينج ) Hardinge نائب الملك فى الهند فى السادس من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٥ .<sup>(١)</sup>

وتوضح لنا هذه المعاهدة أن غرض بريطانيا من تحالفها مع الإدريسي كان غرضاً محلياً محدوداً . وعلى كل حال لم تحدث عمليات عسكرية بين الترك والإدريسي كما استفاد الإدريسي اقتصادياً من هذا التحالف فقد ظلت موانئه مفتوحة بينما حوصرت الموانى اليمنية<sup>(٢)</sup> .

#### موقف اليمن

وإذا كان الإدريسي قد انضم إلى بريطانيا علانية ، فقد كان موقف الامام يحيى فى اليمن مختلفاً ، وذلك بسبب اختلاف ظروف كل منهما ، فقد كان وضع الامام يحيى ومركزه الدينى يمنعه من الانضمام للقوى غير الاسلامية

---

(١) Harewitz : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. II pp. 12-18 (Doc. no. 7).

أمين الريحاني : ملوك العرب ( ١٩٢٩ ) - ١ ص ٢٧٢/٢٧٣ .

خافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ( ١٩٣٥ ) ص ٣٠٨/٣٠٩ .

(٢) السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ص ٢١٤/٢١٧ .

ضد العثمانيين المسلمين كما أن صلحه مع العثمانيين عام ١٩١١ كان يقيدده ولو نظريا ويمنعه من الوقوف ضدهم ، بعكس الادريسي الذي لم يكن ملتزما بموقف إسلامي معين ، وقد سبق له أن تحالف مع الايطاليين ، ولم يكن متحالفا مع العثمانيين . يضاف إلى ذلك أن نفوذ الادريسي كان يتركز أساساً على الشاطئ مما سهل اتصاله بالقوى المختلفة ، وخاصة البحرية مثل إيطاليا وانجلترا ، أما الامام يحيى فقد كان نفوذه يتركز على الهضبة في الداخل بعيداً عن البحر فهو معاط بسياج من الفرق العثمانية ، وعلى الرغم من أن البريطانيين كانوا يأملون أن يؤدي اتفاقهم مع الادريسي إلى الإقلال من خطر الامام يحيى في اليمن ، إلا أنهم مع ذلك كانوا يعلنون مدى خطورة اليمن على عدن والجنوب خصوصاً وقد كان للترك حامية قوية هناك ، قدرت في أبريل ( نيسان ) ١٩١٤ بحوالي خمسة آلاف رجل بعد أن نقلت قوات كبيرة منها إلى ميادين أخرى هقب صلح دعان ١٩١١ ، لكن هذه القوات زادت عند قيام الحرب حتى بلغت نحو أربعة عشر ألف رجل ، ووفد على اليمن كثير من الضباط الأتراك ومعهم كميات كبيرة من العتاد .

وبلاحظ أن الامام يحيى لم يستغل فرصة الحرب العالمية الأولى للتخلص من الحكم التركي ، ولم يكن صلح دعان عاتفا إذا أراد أن يقوم بعمل ضد العثمانيين كما أنه في الوقت نفسه لم يناصب البريطانيين العداء صراحة ، بل تميز موقفه بين الطرفين بالهدوء ، وعدم القيام بعمل إيجابي واضح لمساعدة أى منهما ، وذلك حرصاً على مصالحه الخاصة ، واقد كان موقع اليمن وظروفه سبباً في هذا الموقف الذي اتخذته الامام ، فقد كان يحشى الفرق العثمانية الجائمة فوق أراضيها ، ويعتقد أن نشوب الحرب بينه وبين العثمانيين سيؤدي إلى انكماش نفوذه ، ولن يكون هذا إلا في مصلحة منافسه وعدوه الادريسي في عسير الذي يراحمه في جزء من ممتلكاته ، ولذلك كان يعتبره الأولى بالمخاصمة ،



وفي الوقت نفسه كانت محمية عدن تقع على حدود بلاده وتشمل أقاليم يستقد أنها ملك لأجداده ، ولكنه كان يخشى مناصبة بريطانيا العداء خشية أن يلقي باقي اليمن مصير المحميات ، ويستفد كثير من المؤرخين - وخاصة من الأوروبيين أن الامام انحاز إلى جانب تركيا في الحرب وبذهب سلفاتور أبوتق إلى أن الامام رفض بإباء كل محاولة اقترحها عليه الانجليز ورغم أنه حارب الأتراك لضمان استقلال بلاده ، إلا أنه آثر أن تقطع رقبته ورقبة أولاده على أن يحالف الكفار . (١) .

ومع ذلك فإن الأحداث تؤكد أن سياسة الامام آئتد كانت الثأني والتظاهر بالحياد المشوب بالعطف والميل إلى حكومة محمود بك نديم وإلى اليمن دون أن يتعرض أعداء بريطانيا وحلفائها وانتظار الفرص المناسبة للاستفادة من هذه الحرب حسب تغير الأحوال (٢) .

فقد كان يهم الإمام معرفة موقف الانجليز وما سيتمنحض عنه الصراع بينهم وبين العثمانيين ، ومراقبة سير الأحداث وهو بعيد عنها ، ودون أن يشارك في أحداثها مشاركة فعالة قد تؤدي إلى نتائج ضارة ، فرأى من مصلحته الانتظار في حذر واستعداد فهد ، هي فرصته لحل مشاكله ومشاكل مستقبله التي تتمثل في وجود الادريسي والعمانيين داخل أراضيه ، ووجود البريطانيين على حدوده ، وفي نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ قام البريطانيون بضرب الشيخ سعيد بالقتال من البحر رداً على تجمعات وتحصينات العثمانيين التي كانت تتطوى على تهديد مباشر لبريم ، وقد انزعج الامام من هذا العمل إلا أن البريطانيين

(١) السيد مصطفي سالم : يكون اليمن الحديث ص ١٩٥/١٩٦ نقلا عن سلفاتور أبوتق  
مملكة الإمام يحيى ، ترجمة طه فوزى ص ٥٧ .

(٢) المبدل : هدية الزمن في أخبار ملوك الحجاز وعدن ( ١٣٥١ هـ ) ص ٢١١ .

أكدوا له أن هذا الاجراء تستلزمته الضرورة العسكرية دون أن تكون وراه أغراض توسعية ، وقد بدأ الترك نشاطهم ضد البريطانيين في جنوب شبه الجزيرة العربية بمحاولة سلمية لجذب سلطان لحج إليهم، ووسطوا لذلك الإمام يحيى ، وقد ذهب مندوب الامام إلى الحج في يناير (كانون ثان) ١٩١٥ ، والتقى بالسلطان على الذى كان صديقاً لبريطانيا، وتمنحه مشاهرة كبيرة وتعترف به سلطاناً ، ورغم أن المندوب ذكر السلطان أن الامام لن يتمكن من الخروج على تعهده للترك الذين عقد معهم عام ١٩١١ هدنة لمدة عشر سنوات ، فقد كان السلطان يرى أن قيام الترك بعمليات حربية ضد عدن سيعود بالضرر على أهل اليمن نتيجة الحصار البحرى الذى ستضربه بريطانيا على سواحل اليمن وأنه على مشايخ اليمن تسكين حركات الترك على أن يقوم سلطان الحج باقناع حكومة عدن بعدم محاصرة سواحل اليمن وأن تعتبر ولاية اليمن أرضاً عربية محايدة (١) . ومن المعتقد أن هذه المفاوضات كانت استطلاعية ، يحاول بها الامام أساساً أن يعرف ما سيقوم به الانجليز من عمليات حربية ضد العثمانيين في اليمن لأن هذا سيؤثر بالضرورة على مركزه في بلاده ، خصوصاً وهو يعلم تصميم الترك على ضم لحج، ومعارضة الانجليز وسلطان الحج، وأن ذلك سيؤدى إلى نشوب الحرب بين الطرفين في المنطقة مما قد يترتب عليه دخول الانجليز اراض يمنية مما يعتبرها من أملاكه .

\*\*\*

---

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ١٩٥ - ١٩٨ .

### النشاط العربي في الجنوب العربي :

ومن أجل تعطيل مواصلات بريطانيا أو على الأقل من أجل شغل قواتها في الجنوب قرر الترك — عقب فشل الحرب — مهاجمة المحميات فتقدمت إليها حملة بقيادة على سعيد باشا قائد القوات العثمانية في اليمن ، وعندما رفض السلطان على سلطان لحج السماح للقوات العثمانية بالمرور عبر بلاده ، زحف الترك صوب عدن في فبراير ( شباط ) ١٩١٥ ، وقد اشترك في الحملة العثمانية على لحج بعض جنود الإمام ولو أن البعض يعتقد أن اشتراكهم كان بصفتهم الشخصية لا كأتباع للإمام ، على اعتبار أن ذلك يخالف خطة الامام القائمة على الامتناع عن الاشتراك في الحرب ، ولا شك أن العثمانيين استطاعوا الاعتماد على الامام في تهديم اليمن ، وهي خدمة جليلة مكنتهم من التفرغ لمحاربة البريطانيين . علاوة على ما قدمه للعثمانيين من مؤن <sup>(١)</sup> .

وتقدم القائد العثماني بقواته داخل لحج ، ولم تحدث معارك حتى الخامس من يوليو ( تموز ) ١٩١٥ ( ٢١ شعبان ١٣٣٣ هـ ) حين وقعت معركة الدكيم التي انتصر فيها سعيد باشا واستولى على الحوطة عاصمة لحج بسبب تأخر النجدة الانجليزية ، وقد سبقت الإشارة إلى ما تردد من أن الجنود الهنود عصوا ضباطهم وكرهوا محاربة إخوانهم المسلمين <sup>(٢)</sup> ، وقد احتج السلطان عبد الكريم — الذي خلف السلطان على لوفاته متأراً بجراحه — لدى الحكومة البريطانية كما اضطر الانجليز — تحت ضغط القوات العثمانية الزاحفة — إلى إخلاء الشيخ عثمان — ضاحية عدن — وقد احتلها الترك والعرب ، واستعادها البريطانيون في ٣١ يوليو ( تموز ) ١٩٥١ ، بعد أن وصلتهم نجدة من مصر .

---

(١) العهدى : مرجع سبق ذكره ص ٢١١ .

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ص ٤٢١ .

إلا أن نشاط الترك في هذا الميدان لم يكن متسقاً مع بقية العمليات العسكرية الأخرى التي كانت تقوم بها دول الوسط ، ولذلك لم يقدر لها أن تؤثر على المجرى العام للحرب وبعد استرجاع الشيخ عثمان اقتصرَت العمليات العسكرية حول عدن على مناوشات بين الجانبين ، ولكنها اضطرتهما إلى إبقاء قوات غير قليلة في المنطقة ، كان من الممكن الاستفادة منها في ميدان آخر ، واستمرت هذه الحالة حتى إعلان الهدنة عام ١٩١٨ .

#### السكوت:

وعلاوة على ذلك فإنه بمجرد دخول تركيا الحرب سارعت بريطانيا إلى تقوية مركزها وتدعيمه بمختلف الوسائل في أنحاء الشرق العربي الآسيوى ، وقبل يومين من إعلان بريطانيا الحرب رسمياً على الدولة العثمانية وجه المقيم السياسى البريطانى في الخليج مذكرة إلى الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت يعده فيها بإعتراف بريطانيا بانقطاع صلات الكويت تماماً مع الإمبراطورية العثمانية ، وفى مقابل ذلك طلبت بريطانيا تعاون أمير الكويت مع الأمير عبد العزيز آل سعود وغيره من الزعماء فى تقديم المعونة من أجل الاستيلاء على البصرة وجنوب العراق ، وأعلى الأقل الحيلولة دون وصول الإمدادات التركية إلى البصرة إلى أن تصل القوات البريطانية إليها (١) .

\* \* \*

#### ابن سعود :

أما فى وسط شبه الجزيرة ، فقد كان هناك آل الرشيد فى شمر وعبد العزيز آل سعود فى نجد وكان قد ضم إلى أمارته إقليم الحسا عام ١٩١٣ وكان الطرفان فى عداوة مستمرة ، كما أن سيطرة الترك عليهما لم تكن تامة ، إلا أن

آل الرشيد انحازوا إلى جانب الترك الذين كانوا يساعدونهم في نزاعهم ضد ابن سعود ، ولما كانت منطقة الخليج تدخل في اختصاص حكومة الهند التي تدير العمليات لاحتلال البصرة ، فقد أوفدت قبل نهاية عام ١٩١٤ كابتن شيكسبير shakespeare لمحاربة ضمان تأييد ابن سعود ومساعدته بريطانيا .

فقد انقسم المستولون البريطانيون عن الشرق العربي فريقين فريق السياسيين والعسكريين المتمركزين في القاهرة ويتبعون دار المعتمد البريطاني والذين أطلق عليها اسم المدرسة المصرية أو مدرسة القاهرة وفيما بعد اسم المكتتب العربي ، وكان هذا الفريق يضم عدداً من الخبراء بالشتون العربية مثل ت.ا. لورنس ، رونالدستورز ، جابرث كلايتون ، جورج هو جارت وجرترود بل . أما الفريق الآخر فقد كان مركزه الهند وملحقاته في الخليج ، ولذا كان يسمى المدرسة الهندية وتزعم هذا الفريق سيربرسي كوكس وارانولد ولسن والسكايتن شيكسبير ورغم اتفاق المدرستين على أهمية الأقطار العربية ومواردها بالنسبة لبريطانيا في أثناء الحرب العالمية الأولى إلا أنه كان ثمة خلاف كبير بينهما ، فبينما كانت مدرسة الهند تهتم في المقام الأول بالعراق وإيران وبنفطهما وكذلك منطقة الخليج العربي ، فإن مدرسة القاهرة كانت تهتم بقناة السويس وكل ما من شأنه حمايتها وعلى الأخص الشام تنفيذاً للسياسة التي رسمها كيتشنر منذ كان معتمداً بريطانياً في مصر (١) .

وإلى جانب ذلك فقد كانت مدرسة الهند تعتقد أن في استطاعة الحلفاء عامة وبريطانيا خاصة إحراز النصر في الحرب العامة دون الاستعانة بالعرب ودون الالتجاء إلى إثارة العرب ضد الترك الأمر الذي دعت إليه مدرسة القاهرة . فقد كانه مدرسة الهند تخشى أن يؤدي تعريض بريطانيا للعرب

على اثورة ضد الخلافة الإسلامية إلى إثارة مسلمى الهند ، كما كانت تخشى أن تصبح القومية العربية مصدر تهديد لبريطانيا ذاتها فتتقلب على المصالح البريطانية فى البلاد العربية بحيث يصعب - بعد الحرب - إخضاع العرب لنفوذ بريطانيا .

ولذلك كان من رأى أعضاء مدرسة الهند أن على بريطانيا ألا تلوح للعرب بوعود استقلالية وألا تشجعهم فى أمانيهم القومية ، كما كان من رأيها إقامة حكم بريطاني مباشر فى البلاد العربية فى غرب آسيا . أما مدرسة القاهرة فقد كانت تحبذ إصدار الوعود للعرب وإظهار العطف على أمانيهم القومية ، وكانت ترى منح العرب استقلالاً محدوداً تحت سيطرة بريطانية مقنعة ، وأن يعهد بتسليم مقدرات هذا الاستقلال المحدود إلى حكام من العرب المواليين لبريطانيا ضماناً لاستمرار النفوذ البريطانى ، ومن هنا كانت مدرسة الهند تعارض إشعال ثورة عربية تلك الثورة التى رشح الشريف حسين لزعامتها . بل كانت تؤيد التحالف مع ابن سعود لعدم ذبوع صيته إخراج شبه الجزيرة العربية وقاوم فسكره الاعتماد على الهاشميين<sup>(١)</sup> .

ولذلك كانت المفاوضات البريطانية مع ابن سعود تجري من أجل تحقيق هدف قريب أو مباشر ألا وهو ضمان صداقة أمير نجد أو على الأقل وقوفه على الحياد فى أثناء العمليات الحربية فى العراق ، ولم تسك هذه المفاوضات تهدف إلى أبعد من ذلك طالما أن مدرسة الهند لم تهتم كثيراً بإقامة دولة عربية تحمل محل الإمبراطورية العثمانية ، وإنما كانت توجه سياستها اعتبارات محلية إلى جانب خوفها من حدوث قلاقل بين مسلمى الهند إذا تطرفت بريطانيا فى عدائها للخليفة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ( بيروت ١٩٦٦ ) ص ٨١ — ٨٣ .

Graves : Ouv. cit, p 205.

Lynczowski : Ouv. cit. p. 74.

(٢)

ولقد نصت المعاهدة التي صدقت مع ابن سعود في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون أول) ١٩١٥ على اعتراف بريطانيا باستقلال في الأقاليم التي تتكون منها إمارته (نجد والحسا والقطيف وملحقاتها) وفي مقابل ذلك تعهد بعدم إبرام أى اتفاق مع أية دولة أجنبية وألا يتنازل عن شيء من أراضيها لدولة أجنبية أو أحد رعاياها ، كما تعهد بفتح الطرق التي تمر ببلادها والمؤدية إلى الأماكن المقدسة وأن يحمي الخليج في مرورهم من وإلى الأماكن المقدسة كما تعهد بعدم الاعتداء أو التدخل في شئون الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان ، تلك المناطق التي كانت تحت حماية بريطانيا (١)

إلا أن معاهدات بريطانيا مع الإدريسي وابن سعود كانت تنصل بالمصالح المحلية فقط ولم تتضمن أية إشارة إلى الحركة القومية العربية ، وتكون أهمية الاتفاقيتين في نتائجهما السلبية ، فقد سدتا باب الأمل في إمكان قيام تحالف بين الإدريسي أو ابن سعود من جهة وبين الأتراك من جهة أخرى ، كما ضمنت مساعدة ابن سعود في منع وصول المؤن إلى الأتراك عن طريق الخليج وجعلت من المتعذر استخدام ساحل عسير كقاعدة ضد سفن الحلفاء في البحر الأحمر.

ورغم أن ابن سعود لم يمتشق الحسام ضد الأتراك إلا أن بريطانيا استفادت من موقفه فقد كان يحارب آل الرشيد الموالين للأتراك ، كما أنه لم يستجب للدعوة إلى الجهاد وحال بين الأتراك ونلقى الإمدادات من الخليج ، كما امتنع عن مهاجمة الشريف حسين ، وكان من الممكن أن يقوم بينهما صدام على مناطق كانت موضع نزاع (٢).

\* \* \*

---

Hurewitz : Ouv. Cit. pp. 17—18 (Doc. no. 9) (١)

Lincz wski : Ouv. Cit. p. 74 (٢)

(١٧ حركة البفلة)

### الاهتمام بالعراق

كان العراق من أقطار الشرق العربي الأسوى التي لقيت اهتماما كبيرا من مدرسة الهند، وإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد تمخضت عن احتلال بريطانيا للعراق، فإن ذلك لم يكن أمرا مفاجئا، ولقد ظروف الحرب وحسب، وإنما كانت بريطانيا أكثر الدول الأوروبية اهتماما بالعراق في أثناء القرن التاسع عشر لقربه من إمبراطوريتها الاستعمارية في الهند، وخوفها من الخطر الذي يمكن أن يهددها عن طريق العراق والخليج، وكان الاستعماريون البريطانيون والهند يحشون أن يجعل الروس من بغداد عاصمة روسية في الجنوب (١)، حتى لقد ظهرت في بريطانيا حوالى عام ١٨٥٧ فكرة مد خط حديدى من الإسكندرية إلى الفرات عن طريق حلب ثم دجلة إلى بغداد ثم البصرة، ووعد (بلمرستون) صاحب المشروع وكان أحدهما الكولونيل تشيوز بمساهمة الحكومة في تنفيذه لمواجهة نشاط فرنسا في الشرق ومشروع قناة السويس ثم تراجع وسحب مؤازرة الحكومة للمشروع حيث تبين أن الطريق سيكون بعيدا عن حماية الأسطول البريطانى، كما اعتبر الخبراء العسكريون أن أهميته في نقل القوات إلى الهند ستكون ضئيلة. وعلى الرغم من إعادة بحث مشروع سكة حديد القوات عام ١٨٧٢ فلم يلبث أن هبط حماس بريطانيا له منذ اشترت أسهم معمر في شركة قناة السويس عام ١٨٧٠ (٢).

ولا نلصق في هذا المجال ما عرف عن العراق من وفرة الخيرات والإمكانات إذا نظم وأحسن استغلاله، بحيث ساد الاعتقاد بأن العراق

---

(١) Ir-Iraq: A study in Political Development (1937)

p. 4.

Jastrow : Ouv. Cit. p. 88.

(٢)

Coke : The Heart of the middle East (1965) pp. 125-6.



يمكن أن يكون بينه صالحة لتوطين الهنود المترايدين من إمكانات الهند هذا إلى جانب ظهور ما يليء عن احتمال العثور على كميات كبيرة من النفط في العراق (١). ولذلك كان العراق مسرحاً لنشاط البريطانيين المتنوع طوال القرن التاسع عشر حيث نشط التجار والبحارة والدبلوماسيون والسياح والخبراء الفنيون لتثبيت نفوذ بريطانيا في العراق والتمهيد للسيطرة عليه واحتلاله عندما تمهين الفرصة.

وإذا كانت بريطانيا قد عملت على تدعيم مركزها بين إمراء الخليج بالتفاهم مع سلطان مسقط وأمير الكويت ومشايخ البحرين ومنطقة الساحل المهادن كما أن ابن سعود الذي اندفع عام ١٩١٣ نحو الساحل (الحسا) كان توافاً للحصول على اعتراف بريطانيا وتأييدها، وشيخ المحمرة يتطلع إلى حماية بريطانيا لتدعيم مركزه وطالما كان العثمانيون موالين لبريطانيا ولا يعارضون نشاطها للاحتفاظ بمركزها المتفوق في المنطقة، فقد كانت بريطانيا راضية مادامت المنطقة في مأمن من أن تصل إليها أيدي منافسيها وخاصة روسيا ثم ألمانيا (٢).

وإذا كانت بريطانيا قد توصلت إلى اتفاق مع روسيا عام ١٩٠٧ فقد كان ثمة خطر آخر يهدد إمبراطورية بريطانيا الاستعمارية وهو الخطر الألماني، فقد أثارت مشروعات ألمانيا في الامبراطورية العثمانية تنفيذاً لسياسة الاتجاه نحو الشرق Drang Nach Osten وخاصة سكة حديد بغداد قلق الحكومة البريطانية التي صارت تخشى وصول النفوذ الألماني إلى المحيط الهندي عبر العراق والخليج، ولذلك لقد سارعت الحكومة البريطانية - كما رأينا - إلى إغلاق الطريق في وجه النفوذ الألماني بإبرام اتفاقيتها المعروفة مع شيخ الكويت. فقد كانت بريطانيا تعتبر النفوذ الألماني أشد خطراً من الروسي،

(١) د. عبد الرحمن البزار: العراق من الاحتلال إلى الاستقلال ص ٨.

Yale ; Oov. cit. p 2٠7

(٢)

ورغم دعوة روس الأموال البريطانية والفرنسية إلى المساهمة في مشروع  
سكة حديد بغداد فقد رفض العرض باعتبار المشروع يخدم الاستعمار الألماني  
واشتد سخط بريطانيا لأن منافساً كبيراً يتوغل في مجال بريطانيا التجارية  
ويقيم لنفسه وجوداً في مواجهة مستعمرة (بحسبنا الجميع على امتلاكها) (١).

ولمّا كان مشروع سكة حديد بغداد سبباً من أسباب الحرب العالمية الأولى  
فإن ذلك يرجع إلى أهميته السياسية لا الاقتصادية ، لأن النواحي الاقتصادية  
في الإمبراطورية العثمانية بما فيها الخط الحديدي كان قد تم الاتفاق بشأنها قبيل  
الحرب مباشرة ، ولم يكن ينقصها سوى التوقيع على الاتفاقيات (٢).

إلى جانب ذلك فقد كان للعراق أهمية أخرى عظيمة ألا وهي مجاورته  
لحقول النفط في إيران وخاصة عبادان حيث كانت توجد أعظم مصافي النفط  
البريطانية ، وبدخول تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط ازداد الخطر التركي  
الألماني على النفط الإيراني ، حتى أنه قبل إعلان الحرب رسمياً على تركيا  
تواترت الأخبار عن احتمال قيام الأتراك بالهجوم على عبادان ، وكان من  
الممكن وصول القوات التركية إليها من البصرة (٣).

وكان لورد (كرو) Crowe وزير الهند - كما كتب في ١٩ أكتوبر  
(تشرين أول) ١٩١٤ : إلى نائب الملك في الهند - بعد أن صدرت الأوامر  
إلى الحملة - يرى أن دأهم ما تستهدفه من إرسال الحملة هو التأثير المعنوي  
على الشيوخ العرب الآخرين (٤).

---

(١) Foster : The Making of Modern, Iraq (1936) pp. 32-5.

(٢) Ibid : p. 36.

(٣) Burgo, ne, E. : Gertrude Bell 1961 pp, 14-15

(٤) أيرلاند : العراق ، دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر خياط ( بيروت

وإلى جانب ذلك فقد كانت بريطانيا ترغب في تقوية مركز الزعماء العرب المواليين لها في منطقة الخليج مثل شيخ المحمرة وشيخ الكويت وابن سعود وشهد أزرهم بتقديم دليل مادي على قوة بريطانيا يهديه من روع هؤلاء الحكام الصغار في مواجهة الدعوة إلى الجهاد<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في خطاب (اسكويث) Asquith رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني في الثاني من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٤ أن الهدف من إرسال قوة إلى العراق هو ضمان حياد العرب وحماية مصالحنا في الخليج وحماية حقول النفط. وعلى العموم المحافظة على هيبة بريطانيا في الشرق<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أنه بدخول تركيا الحرب ضد الحلفاء صار للعراق أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية جعلت من الضروري جعله جزءاً من الامبراطورية البريطانية بشكل أو بآخر، وأصبح تجريد حملة على العراق لا يؤدي فقط إلى مواجهة التهديدات الموجهة إلى نفوذ بريطانيا، بل إنه سيمكنها أيضاً من تثبيت أقدامها في رأس الخليج وتحويل امتيازاتها التي سبق الحصول عليها في المنطقة إلى حقوق استناداً إلى الفتح. وإذا كان البعض<sup>(٣)</sup> قد ذهب إلى القول بأنه لم تكن لبريطانيا - عندما أنزلت قواتها في العراق في السادس من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٤ - سياسة بعيدة المدى، وإنما كان للحملة أهداف محددة أملت الظروف الناشئة عن موقف تركيا، وتقتصر على مجرد السيطرة على الخليج، وأن نجاح الحملة في مرحلتها الأولى هو الذي أوجد الرغبة في السيطرة على داخل العراق، إلا أنه مما لا شك فيه أن احتلال

(١) عبدالرازق الحنني: تاريخ العراق السياسي الحديث ج١ (١٩٤٨) ص ٤٦-٤٧؛

Burgoyne : Ouv, Cit, pp, 14-15.

Foster : Ouv, Cit. pp. 37-8,

(٧)

Kedourie : England and the Middle East, pp, 175-6,

(٧)

الفار والبصرة لم يكن مشروعا جديدا . فقد أعلن لورد كيرزون Curzon في مجلس اللوردات عام ١٩١١ أنه « من الخطأ الاعتقاد بأن مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج أو في المنطقة بين بغداد والبصرة بل تمتد حتى بغداد نفسها » (١) .

ويلاحظ أن الهدف البعيد وهو السيطرة على كل العراق لم يرغب عن بال المستوطنين البريطانيين منذ وصلت أقدام القوات البريطانية سواحل العراق المطلة على الخليج ، فني برقية إلى نائب الملك في الهند بتاريخ ٢٣ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ ( وهو اليوم التالي لاحتلال البصرة ) ألح سير ( برسي كوكس ) - انقيم العام البريطان في منطقة الخليج ، والذي رافق قوات الغزو بصفته كبيراً للحكام السياسيين - من أجل التقدم إلى ما وراء النطاق الساحلي ، وكانت افته تعبر عن تفكير الرسميين البريطانيين لإزاء العراق ، فقد ذكر أنه من الصعب عدم التفكير في الاستيلاء على بغداد ، إننا لانتطيع أن نسمح لتركيا بالاحتفاظ بها وإثارة المشاكل في وجهنا في البصرة ، كما لا نستطيع أن نسمح لدولة أخرى بالاستيلاء عليها (٢) .

#### الاتفاق بين بريطانيا والشريف حسين

إلا أن أهم محاولة من جانب بريطانيا لتدعيم مركزها في الشرق العربي الآسيوي كانت تتمثل في ذلك الاتفاق الذي عقده مع الشريف حسين بن علي أمير مكة ، فقد كان هذا الاتفاق على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وأعظم الاتفاقات التي عقدها بريطانيا أثراً على مستقبل الشرق العربي الآسيوي ، وإذا استقر رأي بريطانيا - كما رأينا من قبل - على الاستفادة من العرب واستخدامهم لانزال الهزيمة بالدولة العثمانية لأهمية موقع بلادهم بالنسبة

(١) إيرلاند : مرجع سبق ذكره ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) أتريلافا شيلا : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

الامبراطورية البريطانية ومصالحها ، فقد كان على بريطانيا أن تختار أكثر المجموعات العربية في الدولة العثمانية صلاحية لقيادة العرب ضد الدولة ، وتنفيذ غخططات بريطانيا .

وعلى الرغم من أن الوطنيين السوريين كانوا أصلح العناصر والموادجيا من الناحية السياسية إلا أنه كان من الصعب الوصول إليهم بحكم وجودهم في قلب الامبراطورية العثمانية وتحت السيطرة التامة للسلطات التركية ، ولم يكن من الممكن استخدام السوريين عن طريق زعمائهم في القاهرة والذين انقطعت صلاتهم بمواطنيهم تقريباً ، لذلك اتجهت أنظار بريطانيا نحو شبه الجزيرة العربية لتطرقها من ناحية وضد السيطرة العثمانية عليها من ناحية أخرى ، يضاف إلى ذلك أن بريطانيا - وأطاعها الاستعمارية معروفة في المنطقة - ما كانت لتميل إلى التعامل مع القيادات الشعبية والزعماء القوميين العرب ، لأنه سيكون من الصعب السيطرة عليها وكبح جماح مشاهرها القومية واستخدامها لتحقيق غخططات بريطانيا التي تتعارض ولا شك مع أفكارم القومية ، ولقد كان أغلب هؤلاء الزعماء القوميين العرب من ضباط الجيش العثماني ، وتزعموا مقاومة استبداد الترك ، وتصدوا للمطالبة بأن يكون لبلادم كيان خاص ، وكانت هذه المجموعة من الزعماء من أوضاع القوى في حركة القومية العربية .

وكانت السلطات البريطانية قد أجرت بعض الاتصالات لسبر غور العناصر الوطنية ومنهم عزيز المصري الذي كان يعيش في مصر عقب العفو عنه ، وعلى الرغم من أن العفو جاء بعد تدخل السلطات البريطانية في الاستانة فإن اتجاهه كان واضحاً في التحذير الذي أصدره إلى الأعضاء البارزين في جمعية العهد بالآل ينساقوا وراء إغراء الأعمال العدوانية ضد الامبراطورية العثمانية ، حيث أن دخولها الحرب قد يعرض أقطار المشرق العربي لغزو الأوربي وأن عليهم أن يفتقوا إلى جانب الدولة إلى أن يتم الحصار على ضمانات كافية ضد الاطعام

الأوربية ، كما أن اللجنة العليا لجماعة الفتاة أضافت إلى قرارها الذي طالبه فيه بالاستقلال تحفظاً جاء فيه أنه في حالة انضاح الأطماع الأوربية فإن الجمعية ملزمة بالعمل على مقاومة التدخل الأجنبي بأي شكل من الأشكال<sup>(١)</sup>.

وعند ما بدأ البريطانيون يحسون نضج المصري ورفاقه عن طريق رونالد ستورر R. Storrs وكلايتون Clayton من رجال دار المندوب السامي في القاهرة في أواخر عام ١٩١٤ ، أصر الزعماء على ضرورة تعهد بريطانيا رسمياً بأنها لا تمنع في استقلال العرب واتحادهم وأنه لا مطمع لها في أي قطر عربي ، كما طالبوا بعدم اشتراك قوات فرنسية في العمليات الحربية في الجبهة السورية ، ولا قوات بريطانية في الجبهة العراقية وذلك لقطع الطريق على أية مؤامرات محتملة ، وتعهد عزيز المصري مقابل ذلك بإثارة العرب في العراق والشام ضد الترك ، لولا أن أصابت الزعماء العرب خيبة أمل عندما علموا بذيول القوات البريطانية في العراق وإعلان الحماية على مصر مما فضح نوايا بريطانيا ، ولو أن الأغلبية العظمى من الزعماء السوريين في مصر كانوا يرون في تحذيرات عزيز المصري مبالغة في التشاؤم فاستمروا في الاتصال بالبريطانيين من أجل الوصول إلى حل وسط يرضى بريطانيا ولا ينكر في رأيهم الأهداف العربية ، وكان هؤلاء بمن استضافتهم السلطات البريطانية في مصر عند لجوئهم هرباً من الترك ، وكان عداؤهم للترك يحجب عن أنظارهم ما ينطوي عليه الاتفاق مع بريطانيا من أخطار<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت بريطانيا لذلك ، ولقرب بلاد الشام من مقر الدولة وتركز قوات تركية كبيرة بها لم تحبذ ثورة في الشام ، فإنه يضاف إلى هذه العوامل عامل آخر له أهمية ، وهو أن الشام لن يدخل تحت سيطرة بريطانيا بعد ذلك التعهد الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٢ وأعلنت فيه أنه ليست لها أطماع في الشام اعترافاً بمصالح وأطماع فرنسا .

(١) Kirk : Short Hist. of the Middle East (1960) pp. 124-5.

(٢) أبس صايح : المهتمون والثورة العربية ( بيروت ١٩٥٥ ) ص ٦٥-٦٦ .

والى جانب رغبة بريطانيا فى البعد عن القيادات الوطنية كانت تفضل فى معاملتها مع الثورة العربية أن تعمل على تغليب العنصر الدينى وذلك من أجل مواجهة الحالة الدينية التى تحيط بالخلافة التى لجأت إلى إستخدام سلاح الجهاد فى الحرب ضد دول الوفاق ، أى مقاومة الدين بالدين ، وإبطال تأثير إعلان الجهاد على مسلمى الهند باستمالة زعامة عربية إسلامية قوية ، كأن أثر الجانب الدينى قد ينعكس على أثر الجانب القومى ، ثم إن ظهور قيادة دينية إسلامية إلى جانب بريطانيا فى الحرب يساعدها على تسهيل أمورها فى الهند بتجنيد الموارد البشرية فيها لحدمة المجهود الحربى البريطانى ، خاصة وأن مسلمى الهند تأثروا بالدعوة إلى الجهاد التى أعلنها الخليفة السلطان ضد بريطانيا وحلفائها واعتبرهم هذه الحرب حرباً دينية مقدسة دفاعاً عن مقدرات الإسلام ولعل هذا ما حدا ببريطانيا إلى التفكير فى إقامة خلافة إسلامية تحت سيطرتها بديلة للخلافة العثمانية التى تسيطر عليها ألمانيا وتستخدمها لتحقيق مآربها .

وإذ قررت بريطانيا أن تولى وجهها شطر الجزيرة العربية فقد وقع اختيارها على الشريف حسين بن على رغم وجود زعماء مسلمين آخرين فيها مثل الإدريسى فى عسير ومبارك الصباح فى الكويت وابن سعود فى نجد وابن الرشيد فى حائل والإمام يحيى فى اليمن ، بل وكانت تربط ببعض هؤلاء علاقات طيبة مع بريطانيا تصل إلى حد الولاء لها ، وذلك لأن المسئولين البريطانيين لم يجدوا لدى هؤلاء الآخرين المقدرة على النجاح فى المهمة التى ستكون لإيهم والتى تتطلب نفوذاً فى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وهيبة فى العالمين العربى والإسلامى ، فالإدريسى والصباح شهرتهما خارج إمارتها محدودة ، وابن الرشيد والإمام يحيى مواليان للترك ، أما عبد العزيز ابن سعود أمير نجد فإنه على الرغم من تفوقه على هؤلاء نفوذاً وقوة إلى

درجة أن اعتبرته ( جرتروود بل ) Gertrude Bell<sup>(١)</sup> أبرز شخصية في وسط شبه الجزيرة العربية فإن العقبة التي كانت تحول بينه وبين تولي المهمة التي كان يريدتها المستولون البريطانيون أنه كان على رأس مذهب ديني معين ، لا تعتنقه في ذلك الوقت إلا الأقلية في شبه الجزيرة ولا يعتنقه أحد خارجها ، لذلك كان من الصعب إقناع ملايين المسلمين على اختلاف مذاهبهم بقبوله زعيمهم ، فضلاً عما عرف عنه من قوة الشخصية بحيث ما كان يترك مصير بلاده تتلاعب به السياسة الدولية وإنما كان صعب المراس أمام المحاولات الأوروبية للتغلغل في بلاده ، ولذلك اكتفى البريطانيون بالمعاهدة التي عقدت معه عام ١٩١٥ وساعدوه ضد ابن الرشيد حليف الترك إلى جانب ضمان عدم اعتدائه على غيره من الأمراء حلفاء بريطانيا في شبه الجزيرة .

وهكذا لم يكن أحد من الزعماء العرب الآخرين في شبه الجزيرة العربية يتمتع بمثل المركز الديني الذي يتمتع به شريف مكة لأنه يقتضى إلى الدوحة النبوية الشريفة ، وحتى الدولة العثمانية ذاتها كانت تعتبره من أكبر العمد التي ستقوم عليها الدعوة للجهاد ، ولذلك رأت بريطانيا أن في استطاعتها إذا ما كسبت الشريف إلى جانبها - خصوصاً إذا لوححت له بالخلافة - أن تحول ولاء رعاياها المسلمين من الخلافة العثمانية في الأستانة إلى الخلافة العربية في مكة وبذلك تفسح بريطانيا في تهمزة الولاء في العالم الإسلامي بين زعامتين إسلاميتين وتحدث صدعاً في الإسلام ، فيضعف مركز الخليفة العثماني ، وتتمكن من أن تقل سلاح الجهاد الذي كانت تعلم أن الخليفة العثماني سوف يلجأ إليه ليجمع كلمة المسلمين من حوله وبخاصة رعايا دول الوفاق .

---

(١) بريطانية كانت تهم بالآثار وقامت بحملات عدة في الشرق العربي منذ عام ١٨٩٩



يضاف إلى هذا الاعتبار بعد الحجاز عن مقر الدولة العثمانية بحيث كان نقل القوات إليه يكلف كثيراً من الأموال ويستغرق كثيراً من الوقت .

إلا أنه يلاحظ من ناحية أخرى أن مدرسة القاهرة التي تولت الاتصال بالشريف لسكبه إلى صف بريطانيا رغم تقديرها لأهميته إلا أنها قدرت في نفس الوقت عدم إمكان قصر التعامل عليه . ففي فقرة من مذكرة وجدت بين أوراق سير برمي كوكس ويبدو أن كاتبها هو (هوجارث) في عام ١٩١٦ وقبل نفوب الثورة في الحجاز جاء أنه . يجب أن يلاحظ أن الشريف رغم أنه كان يكتب دائماً بصفته المتحدث باسم الآلة العربية فإنه على قدر علمنا لا يجد التأييد من أى تنظيم عربي ، ولشريف نفوذ خارج إقليمه المحلي أكثر من أى زعيم عربي آخر ، وبيته أكثر البيوت العربية الحاكمة تحمراً ، وله اعتبار روحى فى كل العالم الإسلامى ، فإذا كان علينا أن نتعامل مع أى أمير عربى حول مستقبل الشعب العربى فإننا ملزمون بتفضيل الشريف ، واسكن من ناحية أخرى سيكون من غير المجنى التعامل معه وحده ، والإطمئنان إلى قدرته على التأثير على العرب<sup>(١)</sup> ، حيث لم يكن للعائلة الهاشمية أى صلة بالتيار القومى ، وكان فيصل وعبد الله ابنا الشريف حسين يمثلان الحجاز فى مجلس المبعوثان قبيل الحرب ، وعلى الرغم من أن هذه الحقبة شهدت نشاطاً بارزاً للنواب العرب ضد التعسف التركى لم ينضم أحد منهما إلى أى من الأحزاب الوطنية . وقد أكد فيصل أنه لم يدخل أى حزب عربى قبل عام ١٩١٥ حين انضم إلى العربية الفتاة وهو فى دمشق للتدليل على قبوله المطالب العربية التى عرضها القوميون العرب عليه ، فسكان الانتماء إلى الجمعية رمزياً أكثر منه حقيقياً .

ومن مآخذ القوميين العرب على الشريف حسين معارضته لد خط سكة  
حديد الحجاز من المدينة إلى مكة ، ثم جهوده في الفترة من ١٩٠٩ - ١٩١٣  
من أجل توطيد الحكم التركي في شبه الجزيرة ومقاومة محاولات التحرر بإرسال  
قواته لمحاربة إلى جانب الترك في إخماد الثورات كما حدث في عسير حتى  
لقد ذكر الخديو عباس حلمي للامير عبد الله بأن الأوساط العربية متمثلة  
لهذا التصرف من جانب الأشراف ، فرد الامير عبد الله بأن تفكك القسم  
الجنوبي من شبه الجزيرة يجعلها تحت أيد جاهلة تمكن الأجانب من وضع  
أيديهم عليها<sup>(١)</sup> . وفي الوقت نفسه فإن ابن سعود لم يلب طلب حكومة  
الإتحاديين بالمساعدة ضد الإدريسي وكتب يقول إنه عربي فلا يحارب العرب  
من أجل الدولة<sup>(٢)</sup> .

كما أنه في رجب من عام ١٢٣٠ هـ (١٩١٢ م) خرج الحسين بجيش ضد  
عبد العزيز بن سعود مستعيناً بإبن الرشيد حتى قبل ابن سعود شروط الدولة  
التي كانت تطالب بأن يعترف بسيادتها وأو إسمها على نجد وأن يدفع مبلغاً من  
المال سنوياً دليلاً على التبعية<sup>(٣)</sup> ، هذا في الوقت الذي كان ابن سعود يرى  
أنه من أجل خدمة مصالح العرب والترك على السواء أن تكون الولايات  
العربية مستقلة استقلالاً إدارياً تحت سيطرة الترك ، وقد كتب بذلك إلى  
والي البصرة ساجان شفيق كالي<sup>(٤)</sup> .

كما قيل أن طالب النقيب زعيم البصرة بعث باسم خمسة وثلاثين نائباً  
هريباً في مجلس المبعوثان العثماني عام ١٩١١ إلى الشريف حسين يبايعونه

(١) عبد الله بن الحسين : مذكراتي ( ١٩٤٥ ) ، ص ٥٩ .

(٢) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ( ١٩٢٨ ) ، ص ١٨١ :

(٣) أمين الريحاني : المرجع نفسه ص ١٨١ - ١٧٣ .

(٤) أمين الريحاني : المرجع نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .

بالخلافة إذا ساعدوا ضد الاتحاديين ، إلا أنه لم يكن لهذه الرسالة صدى في نفس الشريف الذي استمر يساعد الترك ضد الحركات العربية، ويعمل بعض الباحثين رفض الشريف حسين بأن العرض لم يتضمن أى وعد للحسين بملك أو عرش وإنما اقتصر الوعد على الخلافة الديلية غير السياسية على البلاد العربية ولكن يبدو أن السبب الحقيقي لرفض هذا العرض هو أن الشريف كان حتى ذلك الوقت على ولاء تام للدولة لا يفكر في الخروج عليها بل وكان يسعى لتدعيم سيطرتها في شبه الجزيرة كسبا لثقتها ولم يكن في ذلك الوقت قد راودته بعد أحلام دولة عربية .

وإذ تبين للمستولين البريطانيين مدى ما يمكن أن تمنحه بريطانيا من فوائد وما تتجنبه من أضرار بكسب العرب في المشرق العربي الإسلامى برعاية الشريف حسن أمير مكة إلى جانبها بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دولتى الوسط ، شرعت السلطات البريطانية في اتخاذ الخطوات الإيجابية لتحقيق هذا التحالف .

#### الاتصالات الاستطلاعية

ولم يكن هذا أول اتصال بين الشريف حسين والسلطات البريطانية ، بل سبقه اتصال آخر في الثالث الأول من عام ١٩١٤ .

وكانت الحكومة العثمانية قد عزلت منيف باشا وعينت مكانه وهيب باشا واليا على الحجاز وكان هذا بمثابة نذير بتصميم الحكومة العثمانية على تطبيق قانون الولايات الجديد على الحجاز : وبينما كان عبد الله في القاهرة في طريقه لاجتماع مجلس المبعوثان التقى بـ كيتشنر وستورز ، وفي رسالة إلى ( سيرادوار جراى ) Grey وزير الخارجية البريطانية بتاريخ ٦ فبراير ( شباط ) ١٩١٤ ذكر ( كيتشنر ) أن الأمير عبد الله هو له عن أمه في ألا تسمح الحكومة البريطانية بأن

ثم في قناة السويس الإمدادات التركية التي ستستخدم في إخماد الثورة التي قد تنشب في الحجاز إذا ما حول والده الشريف ، كما كان يأمل أن يستخدم وزير الخارجية البريطانية نفوذه لدى الحكومة التركية للحيلولة دون عزل الشريف<sup>(١)</sup> .

ثم تلقى الأمير برقية من والده ليرحل من فورهِ إلى الأستانة ، وعلم أن العلاقات بين والده وهيب باشا توترت للغاية ، وقد وضع كنفه في يدي الخاوي بسفير بريطانيا في الأستانة تحت تصرف الأمير ، كما أبلغه — عن طريق ستورز — أنه رغم صداقة بريطانيا لتركيا فإن الحكومة البريطانية لا ترضى بحدوث اضطرابات تهدد الأمن في بلاد الحجاز وقد بعث الأمير إلى والده بخطاب عرض فيه ما جرى بينه وبين المسئولين البريطانيين وذلك عن طريق القنصلية البريطانية في جدة<sup>(٢)</sup> .

وبعد شهرين أي في أبريل ( نيسان ) ١٩١٤ مر الأمير عبد الله بالقاهرة في طريق عودته من الأستانة، وكانت تبدو عليه خيبة الأمل لتصميم الحكومة التركية على السير قدما في تنفيذ مشروع الخط الحديدي من المدينة إلى مكة ثم جدة وينبع ، مع تطبيق قانون الولايات الجديد على الحجاز ، وفي أثناء مرور الأمير عبد الله بالقاهرة اتفق بـستورز الذي هـد إليه كـتـشـنر بإبلاغ الأمير بأن حرب الحجاز يجب ألا يتوقعوا أي تشجيع من بريطانيا وأن اهتمام بريطانيا بقية الجزيرة ينحصر في أمن وراحة الحجاج الهندو<sup>(٣)</sup> .

وعما تجدر ملاحظته أنه في هذه الانصالات الأولى بين الأمير عبد الله

---

Wingate : Ouv, Cit, 179.

(١)

(٢) عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ٨٠ — ٨١ .

Storrs : Orientations (1937), p, 143.

(٣)

والمسؤولين البريطانيين كان موضوع المفاوضات مقصوراً على مسألة الشرافة فالشريف كان يخشى أن تمزله الحكومة التركية ، ومن ثم كان هدفه محدوداً في ضمان الاستمرار في إمارة مكة مع التمتع بأكثر قدر من الاستقلال (١) فهو لم يفكر آنئذ في كل الادعاءات التي تبناها فيما بعد الأوامر الدولة العربية الكبرى المستقلة والخلافة العربية التي تحمل محل الخلافة العثمانية ، ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا انصرفت اهتمامها بالشرافة في ذلك الوقت على تنظيم حج المسلمين وخاصة أن كثيرين منهم يفقدون من غنسلكات الإمبراطورية (٢) . ومع ذلك فقد كانت لهذه الاتصالات الأولى قيمتها في لفت نظر بعض المسؤولين البريطانيين إلى ما يمكن أن تفيد به بريطانيا من المنطقة العربية في حالة قيام حرب بينها وبين الدولة العثمانية ، فقد تأكد لديهم استعداد فرق من العرب للعمل ضد الترك .

إلا أنه يبدو أن شريف مكة فضل الاستمرار في إظهار الخضوع للحكومة الاتحاديين إما كسبا للوقت ، وإما لعدم تمكنه من مواجهة تشددهم وإصرارهم بمفرده ، خصوصاً وأن بريطانيا لم تظهر حتى ذلك الوقت استعداداً حريصاً لتأييده ، ولذلك بعث بابنه الأمير عبد الله مرة أخرى إلى الأستانة ليعلن أن والده لا يستطيع أن يعصى للخليفة أمراً ، ولكنه يطلب أن يتاح له بعض الوقت للتفكير ، واقترح تشكيل لجنة لبحث مسألة الخط الحديدي ، وعندما وصل عبد الله إلى الأستانة في التاسع والعشرين من يونيو ( حزيران ) ١٩١٤ كان ولي عهد النمسا قد لقي مصرعه في سراييفو Serajevo في اليوم السابق ، وصارت الحرب الأوروبية أسراً لا مفر منه ، وكان لذلك أثره على موقف

---

Kedourie : Ouv. p. 49.

(١)

(٢) د. محمد أنيس : صبح سبيل ذكره ص ٢٧٦ .

الحكومة العثمانية ، فعندما قابل الأمير عبدالله أفور باشا وزير الحرية أبلغه هذا بتأجيل مشروع الخط الحديدي ، وطلب من الأمير تكوين فرقة من المتطوعة للاشتراك في الجهاد واستعادة المناطق السليبة في القوقاز ومصر ، واهتمز عبدالله على استخدام المتطوعة في القوقاز وقال إن متطوعة العرب يجب أن يقاتلوا في الجبهة المصرية حتى لا يهلككم البرد، كما نصح الأمير عبدالله السلطان محمد رشاد بعدم التورط في الحرب نظراً لما يهدد البصرة والحجاز واليمن من جانب أساطيل الدول المعادية<sup>(١)</sup>

ورغم موقف التحفظ الذي وقفه المسئولون البريطانيون في أثناء اتصال الأمير عبدالله بهم ، فإن لورد كاتشر كان خلال العامين السابقين على نشوب الحرب الأوروبية يفكر فيما يمكن أن تمنحه بريطانيا في حالة انهيار الامبراطورية العثمانية ، وقد أخذت تسيطر عليه فكرة مؤداها أن جنوب الشام بين عسكاً وحيثاً شمالاً وخليج العقبة جنوباً سوف يكون - لاعتبارات سياسية واستراتيجية - ضرورياً للامبراطورية البريطانية ، وقد تأكدت هذه الفكرة نتيجة المسح الحربي لشبه جزيرة سيناء الذي أمر به ( كاتشر ) ونفذته في عام ١٩١٣ بعثة نيوكوم Newcombe<sup>(٢)</sup> .

وعندما نشبت الحرب الأوروبية في أول أغسطس ( آب ) ١٩١٤ كان كاتشر في بريطانيا منذ غادر مصر في ١٨ يونيو ( حزيران ) ١٩١٤ ، فرحل على الفور إلى مقر عمله بالقاهرة ، ولكنه قبل أن يتجاوز حوفر استدعى لتولى وزارة الحرية في الخامس من أغسطس ( آب )

---

(٢) عبدالله بن الحسين : مذكراتي ( ١٩٤٥ ) ص ٩٣-٩٨ .

(١) Zeine : The Struggle for Arab Independence (1960) p. 3. (١)

وكان كتشنر في السنوات السابقة قد تلبه إلى الخطر الذي يمكن ورام امتداد النفوذ الألماني صوب الشرق ، ذلك الخطر الذي كان يهدد مركز بريطانيا في الهند والخليج ، ولم يسكنم عن بعض خالصاته اعتقاده بأن الدبلوماسية البريطانية قد أخطأت كثيراً بالسماح لألمانيا بزيادة نفوذها السياسي والعسكري في عاصمة الدولة العثمانية ، وإلى جانب ذلك فقد شهد كتشنر وهو في القاهرة توتر العلاقات بين شريف مكة والساطات التركية واستعداد الشريف للثورة دفاعاً عن حقوق الشرفة القديمة وسعيه من أجل كسب تأييد ومعونة بريطانيا .

والآن صار كتشنر وزيراً للحربية والرجل المسئول عن مواجهة الأخطار العسكرية المترتبة على احتمال دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، إذ أنه على الرغم من أن حكومة الاتحاديين ظلت فترة من الوقت تعلن تمسكها بسياسة الحياد فإن ( كتشنر ) لم يكن مطمئناً إلى هذه التصريحات ، وفطن المسئولون البريطانيون إلى أهمية كسب الحجاز إلى جانبهم ضد الترك ولذلك فإنه بعد ما عاد ستورز إلى القاهرة وحده دون كتشنر لم يبق أن يعمل موضوع كسب العرب ، خصوصاً وأن الأمير عبد الله جدته بصراحة عن مشاكل والده مع حكومة الاتحاديين واحتمال خروجه عليها ، فسكر ستورز في إمكان الاستفادة من هذه الفرصة لصالح بريطانيا ، فكتب إلى كتشنر يسأله عما إذا كان من الممكن أن يعهد إليه بالتأكد من الأمير عبد الله عن الطريق الذي سوف يسلكه الشريف إذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب ، مؤكداً أن كسب العرب إلى جانب بريطانيا يساعد على تأمين الجناح الأيمن للممتلكات البريطانية في مصر وبحول دون استخدام ساحل البحر الأحمر كقواعد للقواصات الألمانية .

وفي نفس الوقت كان سيرجون ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر قد كتب إلى (كتشنر) من القاهرة في ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٤ ينصح بتشجيع العرب في الحجاز واليمن على الثورة ضد الترك . وصادفت الفكرة هوى في نفس (كتشنر) الذي كانت تراوده نفس الفكرة ، فبعث برقيتين هامتين كانتا بمثابة دعوة من بريطانيا إلى عرب الحجاز للثورة على الترك ، وبداية الاتفاق المشهور بينها وبين الشريف حسين ، وكانت أولى البرقيتين من كتشنر إلى ممثل بريطانيا في مصر بتاريخ ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ يعهد إليه فيها بتكليف (ستورز) بإيفاد مندوب سرى يحسن اختياره إلى الأمير عبد الله للاستفسار عن موقف الشريف حسين إذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب ، هل سيؤيدها أم سينحاز إلى جانب بريطانيا ؟<sup>(١)</sup> وقد حمل رسالة ستورز إلى الأمير عبد الله في مكة في منتصف أكتوبر (تشرين أول) تاجر مصري من حمى الجمالية يدعى علي أصغر<sup>(٢)</sup> ، ولكن عبد الله لم يرد على الرسالة فبعث ستورز بأخرى بعد أسبوعين وعندما أطلع عبد الله والده عليها كان رده (الصيف ضيقت اللبن) ، وأنه ليس على استعداد في ذلك الوقت للمطالبة بحق العرب<sup>(٣)</sup>.

ولعل هذا الموقف من الشريف كان يرجع إلى أن بريطانيا لم تتقدم بعروض محددة ، ولذلك فاته في الواحد والثلاثين من أكتوبر (تشرين أول) أبرق (كتشنر) إلى دار المعتمد البريطاني في القاهرة بنص رسالة لسكي ترسل إلى الأمير عبد الله ، وأضمنت الرسالة وعداً للشريف حسين بأنه إذا انحاز إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية فإن الحكومة البريطانية تضمن تأمين

Storrs : Ouv. Cit, p, 173.

(١)

(٢) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٠٣ .



سلطته كشریف يتمتع بكافة حقوق وامتيازات الشرافة، كما تتمهد بالدفاع عنه ضد أى هجوم خارجى كما تضمنت الرسالة وعدا بمساعدة العرب فى محاولتهم نيل الحرية بشرط تفاهم مع بريطانيا، واختتم ككثنر رسالته بالإشارة إلى أنه فى حالة إعلان الشریف نفسه خليفة فإنه يستطيع الاعتماد على بريطانيا<sup>(١)</sup>.

وقد صادفت رسالة (كثنر) قبولا لدى الشریف لأنها فيما يختص بالحجاز أعطته ما كان يصبو إليه وهو ضمان استقلاله التام فى نطاق الحجاز<sup>(٢)</sup>، بل وفتحت أمامه باب الأمل فى إمسكان زيادة أحلامه فى البلاد العربية الأخرى كما لوحته بالخلافة، رغم أن عبارات الرسالة كان يكتنفها الغموض وعهد الشریف إلى نجله الأمير عبدالله بإرسال الرد إلى القاهرة، وفيه أعرب عن اقتناعه بسياسة التحالف مع بريطانيا، إلا أنه أوضح عدم استطاعته الدخول فى حمل عدائى صريح ضد الترك قبل الاستعداد له تماماً، وطلب مهلة يكمل فيها استعداداته، وحتى يجد ذريعة مناسبة للزراع مع الترك، وقد وصل هذا الرد إلى (ستورز) فى العاشر من ديسمبر (كانون أول) ١٩١٤، وفى أبريل (نيسان) ١٩١٥ كلف حاكم عام السودان بإبلاغ شریف مكة أن الحكومة البريطانية سوف تضمن معاهدة الصلح بندا ينص على أن تكون شبه الجزيرة العربية وأماكنها المقدسة فى يد دولة مستقلة ولكن كان من الصعب فى ذلك الوقت تحديد المناطق التى ستدخل ضمن الدولة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من المفاوضات بين المسئولين البريطانيين

---

Storrs ; Ouv. Cit. P. 176.

(١)

Antonius : Ouv. P. 183.

Main ; Palestine at the Crossroads (1937) p. 20.

(٢)

Storrs, Ouv. Cit. P. 177.

(٣)

والشريف ، تلك المفاوضات التي ستبدأ مرحلتها الثانية في يوليو ( تموز )  
١٩١٥ - وتعرف بمراسلات الحسين / مكماهون .

ويذهب wingate ونجت إلى أن كنشتر وضع نصب عينيه الاعتبار  
الدينية أكثر من أى اعتبار عسكري بسبب رعايا الإمبراطورية المسلمين ،  
حيث كان ( كنشتر ) يريد استمرار فتح الاراضى المقدسة الاسلامية أمام  
الحجاج المسلمين وان انضمام أمير مكة إلى جانب بريطانيا سيدهم مركزها في  
نظر رعاياها المسلمين في الهند والملايو والسودان وشرق أفريقيا وغربها ،  
وكانت بريطانيا تشعر أن تفوذها على رعاها المسلمين يرجع ليس فقط إلى سماحها  
بحرية الحج وإنما أيضا لعملها على تسهيل الحج وتأمين الوصول إلى الأماكن  
المقدسة بفضل إمكانياتها البحرية<sup>(١)</sup> . كما أنه لم يكن من المعقول أن تترك بريطانيا  
رعاياها المسلمين يحجون إلى الأماكن المقدسة وهي لا تزال في قبضة أعدائها ،  
بحيث يتأثرون بالدعاية التي يمكن أن يطلقها الخليفة العثماني في أثناء موسم الحج ،  
كما أنه لم يكن من المعقول أن تقدم بريطانيا على الحلولة بين رعايا المسلمين  
وبين الحج .

ومع ذلك فما لا شك فيه أن المسئولين البريطانيين وضعوا نصب أعينهم  
أيضاً الاعتبارات العسكرية ، فالأقاليم العربية من الدولة العثمانية تشغل مساحة  
لها أهميتها الاستراتيجية على مجرى الحرب ، وقد أشرنا إلى هذه الأهمية في  
فصل سابق .

وما تجدر ملاحظته أن الدعوة كانت موجهة إلى الشريف حسين وهرب  
الهجاز وحسب ليقوموا بالثورة ، فإن بريطانيا في ذلك الوقت لم تكن تفكر

في خطة لتقديم العون لثورة عربية كبرى في ممتلكات الدولة العثمانية في كافة أرجاء آسيا ، إذ أن كل ما كان يبتغيه كشنر هو التأكد — كما جاء في برقيته الأولى عما إذا كان الشريف سينضم إلى بريطانيا أم سيبقى على ولائه للترك ، وكل الضمانات التي قدمها كشنر باسم الحكومة البريطانية — في برقيته الثانية — إنما تنحصر في أنها ستحول دون أي تدخل في شبه الجزيرة وأنها سوف تقدم للعرب كل معونة ضد أي اعتداء خارجي<sup>(١)</sup>

وفي السنة التالية فقط ، بدأ الشريف حسين يطالب بمملكة عربية تضم بلاد الشرق العربي الآسيوي<sup>(٢)</sup> ، خصوصاً وأنه في نفس الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تبحث عن زعامة دينية تساندها في الحرب ضد الخلافة العثمانية كان القوميون العرب في دمشق يبحثون عن زعامة دينية يمكن أن تقودهم في نضالهم القومي حتى لا يسهل ضرب حركتهم القومية بالدين وحتى لا تهتم الحركة بالمروق على الإسلام وشق عصا الطاعة على أمير المؤمنين الخليفة ، لأن الدين كان يعوق دائماً ثورة العناصر الإسلامية غير التركية على الخليفة ، ولذلك كانوا يبحثون عن شخصية عربية لها مكانتها في الأقاليم العربية من الدولة العثمانية ترعى القضية الوطنية ، وتكون بلاؤه نواة للدولة العربية المستقلة في حين كان عزيز المصري يحذر رجال العهد والفتاة من التورط مع بريطانيا ، كان رجال الحركة الوطنية في الشام قد بدأوا في الاتصال بالشريف حسين وبعثوا إليه بفوزي البكري في يناير (كانون ثان) ١٩١٥ ليعرض عليه فكرة الثورة على الترك بعد أن كانوا قد فشلوا في مباحثاتهم مع غيره من أمراء شبه الجزيرة مثل ابن سعود و سلطان مسقط . وكان فوزي البكري — وهو ضابط من

---

Zeine, *Onv. Cit.* p. 4.

(١)

Young ; *The Independent Arab* (1933) p. 973.

(٢)

أمرة البكرى المعروفة في الشام — قد انتقل للخدمة في الحجاز ، وكان على علم بالنشاط القومي ، وكان أخوه نسيب البكرى عضواً في الفتاة ، وقد أبلغ فوزى البكرى الشريف حسين أن الزعماء الوطنيين في الشام والعراق وفيهم بعض كبار الضباط العرب في الجيش العثماني يحبذون الثورة من أجل نيل الاستقلال ، ويذكر ( انطونيوس ) أن فوزى البكرى سأل الشريف حسين عما إذا كان يقبل تولي قيادة الثورة ، إلا أن الحسين كان تردداً ، ولم تلبث أن وصاته وسائل المسئولين البريطانيين في القاهرة ، وإزاء إلحاح الطرفين وضرورة اتخاذ موقف حاسم قرر إرسال نجله الأمير فيصل إلى دمشق والاستانة لدراسة الموضوع من زاويتيهِ المتعارضتين ودراسة وجهتي النظر التركية والعربية .

وبعد الاتصالات الأولى بين الشريف حسين والسلطات البريطانية أخذ الشريف يتلمس طريقه محاولاً تأمين مركزه في شبه الجزيرة بالتعرف على موقف بقية زعمائها إزاء الترك ، وحتى يسكون تصرفه على ضوء ما يحصل عليه من معلومات عنهم خصوصاً وأن بريطانيا أبرمت معاهدة الحماية مع أمير الكويت في ٢ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ ، ومعاهدة أخرى مع الإدريسي في عسير في ٣٠ أبريل ( نيسان ) ١٩١٤ ، ولذلك بعث الشريف حسين بمندوبيه إلى الإدريسي في عسير والإمام يحيى في اليمن وابن سعود في نجد وابن الرشيد في حائل لسهر غورهم ، وقد وجد أن الإمام يحيى وابن الرشيد هما الوحيدان اللذان قررا الوقوف إلى جانب الترك . أما ابن سعود والإدريسي فهما مواليان لبريطانيا الأمر الذي يطمئن الشريف ويشجعه على الانحياز إليها هو الآخر .

وعلى الرغم من أن الشريف حسين وجد أن الموقف في شبه الجزيرة يشجع على الثورة إلا أن اتصالاته بأمرائها لم تؤد إلى إقراهم له بالتصدي

لنهم القضية العربية ، إذ لم يقبل أى حاكم عربى سيادة الشريف الذى لا يستطيع الادعاء بأنه يمثل أكثر من أهالى إقليمه ، ولكنه بصفته سادنا للأماكن المقدسة كان فى نظر البريطانيين الوحيد الذى يمكن اعتباره متحدنا باسم العرب<sup>(١)</sup>.

وفى الوقت نفسه كان الشريف حسين يحاول أن يخدع الترك الذين كانوا يلحون عليه من أجل الاستجابة إلى الدعوة للجهاد ويطلبون منه أن يتخذ خطوات إيجابية ، وأخذت حكومة الأستانة تمطره بسيل من الرسائل من أجل إعلان تأييده صراحة للجهاد ، وإرسال علم الرسول إلى دمشق ، وتكوين قوة من قبائل الحجاز المحاربة فى صفوف القوات العثمانية ، وأخذ الشريف يماطل ، فأبلغ زعماء الاتحاديين أنه يؤيد الدعوة إلى الجهاد من كل قلبه ، ولكنه يخشى إذا هو أعلن تأييده لها صراحة — أن يتعرض الحجاز للعدوان ، خاصة وأن الأسطول البريطانى يسيطر على البحر الأحمر ، مما يؤدى إلى امتناع وصول المؤن إلى الحجاز وانتشار المجاعة مما يثير القبائل ، وأخذ الشريف يتظاهر بالاستجابة لمطالب الترك فأمر بنقل مخلفات الرسول من المدينة تمهيداً لإرسالها إلى دمشق فى احتفال ضخم لمباركة الجيش الذى كان يستعد للهجوم على مصر ، كما بدأ فى التظاهر باتخاذ الإجراءات لتكوين قوة من المتطوعة الحجازيين تحت قيادة أبنائه .

تشجيع سودانى للشريف :

كما كان الشريف حسين — خلال الشهور الأولى من عام ١٩١٥ — يتلقى لشجعيًا من مصدر بريطانى آخر هو سير ريجنالد ونجت R. Wingate حاكم

عام السودان ، الذى استعان بالسيد على الميرغنى من أجل التأثير على الشريف حسين واقتناعه بالتحالف مع بريطانيا . فقد كان من المعروف — وكما تشير الوثائق السودانية — أن السيد على الميرغنى كان يميل بمواطنه كل الميل نحو بريطانيا حتى لقد كتب إلى حاكم عام السودان في ٢٨ سبتمبر ( أيلول ) ١٩١٤ بأن السودان « إذا لم يسعده الحظ وفاته المشاركة حسيما وماديا قياما بالواجب أسوة بغيره الأقطار الكثيرة التى تظلمها الراية البريطانية العظيمة الاحترام والتى هى سيدة جدا بالحكم البريطانى العادل السعيد فإن كله مشارك معنويا أدبيا من كل الوجوه أتم المشاركة لدولته البريطانية العظيمة ولا يقل عن غيره إخلاصا لها »<sup>(١)</sup> ، ولذلك فقد كان السيد على الميرغنى يؤيد الشريف حسين ويدعو الحكومة البريطانية إلى معاونته<sup>(٢)</sup>.

وقد أوعز ونجحت إلى السيد على الميرغنى فكتب إلى الشريف حسين يشجعه على إعلان انحيازه إلى جانب بريطانيا ويطمئنه من ناحية الحكومة البريطانية ، وأنه يستطيع أن يستخدم نفوذه لدى ونجحت الذى تربطه به صداقة وطيدة من أجل مساعدة الشريف ، وقد رد الشريف بأنه سيكون مسرورا لتلقى أية مقترحات قد يرى ونجحت عرضها ، فرد السيد الميرغنى بأنه إذا حدد الشريف مطالبه واحتياجاته فإن سير ونجحت يستطيع أن يمدد بما يحتاجه من مال وسلاح وموئل<sup>(٣)</sup>.

---

Sudan Archives, Khartoum, Box 2/48 File 406 (١)

خطاب من السيد على مبرغنى ( كسلا ) إلى عطوفة أفندم السردار — وحاكم عام السودان بتاريخ ١٩١٤/٩/٢٨ .

Sudan Archives School of Oriental Studies, Durham (٢)

Box 134/6-Wingate Papers, Letter from Wingate to Grey, May 15. 1915.

Antonius : Ouv. Cit p. 144.

(٣)

وعلى الرغم من عدم التوصل إلى فصوص الخطابات المتبادلة بين السيد علي الميرغني والشريف حسين في هذه الفترة ، فقد أمكن العثور على إشارات إلى حدوث هذا الاتصال ، كما أمكن الحصول على صور مراسلات جرت بينهما في فترة نالية نوضح بجملة التأييد الذي كانت تلقاه حركة الشريف من السيد علي الميرغني فقد كتب السكولونيل واسن من جدة في ١٧ يوليو ( تموز ) ١٩١٧ إلى حكومة السودان وأرفق برسالته صورة خطاب من الملك حسين إلى السيد الميرغني رداً على خطاب كان قد بعث به الأخير إليه ، وأهرب (ولسن) عن اعتقاده بأنه سيكون من المفيد أن يكتب السيد علي الميرغني إلى الملك حسين معبراً عن سروره لما لاحظته من أن الملك حسين قد جدد العهد على ألا يتعرض للإدريسي لأن قوة الأمم العربية تعتمد على وحدة رؤسائهم . وبالفعل بعث السيد علي الميرغني إلى الملك حسين بخطاب تضمن كل ما اقترحه (ولسن) ، ورغم عدم العثور على النص العربي لهذا الخطاب فإن ترجمته الإنجليزية وجدت بين الوثائق السودانية حيث بعث بها مساعد مدير المخابرات إلى السكرتير الخاص للحاكم العام بتاريخ ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٧ ، وقد أشار السيد علي الميرغني في خطابه إلى الملك حسين - وكان بتاريخ ٣ أغسطس (آب) ١٩١٧ - إلى أن قيام الأخير يهدف أساساً إلى خير العرب ، ولضمان استقلالهم واستعادة مجدهم الضائع ولتقاذهم من براثن ظالمهم الذين داسوا حقوقهم وأهانوهم بشتى الوسائل وأساءوا معاملتهم ، وأن التاريخ سيدسجل مظالم الترك وسوء حكمهم ، وأن كل ذلك يدهو إلى توحيد كلمة العرب لأن الهدف أسمى وأعظم من أن يتأثر بالأطماع والخلافات الشخصية . وعبر السيد علي الميرغني في سياق رسالته عن شعوره بالغبطة شأنه شأن أولئك الذين يكتنون أنبل المشاعر نحو رفاهية العرب ، لما لاحظته من أن الملك حسين قد جدد العهد على احترام سيادة الإدريسي وعدم التعرض له في السر أو في العلن ، كما عبر

عن سروره لما سمعه من أنباء الانتصارات التي أحرزها الأمير زيد على ابن الرشيد ، وكذلك الانتصارات التي أحرزتها القوات العربية في العقبة ومعان وغيرهما ، ودعا السيد علي باستمرار الانتصارات ، وبأن يشوب إلى رشدهم بقية الرعماء العرب الذين كانوا - كما يقول - لا يزالون مغسودعين في صداقتهم وولائهم لظالمهم الترك الذين قتلوا القومية والثقافة العربية . وسدوا في وجه العرب سبيل النوح والرقى . واختتم السيد علي الميرغني رسالته بأنه لا يزال يبع نفسه تحت تصرف الملك حسين ، وأنه على أتم استعداد للاستجابة لأيّة طلبات يبعث بها إليه ، خدمة لأتمته وإخوانه العرب (١) ولا شك أن مكاتبات الميرغني إلى الشريف حسين شددت من أزر الأخير في موقفه من التحالف مع بريطانيا ، وقوت ثقته في إخلاص بريطانيا وصدق نواياها .

#### التصال الشريف بالقوميين العرب :

ولما كان الشريف قد أدرك مدى تلف بريطانيا على التحالف معه واتجاهها نحو إضفاء كثير من مظاهر النفوذ على مركزه بالتلويح له بالخلافة ، وبتأييد العرب عامة في سعيهم من أجل نيل حريتهم - كما ورد في يرقية كنفشتر بتاريخ ٣١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٤ - فقد دعا هذا كله الشريف إلى عدم قصر مطالبه على مسألة الشرافة والحفاظة على حقوقها ، بل انسمت آماله ، وبالتالي مطالبه ، لتشمل البلاد العربية خارج حدود الحجاز ، والتي صار يؤمل أن يصير خليفة عليها بمساندة بريطانيا .



وقد استلزم ذلك اتصال الشريف بزعماء الحركة القومية في البلاد العربية التي ستألف منها الدولة العربية الكبرى مستقبلا ، وبخاصة السوريين والعراقيين ، على أن يدخل بعد ذلك في مفاوضات مع بريطانيا لتحديد أسس الاتفاق وحدود وشكل الدولة العربية على أساس اتفاقية مع هؤلاء الزعماء العرب<sup>(١)</sup>

ولذلك فإن أكبر اتصال قام به الشريف حسين مع الزعماء العرب كان اتصاله بالجمعيات الوطنية في الشام .

وقد كان في الشام والعراق تياران متعارضان ، أحدهما إسلامي النزعة يعمل على التفاهم مع العثمانيين والاستجابة إلى الحرب الديقية ضد الدول الأوروبية بسبب ما عرف عن أطباعها في الأقطار العربية . وكان هذا التيار نفذية الدعاية الإسلامية التي انطلقت من عاصمة الخلافة ، وقد رأينا من قبل القرار الذي أصدرته اللجنة العليا للفتاة في أوائل عام ١٩١٥ ، وكذلك تحذير عزيز المصري إلى أعضاء جمعية العهد بعدم الانسياق والقيام بمحركات هدوانية ضد الدولة العثمانية وأنه يجب عليهم الوقوف إلى جانب الدولة ما لم يحصلوا على ضمانات كافية ضد الأتباع الأوروبية .

أما التيار الآخر فهو تيار قومي يهدف إلى الثورة على الترك بسبب ما قاساه العرب في ظل حكمهم ، وذلك بالتفاهم مع بعض الدول الأوروبية والاستغاثة بها وقد أخذ التيار القومي يقوى ويشدد على حساب التيار الديني بسبب السياسة التي اتبعها جمال باشا قائد الجيش الرابع في الشام وهي سياسة القمع للحركة العربية والضرب بشدة على أيدي العناصر الوطنية .

---

(١) هـ . عماد أليس : نفس المصدر ص ٢٧٧ .

فقد تولى أحمد جمال باشا قيادة الجيش الرابع ، وكانت دائرة نفوذه تشمل المشرق العربي من جبال طوروس حتى اليمن ووصل إلى مقر قيادته في دمشق في أوائل ديسمبر (كانون أول) ١٩١٤ ، وكان جمال من أقطاب الاتحاديين . وعند وصوله إلى دمشق حاول كسب ود العرب للمعاونة تركيا ، فأخذ يتقرب إلى زعمائهم ، وفي أوائل يناير (كانون ثان) ١٩١٥ دعى إلى حفل أقيم في النادي الشرقي تكريماً للشيخ عبد العزيز جاويز ، وخطب جمال باشا في الحفل وذكر أنه ليس ثمة تعارض بين الأمانى التركية والعربية على الإطلاق ، وأعلن أن اختلاف الشعبين - وهما دعامتا الإسلام - سيؤدى إلى الوقوع تحت سيطرة الاستعمار ، وعبر عن أسفه لمحاولة بذر الشقاق بينهما ، ودعا العرب والترك إلى الحياة في وئام وسلام<sup>(١)</sup> وأعلن جمال في خطابه عن تقديره للعنصر العربي واستعداده لإعطاء بعض الحقوق للعرب ، أنه ليس من المضر استمرار وحدة العنصرين العربى والتركى مع بقائهما أمتين منفصلتين تحت خبايعة واحد<sup>(٢)</sup> .

وقبل وصول جمال باشا إلى دمشق بقليل كانت السلطات التركية قد عثرت - إثر اقتحام القنصليات الفرنسية في بيروت ودمشق - على مراسلات ووثائق بين بعض الزعماء العرب والقنصل الفرنسى ، وهذه الوثائق تدين بعض الوطنيين العرب بأنهم يعملون تحت حماية دولة أجنبية ومن أجل مصالحهم ومع أن خلوصى بك وإلى سورية اعتبر هذا النشاط خيانة للدولة وأبلغه لجمال باشا عند وصوله إلا أن جمال أراد أن يتغاضى عن هذا الموضوع وحسب

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية ج ١ ص ٥٨ / ٥٩ .

(٢) Djemal Pasha : Memories of a Turkish Statesman  
(n. d.) pp. 190-201.

النظر عن اتخاذ إجراءات ضد المتهمين في الحال رغبة - كما يقول - في تجنب إيجاد صدع في الجبهة الإسلامية ، وحتى لا يظن المسلمون في مختلف البلاد الإسلامية أن الأتراك ينتقمون من أجل ضمان سيادة الأمة العثمانية ، وعن طريق عبد الكريم الخليل استدعى جمال بعض الوطنيين وشرح لهم ضرورة انتصار الإسلام ، ووعدوه بالبقاء على ولائهم للدولة وعدم وضع العقبات في طريقها ، وقد أراد جمال تهدئة مخاوف المسيحيين في لبنان فأعلن أن المقصود بأعداء الدين هم الإنجليز والفرنسيون والروس ، أما مواطنونا غير المسلمين فهم إخواننا في وطن مشترك ومصالح مشتركة وسوف نعاقب بمنتهى الشدة من يحاول الإضرار بهم<sup>(١)</sup>.

ولكن لم تلبث سياسة جمال أن انقلبت إلى البطش والقمع ، خصوصاً وأنه في ذلك الوقت كانت القوات البريطانية قد نزلت في غاليلوى ، وفي الوقت نفسه كانت هناك حملات في الصحف المصرية بأقلام بعض أعضاء اللامركزية مثل رفيق العظم في مايو (أيار) ١٩١٥ : "ضد الحكومة العثمانية حتى لقد عرض عبد الكريم الخليل على جمال باشا أن يسافر إلى القاهرة لشرح سياسة جمال في الشام الزعماء اللامركزية ، وكانت الحالة في الشام غير مطمئنة بالنسبة لجمال فقد سحبت بعض القوات للدفاع عن الدردنيل ، وكانت تساوره المخاوف من احتمال نزول قوات متحالفة في أى نقطة على الساحل بمساعدة القوى الوطنية الساخطة على الحكم التركي ، من كانوا على صلة بالدول الأجنبية<sup>(٢)</sup> ، ولذلك نذرع بوصول بعض الأنباء إليه عن مؤامرة تدبر ضد الحكم العثماني . فشرع في التتكيل بالعناصر الوطنية .

Ibid pp. 108-9.

(١)

National Archives Washington : from U. S. Consul, (٢)

ولذلك فإنه إذا كانت الآراء في الشام غير مستقرة بالنسبة لموقف العرب من الدولة العثمانية في أثناء الحرب ، وإذا كان الاتجاه الذي يجب الاستمرار في معارضة الدولة وتأييدها إنقاداً للبلاد من الوقوع تحت السيطرة الأجنبية هو الاتجاه الأقوى ، فإنه بعد استفحال مظالم جمال ونصب المشاق التي راح ضحيتها الرعيل الأول من الشهداء الذين أعدموا في ساحة البرج ببيروت في الحادي والعشرين من أغسطس (آب) ١٩١٥ اتسمت شقة الخلاف بين العرب والترك ، وتغيرت نظرة العرب في الشام ، وانفقوا على وجوب الثورة على الدولة من أجل الحصول على الاستقلال ، حتى أنه لم يكن القول بأن سياسة جمال باشا في الشام كانت أحد العوامل الحاسمة التي دفعت معظم زعماء المسلمين إلى الاستقرار على وجوب الانسلاخ عن الدولة العثمانية .

وهكذا وجد الأمير فيصل - عندما وصل إلى دمشق من قبل أبيه - التربة صالحة للثورة على الترك ، وتأييد شريف مكة في موقفه من الدولة العثمانية ، خاصة وأن القوميين السوريين وقد أيقنوا من صعوبة انطلاق الثورة العربية من الشام بسبب احتشاد القوات العثمانية فيها ، وطمش جمال باشا وتنكيله بمن يشك في ميوله الوطنية من الزعماء السوريين ، ارتضوا أن تنطلق الثورة العربية من الحجاز كمرکز رئيسي لها على أن يكون دورهم في الشام دوراً مساعداً (١)

ولإزاء اشتداد الخلاف بين الشريف حسين وهيب باشا وإلى الحجاز في أوائل عام ١٩١٥ رأى الشريف أن يوفد الأمير فيصل لعرض وجهة نظره

---

Beirut. to Secretary of State Washington, Nov. 5, 1914 - enclosure from U. S. Consular Agent, Haifa, Nov. 5, 1914.

(١) د. عبد أليس ؛ الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٧٨ .

على سلطات الأستانة ، ولكن المهمة الرئيسية التي كلف بها كانت الاتصال بزعماء الجمعيات الوطنية في الشام والتعرف على وجهة نظرهم وموقفهم .

وفي أواخر مارس (آذار) ١٩١٥ وصل فيصل إلى دمشق في طريقه إلى الأستانة ، وفي دمشق استقبله جمال باشا بحفاوة ، ثم نزل في ضيافة آل البكرى في قايون حيث استطاع أن يلتقي بالأعضاء البارزين في جماعة (الفتاة) وقد جرى تبادل وجهات النظر في حذر وحرص شديد من الجانبين ، خصوصاً وأن فيصل كان يعتقد أن تأييد العرب للدولة العثمانية في محنتها سيجعل الترك يعطون على العرب ولا يترددون في منحهم الاستقلال بعد الحرب ، وكان فيصل يستند في اعتقاده هذا إلى عدة اعتبارات ، منها خوفه من أطماع بريطانيا في جنوب العراق ، وأطماع فرنسا في الشام ، وهي أطماع معروفة للجميع ، كما أنه حتى ذلك الوقت لم تتضمن عروض بريطانيا أية ضمانات لتبديد مخاوف العرب ، كما كان فيصل يرى أن العرب غير مستعدين الاستعداد التام لإشعال ثورة ضد الترك يرجى لها النجاح ؛ وكانت وجهة نظر الأمير فيصل هذه تختلف اختلافاً بيناً عن وجهة نظر أخيه الأمير عبدالله الذي كان يحشد الثورة اعتماداً على وعود بريطانيا ومساعدتها .

كما التقى فيصل ببعض زعماء (العهد) من العسكريين ولمس لديهم الرغبة في التخلص من الترك لولا خوفهم من الاطماع الأوربية .

وبعد أن ظهر لفيصل والزعماء الوطنيين أن الأمانى واحدة والمخاوف واحدة زال التحفظ وأطلعوا فيصل على أسرارهم وأنهم بين الولاء (للثقة) وأبلغ الزعماء العرب بالعرض الذي تقدم به ككشور لوالده . ثم ترك لهم دراسة الموضوع وواصل سفره إلى الأستانة لينفذ الجانب الظاهري من مهمته فوصلها في

الثاني والعشرين من أبريل ( نيسان ) (١).

واستغرقت زيارة فيصل للأستانة ما يقرب من شهر ، واستقبله المسئولون الترك بمخافة ، وأجرى معهم محادثات حول مشكلة واحدة ، أفهم فيصل أنه إذا أعلن الشريف تأييده للجهاد صراحة فإنه يمكن تسوية مسألة الحجاز ، وعاد فيصل إلى دمشق في الثالث والعشرين من مايو ( آيار ) ١٩١٥ فوجد أن الزعماء الوطنيين من أعضاء ( العهد ) و ( الفتاة ) قد أجمعوا الرأي على وجوب الثورة والاعتماد على مساعدة بريطانيا وقبول عرضها ، ووافقوا على أن يتولى الشريف حسين زعامتهم وقيادة الثورة ، ولكنهم وضعوا مخططا يتضمن المطالب التي أرادوا أن تكون أساساً لمفاوضات الشريف حسين مع بريطانيا ، وقد عرف هذا المخطط باسم ( بروتوكول دمشق ) وأرقلت به خريطة تبين حدود البلاد العربية في آسيا ، والتي كانوا يرون ضرورة حصولها على الاستقلال .

وقد نص ( بروتوكول دمشق ) على ما يأتي :

١ - تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة داخل الحدود التي تتمثل في الشمال في خط مرسين / اطنه إلى خط عرض ٣٧° شمالا ، ومنه على طول خط برجيك / أورفا / ماردين وجزيرة ابن عمر واماديا إلى الحدود الإيرانية ، وفي الشرق تتمثل في الحدود مع إيران حتى الخليج . وفي الجنوب المحيط الهندي باستثناء عدن ، ومن الغرب البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين .

٢ - إلغاء الامتيازات الأجنبية التي كان يتمتع بها الأجانب في نطاق نظام الامتيازات في الدولة العثمانية .

٢ — إبرام تحالف دفاعي بين بريطانيا والدول العربية المستقلة .

٤ — منح بريطانيا الآلة - لية في النواحي الاقتصادية<sup>(١)</sup> .

ولبروتوكول دمشق أهمية كبيرة لما تضمنه — رغم إجهاده — من أسس للمفاوضات مع بريطانيا ، وإذا كان البرتوكول قد اشترط استقلال البلاد العربية داخل الحدود المذكورة فقد كان المقصود من هذا الاستقلال التحرر من الترك وعدم الوقوع تحت سيطرة حكم أجنبي آخر ، بل وإلغاء الامتيازات التي كانت تمنع بها الدول الأجنبية في هذه الأقطار باعتبارها أجزاء من الدولة العثمانية ، كما أن تفويض الزعماء العرب للشريف حسين للتكلم باسمهم والاتفاق مع بريطانيا على هذه الأسس ، كان معناه أنهم لا يلتزمون بأى اتفاق يتم الوصول إليه على غير هذه الأسس وقد شاء الزعماء الوطنيون العرب أن يؤدوا لبريطانيا شيئاً مقابل معوتها لهم ، ورغبة في تشجيعها على تأييدهم في مطالبهم وذلك بعقد تحالف دفاعي معها وإعطائها الأولوية في الشئون الاقتصادية وعدم المساس بالوضع القائم في عدن .

ورغم ما جاء في البند الثالث من رغبة في عقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة ، فإنه يلاحظ أن تكوين دولة عربية و وحدة داخل كل المنطقة التي ذكرت حدودها لم ينص عليه صراحة ، إذ أنه لم يكن من المعقول أن تكون دولة واحدة في كل المنطقة لأن المفاوضات دارت بين الأمير فيصل مندوباً عن الحجاز والزعماء العرب الممثلين للجمعيات الوطنية في الشام والعراق ولم يشترك فيها ممثلون عن مناطق أخرى كاليم وهسير ونجد ، وما كان ينتظر أن يقبل هؤلاء التنازل عن استقلال أقاليمهم ولاندماج في دولة

Ibid. pp. 157—8.

(١) .

ويقول أطونينوس أن هذه الشروط نقلها عن النص الذي مرره عليه فيصل .  
( ١٩ — حركة الليطة )

عربية واحدة ، بل يمكن القول بأنه رغم قبول زعماء الجمعيات الوطنية تولى شريف مكة قيادة الثورة ، فقد اختلفوا حول فكرة خضوعهم لنفوذ الشريف حسين الديني والدنيوي بعد الاستقلال ، فقد كان كثيرون يعتقدون أن ذلك أمر غير عملي لصعوبة جمع حرب الشام والعراق وشبه الجزيرة على الولا. لزعم دينوي واحد حتى ولو خضعوا لزعم ديني واحد ، وحتى لو كان لديهم الاستعداد للاعتراف بزعم دينوي واحد من حيث المبدأ فإنهم سيختلفون حول اختيار هذا الزعيم <sup>(١)</sup> .

وأخيراً عاد فيصل إلى مكة في العشرين من يونيو (حزيران) ١٩١٥ يحمي إلى أبيه (بروتوكول دمشق) وأبناء الجمعيات الوطنية في الشام ، وفي تلك الأثناء لم تسكن السلطات البريطانية في مصر ساكنة بل استمر اتصالها ببعض الزعماء العرب مثل عزيز المصري والسيد رشيد رضا ، على أمل إقناعهم بأن مستقبل بلادهم مرتين بالتحالف مع بريطانيا ، ولكن هذه الاتصالات لم تصل إلى نتيجة إيجابية حيث أن الزعماء العرب أصروا على ضرورة الحصول على ضمانات لاستقلال البلاد العربية كشرط أساسي للثورة ولا شك أن موقف هؤلاء الزعماء كان يتم عن حصافة وبعد نظر ، ولم يكن أحد من المسؤولين البريطانيين في مصر في مركز يسمح له بإعطاء الضمانات المطلوبة ما لم يصدر له تصريح من حكومة لندن <sup>(٢)</sup> .

وعلى كل حال فإن هذه الاتصالات نهت المسؤولين البريطانيين في مصر إلى عدم جدوى محاولتهم كسب العرب ما لم تبذل وعود معينة لهم ، وقد

Zeine : Arab-Turkish Relations, pp. 105-8.

(١)

Antonius ; Ouv. Cit pp. 159-160.

(٢)



توصل سير ريجنالد ونجت إلى نفس النتيجة بعد أن استطلع رأى السيد على الميرغنى وغيره من الزعماء المسلمين في السودان ولهذا عهدت الحكومة البريطانية إلى سير هنرى مكماهون - وقد تولى منصب المنسوب السامى البريطانى فى مصر منذ يناير (كانون ثان) ١٩١٥ - بإصدار تصريح فى يونيو (حزيران) ١٩١٥ - وفيه وعدت بريطانيا بأن تشترط عند إجراء الصلح - الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة العربية وتمتعها بالسيادة الكاملة على الأماكن المقدسة ، كما عبر التصريح عن استعداد الحكومة البريطانية للترحيب بإعلان خلافة عربية ، وقد أذيع التصريح وطبعت نسخ منه على شكل منشورات وزعت فى مصر والسودان وهربت نسخ منه إلى الشام ، كما قامت الطائرات البريطانية بإسقاط أعداد منه على مختلف مدن الحجاز .

ورغم أن هذا التصريح خطا خطوة أبعد من تأكيدات (كلكتنر) فى الحادى والثلاثين من أكتوبر (نشرين أول) ١٩١٤ حين وعد الشريف بالدفاع عن شبه الجزيرة العربية ضد أى اعتداء خارجى ، فضمن الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة وتأمينها ، إلا أن التصريح - مع ذلك - كان يهدف إلى تهدئة مخاوف المسلمين أكثر من إرضاء آمال العرب الوطنية ، ذلك أنه لم يتعرض لاستقلال بقية الأقطار العربية كالشام والعراق .

وعلى ضوء هذا التصريح لم يكن من الممكن أن يقدم العرب - وخاصة فى الشام والعراق - على التحالف مع بريطانيا ، حتى إذا فتح الشريف بهذا التصريح الذى يحقق مطالبه الأولى المتواضعة .

وحق إقناع الشريف بالإغياذ إلى جانب بريطانيا وإعلان الثورة علنا على الحكم التركى فى الحجاز كان أمراً بالغ الصعوبة ، وذلك لوجود حاميات عثمانية فى بلاده ، ورغم أنها لم تكن قوية إلا أنها كانت مصلحة ومبررة

بما فيه الكفاية لإرهاب العرب الذين كان يتقصصهم الملاح والتدريب ، كما أن فهم الحلفاء وخاصة بريطانيا لم يكن في صعود في ذلك الوقت ، فإن العرب كانوا يعلمون أن الترك قد دحروا البريطانيين في غاليلوى عام ١٩١٥ وكبدوم خسائر فادحة ، وأغاروا على مصر في فبراير ( شباط ) ١٩١٥ ، ورغم فشل هذا الهجوم التركي فقد ظل الخطر يهدد مصر بمادفع بريطانيا إلى إبقاء قوات كبيرة فيها كان من الممكن استخدامها في ميدان آخر ، وكان السنوسيون في غرب مصر ، وعلى ديار في جنوبها يظهرون التجدي لبريطانيا ، وفي الإطراف الجنوبية من شبه الجزيرة العربية كانت القوات التركية في اليمن تهاجم عدن ، واستطاعت احتلال الحج ، وتقدمت حتى أصبحت على مسيرة أميال قليلة من عدن ورغم التقدم الذى أحرزته الحملة البريطانية على جنوب العراق فلم تلبث الحملة أن مرت بطررف عصية ، إذ ارغم الترك الجنرال ( تاونسند ) Townshend في أبريل ( نيسان ) ١٩١٦ على التسليم في الكوت وأصبحت القوات البريطانية تقف موقف الدفاع .

وعلى الرغم من أن الشريف كان على علم بقوة بريطانيا البحرية وسيطرتها على البحر الأحمر على وجه الخصوص واحتفاظها بقوات كبيرة في مصر إلا أنه لم يكن متأثراً مما إذ كانت ستكسب الحرب ، وكان يرى في الثورة مفاعلة لن تعقده شيئاً ، فإنه بعد أن بدأت الثورة في الحجاز استدعى الشريف حسين نوري السعيد من القاهرة إلى مكة ، وقبل رحيله ذهب نوري السعيد لمقابلة سعد زغلول وعبر له عن شكوكه ومخاوفه ، ولكن سعداً أقنعه بأن البلاد العربية لم يكن لها في ذلك الوقت كيان سياسى يخفى عليه من الضياع ، وبذلك لن تكون في ثورة معامرة خامرة ، وأن العاملين من أجل استقلال العرب وسيادتهم القومية إنما هم رواد يد يصبحون في عداد الشهداء<sup>(١)</sup> .

لم اقتنع الشريف سين بما سبق واقتنع به نوري السعيد ، إذ وجد في الحرب فرصة يجب انتهازها ، فإذا انتهت بانتصار الألمان والترك فإن البلاد العربية ستعود إلى وضعها القديم دون أن تخسر شيئاً سوى أرواح أولئك الذين ثاروا لتحقيق أمان البلاد ، أما إذا انتصر الحلفاء فقد كان ثمة أمل في الحصول على بعض المكاسب .

هذه هي الأفكار التي كانت تدور في رأس الشريف حسين والزعماء العرب وأخيراً قرروا الإقدام على المغامرة ، وفي وسط المناصب التي كانت تشغلها بالالمستولون البريطانيون تلقى سير هنري مكماهون مذكرة الشريف حسين الأولى والتي كانت فاتحة ما يعرف باسم مراسلات الحسين / مكماهون<sup>(١)</sup> .

#### مراسلات الحسين مكماهون :

وتتكون من هذه المراسلات من عشر رسائل ، خمس منها بعث بها الشريف حسين إلى سير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر ، وخمس ردها مكماهون على الشريف حسين .

أما مذكرة الشريف حسين الأولى إلى سير هنري مكماهون فقد كانت بتاريخ الرابع عشر من يوليو ( تموز ) ١٩١٥ ، صدرت من مكة ونقلها سرّاً مبعوث كان موضع ثقة الشريف وهو الشيخ طارف بن عريفان<sup>(٢)</sup> ولم تكن تحمل توثيقاً إمعاناً في الحيلة والحذر ، وأرفق بها خطاباً من الأمير عبد الله بنفس التاريخ ( ٢ رمضان ١٣٣٢ هـ = ١٤ يوليو - تموز - ١٩١٥ ) إلى ستورز Storrs وقد تضمنت المذكرة شروط العرب للانضمام إلى بريطانيا ، إذ أنه بعد التعبير عن عزم الشعب العربي وتضمينه على نيل الاستقلال وحرية

Wingate Ouv Cit p. 186.

(١)

Storrs, Ouv. Cit. p. 180.

(٢)

السياسية ، وإيمان العرب بالمصالح البريطانية والعربية المتتركة أخذ الشريف في مذكرته يعرض الشروط التي يستطيع — نيابة عن الشعب العربى — أن يدخل على أساسها في تحالف مع بريطانيا من أجل تحقيق الأهداف العربية . وكانت هذه الشروط هى :

( ١ ) أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين / اطنه إلى خط ٢٧° شمالا حتى الحدود الفارسية على طول خط بيرجك ، أرفا ، ماردين ، مديات ، جزيرة ابن عمر ، أماديا ، هذا في الشمال أما في الشرق فتتمدد من الحدود الفارسية حتى خليج البصرة ، وفي الجنوب المحيط الهندي باستثناء عدن التي تظل كما هى ، وفي الغرب البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين . على أن توافق بريطانيا كذلك على إعلان خليفة عربى على المسلمين .

( ٢ ) تعترف حكومة الشريف العربية بالأفضلية لبريطانيا في كل مشروع اقتصادى في البلاد العربية ، إذا كانت الشروط متساوية .

( ٣ ) تتعاون الحكومتان البريطانية والعربية في مواجهة كل اعتداء على أحد الطرفين على أن يكون التعاون شاملا .

( ٤ ) إذا قام أحد الطرفين بالهجوم على بلد ما فإن الطرف الآخر يلزم الحياد ، إلا إذا رغب الفريق المهاجم في اشتراك الطرف الآخر معه ، فن الممكن الاتفاق على شروط هذه المساعدة .

( ٥ ) توافق بريطانيا على إلغاء الامتيازات في البلاد العربية وتتعهد بمساعدة الحكومة الشريفية في الدعوة إلى عقد مؤتمر دولى لإقرار هذا الإلغاء .

( ٦ ) حددت مدة الاتفاق فيما يختص بالبندين ٣ و ٤ بخمسة عشر سنة وإذا شاء أحد الطرفين تمديدتها فعليه أن يبلغ الطرف الآخر قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

وفي ختام هذه المذكرة طلب الشريف حسين من الحكومة البريطانية أن  
تجيبه سلباً أو إيجاباً خلال ثلاثين يوماً من وصول هذه المقترحات ، وأنه إذا  
انقضت هذه المدة ولم يتلق رداً من الحكومة البريطانية فإنه يحتفظ لنفسه بحرية  
التصرف (١) .

وبلاحظ أن الشروط الواردة في هذه المذكرة كأساس لقبول الشريف  
التحالف مع بريطانيا هي نفس الشروط التي وردت في بروتوكول دمشق ،  
مع إضافة البند الخاص بالخلافة والبند الخاص بمدة سريان البندين ٣ و ٤  
الخاصين بالمعونة المتبادلة بين العرب وبريطانيا لمدة خمسة عشر عاماً .

أما الأمير عبد الله فإنه في خطابه إلى ستورز ، لم يناقش الشروط التي  
تضمنتها مذكرة والده ، ولكنه طلب رفعها إلى الجهات المختصة ، واقترح  
أنه ما دام العرب قد استقر رأيهم ووجدوا أن مصالحهم تتفق ومصالح بريطانيا  
فإنه لا داعي لتوزيع منشورات الدعاية في شبه الجزيرة العربية

وقد رد سير هنري مكماهون على رسالة الشريف الأولى فكتب من القاهرة  
بتاريخ ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ = ٢٠ أغسطس ( آب ) ١٩١٥ إلى الشريف  
حسين ، أمير مكة المكرمة ، قبة العالمين ، ومحط آمال المؤمنين الطائعين ، .  
وقد استهل مكماهون رسالته بشكر الشريف على إظهار عاطفة الإخلاص  
نحو بريطانيا مؤكداً ما سبق أن عبر عنه كتشنر من رغبتنا في استقلال بلاد  
العرب وسكانها مع استصوابنا لفكرة الخلافة العربية عند إعلانها ، أما بخصوص  
مسألة الحدود فقد كان مكماهون يرى أن بحث هذه المسألة أمر سابق لأوانه ،

---

(١) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ٦-٨  
أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٣١/١٣٢ .

والبحث فيه ، ضيقة للوقت حيث أنها من قبيل التفاصيل ، شه وصاً وأن الحرب لازالت دائرة الرحو ولأن الأتراك لا يزالون يحتلون أغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً وأورد مكماهون سبباً آخر هو ما علمه من أن فريقاً من العرب القاطنين في تلك الجهات قد أهمل هذه الفرصة الثمينة ولا يرغبون في مساعدة بريطانيا بل ويقدمون يد المساعدة إلى الألمان والترك واختتم مكماهون خطابه بالتعبير عن استعداده لإرسال الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية<sup>(١)</sup> .

ولاشك أن رد سير هنري مكماهون كان محاولة للتخلص بامتناعه عن إبداء رأيه بالقبول أو الرفض في الشروط التي بعث بها الشريف ، ويعمل أنطونيوس هذه الميوعة في الرد إلى أنه حتى ذلك الوقت لم يكن مكماهون ومستشاروه على علم بمضمون محادثات فيصل في دمشق ولم يعرفوا شيئاً عن جماعة الفتاة وكانت فكرتهم عن جماعة العهد غير واضحة ، وكانوا يعتقدون أن الحسين يتحدث عن نفسه فحسب ، وأنه يفعل من أجل أراضه الخاصة وأنه بذلك يمكن كسبه بالوعد بالاعتراف به كخليفة والتلويح له بأمل غامض من استقلال العرب . وقد علم الإنجليز بهذه الأمور بعد ذلك ، وعلى كل حال فإن مذكرة مكماهون هذه لم تقع موقع القبول من الشريف حسين<sup>(٢)</sup> .

ولذلك فإنه سرعان ما بعث الشريف حسين برسائله الثانية إلى مكماهون بتاريخ التاسع والعشرين من شوال ١٣٣٣ هـ = ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥١ وكانت هذه الرسالة أكثر تفصيلاً من الأولى ، وفيها عبر الشريف عن دهشته إزاء النعوض والتردد ، اللذين ضمّنهما (سير هنري مكماهون) كتابه فيما

(١) الأمانة العامة بجامعة الدول العربية : المرجع نفسه ص ٩ .

أمين سعيد : المرجع نفسه ص ١٣٢/١٣٣ .

Antonius. Ouv. Cit pp. 415-6 (Appendix A).

Antonius. Ouv. Cit. pp 165-7.

(٢)

يتعلق بالحدود وقوله بأن البحث في هذه الشئون إنما هو إضاعة للوقت ، وأن تلك الأراضي لا تزال بيد الترك ، واعتبر الشريف أن هذا كله يدل على الإحجام وقال إن هذه الحدود ليست مطلب رجل فرد يمكن إرضاءه ومفاوضته بعد الحرب بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته مرتبطة بهذه الحدود ، وهو يجمع رأيه على ذلك ، وأن هذا ما جعل الشعب يرى ضرورة بحث هذه المسألة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون فيها كل الثقة ويعلقون عليها الآمال ألا وهي بريطانيا ، وأن هذا الإلحاح إنما هو من أجل المصالح المشتركة لأن معرفتهم بالأساس الذي يقيمون عليه حياتهم سيحول دون اصطدامهم ببريطانيا أو إحدى حليفاتها ، وأضاف الشريف حسين أن العرب لم يطالبوا داخل هذه الحدود بمناطق يسكنها شعب أجنبي وأكد أنه لا يطالب لنفسه بهذه الحدود التي يعيش داخلها العرب بل هي مقترحات شعب بأسره ، يعتقد أنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية وأن كل الشعب بما فيه أولئك الذين يقال أنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا ، ينتظرون بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على الموافقة على مسألة الحدود أو رفضها . أما عن الخلافة فقد قال الشريف : « إن الله يرضى عنها ويسر الناس بها » .

ويبدو أن الشريف حسين أحس بأن تردد بريطانيا وتهرب مكماهون من بحث مسألة الحدود يرجع إلى مراعاة بريطانيا لمصالح حليفاتها فرنسا في الشام ، ولذلك فإنه ألح في خطابه إلى مكماهون بأنه سيطلب بريطانيا في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما يدعه لفرنسا في بيروت وسواحلها ، رغم تأكيديه بأنه لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة في هذه المنطقة (١) .

(١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ١١-١٣ .

أمين سميد : المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣/١٣٥ .

Antonius : Ouv. Cit. pp. 416-18 ( Appendix A).

وهكذا تبين على مكهاون والسلطات البريطانية التي توجهه أن يحددوا ردهم التالي ، وفي خلال ذلك كان مكهاون ومستشاروه قد وصلتهم معلومات أكثر عن الاقطار العربية الأخرى والنشاط القومي العربي مما أدى في رأى البعض إلى تعديل موقفهم إزاء المطالب التي تقدم بها الشريف حسين ، ذلك أن ضابطاً عربياً في الجيش التركي هو محمد شريف الفاروقى ( العراق ) وصل إلى القاهرة في أوائل أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٥ بعد أن وقع أسير حرب في أيدي القوات البريطانية في جبهة غاليبولي ، وعندما استسلم للبريطانيين أعلن أن لديه معلومات عامة يريد أن يفصح بها ، وطلب نقله إلى القاهرة حيث ذكر أنه عضو بجماعة العهد وأنه من العامة من أجل تحرير العرب واستقلالهم . ورغم أن الفاروقى لم يكن مبعوثاً من لند جماعة العهد إلا أنه كان على علم تام بتنظيم الجمعية وأهدافها ، وكذلك عن جمعية الفتاة ، ولديه الكثير من المعلومات عن مشاعر أعضائها واتجاهاتهم ، وثق فيه المسؤولون البريطانيون حتى اعتبروه شبه متحدث باسم الجمعيتين ، وقد أباح السلطات البريطانية بالكثير مما كانوا يجهلونه عن حقيقة المفاخر بين العرب في الشام والعراق ، مما كان له أبلغ الأثر على موقف مكهاون ومستشاريه بحيث صار لديهم — عندما وصلت رسالة الشريف الثانية — من المعلومات ما جعلهم أكثر تقديراً وفهماً للموقف عن ذي قبل ، مما جعل مكهاون أكثر تحديداً لموقفه في رده على رسالة الشريف الثانية<sup>(١)</sup> .

ويذكر ( لويد جورج ) أنه بعد أن بعث الشريف بخطابه الذى أوضح فيه أهمية تحديد الحدود استطلع مكهاون رأى حكومته التي اتصلت فوراً

---

(١) رسالة الفاروقى إلى الشريف حسين بتاريخ ٢٧ محرم ١٣٣٤ هـ = أوائل ديسمبر ( كانون أول ) ١٩١٥ ق : محمد طاهر المرصى : تاريخ مقدرات العراق السياسية ( ١٩٢٥ ) ج ١ ص ٢١٩ / ٢٢١ ، ٢٣٤ - ٢٣٦ .



بمسيو بول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن ، وعلى ضوء هذه المباحثات بعث ( مكماهون ) برده في أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٥ إلى الشريف (١) .

يعتبر الرد الذي بعث به مكماهون على رسالة الشريف الثانية والذي حملة رسول الشريف الشيخ عارف بن عريفان أم هذه المراسلات بل وأهم الوثائق المتصلة بالحركة القومية لأنها تتضمن الوعود التي جذبت العرب إلى جانب بريطانيا وصارت موضع نزاع في السنوات التي أعقبت الحرب ، وهي التي يستند إليها العرب في اتهام بريطانيا بخلف وعودها لهم .

وكانت رسالة مكماهون هذه بتاريخ ١٥ ذو الحجة ١٣٣٣ هـ ( ٢٤ أكتوبر - تشرين أول ١٩١٥ ) وقد بدأها بأن أكد للشريف أن عروفته السابق عن بحث مسألة الحدود كان مبعثه الاعتقاد بأن الوقت لم يحن بعد لمناقشة مثل هذا الموضوع بصورة نهائية ، ولكن ما دام الشريف يعتبر هذه المسألة من المعائل الحيوية الماحة فقد « أبلغت حكومة بريطانيا مضمون كتابكم وإنتى بكمال السرور أبلدكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية » .

وأخذ مكماهون يسرد التأكيدات التي كانت بريطانيا في ذلك الوقت على استعداد لإعطائها للعرب ، فذكر أن ولايتي مرسين والاسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية من مناطق دمشق وحمص وحماء وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المقترحة ، وأنه بهذا التعديل ، وبدون الإضرار بالمعاهدات المعقودة بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب تعلن بريطانيا قبول الحدود المقترحة حينما

---

Lloyd George : The Truth about the Peace Treaties, (١)  
Vol. II ( 1938 ) p. 1019 .

تكون بريطانيا مطابقة التصرف أى أنه فى المناطق الواقعة داخل هذه الحدود والى تستطيع بريطانيا أن تتصرف فيها بحرية ودون أن تمس مصالح حليفها فرنسا فإن مكماهون مفوض من قبل الحكومة البريطانية بتقديم الموائيق التالية :

١ - مع مراعاة التعديلات المذكورة آنفاً فإن بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب وتأييد هذا الاستقلال فى جميع الأقاليم الداخلة ضمن الحدود التى اقترحها شريف مكة .

٢ - إن بريطانيا تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجى وتعترف بوجود حمايتها من أى اعتداء .

٣ - وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة .

٤ - والمفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا وحدها وأن المستشارين والموظفين الأوربيين اللذين تشكّل هيئة إدارية قوية يكونون من الإنجليز .

٥ - أما بخصوص ولايتى بغداد والبصرة فإن العرب يعترفون بأن مصالح بريطانيا هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية خاصة لحماية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبى وزيادة خير سكانها وحماية المصالح الاقتصادية المشتركة .

واعتبر مكماهون أن هذا التصريح كفيل بإزالة أى شك وإرتياب فى تأييد بريطانيا لرغبات العرب ، وسوف يؤدى إلى عقد محالفة دائمة وطيدة يسكون من نتائجها العاجلة طرد الأتراك من البلاد العربية وتحرير الشعوب

### العربية من النير التركي<sup>(١)</sup>

ويلاحظ من رد مكاهون أن المناطق التي شملها التحفظ كانت :

( أ ) مرسين واطنة والساحل السوري غرب دمشق ومن سماء حلب بدهوى أنها غير عربية .

( ب ) المناطق التي فيها مصالح لفرنسا ولا بد أن المستولين البريطانيين كانوا يقصدون بها الشام بمعناه الواسع .

( ج ) بغداد والبصرة لوجود مصالح لبريطانيا فيها .

( د ) المناطق التي يرتبط أمراؤها ببريطانيا بمعاهدات مثل الكويت وقطر ونجد وحسير والمنطقة المجاورة للبصرة .

وهذه المناطق التي شملتها التحفظات البريطانية تغطي مساحة كبيرة من المنطقة التي كان الشريف يطالب بالاعتراف باستقلال العرب فيها ، وباستبعاد مناطق التحفظات البريطانية فإن المنطقة الباقية تقتصر على الحجاز وبذلك لا يمكن أن تلبي مطالب العرب في الحرية والاستقلال .

ورداً على تحفظات مكاهون بعث الشريف حسين برسالة بتاريخ الخامس من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٥ ( ٢٧ ذي الحجة ١٣٢٣ هـ ) وافق فيها على استبعاد مرسين واطنة من الدولة العربية رغبة في تذييل الصعوبات في وجه الاتفاق وخدمة لقضية اسلام وتقديراً لبريطانيا، ولسكته

---

(١) Antonius : Ouv. Cit. p. 419 ( App. A ).

Zeine : Struggle for Arab independence ( صورة زنكوهرانية )

جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ١٤ - ١٦ .

أمين - سعيد : المرجع السابق ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وفرض استثناء مناطق الساحل السوري الواقعة غربي دمشق - حمص - حماه - حلب لأنها أقاليم عربية محضة ، ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما أبناء جد واحد ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ماسلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ، ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين معاملتهم لأنفسهم ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، علاوة على ما يزارتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة .

كما أنه رغبة في تسهيل الاتفاق وثقة في العهد التي قطعتها بريطانيا في البند الحاص بولايتي بغداد والبصرة فقد أعرب الشريف عن موافقته على ترك الأراضي التي تحتلها القوات البريطانية تحت إدارة بريطانيا لقاء مبلغ من المال يدفع عن الاحتلال العسكري البريطاني لهذه المنطقة ، على أن تكون فترة الاحتلال قصيرة وأعرب الشريف كذلك عن رغبته في احترام انفانيات بريطانيا مع مشايخ هذه المنطقة . وعبر الشريف عن مخاوفه من الإسراع في إعلان الثورة خشية لوم المسلمين له واتهامه بشق عصا الطاعة على دولة الخلافة وخوفا من الوقوف في وجه قوى الدولة العثمانية تعضدها ألمانيا ، وهو هذا يحاول أن يجعل بريطانيا تفصح عن خطتها لشد أزر الثورة عند قيامها ، وكذلك عند عقد الصلح بتأييد العرب في مواجهة تركيا وألمانيا<sup>(١)</sup> .

وفي الثالث عشر من ديسمبر ( كانون أول ) ١٩١٥ ( التاسع من صفر ١٣٣٤ هـ ) بعث مكهاون برده على خطاب الشريف حسين ، ويتخيم على خطاب مكهاون هذا الغموض والإبهام والإيجاز ، فقد عبر عن ارتياحه لموافقة الشريف على استثناء أمانة ومرسين ، ولسكه في نفس الوقت تمسك

(١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ١٧ - ١٨ .

أمين سعيد : المرجع السابق ص ١٣٨/١٣٩ .

Antonius : Ouv. Cit. pp. 421-8 ( App. A )

بتحفظه الخاص بالمناطق الساحلية من الشام لاعلى أساس أنها مناطق غير عربية خالصة كما ذكر من قبل ولكن على أساس ارتباطها بمصالح فرنسا حليفه بريطانيا ، ومن هنا اعتبر مكهاون أن الأمر يحتاج إلى بحث وعناية ، ووعده مكهاون الشريف بأنه سيخاطبه بهذا الخصوص في الوقت المناسب ، كما عبر مكهاون عن اعتداد بريطانيا لإعطائه كل الضمانات والمساعدات التي يمكنها تقديمها إلى المملكة العربية ، وأن بريطانيا لا تنوى إبرام أى صلح إلا إذا كان من بين شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سيطرة الأتراك والألمان .

أما فيما يختص بالعراق فقد ذكر مكهاون أن مصالح بريطانيا في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة مستقرة ، وأن صيانة هذه المصالح تتطلب بعض التنظيمات التي تستلزم نظراً أدق (مباحثات أخرى) لا تسمح به الحالة الحاضرة والسرعاء التي تجري بها المفاوضات . وأعرب مكهاون عن موافقته على حذر الشريف في إعلان الثورة ، ولما كان عليه من أجل العمل على إثناء العرب عن مد يد المساعدة إلى أعداء بريطانيا<sup>(١)</sup> .

بعت الشريف حسين بمذكرته الرابعة إلى مكهاون بتاريخ أول يناير (كانون ثاني) ١٩١٦ = ٢٥ صفر ١٣٣٤ هـ ، وكان الشريف في ذلك الوقت قد تلقى - قبل شهر - تقريراً ضافياً من محمد شريف الفاروقى عن المحادثات التي أجراها مع المسؤولين البريطانيين في القاهرة .

ولما إصرار بريطانيا على موقفها وتمسكها بتحفظها الخاص بالأجواء

(١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠ .

أمين سعيد : المرجع السابق ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١ .

Antonia, Oav, Cit. pp. 423 - 4 .

الساحلية من شمال الشام وجد الشريف حسين نفسه في مأزق ، فهو من ناحية تواق إلى التحالف مع بريطانيا من أجل تحقيق مصالحه الخاصة في الحجاز ، ومن ناحية أخرى فإن الاقتراح الخاص باستثناء جزء من الشام من منطقة استقلال العرب كان اقتراحاً لا يملك الموافقة عليه ، وقد وجد لنفسه مخرجاً من هذا المأزق بالتأجيل أو التعليق فأعرب في خطابه إلى سير هنري مكماهون أنه لا رغبة في عدم الإساءة إلى العلاقات بين بريطانيا وفرنسا في المحن الحالية ، سيفرض الطرف مؤقتاً ثم يطالب بريطانيا بما يفرض الطرف عنه لفرنسا في بيروت وسواحلها ، وأخذ يبين للمستولين البريطانيين أن جوار فرنسا للعرب سيكون مصدراً للمشاكل مما يؤدي إلى عدم استقرار الحال ، وأن أهل بيروت يعارضون بشدة انفصالهم عن إخوانهم العرب وأشار الشريف إلى أنه إذا كان الذي دفعه إلى هذا التأجيل هو الرغبة في تحاشي تكدر العلاقات بين فرنسا وبريطانيا والحرب دائرة الرحى ، فإنه من المستحيل التنازل لفرنسا عن أى شبر من الأرض في هذه المنطقة ، وأنه سوف ينتهز أقرب فرصة عقب انتهاء الحرب لكي يدافع عن حق العرب في كل الشام ، (١) .

ومن العجيب أن يؤجل الشريف حسين البت في مصير هذه المنطقة من الشام ، وهذا التأجيل يتناقض مع إصراره السابق على الوصول إلى اتفاق نهائي محدد ، فصار يكتفى بالحصول على موافقة بريطانيا على مبدأ الاعتراف باستقلال العرب ، أما مسألة الإدارة الإنجليزية العربية المشتركة في العراق ، وكذلك مسألة المصالح الفرنسية في الساحل السوري فقد تركها الشريف مهملتين ، معتقداً أن وضوح حق العرب وعدالته كفيلان بانتصارهم دون أن يحسب أى حساب للمصالح الاستعمارية الإنجليزية والفرنسية التي كانت مثار خوف كثير من الزعماء الوطنيين .

(١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢ .

أمهه سعيد : المرجع السابق ج ١ ص ١٤١ .

ولكن ما السبب الذى دعا الشريف إلى تأجيل البت فى هذه المسائل الهامة ؟ هل هو - كما يقول أنطونينوس - إيمان الشريف حسين بشرف بريطانيا فاكنتى بما حصل عليه من تأكيدات خاصة بالمسألة الرئيسية وهى الموافقة على استقلال العرب ، مع ترك المسائل الثانوية إلى تسوية مقبلة ؟ (١)

من المعتقد أن الشريف حسين كان يظن أن بريطانيا ان تتخلى عنه من أجل فرنسا ، بل ستأخذ جانبه . ولكن بعد أن لضع الحرب أوزارها ، لأن ذلك سيكون فى مصلحة بريطانيا وفرنسا ، وعلى الرغم من أنه لم يعد لإثارة الموضوع مرة أخرى فى المراسلات إلا أنه - كما يعترف (لويد جورج) - لم يتنازل عن مطالبه ، بل على العكس ظل متمسكا بها ، وعبر عن ذلك فى خطاب كتبه إلى ابنه الشريف على فى ٢٦ مايو (آيار) ١٩١٦ أى قبيل نشوب الثورة فى الحجاز : اختتم خطابه بقوله : « إن الله لا يلى الاسكدرونة ويبروت والمناطق المجاورة » (٢) .

وما من شك فى أن أى سياسى حصيف ما كان ليجازف بالدخول فى حرب وإعلان ثورة على دولة الخلافة ويزج بنفسه وبيبلدان المشرق العربى فى هذا الموقف الدقيق قبل أن يحصل على ضمانات مؤكدة قاطعة ، لا بأوهام واهية ، خصوصاً وقد اشترط بروتوكول دمشق على الشريف موافقة بريطانيا على شروط معينة ، ولذلك فإن أى تعديل فى هذه الحدود أو فى الشروط الواردة فى بروتوكول دمشق يعتبر خروجاً عليه وغير ملزم للعرب ، ولربما كان هذا من أسباب حنق كثير من عرب الشام على الأشراف ومعاضدتهم لإدماج الشام والحجاز فى دولة واحدة يحكمها الأشراف .

---

Antonins : Ouv. Cit. pp. 174—5.

(٢)

Lloyd George : The Truth ... Vol. II pp. 1020—21. (١)

( ٢٠ ) حركة القفلة

ولقد رحب السير هنرى مكماهون بهذا الموقف من جانب الشريف ،  
ولذلك بعث إليه في الثلاثين من يناير ( كانون ثان ) ١٩١٦ =  
٢٤ ربيع أول ١٣٣٤ هـ برسالة امتدح فيها الشريف ورغبته في تجنب كل  
ما من شأنه إحراج بريطانيا في علاقاتها مع فرنسا ، وفي نفس الوقت أعلن  
مكماهون للشريف أن صداقة بريطانيا وفرنسا ستقوى وتتوطد حتى يمد  
اتهاء الحرب بعد أن بذلت الدولتان الدماء معا في سبيل الدفاع عن الحريات .  
وقد كانت هذه الإيماء كاتبة تحذير الشريف حتى لا يعلق الآمال على احتمال  
مساعدة بريطانيا له يمد الحرب لا نزاع السواحل السورية من برأت فرنسا ،  
ومع هذا فقد ظل الشريف يعلق الآمال على مساعدة بريطانيا له ضد فرنسا  
يمد الحرب ، ولا شك أن هذه الآمال قوية لديه بمجمود بعض المسئولين  
البريطانيين في الساهرة ممن كانوا ضد ازدياد نفوذ فرنسا في الشرق ، كما سيظهر  
في أثناء تتابع الحوادث فيما بعد .

وقد اعترف ( انطونيوس ) بأن هذه الإشارة من جانب مكماهون  
كانت مقصودة لكي يفهم الشريف أنه في حالة تمسك فرنسا بمطالبها في  
الشام فإن بريطانيا لا تستطيع أن تقدم أى ضمان للشريف بأن هذه الاجراء  
من الشام والتي استئنيت من المنطقة العربية التي وعدت بالاستقلال في رسالته  
في ٢٤ أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٥ سوف تنزع من فرنسا لإعادتها إلى  
الدولة العربية المستقلة<sup>(١)</sup> ،

وبذلك يكن القول بأن المحادثات بين الشريف حسين وسير ( هنرى  
مكماهون ) وقد وصلت إلى نهايتها واعتبر كل من الطرفين أن المساومة قد  
انتهت رغم أن الشريف حسين بعث برسالة خامسة وأخيرة بتاريخ الثامن عشر



من فبراير ( شباط ) ١٩١٦ = ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ هـ إلى سير هنرى  
مكاهون الذى رد رسالة بتاريخ العاشر من مارس ( آذار ) ١٩١٦ = ٦  
جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ إلا أن هذه المراسلات كانت تتصل بالاستعدادات  
للثورة ولم تضاف شيئاً جديداً أكثر من تجديد مظاهر الإخلاص المتبادل  
والتمسك بنصوص الاتفاق البريطانى العربى .

وإذا كانت آمال الشريف حسين فى أثناء اتصالاته المبكرة بالمسؤولين  
البريطانيين — محدودة ومقصورة على الحجاز والرغبة فى تدعيم مركزه فيه  
واستقلاله به ، فإن هذه الآمال — كما يبدو من مراسلاته مع مكاهون  
لم تلبث أن اتسعت لتشمل الشام والعراق ، وذلك بعد أن لمس — عن طريق  
ابنه فيصل ، وعن طريق الضابط السورى فوزى البكرى — ازدياد كراهية  
عرب الشام لحكم الاتحاديين ، فأصبح الشريف حسين يعتقد أنه يمكن الاعتماد  
على أهالى الشام والعراق من أجل تحقيق آماله الواسعة ، بالثورة على الخلافة  
العثمانية ، علماً بأن هذه المعونة من جانب عرب الشام والعراق كانت  
ضرورية ولم يكن الشريف يستطيع العمل بدونها خصوصاً وأنه لم يكن  
يتوقع أن يجد هؤلاء من المصريين حيث كان الشعور موالياً لترك ومعاديا  
لبريطانيا .

ولا شك أن تدعيم سلطة الشريف فى الحجاز فقط لم تعد مكافأة مجزية له  
على الثورة ضد الخلافة وإعلان الحرب عليها وهى حرب لم تكن نتيجتها  
مؤكدة ، واشتراكه فى القضاء على الدولة الإسلامية السكبرى ، ولذلك لن  
يقبل أن يكون مجرد تابع لبريطانيا ، إنه يعتقد — كما يقول بيل — أنه يجب  
أن يبرىء نفسه فى أعين كافة المسلمين ، وذلك بأن يقيم هودولة إسلامية تشمل  
إلى جانب الحجاز شمال العراق وداخل الشام على أساس أنه يمكن ترك جنوب

المرأى لبريطانيا والساحل السوري لفرنسا مؤقتاً ، لأن المسلمين الذين رحبوا بثورته لأنهم وجدوا فيها خلاص العرب من ذير الحكم الأجنبي التركي لن يرحبوا برؤية مسلمي العرق والشام يخضعون لحكم دولة مسيحية ، وشبه الجزيرة العربية ذاتها تحت نفوذ بريطانيا .

ولقد اقتبس ( ييل Yale ) في تقريره هذا فقرة من النشرة العربية Arab Bulletin لسرية في عددها الصادر في يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ جاء فيها أن النتيجة التي أسفرت عنها المحادثات هي أن الحكومة البريطانية [عبرت عن رغبتها في رعاية استقلال المطاعة العربية مع التحفظ في مسألة الحدود ، وعلى الخصوص رفض الالتزام بشيء يتصل بغرب الشام وجنوب العراق ] . أو شكل الحكومة التي سوف تقام في مختلف جهات المنطقة التي ستحصل على الاستقلال .

ويستطرد ( ييل ) فيذكر أن الشريف حسين لا بد وأنه أفصح عن آماله بصورة عامة للمستولين البريطانيين ولعله لقي منهم نوحاً من التشجيع (١) .

وبما هو جدير بالذكر أن بعض المراقبين ممن كانوا يراقبون الأحداث في الشرق العربي عن كثب في أثناء الحرب ، أيقنوا أن الحكومة البريطانية كانت تشجع الشريف حسين وتشمله برعايتها على الرغم من أنها تعلم تماماً أن له أطماعاً واسعة في الشام والعراق ، بتأييد بعض السوريين الوطنيين ، إلا أن بريطانيا كانت تراقب الشريف بدقة حتى لا تخرج هذه الأطماع عن أيديها وسيطرتها ، وكان المستولون البريطانيون يعتقدون أن الشريف سوف يصطدم بمعارضة السوريين أنفسهم دون تدخل من جانب بريطانيا ، هذا من ناحية الشام ، أما من ناحية العراق . فإن احتلال البريطانيين لهذا القطر كان

---

(١) Yale's Rep. no. 22 (April. 8, 1918) • Charifian Force and  
Cherifian politics • National Archives' Washington' pp. 13-15

من شأنه أن يحول دون وقوعه تحت سيطرة الشريف وهكذا تنحصر سيطرة الشريف من تلقاء نفسها في شبه الجزيرة العربية<sup>(١)</sup> بل والحجاز فقط .

وقد كتب سير وند هام ديدس Windham Deedes في فبراير (شباط) ١٩١٦ : «إننا نتفاوض مع جماعة الشريف على أساس إقامة ملكية عربية روحية وزمنية ، وهذا ما يريده الشريف ، ويعتقد معظمنا أن هذا ليس أمراً محلياً لأنه ليس من الممكن جعل كل حرب الشام والعراق واليمن وغيرهم يعترفون برئيس زمني واحد ، إن نفوذ الشريف مكن أن يكون مقبولا في بعض البلاد المذكورة دون البعض الآخر»<sup>(٢)</sup> .

كما أهرب هؤلاء المراقبون عن اعتقادهم بأن بريطانيا بمحاولتها كسب الشريف إنما تسعى إلى هدفين أحدهما قريب ألا وهو مواجهة تأثير الحرب الديدية التي أعلنها الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد ، وتهدة المسلمين داخل الإمبراطورية البريطانية وخارجها ، وكسب ولاء حرب الشام والعراق ، وضمان معونة القبائل التي تسكن على جانبي القوات البريطانية في العراق وسينا ، لأنه إذا اتخذت هذه القبائل موقفاً معادياً من البريطانيين فإنها ستكون شديدة الخطورة وعائفاً في وجه تقدمهم بل وخطراً يهدد مواصلاتهم ، بينما كأصدقاء تستطيع هذه القبائل حماية جناحي البريطانيين

أما الهدف البعيد الذي كان البريطانيون يسمون إلى تحقيقه بعد انتهاء الحرب ، فهو إقامة دولة أو دول إسلامية مستقلة على أنقاض الامبراطورية العثمانية المتداعية على أن تكون تحت أي شكل من أشكال السيطرة

---

Yale's Rep. no. 2 ( nov, 5 1917) p. 15 : National Archives, (١)  
Washington

Zeine : Struggle for Arab Independence, pp, 9 - 10 (٢)

البريطانية<sup>(١)</sup> ، تخدم كبديل الامبراطورية العثمانية وتقوم بالدور التقليدي في حماية مواصلات بريطانيا مع الهند .

إلا أن اتفاق الشريف حسين مع بريطانيا لم يكن محددًا ، بل كان يكتنفه الغموض ، ومعرضاً للتأويل ، ومع ذلك فقد قنع به الشريف ، هل الرغم من أنه كانت هناك قلة من زعماء العرب ومفكرهم في الشام ومصر والعراق من أعضاء الجسديات السرية وبعضهم من الضباط الذين وقعوا في أسر البريطانيين في الشهور الأولى من الحرب في جنوب العراق ، يعلون بأطماع ومصالح بريطانيا وفرنسا في البلاد العربية وكانوا يخشون نتائج ثورة العرب على الترك سواء كسب هؤلاء الحرب أم خسروها ، وقد انزعجوا عندما علموا بمفاوضات الشريف مع البريطانيين بسبب الغموض في العهود وتفسيرهم لها بما يطابق أهدافهم ، وحذره ، واسكنه لم يعبأ بهذه التحذيرات مؤمناً بشرف بريطانيا وصدق وعهد<sup>(٢)</sup> .

ويقال أنه عندما سئل رشيد رضا عن رأيه في اتفاق الشريف مع بريطانيا قال إن هذا الاتفاق لا يرضى به إلا أعدو للعرب ، وقد بلغ الخلاف بينه وبين الشريف حداً جعل الشريف يأمر بعدم دخول المنار إلى الحجاز<sup>(٣)</sup> .

#### الاتفاق الأنجليزى العربى كما فهمه الشريف :

ورغم علم بعض العرب بالاتفاق بين الشريف وبريطانيا فإن أحداً لم يكن يعلم بطبيعة ماتضمنه هذا الاتفاق من وعود . ففي أثناء زيارة فيصل للندن

Yele's Rep, no. 2, p. 16

(١)

Zeine : Struggle for Arab Independence' p 212,

(٢)

أمين سميد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣) د . إبراهيم أحمد المدوى : رشيد رضا - الإمام المجاهد (أعلام العرب

٢٢ - ١٩٦٤) ص ٢٤٥ .

في خريف ١٩١٩ أثير موضوع وجود اتفاق محدد بين والده وبين بريطانيا وذلك في الاجتماع الذي عقد بين فيصل وممثلي بريطانيا وعلى رأسهم رئيس وزرائها في ١٠ داوتنج ستريت في التاسع عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ ، حين ذكر فيصل أن معاهدة وقعت بين والده وبين بريطانيا وأن والده لم يطلع عليها أحداً ، ولكن فيصل وعد بتقديم صورة منها ولسكر المسؤولين البريطانيين أنكروا وجود هذه المعاهدة ، وذكروا أن كل ما يعلمون به هو أن الشريف حسين بعث بمطالبة إلى سير هنري مكماهون الذي بعث بالرد في الرابع والعشرين من أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٥ ، ثم عاد ملك الحجاز فكرر مطالبه وأكز الحكومة البريطانية وجدت أنه لا مبرر للرد عليها (١).

وكانت جريدة ( القبلة ) لسان الملك حسين قد نشرت في العدد الصادر في ٨ جمادى الأول ١٣٣٨ ( فبراير - شاط ١٩٢٠ ) حديثاً الملك حسين أعلن فيه أن لديه معاهدات تقضى باستقلال البلاد العربية جميعها وسينشرها عند الحاجة ، وعلى أثر ذلك قال يوسف حيدر وهو أحد أصحاب جريدة المفيد الديمقراطية الأمير فيصل وسأله عن ماهية هذه المعاهدات ، فرد الأمير بأنه لم يرها ، وأنه طلب من والده مراراً أن يجعلها سلاحاً له إذا كانت موجودة ، وأنه لا يدرى سبب عدم إرسالها إليه واكتفاء والده بإرسال صورة اتفاقية يقول إنها نسخة من تلك المعاهدة ، وقال فيصل صاحب المفيد صورة الاتفاقية وأذن له بنشرها ، وقد كتب على رأسها بخط الحسين نفسه

---

(١) Woodward and Butler : Documents, I, IV, pp. 395 — 9

Letter from sir M. Hankey to sir Crowe, Paris, Sept. 19, 1919  
enclosure : Notes of a meeting held at 10 Downing st, on Sept., 19, 1919.

ما نصه : « صورة ما تقرر مع بريطانيا بشأن النهضة . وفي هذه الاتفاقية نص على أن تتعهد بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة داخليا وخارجيا ، وتكون حدودها ببحر فارس وبحر القلزم والحدود المصرية والبحر المتوسط وولاية حلب والموصل إلى نهر الفرات من مجتمعه مع دجلة إلى مصبهما في بحر فارس ما عدا مستمرة عدن ، وأن بريطانيا تتعهد بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى مداخله ، على أن تكون البصرة تحت سيطرة بريطانيا حتى تتم للحكومة الجديدة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب بريطانيا مبلغ من النقود مقابل هذا الإشغال ... » .

كما نصت الاتفاقية على تعهد بريطانيا بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والنقود مدة الحرب ، كما تتعهد بقطع الخط عند مرسين أو غيرها لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها<sup>(١)</sup> .

وإذا نظرنا إلى هذه الاتفاقية في ضوء المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين وسير ( هنرى مكماهون ) فإنه يمكن القول بأن بنود هذه الاتفاقية تتفق مع ما كان يطالب به الشريف ، وإذا كانت الحكومة البريطانية لم تبث إليه برد قاطع يفيد قبولها لهذه المطالب ، فقد فهم الشريف أن عدم الرد بالمعارضة

---

(١) المصري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ٢٠ ( بغداد ١٩٢٥ ) ص ٣١٤-٣١٧ .  
أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، صحيفة الكوكب العدد ١٨٥ في ٢٤ فبراير شباط ( ١٩٢٠ ) ص ٣ - ٥ .  
في عددها الصادر في ١٥ فبراير ( شباط ) ١٩٢٥ بعنوان « حديث سياسى مع سمو الأمير فيصل - وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن » .

Woodward and Butler : *Opv. Cit.* pp. 418-9 : Translation of Arabic excerpts sent from King Hussein to Emir Feisal from Allied Treaty between H. M's Gov. and Himself. Ibid Vol. XII : Appendix A to no. 342 .

يفيد الموافقة ، وقد كان الشريف في هذا مغرماً في آماله وفي ثقته ببريطانيا  
ففي اجتماع بين الأمير فيصل ومندوبى الحكومة البريطانية في ٢٣ سبتمبر  
(أيلول) ١٩١٩ قرىء تقرير كتبه مكاهون عن المعاهدة المزعومة بأنها تتفق  
مع ملحق أرسل من الملك حسين إلى المندوب السامى البريطانى في أغسطس  
(آب) عام ١٩١٨ وكان هذا الملحق يتضمن ما خرج به الملك حسين من  
الاتفاقيات التى عقدت بينه وبين الحكومة البريطانية، وأن المندوب السامى  
البريطانى — عندما تسلم رسالة الشريف المذكورة — أحالها على الحكومة  
البريطانية التى لم ترداعيا للرد على الشريف على أساس :

(١) أن الاتفاقية التى ذكرها الشريف كانت غير مطابقة لما حدث

(ب) أن البيان الانجليزى الفرنسى الصادر في ٧ نوفمبر (تشرين ثان)  
١٩١٨ أى بعد تلقى رسالة الشريف كان يعتبر رداً حقيقياً وكافياً على ما ورد  
في الاتفاقية المزعومة (١) .

وهكذا اتخذ الملك حسين من صمت بريطانيا على مذكرته دليلاً على  
موافقتها على فهمه لما تم عليه الاتفاق بينهما ، ولا شك أن الحكومة البريطانية  
تبدو نواياها غير الطيبة بتعمد عدم الرد ، وكان يجدر بها — إذا كانت تعتقد  
أن الاتفاقية التى ذكرها الشريف غير مطابقة لما حدث — أن تسرع لمصارحته  
بعدم موافقتها على تفسيره للاتفاق بينه وبينها ، هذا لم يكن فى ليتهما خداع  
العرب .

---

(٢) Woodward & Butler ; Documents, I IV. pp. 413 — 18

Notes of a Meeting held at 10 Downing st. on Sept. 23, 1919 .

وإن الخطاب الذي بعث به الملك حسين إلى المندوب السامي البريطاني في ٢٩ أغسطس (آب) ١٩١٨ (٢١ من ذى القعدة ١٣٣٦ هـ) مرفقاً به صورة الاتفاق كما رآه الملك حسين ، ليبدل على خيبة أمل الملك حسين بعد أن اتضحت نوايا بريطانيا الحقيقية ، وأن صمتها عن الرد لم يكن ليفيد الموافقة على هذا الاتفاق كما تخيل هو .

فقد ذكر الملك حسين أنه بما طلب من المواد التي تعهدت بها الحكومة البريطانية لم يكن يرغب في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة ليستأثر بحكمها أو حرصاً على رئاستها ولكن عندما دعت بريطانيا إلى مادتني إليه وعلت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسعى إلا الإجابة وطلب أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي إلى ما يأتي : -

١ - محافظة الكيان الإسلامي بالنظر لما حل وسيحل بتركيا .

٢ - صيانة المنظمة البريطانية من الاستهداف مما سترمى به هكس مقاصدها .

٣ - سلامتي من الاتهام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهضة .

وذكر الملك حسين أنه في محادثاته مع ( ستورز ) في جدة ثم مع (مارك سايكس ) ثم مع ( هوجارت ) لم يجد ما يخالف تلك القرارات .

ثم أشار إلى أن هدم الحصول على ما كان يؤمل من نتائج يحتم عليه الانسحاب من الأمر والتنازل عنه ، لاعتقادي أن تعديل مقرراتنا المذكورة إلى جانب إخلاله بالغايات المقصودة يسقطني من ثقة واعتقاد بلادى وأقوامى حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي أعلنتها لهم وصرحت بها طوال هذه المدة وأسست عليها الأعمال ، وطلب الملك حسين تعيين البلاد التي



تستحسن بريطانيا إقامته فيها للسفر إليها في أول فرصة ، ولو أنه كان يرى  
أن مشاكل الحرب تقتضى بتأجيل السفر إلى ختامها ، « أما عطف الأمر  
وتعاقبه بمؤتمر الصلح فالجواب أنه لا علاقة لنا به (١) » .

---

(١) العمري : تاريخ مقدرات المراق الساسية ج ٢ ص ٣١٥ .  
حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ( ١٩٣٥ ) ٣٦٤ - ٣٦٦  
ملاحق الكتاب .

Woodward & Butler : Documents ... 1, XIII Appendix A to  
no 342 : English Translation of a letter from king Hussein to  
sir R. Wingate, H. M High, commissioner, Cairo.

جريدة القبلة ( مكة ) العدد ٢٩١ بتاريخ ٢٣ رمضان ١٣٣٨ هـ ( ١٥ يوليو -  
جنبراني ١٩٢٠ ) .

## الفصل الثاني عشر

### الثورة العربية في الحجاز

#### القطيعة بين الشريف والترك

انتهى تبادل المراسلات بين الشريف حسين وسير هنري مسكاهون منذ أوائل عام ١٩١٦ ، وبدأ أن الشريف قد استقر رأيه نهائياً على الانحياز إلى جانب بريطانيا ، قائماً بالوعد المبتسرة الغامضة التي أقيمت إليه ، ومع ذلك فإن القطيعة لم تقع بينه وبين السلطات العثمانية إذ استمرت العلاقات قائمة بين الطرفين ، بل وبذلك جهود من أجل الوصول إلى تفاهم بينهما ، ولعل الشريف كان يستعد لإشعال نار الثورة محيطاً استعداداته بالحذر ، حيث أن شكوك الترك حول نواياه وث موقفه كانت آخذة في الازدياد خصوصاً بعد بماطلته في الانضمام إلى الجهاد ، هذا إلى جانب قوة مركز الترك بعد انسحاب الحلفاء إثر فشل حملتهم على شبه جزيرة غالابولي ، وازدياد أمل الترك في دحر الهجوم البريطاني على جنوب العراق وقد بلغ من ازدياد قوة الترك وشعورهم بالثقة نتيجة هذه الانتصارات أن فكروا في محاربة ثانية لغزو مصر بعد فشل محاولتهم الأولى عام ١٩١٥ ، وقد وضع خطط حملة الترك الثانية منذ فبراير ( شباط ) ١٩١٦ وإن كان قد تأخر تنفيذها إلى الصيف لتأخر وصول الإمدادات الألمانية النفوسية ، وما كان يكتنف الحملة من صعوبات في النقل بالسكك الحديدية<sup>(١)</sup> . ولقد طلب جمال باشا من أمير مكة باسم حكومة الأستانة تأليف كتاب من المتطوعة الحجازيين للاشتراك في

الحملة على مصر ، وقد وافق الشريف وطلب أسلحة فأمدّه جمال باشا بعشرين ألف بندقية وعشرين ألف ليرة ذهبية وتقرر تعيين الأمير علي قائدًا على المتطوعة الحجازيين (١) .

ومن أجل إزالة شكوك الترك بعث الشريف حسين في يناير ( كانون ثان ) ١٩١٦ ، بابنه الأمير فيصل إلى دمشق ومعه خمسون فارساً من أتباعه ادعى أنهم طلائع القوة التي طلب من الشريف تمهيدها من الحجاز ، وقد أقيمت الاحتفالات للترحيب بهذه الطلائع ، ونزل الأمير فيصل في ضيافة آل البكرى في قابون بما أتاح له فرصة معاودة الاتصال برجالات العرب لدراسة الاستعدادات للثورة (٢) .

ولعل الشريف حسين من ناحية أخرى كان لا يزال يأمل في الوصول إلى تسوية لمشكلته مع حكومة الاستانة باستجابتها إلى مطالبه الخاصة بشرافة مكة ، ولذلك نراه في مارس ( آذار ) ١٩١٦ يبعث إلى أنور باشا برفقة يعبر فيها عن اعتقاده بأن انتصار الدولة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ، وأن إرضاء هؤلاء يتوقف على مداراة جروحهم الذاتية عن اتهام عدد من أبنائهم بتهمة سياسية ، ولذلك طالب الشريف بإعلان العفو التام عن عن المتهمين السياسيين ومنح الشام نظاماً لامركزياً ، وجعل إمارة مكة وراثية في أولادى وإبقائها على حالتها الحاضرة . وعلق الشريف على قبول مطالبه هذه حشد القائل العربية في ميدان العراق وفلسطين ، وإذا لم تقبل فأرجوكم ألا تلتظروا من شيئاً سوى الابتهال للحق جل وعلا أن يهب للدولة النصر والتوفيق (٣) .

(١) فايز العيصين : مذكريات عن الثورة العربية ( ١٩٥٦ ) ص ٢٠٦ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١١٠ .

(٣) أليس مايم : الماشميون والثورة العربية ص ٧٢ .

وقد رد أنور باشا على رقية الشريف فأبلغه برفض العفو عن المتهمين ،  
وأن أمور الحجاز ستظل على ما كانت عليه ، وألح أنور باشا من أجل  
إرسال المجاهدين .

ويذكر جمال أن الشريف أبلغ بأن الوقت غير مناسب لبحث مطلب  
الإمارة الوراثية . بسبب تركيز الاهتمام على كسب الحرب ، ووجوب تكريس  
كل الجهود لتحقيق هذا الهدف ، وألح جمال إلى أن الحكومة العثمانية إذا  
ما اضطرت لمنح الشريف ما يريد من أجل إسكاته في أثناء الحرب ، فإن  
تكون بعد انتصارها عاجزة عن إزال أنسى عقاب به لموقفه منها في أخرج  
الأوقات (١) .

وقد حدد هذا التبليغ العثماني موقف شريف نهائياً وهو إشعال الثورة  
على الأتراك والانضمام إلى بريطانيا .

وقد أدى ذلك إلى أنه أخذ يسوف في تلبية طلبات الأتراك وكان أهمها  
إعلان الجهاد صراحة ، وأخذ يستعد للثورة .

ولما كانت هذه الاستعدادات لا بد وأن تجري تحت سمع الترك وبصرهم فقد  
حاول أن يبعد شكوكهم قدر المستطاع خصوصاً وأن الأمير فيصل كان بين  
أيديهم وفي استطاعتهم الانتقام منه ، فتذرع الشريف حسين بأن القوات التي  
يجري تجهيدها وحملها إنما هي لتلبية طلب جمال باشا . وفي الوقت نفسه بعث  
الشريف بابنه الأمير على مرافقة الوالي التركي بالمدينة ولـكسب زعماء القبائل  
إلى جانبه إلى أن يصين موعد الثورة (٢) .

---

Diemal Pasha : Memories of a Turkish Statesman, (١)

(N. D.), pp. 215-217.

Antonijs : Ouv. Cit. pp. 184-5

(٣)

وعندما وصل الأمير فيصل إلى دمشق في يناير (كانون ثان) ١٩١٦ وجد أن الأحوال فيها قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه في أثناء زيارته الأولى عام ١٩١٥ ، وقد كان فيصل ينوى - في زيارته الثانية - إثارة الفرق العربية في الجيش العثماني في الشام ، بل وإثارة الشعب نفسه وذلك عندما يعطى والده الإشارة بذلك ، إلا أن الأمير فيصل تلفت حوله ليجد أن الفرق العربية في الشام قد نقلت ، وبها معظم أصدقائه ممن تعرف بهم من جماعة العهد وحلت محلها فرق تركية ، كما نفى كثير من المدنيين إلى أماكن نائية في الأناضول وازدادت المخاوف نتيجة إرهاب جمال باشا وسياسته شديدة الوطأة خصوصاً بعد تقديم المجموعة الثانية من الوطنيين السوريين إلى المحاكمة أمام المجلس العرفي في عالية وتنفيذ حكم الإعدام في واحد وعشرين منهم في السادس من مايو (آيار) ١٩١٦ ، ولم تجد محاولات الشريف حسين للتوسط لدى جمال باشا أو المسؤولين في عاصمة الدولة .

وعلى الرغم من أن الشريف حسين لم يحرك ساكناً حين أقدم جمال باشا على إعدام الرعيل الأول من الوطنيين العرب في الشام فقد أراد أن ينتهز فرصة الغضب والسخط اللذين اجتاحا البلاد نتيجة بطش جمال بالوطنيين ليقوم بالثورة وبذلك يضمن وقوف السوريين وراءه وهم في أوج سخطهم على الترك ، خصوصاً وقد فشلت مساعيه الحصول على ما يريد من الحكومة العثمانية ، بل وعلم بأن خطة أهدت لخلمه من الإمارة وعهدت بها الحكومة العثمانية إلى قائده قواتها في شبه الجزيرة وهيب باشا لتنفيذها ، إذ سقطت محفلة بها أوراقه في أيدي بعض أعوان الحسين إو في نفس الوقت كان البريطانيون يغدقون عليه الوعود والمعونة المادية والمالية<sup>(١)</sup> هذا إلى جانب حصار بريطانيا

---

(١) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ص ٧٢

Main, Iraq (193) p. 64.

البحري لسواحل الحجاز الذي أدى إلى المجاعة والسخط حتى بين المترودين في الورة على الترك .

ولذلك فإنه عندما وصلت أنباء إعدام المجموعة الثانية من الزعماء العرب إلى الشريف حسين دفعته إلى العمل بسرعة ، ثم ظهر في الآفاق الحربى هامل أدى إلى سرعة تحرك الشريف ، إذ أهله جمال باشا في الأسبوع الأول من ابريل (نيسان) ١٩١٦ أن قوة تركية تزيد على ثلاثة آلاف رجل على وشك الرحيل عبر الحجاز في طريقها إلى اليمن ، وكانت هذه القوة تحت قيادة خيرى بك وتتألف من قوات مسلحة تسليحاً خافياً ومهمنها معارضة البعثة الألمانية التي كان يقودها القائد الألماني . "توتزنجن" ، ولم يكن الشريف حسين مطمئناً لتدعيم القوات التركية في شبه الجزيرة العربية ، لأن هذا من شأنه أن يقلل فرص النجاح أمام الثورة ، كما أن بريطانيا ما كانت اترضى بتدعيم القوات التركية في اليمن فيزداد بذلك التهديد لمركزها في عدن كما يزداد التهديد لمركز الشريف في مكة (١) .

ومن بين الاستعدادات التي قام بها الشريف حسين اتصاله بالقبائل وكسب ثقة زعمائها لضمان تعاونهم معه ، ولذلك فقد كان يطلب من السلطات البريطانية إمداده بما يلزمه من بنادق وأموال ومؤن وإرسالها من بورسودان إلى شاطئ الحجاز عندما يطلب ذلك .

وكانت خطة الشريف حسين تقوم على أساس إشغال فاع الثورة في الحجاز وفي الشام في وقت واحد ، كما كان في نفس الوقت يلجأ على المسئولين البريطانيين من أجل إنزال قوات على ساحل الشام لقطع خطوط مواصلات الترك مع الأناضول ومناجرتهم في المؤخرة (٢) .

---

(١) Cyril Falls : Military Operations , Vol. II (1930) p. 230

(٢) Storrs : Orientations p. 182

ولم تكن فكرة إزال قوات على الساحل السوري جديدة ، فقد سبق أن  
نوقشت في أوساط الحلفاء فكرة إزال قوات في الإسكندرونة منذ أواخر عام  
١٩١٤ ، ثم نوقشت مرة أخرى عام ١٩١٥ عندما وصل ككتشنر إلى شرق البحر  
المتوسط لدراسة مسألة إخلاء شبه جزيرة غاليبولي بعد الفشل الذي منيت به  
قوات الحلفاء بها .

وعلى الرغم من تأييد ككتشنر وكثير من المهكرين في مصر لإزال حملة  
على ساحل الشام وإعلانهم أنها ممكنة التنفيذ ، وأن تنفيذها سيؤدي إلى انهيار  
الترك وقطع المواصلات بين الأناضول من جهة والشام والعراق والحجاز من  
جهة أخرى ، فإن الاقتراح لقي معارضة لأسباب عسكرية وأخرى سياسية ،  
حيث كان من الصعب الاستغناء عن قوات يمكن تخصيصها لهذه العملية ، كما  
كانت فرنسا وراء الأسباب السياسية لأنها كانت تخشى إذا احتلت الشام قوات  
غير فرنسية أن تضع آمالها في الاستحواذ عليها بعد الحرب .

وإذا عزم الشريف حسين القيام بالثورة استدعى الأمير فيصل من الشام  
فغادر دمشق في السادس عشر من مايو ( آيار ) ١٩١٦ في طريقه إلى المدينة  
حيث انضم إلى أخيه الأمير هلى ، وبناء على تعليمات والدما واتصالهما برجال  
القبائل قررا أن تكون الثورة في المدينة في الخامس من يونيو  
( حزيران ) ١٩١٦ .

ويذكر جمال باشا في مذكراته أنه في الثاني من يونيو ( حزيران ) ١٩١٦  
وبينما كان في بيروت اتصل به فخرى باشا نليقونيا وأبلغه أن المرقف في الحجاز  
قد تغير ، إذ سلمه أحد رجال الشريف ثلاث رسائل ، إحداها له والثانية إلى  
جمال باشا والثالثة إلى الصدر الأعظم ، وجاء في الرسالة الموجهة إلى فخرى باشا  
أنه بناء على الأوامر الصادرة من الشريف سيقف نقى المتطوعين إلى فلسطين .

وذكر الشريف في رسالته إلى جمال باشا أنه يعتذر عن عدم استطاعته الاشتراك في حملة القناه قبل أن تجاب المطالب التي ذكرها في برقيته إلى أنور باشا ، وفي رسالته إلى الصدر الأعظم ذكر الشريف أنه إزاء الالهجة الشديدة التي استخدمها أنور باشا في برقيته فإنه مضطرا لقطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي قدمها إلى أنور باشا قبل شهرين (١) .

### الثورة :

وعند شروق صباح الخامس من يونيو ( حزيران ) توجه الأميران هلي وفيصل إلى المعسكر الذي كانت تنجمع فيه قوة تبلغ نحو الألف وخمسمائة من المجندين وأعلموا استقلال العرب عن الحكم التركي . واعتبر هذا الإعلان بداية الثورة العربية (٢) . أما في مكة فقد بدأت الثورة في يوم السبت ١٠ يونيو ، ففي هذا اليوم هوجمت ثكنات ومرکز الحاميات العثمانية في مواقع متعددة في وقت واحد واسعة . امت بعض المواقع التركية ، ولكن ثكنات ( جباد ) - خارج مكة - قامت بضعة أسابيع نظراً لأنها كانت مزودة بالمدافع .

وبمجرد قيام الثورة عهد إلى ونجحت بهمة تويلها وأصبح يلقب بلقب ( القائد العام للممليات العسكرية في الحجاز ) وقد لعب ونجحت في الثورة العربية دوراً كبيراً ، فقد صار المسئول عن النواحي الاستراتيجية ، وكذلك عن إمداد الثورة بما تحتاج إليه كما صار مسئولاً كذلك عن النواحي السياسية (٣) . وكان اختيار ونجحت يرجع إلى علاقائه الشخصية بالشريف ، كما أن بور سودان - قاعدة الأسطول البريطاني في البحر الأحمر - كانت تواجه جدة ، وكان مضبوط

---

Djemeal pacha : Ouv. Cit. p. 225.

(١)

Antonius : Ouv. Cit. pp. 194-5.

(٢)

Wingate : Wingate of the Sudan, d. 175.

(٣)



ونجحت ملين إلاما تاما بطروف الحجاز ، وإلى جانب ذلك فقد كان ونجحت قائدا عاما للجيش المصرى الذى كان مقدراً له أن يكون مصدر الرجال المدربين لمعاونة ثورة فى الحجاز .

وقد صادفت ونجحت بعض الصعوبات والمشاكل، منها مشكلة مداد الثورة بما تحتاج إليه من رجال وسلاح وموئ وأموال ، خصوصاً وإما كانت تمتدح إلى السلاح والرجال المدربين والأغذية، كما كان المال ضرورياً لكسب ولاء ومعاونة القبائل التى ما كانت لتخاطر بحياتها إلا بعد كسبها المال ، حيث لا فسكره الحرية والاستقلال التى كانت تجول فى خاطر الشريف لم تسك قد تمكنت من قوب رجال القبائل (١) .

كما أحسن ونجحت بضخامة المسئولية . لمة على عاتقه ، ظراً لأن هدف الثورة - فى نظره - كان مقصوداً على تحرير الأما كن المقدسة من سيطر، الترك وضمان الحج لاسلمين ، وفى نفس الوقت كان واجه الأمال أمرينة الى كانت تجيش فى صدر الشريف وتهدف إلى إقامة دولة عربية يتولى عرشها .

وكان ونجحت غير مرتاح لبقاء الأمور السياسية المتصلة بالثورة العربية فى يد المندوب السامى البريطانى فى مصر وكان ونجحت يرى فى هذا تمارضاً بين الدوائر التى تتعامل مع شريف مكة والثورة العربية ولذلك كان ونجحت يرى ضرورة تركيز السلطات التى تتعامل مع الثورة والشريف عسكرياً وسياسياً فى يد واحدة ، وعلى الرغم من أن الجنرال سير وليم روبرتسون كان يؤيد هذا الرأى ويرى أنه أكثر فائدة إلا أن المسئولين البريطانيين لم يعبذوا لإجراء تغيير فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فى نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٦

حلست هذه المشكلة وذلك عندما عين ونجت مندوباً سامياً بريطانياً في القاهرة وبذلك أمكن جمع الجهود المتعاملة مع الشريف سياسياً وعسكرياً في يد الجنرال ونجت (١).

ومن المسائل التي شغلت ونجت موضوع إرسال مساعدات - مهما كانت ضئيلة - من الجنود المدربين والأسلحة إلى الحجاز عبر البحر الأحمر ، حتى يتمكن العرب من مواجهة القوات التركية النظامية المدربة والمحصنة في قلاع مكة والمدينة وغيرهما خاصة وأن خط سكة حديد الحجاز إلى المدينة كان مفتوحاً وكان ونجت يعتقد أن قبائل الحجاز أضعف من أن تقوم بحرب عصابات ضد القوات النظامية التركية المحصنة وراء استحكاماتها وأنه لذلك لابد من تقديم العون الكافي لها حتى يمكن تحرير الأراضي المقدسة وضمان سلامة الحج ، (٢).

إلا أنه مع ذلك استطاع عرب الحجاز - قبل وصول أية معونة لهم - أن يستولوا على مكة وجدة ويحاصروا الترك في المدينة ولو أنه يمكن القول إنه كان لعنصر المفاجأة أثره في إحراز هذه الانتصارات الأولى في الحجاز .

ومن أجل تقديم العون إلى ثورة الحجاز كان ونجت يأمل أن يتمكن من استخدام قوات بريطانية إلا أن المسئولين البريطانيين في القاهرة كانوا يخشون أن يؤدي استخدام جنود مسيحيين في الحجاز أن يستغل الترك هذا العمل في الدعاية ضد الشريف ، ولما ظل عربى واحد على ولائه له (٣) ، وعلى ذلك صار لا مفر من الاقتصار على الجيش المصرى ، وحتى الجنود المصريون

Ibid. p. 187

(١)

Ibid. p. 189

(٢)

Lawrence : Oriental Assembly ( 1939 ) p. 107

(٣)

تقرر أن يرتدوا الملابس العربية ، هذا في المراحل الأولى من الثورة ، وبعد ذلك انضم إلى القوات في الحجاز بعض الجنود المسلمين وبعض ضباط الاتصال البريطانيين ، وقد اختار ونجت عدداً من الرجال الذين لم يفهم الكفاءة والإخلاص وذلك لمساعدته ، سواء من المكتب العربي بالقاهرة أو من القاعدة العسكرية في بورسودان ، حيث السكرلونيل ولسن Wilson هو حاكم مديرية البحر الأحمر ومقره بورسودان، وقد انتقل ولسن إلى جدة في السابع والعشرين من يونيو (حزيران) ١٩١٦ نصحه قوة بسيطة من ثلاثمائة وعشرين رجلاً وبعض المدافع والبنادق بقيادة اللواء المصري الشهيد بك علي .

وفي المكتب العربي اختار ونجت - إلى جانب كلايتون وهوجارث ولورنس - اثنين من السودان هما كورنواليس Cornwallis وسيمس Symes كما اشترك في العمل بعض رجال الأسطول البريطاني في البحر الأحمر وخاصة الأميرال روسلين Rosslyn وفي النشاط البري كان يتعاون مع ونجت سير ارشبالد مري Murray الذي خلفه اللبني بعد ذلك .

#### النشاط الحربي للثورة العربية :

ويمكن تقسيم النشاط الحربي للثورة العربية إلى ثلاث مراحل : الأولى منذ قيام الثورة في الخامس من يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ حتى سقوط الوجه في الخامس والعشرين من يناير ( كانون ثان ) ١٩١٧ ، والثانية من سقوط الوجه حتى سقوط العقبة في السادس من يوليو ( تموز ) ١٩١٧ ، والثالثة وتنتهي بإخراج الترك من الشام .

### المرحلة الأولى :

وفي هذه المرحلة رأينا كيف هوجمت مكة ورغم استسلام بعض المراكز حولها فقد قاومت بعض المراكز الأخرى مثل جـ ول وجياد إلى أن وصلت بعض المدافع من السودان فسقطت هذه المراكز وتلتها مكة ذاتها إذ استسلمت حاميتها في ٩ يوليو ( تموز ) ١٦ ١ واستحوذ العرب على كمية كبيرة من الأسلحة والعتاد<sup>(١)</sup>

كما هوجمت جدة منذ بداية الثورة ، وفشلت محاولة اقتحامها لحاصرها العرب ، كما قصفتها بعض السفـة البريطانية من البحر الأحمر ، ولما أيقن قائد حاميتها من عدم احتمال وصول نجدات له من مكة استسلم في السادس عشر من يونيو ( حزيران ) .

واتجه الأمير عبد الله إلى الطائف وحاصرها حتى سقطت في ٢٢-بتمبر ( أيلول ) وكان فيها الوالي التركي غالب باشا وكثير من القوات لأنها كانت المقر السابق لوالي الحجاز ، كما اتجهت قوة أخرى ونجحت في الاستيلاء على رابغ وبلدع وهكذا أثبتت الثورة وجودها وأصبح في قبضتها نحو ستة آلاف أسير ، كما غنمت الكثير من معدات الحرب ، ووقعت في قبضتها مدن الحجاز الرئيسية باستثناء المدينة المنورة التي كان يقوم على حصارها الأمير علي واشترك معه في البداية الأمير فيصل ، ومما ساعد المدينة على المقاومة تلك القوة التي جاءت مؤخراً بقيادة خيرى بك<sup>(٢)</sup> .

---

Antoniüs : Ouv. Cit. pp, 193-9 : Graves ( edi, ) (١)

Memoirs of King Abdullah ( 1950 ), p. 143

Graves ; Ouv. Cit. pp. 143 - 144 (٢)

ثم اتخذ فيصل طريقه بعد ذلك نحو الوجه ليجعل منها قاعدة لعملياته صوب الشمال وقد سقطت في الخامس والعشرين من يناير (كانون ثان) ١٩١٧ وكان نفري باشا يخرج من المدينة مهاجماً ، وله يستطيع الوصول إلى مكة مما اضطر العرب إلى التقهقر وكان من المحتمل أن يفقدوا رابع فتصبح مكة ذاتها في خطر ، ولذلك فقد طلب الشريف حسين — عن طريق مندوبه في القاهرة محمد شريف الفاروقى — بعض الإمدادات ، كما طلب لإنزال بعض القوات في رابع لتسد الطريق المؤدى إلى مكة في وجه أى هجوم تركى ، ولسكن الفاروقى بعث إليه في ١٩ ذى القعدة ١٣٣٤ هـ بأن نائب الملك في مصر أفهمه بأنه ليس فى إسكان الحكومة البريطانية إرسال جنود إلى الحجاز لأسباب مختلفة أهمها الخوف من اتهام العالم الإسلامى له بالاعداء على حرمة الأماكن المقدسة ، واعتقاداً من المسؤولين البريطانيين بأن قوة الترك ليست بالقدر الذى يخشى منه ، ووعد الفاروقى بإرسال الأسلحة والمعدات<sup>(١)</sup>.

ويذكر ونجت أنه عند ما تخرجت الحالة وأصبح الترك فى المدينة يهددون رابع وبالتالي مكة ، حاول أن يحصل على معونة القوات البريطانية فى السويس بإرساله إلى رابع ، ولسكن ضرورات حملة سيناء ، والشك فى حكمة استخدام قوات مسيحية فى الحجاز جعل المسؤولين البريطانيين يصرفون النظر عن الفكرة ، ومع ذلك أرسلت — كما يقول ونجت — بعض الطائرات إلى رابع فى بداية نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٦ ، ثم سحبت بعد قليل<sup>(٢)</sup> بحجة إنشغالها فى معارك

---

(١) السرى : تاريخ مقدمات المراكب الصليبية ج ١ ص ٢٩٦ ( رسالة الفاروقى رقم

٥٥ إلى الشريف ) .

Wingate : Ouv. Cit, p, 191: Orientations, 203

(٢)

سيناء وعدم إمكان الاستغناء عنها<sup>(١)</sup> .

وأخذ الشريف حسين يلح في طالب الإمدادات وبأنه لا طاقة للطائرات التي كانت قد أرسلت إلى رابع بينا القوات التركية تهدد الأمير فيصل وقوته . كما صلب الشريف في الوقت نفسه أن تعبر القوة الجزائرية التي قبل أنها سوف ترسل لمساعدته كأها قوة بريطانية محضة<sup>(٢)</sup> ( وليست فرنسية ) وهو بذلك يريد أن يقصر المعونة التي يتلقاها على بريطانيا ولا يريد فرنسا أن تكون صاحبة فضل عليه ولعله بذلك يريد ألا يكون مديناً لفرنسا .

وكان من جراء محاكمة السلطات البريطانية في إمداد الشريف أن أشيع أن سوء تفاهم وقع بينه وبينها ، وقد تأكدت هذه الشائعة من المكاتبات بين الشريف والفاروقى ، إذ يذكر هذا في برقية له بتاريخ أول محرم ١٣٣٥ هـ أن المعتمد البريطاني يعتقد أن ضجر الشريف يرجع إلى عدم إرسال قوة إلى رابع واسترجاع الطائرات ، ونفى المعتمد البريطاني فكرة عدم الرغبة في مساعدة الشريف وإنما تعلق بضرورة إيجاد نوع من التوازن بين القوات التي تدافع عن بلادها وتلك التي تساق إلى أماكن أخرى ، أى أن المعتمد البريطاني لم يكن يحبذ سحب قوات من بلادها التي تحتاج إليها لتدافع عن ميادين أخرى ، كما أضاف أن المعتمد البريطاني يحشى الرأي العام الإسلامى ، وأنه أحال طلبات الشريف إلى المسئولين في لندن<sup>(٣)</sup> وقد بلغ من ضيق

---

(٣) العمري : المرجع نفسه ج ١ ص ٢٩٣ ( رسالة الفاروق رقم ٢٥ بتاريخ ٨ هـ ١٣٣٤ ) .

(١) العمري : المرجع نفسه ج ١ ص ٢٩٦/٢٩٧ ( رسالة من الشريف إلى نائب الملك في مصر في ٢٢ ذى الحجة ١٣٣٤ هـ ) ، أمين سميد ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢) العمري ج ١ ص ٢٩٨/٢٩٩ ( رسالة الفاروق له أول محرم ١٣٣٥ هـ ) .

الشريف أن قرر إبعاد نجله الأمير عبد الله لمباحثة المعتمد البريطاني في القاهرة<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن ونجت كان يقدر أهمية استخدام السكتينة الانجليزية في السويس لإبقاء رابغ في يد العرب وضمان سد الطريق بين المدينة ومكة في وجه تقدم الترك ، ومن أجل زيادة الثقة بين زعماء القبائل العربية فإنه كان يسمى لايجاد قاعدة لهجوم عربي في شمال الحجاز ، إذ أن ونجت أخذ يمد بصره شمالاً إلى يدع وإلى العقبة لكي تكون قاعدة للاغارة على مواصلات الترك وبذلك تقل فاعلية خط سكة حديد الحجاز في تقديم العون للقوات التركية في المدينة<sup>(٢)</sup> .

ولما لم يسكن ثمة أمل في إرسال السكتينة الانجليزية فقد كان ونجت يرى تنفيذ هذه العملية بالاعتماد على قوات الشريف على أن تدعم ببعض القوات المصرية والهندية وبعض الضباط من السودان علاوة على البعثة الفرنسية بقيادة الكولونيل بريمون Bremond وكانت تضم ضباطاً مسلمين ويؤيد هؤلاء جميعاً الأسطول البريطاني والطائرات البريطانية على أن يكون الهدف احتلال الوجه أولاً ثم العقبة بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

وكان لورنس قد سافر إلى الحجاز في أوائل أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٦ عندما تخرجت الحالة ، وتدارس الموقف مع الزعماء العرب ، ثم ذهب إلى الخرطوم حيث تباحث مع ونجت ، ومنها اتجه إلى القاهرة حيث بحث فكرة إرسال لواء من جنود الحلفاء إلى الحجاز خاصة وأن الكولونيل بريمون رئيس

---

(١) المرجع السابق .

(٢)

(٣)

Wingate : Ouv. Cit. p 192

Ibid ,

البعثة الفرنسية إلى الحجاز كن باح من أجل إرسال قوة إنجليزية فرنسية إلى رابع المربطة فيها ولكن لورنس هارن هذا الرأي، وقدم تقريراً إلى القيادة البريطانية العليا ذكر فيه أن القبايل العربية قادرة على الدفاع عن الآكام بين المدينة ورابع إذا هي أمدت بالمداغ والنصائح ، ولكنها على العكس سوف تنفض إلى خيائها إذا علمت بنزول الأجانب في بلادها ، وذكر لورنس للمستولين البريطانيين في القاهرة أن بريمون يسعى وراء أهداف خاصة من وراء نزول قوات أجنبية (١) .

ولقد كان من رأى ( بريمون ) عدم تشجيع العرب على الاستيلاء على المدينة المنورة لأن ذلك سوف يقوى فكرة الوحدة العربية ويدعم مركز الثورة العربية مما يضر بمصالح الحلفاء (٢) . ولعل بريمون كان يهدف من وراء ذلك إلى جعل الثورة العربية تستغرق كل وقتها وجهدها في الحجاز فلا تمتد بصرها إلى خارجه وبذلك تصير مناطق ادعاءات فرنسا في مآمن من تفكير العرب . وعلى هذا تقرر إرسال أسلحة وأموال وضباط إلى القوات في رابع وتعين لورنس مستشاراً حربياً للأمير فيصل .

ومن ناحية أخرى كتب المعتمد البريطاني في ٩ يناير ( كانون ثان ) ١٩١٧ إلى الشريف حسين بأن يطلب إرسال جنود أوريين على مسئوليته فعاد الشريف وعدل عن طلبهم مكتفياً بالمساعدة المادية وكتب في هذا المعنى إلى المعتمد البريطاني محتفظاً لنفسه بحق طلبهم عند الضرورة (٣) .

ومع ذلك فقد كان لهذا الموقف من جانب المسئولين البريطانيين أثره

---

(١) أمين سعيد ج ١ ص ٢١٢

(٢) أمين سعيد ج ١ ص ٢١٤

(٣) المرجع نفسه .



في نفس الشريف، خاصة وأنهم لم يعيشوا إليه بالأسلحة الكافية التي يمكن أن تعينه في القتال ، فهم لم يقدموا له الأسلحة إلا بقدر وبعد إلحاح شديد في طلبها ، وكانت الأسلحة والمدافع التي ترسل إلى العرب من طراز قديم ، لم يذكر الفاروق أن الضباط العرب الذين كان في النية إرسالهم من مصر لتدعيم قوة الشريف في الحجاز عندما عاينوا المدافع المزمع إرسالها معهم إلى الحجاز وجدوا أنها قديمة ولا تصلح وأن بعض أجزائها ناقصة ، ورغم أن المسؤولين البريطانيين ذكروا أن هذه المدافع يستعملها الجيش البريطاني فقد أصر الضباط العرب على عدم صلاحيتها وقد حاول الفاروق إقناع الضباط العرب بالسفر إلى الحجاز بدون مدافع لضرورة وجودهم هناك على أن تلحق بهم مدافع حديثة ، ومع ذلك أصر بعضهم على رفض السفر<sup>(١)</sup> . ولقد اعترف لورنس نفسه في ( أعمدة الحكمة السبعة ) بأن الهدف من إرسال مدافع بريطانية إلى عرب الحجاز هو مجرد إحداث صوت ( فرقة ) تملأ رجال القبائل ثقة بنفسها وقوتها

#### سوء العلاقات بين الشريف وبريطانيا :

ومن الأمور التي ضايقته الشريف حادث قنفذة ذلك أن الإدريسي في عسير انتهر فرصة الثورة والحرب في الحجاز وأرسل قوة من رجاله احتلت قنفذة ، على شاطئ البحر الأحمر بين جدة وجيزان ، وذلك في العاشر من يوليو (تموز) ١٩١٦ ، ورفعت عليها راية الإدارة بعد أمر حاميها التركية ، وكانت تقف قبالة قنفذة في أثناء هذه العملية إحدى البوارج البريطانية مما جعل الشريف يعتقد أن العملية تمت بالاتفاق بين الإدريسي وبريطانيا ، ولم يكن الشريف ينظر بارتياح

---

(١) العمري ج ١ ص ٢٨٩ / ٢٩٠ ( رسالة الفاروق إلى الشريف في ٢ شوال ١٣٣٤ هـ )

مستعمل .

إلى اتساع إمارة الإدارة ويعتقد أن قنفذة حجازية ، فطلب من الفارقي في الثامن والعشرين من يوليو ( تموز ) أن يسعى لدى السلطات البريطانية حتى تسحب البارجة البريطانية. فرد عليه الفارقي في الثامن من أغسطس ( آب ) طالباً منه ألا يتأثر وأن الأحوال الحاضرة تستلزم الصمت ، ثم أبلغه بعد ذلك أن السلطات البريطانية ستطلب من الإدريسي إخلاء قنفذة<sup>(١)</sup> . بل لقد استاء الشريف عندما علم باتفاق بريطانيا مع الإدريسي وابن سعود واعتبر ذلك مخالفاً لا تنافها معه ، وتشكيل رقباء أمام شخصي وأمام أساس القصد العالي المعلوم لدى بريطانيا ،<sup>(٢)</sup> .

ومن الحوادث التي جعلت الشريف يستاء من حلفائه حادث المنشور ، ذلك أن الشريف أذاع منشوراً في الخامس والعشرين من شعبان ١٣٣٤ هـ ( يونيو - حزيران ، ١٩١٦ ) وجهه من مكة إلى العالم الإسلامي ، أورد فيه الأسباب التي دفعته إلى الثورة على الترك ، وأرسل الشريف هذا المنشور إلى مندوبه في مصر - الفاروق - لكي يقوم بملشره وإذاعته ، ولكن بعد مضي ثلاثة أسابيع ( أي في السادس عشر من رمضان ) رد الفاروق بأن المعتمد البريطاني احترض على ما ورد بالمنشور بخصوص ضرب الترك للكعبة على اعتبار أن هذه العبارة سوف تثير مسلمي الهند الذين سيعتبرون أن السب الذي أدى إلى ما حل بالكعبة هو ثورة الشريف على الترك ، واستمر تسويق البريطانيون ولم يذع المنشور إلا معدداً في الثلاثين من أغسطس ( آب ) ١٩١٦<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٩١ .

(٢) المبري : ج ٢ ص ١٠٠/١٠١ ( برقية من مكة بتاريخ ١٥ جمادى الثاني

١٣٣٥ ) .

(٣) المبري : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٥٦ .

وبما يافت النظر أن الشريف حسين ذكر في منشوره أنه كان متمسكا بالولاء للدولة العثمانية إلى أن تولى الاتحاديون الحكم ، وعزا نفوره منهم إلى أنهم حادوا عن الدين ، وسلبوا سلطة السلطان وأسرفوا في أموال الدولة ، وأضاعوا أجواء كثيرة من ممتلكاتها ، ثم محاولة تفريك شعوبها — وخاصة العرب — بالقوة . وخوضهم غمار الحرب الاوربية فأوردوا الدولة بذلك موارد التهلكة ، ثم أشار إلى أعمال الإرهاب التي ارتكبت في الشام وتخوفه من أن يحدث مثلها في الحجاز مما أدى إلى منع ورود الأقوات على الثغور الحجازية وكذا الحجاج ، وأنه بصفته مسئولاً عن إقامة ركن الحج كان لا بد من تدخله لمنع أسباب الهلاك . ثم ذكر أخيراً أن الاتحاديين عرضوا استقلال الدولة للخطر ، وأنه لا سبيل لتلافى ما استهدفت له الدولة إلا بالاستقلال<sup>(١)</sup> .

وهكذا اهتم الشريف حسين بأن يبرر للعالم الإسلام أن خروجه على الدولة العثمانية إنما هو في صالح الإسلام ، وكان هدفه من ذلك رغبته في تجنب إثارة شعور المسلمين ضد ثورته .

ولعل من أم المسائل الحساسة التي وقعت بين الشريف وحلفائه مسألة اللقب ذلك أنه في السادس من المحرم ١٣٣٥ هـ ( ٣٠ أكتوبر تشرين أول ، ١٩١٦ )<sup>(٢)</sup> اجتمع شيوخ قبائل ووجوه الحجاز وعلماؤه وبايعوا الحسين بن علي ملكاً على العرب ، وذلك بمناسبة العام الهجري الجديد ، وحضر الاجتماع ممثلو الحلفاء ، وعندما تكامل العدد وقف الشيخ إواد الخطيب مدير جريدة

(١) أمين سعيد : المرجع نفسه ج ١ ص ١٥٧/١٤٩ ، جريدة القبلة العدد ١١ من السنة الأولى الصادر في ٢٩ من ذي القعدة ١٣٣٤ هـ .

(٢) جريدة القبلة — مكة العدد ٥٢ في ٣ من المحرم ١٣٣٥ هـ .

صحيفة السكوكب القاهرة العدد ١٦ في ١٢ ديسمبر ١٩١٦ .

القبلة وألقى خطاباً أثنى فيه على الشريف وعرض طائفة من المكاتب ذكر  
أنها وردت من الشام معترفة بالحسين ملكاً على العرب ، فنهض الحاضرون  
ونادوا بالشريف ملكاً على العرب ، وفي اليوم التالي شكلت أول وزارة عربية  
برئاسة الأمير على ( رئيس الوكلاء ) وعين فيها الشيخ عبدالله سراج مفتي  
الأحناف في مكة قاضياً للقضاة ووكيلاً عن رئيس الوكلاء ، والأمير عبدالله  
بن الحسين وكيلاً للخارجية ، ونائباً عن أخيه الأمير فيصل وكيل الداخلية .  
وهيز على رئيساً لأركان الجند ووكيلاً لرئاسة الجند ، وآخرون بالمعارف  
والمنافع "عامة والأوقاف والمالية" (١) .

ثم أذاع الأمير عبدالله بصفته وكيل الخارجية بلاغاً أبلغ فيه وزارات  
خارجية الحلفاء والدول المحايدة بما تم من حيث مبايعة والده ملكاً على العرب ،  
وتشكيل الحكومة العربية الجديدة طالباً الاعتراف بها (٢) ، هذا على الرغم  
من أنه في لقاء بين ( ستورز ) والأمير عبدالله في السابع عشر من أكتوبر  
( تشرين أول ) ١٩١٦ عندما عبر الأمير عن اعتقاده بأن والده ليس أقل من  
ملك الجبل الأسود في أحقيته في حمل لقب الجلالة ، حاول ( ستورز ) أن  
يثنيه على أساس أن الملك نيقولا عندما أعلن نفسه ملكاً كان يسيطر على كل  
الجبل الأسود وهو أمر لم يتحقق بالنسبة للشريف ، إذ لا يزال الخطر  
يتهدده من رابغ والمدينة ، كما أن هذا الإعلان سيثير كثيراً من الشكوك والعداء  
من جانب إمام اليمن والإدريسي وابن سعود وآخرين (٣) .

وعلى الرغم من أن الملك حسين أبرق إلى الفاروق بهذا القرار إلا أن

---

(١) العمري : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٣١٦ .

(٢) العمري : نفس المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٠ .

السلطات البريطانية في مصر احتجرت البرقية عن الفاروقى إلى أن علم هذا بالنبا عن طريق غير رسمى ، وعندئذ اضطرت السلطات البريطانية إلى تسليمه للبرقية وكلفته في الوقت نفسه بعدم إذاعة الخبر (١) ذلك أن سلطات الحلفاء لم تكن مرتاحة لهذه الخطوة واعتبرتها خطوة غير حكيمة وسابقة لأوانها لأنها كانت تخشى نفور أمراء العرب الآخرين التي كانت بريطانيا تعترف بمراكزهم في أقاليمهم .

ويذكر بريمونت أن سى قدور بن غبريط علل هذه الخطوة من جانب الشريف - وذلك في تقرير رفعه إلى وزارة الخارجية الفرنسية - بأنها كانت نتيجة الصمت الذى يلتزمه الحلفاء إزاء أطماع الملك فى توسيع حدود ممتلكاته .

وأخذ الفاروقى - مندوب الشريف فى القاهرة - يبذل مساعيه لدى سلطات الحلفاء فى القاهرة من أجل الاعتراف بالنقب الجديد ، إلا أن ممثل الحلفاء أحذروا يسوفون ويماطلون بحجة التباحث حتى يمكن معونة صدى مثل هذا البأ على العالم الإسلامى (٢) .

واستمر الفاروقى فى مساعيه محاولاً إقناع المستولين البريطانيين والفرنسيين بأن لفظ مالك العرب لا يشمل مصر والجزائر وتونس ومراكش ، وألح من أجل مرعة اعتراف الحلفاء بالنقب تشجيعاً للعرب (٣) كما حاول الشريف أن

(٣) المسمى : مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٧٦/٧٧ (برقية الفاروقى إلى وكالة الخارجية بمكة فى ٨ من المحرم ١٣٣٥ هـ) .

(١) المسمى : المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٦ (رسالة الفاروقى إلى الأمير عبد الله وكيل الخارجية فى ١٣ محرم ١٣٣٥ هـ) .

(٢) المسمى : نفس المرجع ج ١ ص ٣٢٥/٦ (برقيات الفاروقى إلى الأمير عبد الله فى ٢١ و ٢٢ محرم ١٣٣٥ هـ) .

يذكر المستوإن البريطانيون بأنهم سبق وأيدوا استمدادهم للاعتراف له بنقبة الخلافة العربية وسلمان العرب بما لها من سلطة واسعة ، ولكن هذه المحاولات لم تجد أية استجابة من جانب السلطات البريطانية<sup>(١)</sup> .

وقد تبادلوا الحكومتان البريطانية والفرنسية الرأي في هذا الموضوع واستقر الرأي على الاعتراف بالحسين ملكا على الحجاز فقط ، وفي الثالث من يناير ( كانون ثان ) ١٩١٧ قام ابن عزوز بمثل الجمهورية الفرنسية في مكة بمقابلة الشريف حسين وسلبه خطاباً من الكولونيل بريمون يحمل اعتراف الحكومة الفرنسية به ملكاً على الحجاز ، وفي الوقت نفسه سلبه الكولونيل ولنسن مذكرة مماثلة تتضمن اعتراف الحكومة البريطانية به ملكاً على الحجاز كما فعلت فرنسا<sup>(٢)</sup> . وعندما علم الفاروقى بهذا الاعتراف كذب إلى وكالة الخارجية العربية بمكة يذكر أنه « ما كان هذا الإعلان يكدر جميع المنحيين ، فهو يسأل صاحب الجلالة فيما يجب عليه عمله<sup>(٣)</sup> فرد عليه الملك حسين بأنه « لا لزوم لهذه المساعي لأنها تخل بما نحتاج لباقي الأعمال وتحدث مواضع دققة »<sup>(٤)</sup> .

وهكذا نرى أن الحسين كان يشعر بالمرارة لموقف الحلفاء عامة وبريطانيا على وجه الخصوص من مسألة لقب ملك العرب إلا أنه لم يشأ أن يثير من وراء ذلك الحادث أزمة لا يدرى نتائجها .

---

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٣٧ / ( رسالة من فؤاد الخطيب نائب وكيل الخارجية العربية بمكة إلى الفاروقى في ٢٥ محرم ١٣٣٥ هـ ) .

(٢) Antonius : Ouv. Cit. p 213

(٣) العمري : المرجع السابق ج ١ ص ٣٤٩ ( من الفاروقى في ٢٨ صفر ١٣٣٥ هـ ) .

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٤٩ ( برقية من أحمد فوزى السكرى نائب وكيل الخارجية إلى مندوب الحكومة العربية في القاهرة في ٢ ربيع الأول ١٣٣٥ هـ ) .

وفي الثاني من ربيع الأول ١٢٣٥ هـ نشرت المصحف في مصر البلاغ التالي  
واعترفت الحكومة البريطانية وحكومة جمهورية فرنسا رسمياً بشريف مكة  
الاعظم ملكاً على الحجاز، (١).

#### إنشاء الجيش العربي :

وإذ أيقن الشريف حسين صعوبة الحصول على قوات أجنبية لمحاوئته ،  
رأى أن يعمل على إنشاء قوة نظامية ، ولما كان هذا العمل يحتاج إلى ضباط  
أكفاء للقيادة والتدريب وإلى جنود مدربين يؤلفون نواة الجيش النظامي  
فقد جرى مباحثات بين الشريف وولاة الأمور البريطانيين ، وتقرر أن  
يسمأن على تحقيق هذه الغاية بالضباط والجنود العرب الذين أسرمهم البريطانيون  
في ميادين فلسطين والعراق وغاليلوى وعلى حدود مصر الغربية في أثناء  
هجمات السنوسيين ، على أن تقدم بريطانيا إلى هذا الجيش ما يحتاج إليه من  
عتاد ، وأخذ الشريف يلح .. منذ أشهر الثاني للثورة على الفاروق مندوبه  
في القاهرة من إيفاد الضباط والجنود العرب إلى الحجاز لتشكيل الجيش  
النظامي .

ومن مراسلات الحسين مع الفاروقى يتضح لنا أن البريطانيين كانوا  
يرتابون في بعض الشخصيات العربية وولائهم لشريف والحليفته بريطانيا على  
وجه الخصوص ، ولذلك فقد أبلغ السكولونيل ولسن الشريف بأن الحكومة  
البريطانية لا تتحمل أية مسئولية فيما يترتب على وصولهم إلى الحجاز ، مما

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٠٨ و

National Archives, Yale, Rep. no. 2 ( Nov. 5 1917 ) • The  
Arabia and Hedjaz Situation, • .

أثار مخاوف الشريف ، ولذلك أمر مندوبه في القاهرة بأن يؤكد السلطات البريطانية أن طلب الأسرى متوقف على مدى استحسان وموافقة المعتمد البريطاني وأنه لن يقبل أى ضابط أو جندي إلا إذا كان موضع ثقة المسئولين البريطانيين<sup>(١)</sup> .

وقد غادرت أول مجموعة من العرب السويس في شوال ١٣٣٤ ( أول أغسطس ، آب ، ١٩١٦ ) وكانت تتألف من سبعة من الضباط من بينهم نوري السعيد وعدد من الجنود ، يرافقهم الدكتور أمين المعلوف اللبناني ومعه مستشفى متنقل لمائة جريح<sup>(٢)</sup> .

ولما كان الشريف في حاجة إلى شخصية عسكرية قوية تتولى قيادة الجيش النظامي المزعج تسكينه في الحجاز فقد طلب من الفاروق أن يختار له شخصية تتصف بالكفاءة والمقدرة على الاضطلاع بهذا العمل ، فرد الفاروقى بأنه لم يجد أنسب ولا أكفأ من عزيز علي المصري<sup>(٣)</sup> . وغادر عزيز علي المصري القاهرة في ٨ ذى القعدة ١٣٣٤ هـ ( سبتمبر - أيلول ١٩١٦ ) إلى جدة ومنها إلى مكة حيث قابل الشريف ، ولم تطل إقامته فيها بل غادرها هلى الفور إلى رابغ حيث كانت الأزمة هلى أشدها بسبب تعرضها للخطر من جانب الترك في المدينة ، وفي رابغ تقابل عزيز علي مع نوري السعيد ورفاقه من سبقوه إلى الحجاز ، وتعاونوا معه في استقبال الوافدين إلى الحجاز من الضباط والجنود العرب ، والمعدات ، واستطاعوا في البداية تكوين فوجين من المشاة وفوج رشاش وبطارية مدافع .

---

(١) المصري : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢ ( برقية من مكة في ١٨ ربيع الثاني

١٣٢٥ هـ إلى مندوب الحكومة العربية في مصر ) .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٢١٧/٢١٨ .

(٣) المصري : المرجع السابق ذكره ج ١ ص ٢٩٤/٢٩٥ ( رسالة الفاروق في ٩

شوال ١٣٣٤ هـ ) .



اسباب تخل عزيز على المصرى عن منصبه :

إلا أن إقامة عزيز على المصرى لم تطل في الحجاز إذ انسحب بعد ثلاثة أشهر عائداً إلى مصر ، وقد اختلفت الآراء في تعليل انسحابه ، فيذهب ( ستورز ) إلا أنه كان ثمة تفكير في الاستفادة من حماس وخبرة هذا الضابط العربى المكلف بمنحه استقلالاً في القيادة وميزانية معقولة حتى يستطيع تدريب قوة إن لم تستطع التقدم نحو المدينة فلا أقل من أن توصل الطرق الجنوبية في وجه قوات الترك ، إلا أن الشريف وأولاده كانوا يريدون الاحتفاظ بالسيطرة العليا كاملة على كل العمليات ، كما أنهم في تصرفاتهم كانوا يخشون أن يكون عزيز على لا يزال على أفكاره الاتحادية ، وقد بقيم نفسه مثل أنور باشا أو قد يكون عميلاً للترك ، ولو أن ستورز يعتقد أنه لم يكن ثمة ما يبرر هذه المخاوف مادام الأشراف يحتفظون بالمالية ويستطيعون غل يد عزيز على متى شاموا فيصير لاحول له ولا قوة<sup>(١)</sup> ،

ويذهب البعض إلى أنه قد نشب بين المسئولين البريطانيين خلاف بسبب إلحاحه على الشريف السكى يطلب من البريطانيين إرسال المدافع التي غنموها من الترك في جبهة فلسطين حيث كان لديه من أفراد القوة العربية مدفعيون يستطيعون استخدامها ، ولما لم يستجب البريطانيون لهذا الطلب قال ما معناه إن البريطانيين يريدون القضاء على العرب والترك على السواء ، بتركهم يفتى بعضهم بعضاً ، ويعتقد البعض أن هذه الأقوال وصلت إلى مسامع الشريف والبريطانيين فألح هؤلاء على الشريف من أجل إصالة متحليين شتى الأعداء ، فأرسل الشريف حسين تعليمات سرية إلى الأمير على في رانخ السكى يوعز إليه بطلب أجارة ، فأدرك عزيز على ما يجري في الخفاء فطالب أن يسمح له بالعودة بعد أن أتم إنشاء ثلاثة أفواج

من المشاة وثلاث بطاريات مختلفة الأحجام وفوج من المشاة وسرية من المهندسين<sup>(١)</sup> . وحل محله نوري السعيد في رئاسة أركان حرب الجيش كما حل محله محمود القسيوني في رئاسة الجند بمكة ( وزارة الدفاع ) .

ويعمل أنطونيوس<sup>(٢)</sup> الصحاب عزيز المصري بحجة الدقة المتناهية بما أدى إلى حدوث خلاف بينه وبين الشريف ، وهذا تعليل غريب لأن الدقة لا تؤدي إلى خلاف وخاصة في الأمور العسكرية أما أمين سعيد فيذهب إلى أن سبب تبرم عزيز على المصري وخلافه مع الشريف هو ضجره من مطالة الإنجليز في إرسال المدافع اللازمة للعاملين في صفوف ثورة الحجاز .

ويرى الفاروق أنه بعد نشوب الثورة اقترح قاضي القضاة في الحكومة الحجازية — الشيخ عبد الله سراج — على الشريف حسين استقدام عزيز المصري ليقوم بتنظيم جيش عربي نظامي ، ولكن الشريف ظل متردداً بعض الوقت في دعوة عزيز المصري إلى الحجاز ، لما له من الحياة السياسية العجيبة والعزم والثبات بأفكاره دون سواها ، وأخيراً وبعد تردد وافق الشريف ، وكتب قاضي القضاة يدهو عزيز المصري إلى الاشتراك في الثورة<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن الشريف كان يبحث عن شخصية أخرى تستطيع أن تقوم بهذه المهمة بدلاً من عزيز المصري وهذا كذلك إلى الفاروق ليعتد من ضابط كفاء ، فرد عليه الفاروق بأنه لا يوجد غير عزيز بك لها ، ولتهيئة الأمور المستقبلية عند سيدي ، وأرجو من مولاي أن يثق في إخلاصه ،<sup>(٤)</sup> .

---

(١) العمري : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٨

(٢) Antonius : Ouv. Cit, p, 212

(٣)

(٤) العمري : المرجع نفسه ج ١ ص ٣٧٧/٣٧٨ .

(٤) العمري : المرجع نفسه ج ١ ص ٣٩٣/٣٩٤ ( رسالة الفاروق بتاريخ ٧٩

شوال ١٣٣٤ هـ ) .

كما يبدو أن عزيز المصري نفسه لم يكن راغباً في البداية في السفر إلى الحجاز لأن الفاروقى يذكر الشريف أن عزيز المصري وافق بعد مناقشة طويلة معه، خرج بعدها الفاروقى مقتنعاً بإمكان الاعتماد عليه اعتماداً تاماً، وأيقنت بشدة وحنينه بمولاي . . . (١).

ويذكر الفاروقى أن ثمة أسباباً عدة لعدم استمرار عزيز على المصرى في مهمته يذكر منها خلافة مع الرئيس المدفعى رشيد لأسباب نافقة (٢).

كما يذكر الفاروقى أن أهم سبب جعل عزيز المصرى لا ينال ثقة الملك هو تعودته على الطاعة العمياء وإصراره على تنفيذ الخطة التى يراها، ويضيف إلى ذلك أن بعض الضباط أشاعوا أن عزيز المصرى يتخابر مع الترك تمهيداً للانضمام إليهم إذا هم اعترفوا باستقلال البلاد العربية فلما سمع الملك حسين بذلك غضب عليه وأصدر أوامره بتنحيته عن قيادة الجيش الحجازى (٣).

أما فايز الغصين فإنه يذكر عدة أسباب للخلاف بين عزيز المصرى من ناحية وحكومة الشريف من ناحية أخرى، فيذكر أن خلافاً نشب بين الأمير على والضباط فى رابغ وعلى رأسهم عزيز على، ذلك أن أحد الضباط أمر بسجن جندي، فشكا هذا الأمير على الذى أمر بإطلاق سراحه، ولما وصل الخبر إلى عزيز على اجتمع بالضباط واستقر رأيهم على ضرورة الاستقالة من

---

(١) المصرى : المرجع نفسه ج ١ ص ٢٨٦/٢٨٨ (رسالة الفاروقى لى ٢٤ رمضان

١٣٣٤ هـ).

(٢) المصرى : المرجع نفسه ج ١ ص ٣٣٥، ٣٧٨ (رسالة من فؤاد الخطيب نائب

وكيل الخارجية بمسكة إلى الشريف الفاروقى لى ١٧ محرم ١٣٣٥ هـ).

(٣) المصرى : المرجع نفسه ج ١ ص ٣٧٩ هـ.

الجيش الحجازى والعودة إلى بلادهم بسبب تدخل الأمير الذى سوف يؤدى  
— فى نظرم — إلى الفوضى فى الجيش ، وقد أدى ذلك إلى غضب الأمير .

وفى الوقت نفسه — كما يقول النصين — كان ضابط الاتصال البريطانى  
— باركر — قد أرسل إلى الأمير على مذكرة يطلب فيها الإسراع بإقامة  
الاستحكامات حول رابع لاحتلال مجرم الترك عليها من المدينة ، فأحال الأمير  
المذكرة إلى عزيز على فى أثناء بحث مسألة الاستقالة مما زاد الضباط سخطاً إذ  
اهتدروها تدخلاً فى أمور من صميم اختصاصهم .

وعلى الرغم من أن النصين <sup>(١)</sup> يذكر أن المسألة سويت فإنه يفود ليذكر  
أن عزيز المصرى دلم يكن من الساسة الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ،  
فشرح منذ اليوم الأول الذى وطأت فيه قدماء أرض الحجاز يدلى بآرائه  
بصراحة ويقول بأنه من الموافق للترك والعرب أن يكونوا كالتسا والمجر ،  
وأنه يجب أن يتحرك جزء من القوة الموجودة فى الحجاز إلى الشام لإشعال  
الثورة فيها وحيلتض يضطر الترك إلى الصلح على هذا الأساس ويكون الألمان  
أكفلاء عليهم ، وصار عزيز ييوج بما يكن فى صدره من هذه الأفكار بما  
لا يتناسب مع أفسكار الملك حسين وحلفائه الإنجليز والفرنسيين ، <sup>(٢)</sup> بل  
لقد توارت الشائعات بأن بعض الضباط يتخابرون مع ضباط الحامية التركية  
فى المدينة ويحثون معهم هذه الأفكار مما سبب الساع شقة الخلاف بين عزيز  
المصرى والملك حسين .

من هذا يظهر لنا أن ثمة عاملاً أساسياً لنفور عزيز المصرى ألا وهو

---

(٢) فايز النصين : مذكراتى عن الثورة العربية ص ٢٢٨-٢٣٦ .

(١) فايز النصين : المرجع نفسه ص ٢٣٩-٢٤٨ .

هدم قيام بريطانيا بالالتزامات التي يفرضها عليها التعاون مع الشريف حسين من حيث تقديم المعونة العسكرية الفعالة التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم مما جعل عزيز المصري يشك في صدق نوايا بريطانيا نحو العرب ، ولا شك أن عزيز المصري إذا كان ينادى بالتفاهم مع الترك فإنما ذلك بسبب يأسه من جدوى التفاهم مع بريطانيا ، وكما سبق القول لم يكن عزيز المصري موافقا على الانضمام إلى بريطانيا منذ البداية لعدم تقديمها وعداً صريحاً تؤيد فيه استقلال العرب ، وإذا كان الطوفانوس يذكر أن عزيز المصري وافق على السفر إلى الحجاز بعدما علم بمذكرات الحسين - مكاهون فن المحتمل جداً ألا يكون قد وقف على حقيقة ما ورد في هذه المراسلات من وعود غامضة غير محددة تلتفص من قيمتها عدة تحفظات خطيرة ، ولعل عزيز المصري - بعد وصوله إلى الحجاز - فهم حقيقة وعود بريطانيا وتأكد من تسويقها بسبب سياستها في إمداد الثورة باحتياجاتها فأصبح يرى أن التحالف مع الترك أجدى على العرب ، وقد أورد أكثر من كاتب من الكتاب الذين عرضنا آراءهم ميل عزيز المصري للتفاهم مع الترك ، فالفاروقى كاتب مندوب الشريف في مصر ، والفصين كان في الحجاز ، وفي رابع بالذات حيث كان يعمل عزيز المصري وظل الفصين في رابع إلى أن غادرها في ٦ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٦ وهكذا وجد الشريف والمسؤولون البريطانيون أن عزيز المصري ليس بالرجل الذي يمكن أن يسلس قيادة ويمر كوه كفيها شاهوا .

وبينما كان عزيز على المصري وفورى السعيد ومن معهما من الضباط يعملون على إنشاء قوة عسكرية نظامية في رابع . كان مولود مخلص (الموصلى) وعبد الله الديلبى ورأسم مرادست يعملون على تكوين قوة نظامية أخرى في ينبع ، فتولى الأول تنظيم قوة من الخيالة ، والثاني قوة من المشاة ، والثالث

قوة من المدفعية ، وهذه القوات النظامية جميعاً هي التي انبثق عنها الجيش الشمالي الذي اتجه إلى العقبة ومنها إلى الشام <sup>(١)</sup>.

وكان ختام العمليات الحربية في المرحلة الأولى دخول العرب بقيادة فيصل — ميناء الوجه في الخامس والعشرين من يناير (كانون ثان) ١٩١٧ ، وبذلك ضاع أمل الترك في إمكان استعادة مكة وصار فيصل يتخذ من الوجه قاعدة لعمليات حربية أوسع نطاقاً .

فقد كان سقوط الوجه على جانب كبير من الأهمية ، حتى أن الشريف علي حيدر الذي هيئته حكومة الاتحاديين في شرافة مكة بعد ثورة الشريف حسين طلب السماح له بمغادرة الحجاز بعد أن فقد الأمل في إمكان القضاء على الثورة <sup>(٢)</sup>.

وكان علي حيدر يكره الحسين ويعتبره مغتصباً للامارة ، ولذلك فإنه عندما اتصل به طالعت وزير الداخلية قبل دون تردد أن يذهب إلى الحجاز ، وأعلن أنه لن يضع شروطاً في ذلك الوقت ، ولكن أخبره أنه عندما ينجلي الموقف سيجعل بقاءه في مركزه رهناً ببعض الاعتبارات الهامة التي كان يعتقد أن الحكومة سوف تقبلها . وقد أكد له طالعت أن الحكومة سوف تقبل الشروط التي يقدمها <sup>(٣)</sup>.

وفد كانت الحكومة التركية ترغب في رحيل علي حيدر بأسرع ما يمكن إلى المدينة مقر قيادة نفري باشا القائد العثماني ، وكانت تعتقد أن وجود

---

(١) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٢٠/٢١٩ .

(٢) Antonius : Ouv. Cit. p. 214 .

(٣) Stitt : Prince of Arabia (1948) p. 161 .

على حيدر في المدينة سيكون له أثره على القبائل التي أغراها الحسين بالأموال البريطانية .

وقد وصل على حيدر إلى المدينة في أول أغسطس ( آب ) ١٩١٦ وعلى الرغم من تجميع نحو خمسة عشر ألفاً من رجال القبائل حوله فقد كان في حاجة ماسة إلى السلاح ، كما اتصل على حيدر - بعد وصوله إلى المدينة - بحكام شبه الجزيرة الآخرين الذين أهرقوا عن استمداهم للشاركة في القضاء على الحسين ومنهم ابن سعود<sup>(١)</sup> ولو أننا نعتقد أن ابن سعود وكذا الإدريسي لم يكن في مقدورهما النيل من الشريف بحكم اتفاقهما مع بريطانيا .

#### صدى ثورة الشريف حسين :

وقبل أن نستلرد في متابعة أحداث الثورة وعملياتها العسكرية يجدر بنا أن نفق لتبين مدى الأثر الذي أحدثته في مختلف الدوائر بين الأتراك وحلفائهم ، أما في مقر الدولة العثمانية فقد أصيبت السلطات التركية بالذهول ووقع الخبر عليها وقع الصاعقة وحاولت إخفاءه عن الرأي العام عليها تستطيع إخمادها والقضاء عليها قبل أن يستفحل خطرها ويذيع خبرها ، ولذلك ظلت التصريحات التركية الصادرة طوال شهر يونيو ( حزيران ) تنسك وجودة أية ثورة في الحجاز ، وفي التاسع والعشرين من هذا الشهر فقط ظهر أول اعتراف بمثلا في بيان نشر في صحيفة ( الفرق ) يقول إن جماعات من القبائل قدهاجت بعض المواقع بجوار المدينة ، ولكن البيان لم يشر إلى سقوط مكة وجده ولم يذكر اسم الشريف حسين .

وجاءت أول إشارة إلى الشريف حسين في الثاني من يوليو ( تموز )

عندما صدر أمر سلطاني بعزله - دون إبداء الأسباب - وتعيين الشريف على حيدر أميراً على مكة مكانه ، وكان على حيدر وكيلًا لمجلس الشيوخ العثماني ووزيراً سابقاً للأوقاف ، وأرسل بقطار خاص من الأستانة إلى دمشق ومنها إلى المدينة (١) .

وكانت الحكومة العثمانية تهدف من وراء تعيينه إلى استئصال القبائل لمعاونتها ضد ثورة الشريف ، وقد أذاع ملفوراً على أهالي الحجاز بعد وصوله في أوائل سبتمبر ( أيلول ) متهما الحسين بالانضمام إلى دولة مسيحية ضد الخلافة الإسلامية في الوقت الذي تقف فيه ألمانيا إلى جانب تركيا ضد الدول المسيحية (٢) .

ففي العاصمة التركية — كما تقول رسالة من سفارة الولايات المتحدة — اقتضت أنباء الثورة على مجرد شائعات لم تلبث أن تأكدت بتعيين الشريف على حيدر عضو مجلس الشيوخ أميراً جديداً على مكة .

وكما يقول التقرير الأمريكي ، غادر الأمير الجديد الأستانة متجهاً إلى مقر منصبه محاطاً بالكثير من مظاهر التفخيم ، وكانت الصحف التركية تعلن من حين لآخر نبأ وصوله إلى المدن المختلفة الواقعة على طريق الرحلة ، ولكن السفارة الأمريكية لم تسمع أنه وصل إلى أبعد من دمشق .

وفي السادس والعشرين من يوليو ( تموز ) ١٩١٦ نشرت صحيفة ( طنين ) مقالاً افتتاحياً بإيعاز من الحكومة ، هزت فيه من وجهة النظر الرسمية إزاء الأحداث الجارية في شبه الجزيرة العربية ، وكان مقال طنين — الذي بعثت السفارة الأمريكية بترجمة له إلى وزارة الخارجية الأمريكية — يهدف إلى

---

(٢) أمينة سعيد مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) نص المنشور في العمري ج ١ ص ٢٧ - ٢٩ .



التصغير من شأن الشريف ، وتقليل أهمية الثورة ، وعزت الصحيفة الاضطرابات والقلق إلى طمع الأمير السابق حسين باشا ، وأكدت أن الأمر لا يتعلق بالحجاء ولا بالعرب أو الإسلام ، وأن مصير حسين -- في رأى الصحيفة -- سيكون الخسران المبين ، كفهروه من المغامرين الذين حفل بهم تاريخ الدولة العثمانية على مدى ستة قرون .

وأضاف مقال ( طافين ) أن أعداء الدولة وخصوصاً الانجليز أعداء الإسلام الذين دبروا المؤامرة مستخدمين ذهبهم البراق ، سوف يحاولون أن يصفوا على هذه المسألة مظهرأ عربياً فتبدو مسألة إسلامية ، بينما هي في واقع الأمر جريمة فردية من جانب الأمير السابق حسين باشا .

وحملت الصحيفة على الشريف حسين واتهمته ببيع نفسه مقابل ذهب الإنجليز الذين يحاولون تحقيق أهدافهم بيت الفتنة ، والوقعة بين المسلمين ، تخدعوه بمسول الوعود والأوامر .

وفي اليوم التالي ، ٢٧ يوليو ( تموز ) ١٩١٦ ، نشرت صحيفة ( تصوير أفكار ) تعليقاً على هذا الموضوع ، يتضمن لقاء مع طاعمت بك وزير الداخلية ، وكان المقال بعنوان : « الفساد في مكة » ( مكة ده كى فساد ) (١) .

واستمرت الصحافة التركية - لبضعة أشهر - تصف حركة الشريف بأنها عصيان لدوافع شخصية ، وتهريض من بريطانيا ، وأنه سوف يقضى عليه بمساعدة شعب الحجاز وقبائله ، التي لا تزال على ولائها للخلافة ووصايا الرسول فيما يختص بواجب الجهاد المقدس .

---

National Archives; Microcopy no - 353. from U.S. Em. (١)  
Bassy, Constantinople, to Secretary of State, Washington, no. 1620,  
( August 3, 1916 ) — Enclosures .

وفي لقاء بين القائم بالأعمال النمساوى ووزير الخارجية التركية دار البحث حول الموقف في الحجاز ، وفي هذا اللقاء حاول وزير الخارجية التركية أن يظهر للقائم بالأعمال النمساوى أن الأمر غير خطير ، وأن الموقف من الناحية العسكرية هادئ. للغاية ، وأن القوات التركية الموجودة في الحجاز وماسيرسل إليها من تعزيزات قادرة على إخضاع الحجاز تماما ، هذا على الرغم من أن وزير الخارجية التركي لم يستطع أن يكذب سقوط جدة ، وكان مصدر اطمئنان الوزير العثماني أن الجنود الأجانب لن يستطيعوا التوغل في الحجاز .

وقد حاول القائم بالأعمال النمساوى أن يوضح لحكومته أن الحل السليم للمشكلة في يد سياسة الترك ، إذا ما حاولوا أن يقللوا من حدة الموقف بطريقة أكثر حكمة ، حيث أنهم . بكم جمال باشا التعسفى فى الشام وبالمشائق التى نصبت للعرب قد خلقوا جواً من القلق والتوتر ، (٢١) .

وكما تذكر الوثائق النمساوية أيضاً أنه كان لضرب جدة بقنابل الأسطول البريطانى تأثير سىء للغاية على القيادة العامة للجيش الرابع (٢٢) .

#### في الشام :

وفي الشام قام الترك باتخاذ إجراءات خاصة للتقليل من شأن ثورة الشريف حسين وذلك بمشر مقالات موعز بها ظهرت في صحيفة (الشرق) ، وأخذ جمال باشا يصب جام غضبه على زعماء العرب وقادتهم الذين أفلتوا من قسوته في المرات السابقة فقام بمهملة اعتقالات واسعة وزج بالمعتقلين في السجون ،

---

(٢١) الوثائق النمساوية : رسالة من القائم بالأعمال لمملكة النمسا والمجر إلى وزير الخارجية النمساوية بتاريخ ٨ يوليو ( تموز ) ١٩١٦ .

(٢٢) الوثائق النمساوية ، من ضابط النمسا والمجر لدى الجيش الرابع التركى بتاريخ ٢٥ يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ رقم ٣٠٧ .

وأُنزل بهم مختلف أنواع التعذيب والتعذيب ، ومنهم شكوى باغا الأيوبي الذي جلد رغم تقدمه في السن ، وعبد الحميد القلطي ، وزكي العظمة ومما من كبار الضباط العرب في الجيش التركي ، وفارس الخوري وهو من النواب المسيحيين في مجلس النواب العثماني ، وشكري القوتلي الذي كان عضواً في جمعية الفتاة ، وبدا من جمال باشا اتجاه نحو تنفيذ حكم الإعدام في كثير من المعتقلين ، لولا أن الأمير فيصل كتب إليه يحذره من أنه إذا أعدم أحداً من الضباط المعتقلين فإنه سوف يثار من الضباط الترك الذين وقعوا في أسر القوات العربية في مكة والطائف (١) .

ولم يقتصر انتقام جمال باشا على الاعتقالات بل إنه قام بنفي كثير من الشخصيات العربية من الشام إلى الأناضول ، كما اشتدت وطأة الأحكام العرفية وفي أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٦ ألغيت الامتيازات الخاصة بالحكم الذاتي التي كان يتمتع بها لبنان منذ عام ١٨٦٤ ووضع الإقليم تحت الإدارة التركية المباشرة

رما زاد الأمر سوءاً تلك المجاعة التي اجتاحت البلاد ، إذ أغار الجراد عليها في ربيع ١٩١٥ ، هذا إلى جانب حصار أساطيل الحلفاء لسواحل الشام ، وقيام جمال باشا بجمع المحصولات لتكوين القوات التركية والألمانية ، وعلاوة على جشع الاتجارين من الموظفين وبعض التجار الترك (٢) .

ويتضح لنا مدى حق جمال باشا على الشريف حسين من ذلك الحديث الذي ألقاه في حفل أقيم في دمشق ونشر في صحيفة ( الشرق )

---

Autonius : Ouv. Cit. pp, 201-202 . (١)

Antonius : Oua. cit. pp. 203-204 : Zeino : Arab - (٢)

Tutkish Relations, p. 102 .

في عددها الصادر في ٢٣ يناير (كانون ثان) ١٩١٧ عند ما قال إنه : لم يقف في طريق الجهاد المقدس سوى فرد واحد في قلب الأماكن المقدسة الإسلامية وتحالف مع الدول غير الإسلامية التي تهدف إلى نهب العالم الإسلامي ، وقد أرغم هذا الشخص الإمبراطورية العثمانية على أن ترسل حده قواته كان يجدر إرسالها لمزينة البريطانيين واستعداد القاعة ، والعمل الذي قام به هذا (الحائن) ليعاين هدف إلى خدمة بريطانيا ولكنه لن يحول دون أن يكون النصر النهائي للإسلام ،<sup>(١)</sup>.

ويذكر ساندروز أنه نتيجة لعصف جمال باشا في الشام كانت هناك قلاقل واضطرابات في أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٦ قرب دمشق ولم نحمد إلا بعد تدخل القوات المسلحة التركية<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل تعريض الرأي العام الإسلامي على الشريف كتب الاتحاديون إلى السيد الموسى في برقة وأستعملوا منه على بلاغ فتشروه بين القبائل العربية لاحت من قدر الشريف في العالم الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

وقد كان تأثير الثورة العربية على الترك عظيما حتى أن بعض الترك - ولو أنهم قلة - أصبحوا يطالبون بمنح العرب استقلالاً ذاتياً .

#### أثر الثورة على الألمان

ولم يكن اضطراب الألمان بأقل من اضطراب حلفائهم الترك ، حتى لقد قام قسراً ألمانيا والنمسا في دمشق بزيارة جمال باشا مستفسرين ، فأخذ يطمئنهما بأنها حركة محلية بسيطة لن يطول أمرها بل سيقضى عليها سريعا ، ولقد كان

Antoniou : Ouv. Cit p. 208 (١)

Sanders : Five Years in Turkey, p. 140. (٢)

(٣) نص البلاغ في العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ٢ ص ٤٣ .

لهم عذرهم في هذا القلق لأن الثورة في الحجاز من شأنها أن تقلب خطط  
الألمان رأساً على عقب ، كما كان الألمان يقدرون الأثر الأدبي للثورة أكثر  
من الأثر المادي ، وقد صرح بعض قادتهم العسكريين في دمشق بأن الألمان  
كانوا يقولون - من وراء كسب الترك إلى جانبهم - على هيئة الخلافة الإسلامية  
وجلاها في نفوس المسلمين ، وأن خروج الشريف قد أضاع الكثير من  
هيئة الخلافة<sup>(١)</sup> .

وإلى جانب هذا الأثر المعنوي كان للثورة أثر مادي ملموس على خطط  
الألمان العسكرية ، ذلك أنه عند نشوب الثورة كانت بعثة عسكرية ألمانية  
مؤلفة من واحدتين لاسلكيتين وبعض الضباط والجنود بقيادة فون ستوتزينجن  
Von Stotzingen قد سلكت طريقها إلى شبه الجزيرة للعمل مع قوة خيرية  
بالتurكية في اليمن لفتح مجال جديد للعمل ضد المانغاب ، وكان الهدف الأول  
بعثة ستوتزينجن إقامة مركز للاتصال بين جنوب شبه الجزيرة العربية وإعادة  
الجنرال الألمان لتوف فوربك في شرق أفريقية الألمانية وربطها بألمانيا  
ذاتها ، ثم كان من مهام هذه البعثة أيضا تنظيم إرسال الأسلحة والإمدادات  
عبر البحر الأحمر إلى الحبشة لإثارة القلاقل في إريتريا والصومال والسودان<sup>(٢)</sup> .

وعندما نشبت الثورة في الحجاز كانت هذه البعثة الألمانية في بلبع غربي  
أفريقيا واقعتوا وعاد قائدها وبعض ضباطه إلى دمشق . وليس أدل على  
الخطر الذي كان من الممكن أن ينجم عن القوة التركية الألمانية من اعتراف  
البعض بأنه كان من الممكن أن تؤدي هذه الحملة إلى مباغمة عدن والاستيلاء  
عليها والقضاء على الإدريسي وتقوية مركز الإمام يحيى في جنوب شبه الجزيرة

(١) أمين سميد مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٦٥ .

Antonius : Ouv. Cit. pp. 208-9

(٢)

العربية ، بالإضافة إلى ما قد تثيره في منطقة البحر الأحمر ، وقد أفسدت الثورة العربية كل هذه الخطط والاحتمالات وقضت عليها<sup>(١)</sup> .

ويعترف بريمون Bremond رئيس البعثة الفرنسية للحجاز بأن الثورة العربية أسدت للحلفاء خدمة عظمى إذ أحبطت الحملة التركية الألمانية التي كانت متجهة إلى اليمن التي كان في استطاعتها تعريض الحلفاء لخطر كبير ، وإن هذه الحملة لو نجحت في شططها لأوصدت البحر الأحمر في وجه الحلفاء ونقلت العمليات الحربية إلى المحيط الهندي<sup>(٢)</sup> .

#### في العراق :

أما في العراق فإنه لم يكن لثورة الحجاز رد فعل واضح سواء في ذلك الجزء الذي كان لا يزال في قبضة الترك والذي كان يحكمه يتبعون فيه نفس الإرهاب الذي كانوا يتبعونه في الشام ، أو في المناطق التي صارت خاصة للاحتلال البريطاني ، إذ أن المجتمع العراقي — على عكس المجتمع الشامي — كانت تنقصه طبقة المثقفين لأن العراق لم يشهد النشاط التبشيري الذي شهدته الشام والذي أدى إلى خلق مدارس فكرية قومية عربية واضحة المعالم ، ولكن المدرسة البازرة التي عرفها العراق هي المدرسة العسكرية<sup>(٣)</sup> .

ولذلك فإن الزعماء الوطنيين في العراق كانوا من ضباط الجيش أكثر منهم من القادة الفكريين ، وهؤلاء الضباط كانوا يخدمون في مناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانية ، وكانوا هم العمود الفقري لجماعة العهد ثم صاروا

---

(١) Official History of the War - Military Operations  
in Egypt and palestine, Vol- I, p. 230 .

(٢) Antonius ; Ouv. Cit. p. 210.

(٣) دكتور محمد أنيس : جماعه الأهالي ونشأة اليسار العراقي ، مجلة الهلال ، العدد الأول ، السنة ٧٣ ص ٤٧ .

وعامة القوات العسكرية التي انبثقت من الثورة ولعبت فيها دوراً هاماً بعد أن وقعوا في الأسر وانضموا إلى قوات الشريف .  
أما في مناطق العراق التي خضعت في ذلك الوقت للاحتلال البريطاني فقد كان صدى ثورة الشريف مرتبطاً بموقف حكومة الهند عموماً من هذه الثورة .

#### صدى الثورة في شبه الجزيرة العربية :

أما في شبه الجزيرة ذاتها ، فعلى الرغم من أن ابن الرشيد والإمام يحيى ظلّا على ولائهما للدولة العثمانية إلا أن الثورة حرمتها من المعونة التي كانوا يتوقعانها من الترك .

أما بقية أمراء شبه الجزيرة فقد رحبوا بالثورة وأعلنوا تأييدهم لها ، وذلك في الاجتماع الذي عقد بالكويك في العشرين من نوفمبر (أشرين ثان) وحضره ابن سعود وأمير الكويت وشيخ المحمرة وزعماء القبائل القوية ، وفي هذا الاجتماع حث ابن سعود العرب جميعاً على تأييد الثورة ، وألّا يألوا جهداً في سبيل تأييد مصالح بريطانيا والعرب المشتركة .

#### في مصر والسودان :

أما صدى الثورة الحجازية في مصر والسودان ، فقد وصفت أخبارها عقب نجاح القوات البريطانية في إحباط حركات السنوسي على حدود مصر العربية ، تلك الحركات التي قامت بتأثير الدعة للجهاد التي وجهها الخليفة العثماني إلى مسلمي العالم ، ولقد كان الشعور السائد في مصر آنذاك ما يكون من تأييد قضية الحلفاء بسبب الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٨٨٢ ، والحماية

التي أعلنتها بريطانيا عقب دخول تركيا الحرب ، ولذلك فإن أبناء ثورة الشريف لم تقابل بالارتياح في أوساط الوطنيين المصريين الذين كانوا في كفاحهم ضد الاحتلال والحماية البريطانية يتطلعون إلى الدولة العثمانية ، ولذلك فإن هدام الثورة العربية كان مستمداً من هدايم لبريطانيا . ومن ثم أخذوا يقللون من شأن تلك الثورة ، ولو أن الأحكام العرفية التي كانت تعيش مصر في ظلها ، والرقابة الصارمة على الصحافة حالت دون التهمج على الشريف ، ومع ذلك فإن شعور المصريين بعدم الاهتمام كان واضحاً في كثير من الأحيان<sup>(١)</sup> ، لأنهم فطنوا إلى أهداف السياسة البريطانية بتحالفها مع الشريف حسين وأدركوا أن هذا التحالف لا يستهدف سوى تحقيق المصالح البريطانية على حساب مصالح العرب<sup>(٢)</sup> .

أما الجاليات السورية والعراقية في مصر فقد رحبت بالثورة وتحمست لها وكان للفرد الذي يمتنع به السوريون خصوصاً في صحافة القاهرة والخرطوم أثره في تأكيد الورد في الحجاز والدعاية لها ، وقد بعث العاروق رسالة إلى وكالة الخارجية العربية بمكة يصف فيها مختلف المشاعر في مصر نحو الثورة ، فيذكر أن المسيحيين فيها لا يزالون نافرين من الثورة غير مطمئنين إليها إلا مريقاً من شبابهم غيورين ، أما المصريون فإن جودهم إزاء الثورة نتيجة غيرتهم على الإسلام وحوافهم على تركيا الدولة الإسلامية الوحيدة ، وأنه في اليوم الذي يتضح فيه للمصريين أن الشريف سيشكل دولة إسلامية بأنهم سيؤيدونه<sup>(٣)</sup> .

(١) Yales Rep. no. 2 ( Nov. 5, 1917 ), Storrs : Oxy. Cit, (١)  
p. 190 .

(٢) موظف سابق في دائرة الاستخبارات : العرب والحلفاء في الائتلاف سريسي  
( ٥ . ت ) ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) العمري : ص ٩٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ( رسالة العاروق في ٢٤  
سفر ١٩٣١ ) .



### صلى الثورة فى الهند :

لقد كان موقف حكومة الهند إزاء ثورة الشريف متأثراً بعاملين أحدهما ذلك الشعور الذى بين مسلمى الهند نحو الخلافة وارتباطهم الوثيق بها تأثراً بالفكرة الإسلامية وكان هؤلاء يعتبرون ثورة الشريف هيباً لنا ضد خليفة الإسلام وتهديداً لوحدة العالم الإسلامى ، ولذلك كانوا يشكون فى مشروعات بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية ، واتقاهم القلق على سلامة الأماكن المقدسة ، ومن ثم أخذ الهنود المسلمون يلعنون الشريف فى المساجد<sup>(١)</sup> .

كما عقدت اجتماعات عدة أشهرها ذلك الذى عقد فى لىكنو Lecku w<sup>(٢)</sup> فى السابع والعشرين من يونيو (حزيران) ١٩١٦ وهاجم فيه الخطباء بشدة موقف الشريف ، أما العمل الآخر الذى أثر فى موقف حكومة الهند تجاه ثورة الشريف فقد كان يتصل بمشروعات هذه الحكومة المصلة بالعراق حيث كانت تعتبره مجالا للاستعمار وهجرة السكان المتزايدين . ولذلك لم تكن حكومة الهند تناصر فكرة كسب العرب عموماً وعرب العراق على وجه الخصوص فى الكفاح ضد الخليفة العثمانى .

### صلى الثورة فى بريطانيا :

على الرغم من أن وكالة رويترز أذاعت فى مصر خبر ثورة الحجاز فى الثامن والعشرين من يونيو (حزيران) كما أذاع قلم المطبوعات فى القاهرة فى أول يوليو (تموز) بياناً رسمياً أكد فيه رواية رويترز ، فإن الخبر لم يذع

رسمياً في لندن إلا في الثامن والعشرين من يوليو (تموز) أى بعد انقضاء نحو ستة أسابيع على قيام الثورة . وذلك في بيان أصدرته الحكومة البريطانية جاء فيه : إن الحكومة تعطف دائماً على العرب ولكن صداقتها التقليدية اضطرتها إلى الوقوف على الحياد بينهم وبين الأتراك أما وقد انضمت تركيا إلى دول الوسط فقد أصبحت بريطانيا في حل من موقفها السابق وصارت حرة في إظهار عطفها وتأييدها للعرب الذين انخرطوا في عداد الحلفاء ، وقد وعدت الحكومة البريطانية في بيانها بأنها ستستمر في سياستها القائمة على عدم التدخل في الشئون الدينية وبقاء الأماكن المقدسة أمينة من كل طارئ، وأنه من المبادئ التي تقوم عليها سياسة بريطانيا أن تبقى هذه الأماكن المقدسة في أيدي حكومة إسلامية مستقلة<sup>(١)</sup> .

ويلاحظ أن بريطانيا لم تعرض في بيانها لذكر أية إشارة لاستقلال أي جزء آخر من البلاد العربية سوى الحجاز ، وكان ذلك جذيراً بأثارة الشكوك - ول وعودها للشريف ومدى إخلاصها وصدق نواياها . وكان يجدر بالشريف أن يصر على الوصول إلى اتفاق محدد واضح .

#### صدى الثورة في فرنسا :

وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية - كما سبق القول - لم تشعر بالارتياح نحو المحادثات بين الشريف حسين وبريطانيا ، لأن فرنسا كانت تدرك أن الحركة العربية ستكون سداً يقيم في وجه تحقيق أطامها في الأقاليم العربية وعلى الأخص في الشام ، إلا أن الحكومة الفرنسية اضطرت إلى

---

(١) العمري : ج ١ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ رسالة محمد شريف الفاروق في ٢ شوال ١٢٣٤ هـ بخصوص البيان الذي أفضته الحكومة البريطانية في صحف لندن ومصر في ٢٨ رمضان ١٣٣٤ هـ أمين سعيد المرجع السابق ج ١ ص ١٦٠ .

مسايرة بريطانيا خاصة وأن الحكومة البريطانية - عن طريق سفيرها في باريس - طلبت من الحكومة الفرنسية في ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩١٦ أن تقدم يد العون إلى الشريف على أن ترسل المعونة الفرنسية عن طريق مصر .

وكانت الحكومة الفرنسية ذاتها قد رأت أنه من مصلحتها أن تؤسس علاقات ودية مع الثورة من أجل الاستفادة منها بشغل الجيوش التركية ، منع الحيلولة - في الوقت نفسه - دون تطور الثورة بشكل يهدد مصالح فرنسا ومطامعها في الشام<sup>(١)</sup> .

وذلك فقد ورد في تقرير رسمي للوزارة الفرنسية بتاريخ ٥ أغسطس (آب) ١٩١٦ أن إعلان الثورة في الحجاز أمر في مصلحة الحلفاء من عدة وجوه ، أما من الناحية السياسية فإن اتساع نطاق الثورة لتشمل شعوب فلسطين وسورية وأرمينية وتحرير هذه الشعوب من الخير التركي قديماً لفرنسا أسباب التدخل في شئون هذه الأقاليم ، كما أن الثورة سوف تشغل - من الوجهة العسكرية - الجيش التركي ، أما من الناحية الأدبية فإن الثورة سوف تجعل الجانب الأكبر من رعايا فرنسا المسلمين يتصورون الترك في صورة المعتدين على الأماكن المقدسة الإسلامية فيزداد تعلقهم بفرنسا<sup>(٢)</sup> .

#### مساعداً فرنسا للثورة :

وعلى ذلك استجابت الحكومة الفرنسية لطلب بريطانيا وقررت إيفاد بعثتين إلى الحجاز أولاها برئاسة شخصية مغربية وهو من قدور بن فريط ، غادرت مرسيليا في السادس من سبتمبر (أيلول) ١٩١٦ في طريقها إلى جدة

(١) المصري يوم ميلون ص ٥٦ ،

(٢) أمجد سعيد للرجع السابق ج ١ ص ٢٢٧ .

مارة بالقاهرة حيث ألتقى ابن فبريط بانفاروق مندوب الشريف في مصر ثم غادر الإسكندرية في ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٦ فوصل إلى جدة ثم إلى مكة في الثامن والعشرين وكان ابن فبريط يحمل رسالة من مسيو بوانسكاريه Poincaré رئيس الجمهورية الفرنسية إلى الشريف حسين مع مبلغ من المال ، وقد بعث الشريف برسالة شكر إلى بوانسكاريه على العاطفة التي تبديها الحكومة الفرنسية ، كما شكر بوانسكاريه الشريف على حسن استقبال الوفد الفرنسي .<sup>(١)</sup> كما توجه إلى الشريف مندوب من محمد الناصر باي تونس ومندوب آخر عن السلطان يوسف سلطان مراکش وهو السيد أحمد سكيرج عالم مدينة فاس ، وألقى كل منهما خطبته أمام الشريف ، وفي معرض الحديث ذكر الشريف أنه لا يحارب الترك لأن الترك متآلمون من حكومتهم ، وقيامنا لا يراده إلا هذه الفئة القليلة الحاكمة .<sup>(٢)</sup>

وقد علقت صحيفة (الطمان) على إثر سقوط الطائف بقولها إن أرض الحجاز المقدسة قد استعادت استقلالها ، وتبادل الشريف حسين الرسائل مع رئيس حكومة الجمهورية الفرنسية وهو ما يوازي في نظر الكثيرين الاعتراف بهذه الحكومة الجديدة (صديقة فرنسا)<sup>(٣)</sup> .

أما البعثة الأخرى فقد كانت عسكرية تتكون من تجهيزات صغيرة على رأسها ضباط فرنسيون بقيادة الكولونيل بريمون واتخذت جدة مقراً لها لكي تساهم في تنظيم قوة العرب<sup>(٤)</sup> .

(١) الممرى : المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ وأمين سعيد المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢ ، القبة العدد ١٥ الصادر يوم الاثنين ٥ ذو الحجة ١٣٣٤ هـ ص ١ .

(٢) القبة العدد ١٤ بتاريخ الخميس ٥ ذو الحجة ١٣٣٤ ص ٢ ، ٣ .

(٣) الممرى ج ١ ص ٣٠٧ .

Gontaut - Biron : Ouv. Cit. p. 42.

(٤)

وكان بريمون ضابطاً نشأ في المستعمرات الإفريقية ، وكان الكولونيل كوس Cousse دكلاً له ، وحل محله في رئاسة البعثة الفرنسية بعد أن استدعى بريمون إلى فرنسا في ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٧ بسبب كثرة شكائات البريطانيين منه ومن تصرفاته التي كان يظهر فيها غيرته الشديدة على المصالح الفرنسية<sup>(١)</sup> .

فند ذهب بريمون إلى الحجاز لمس الانجازات السائدة والامال التي تهبش في صدور رجال الثورة ، وكيف أن في الحجاز اجتمع الوطنيون من الشام والعراق ، فأيقن أنه إذا ما نجحت الثورة في الحجاز فإنها لا بد وأن تنتقل إلى هذين القطرين العربيين ، ولذلك كان يرى أن نجاح الثورة في الحجاز سوف يضر بمصالح الحلفاء الذين يجب أن يعملوا على قهر الثورة على الحجاز وحده ، بل وذهب إلى حد المطالبة بعدم تشجيع العرب على احتلال المدينة ، على اعتبار أن ذلك يثير نفوس العرب نزعات الوحدة والاستقلال<sup>(٢)</sup> إلا أن الحكومة الفرنسية لم تشاطر بريمون رأيه بخصوص المدينة ، بل كانت على العكس ترى أن سقوطها سوف يؤدي إلى إضعاف هيئة الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> .

ولم يكن بريمون وحده هو الذي نبه المسؤولين الفرنسيين إلى خطورة أطماع الشريف حسين على مصالح فرنسا وأطباعها ، فهذا سي قدور بن خير بط رئيس البعثة السياسية الفرنسية إلى الحجاز ، يذكر في تقرير دفعه إلى وزارة الخارجية الفرنسية في الثاني من ديسمبر (كانون أول) ١٩١٦ أثر رجوعه

---

(١) أمين سعيد المرجع السابق ج ٩ ص ٢٧٨ .

(٢) ساطع المصري : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣) أمين سعيد المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

من مكة - جاء فيه أن استقلال العرب في نظر الشريف لا يقتصر على الأماكن المقدسة بل يمتد إلى ما وراء ذلك ، فهو يطمح في إنشاء دولة عربية قوية تمتد حدودها الجغرافية لتشمل بلاد العرب كلها ، وذكر الزعيم العربي أن الشريف قال له إن بلاده لا تستطيع أن تعيش وحدها بسبب ضعف موادها ، ولا بد لها من الاعتماد على الأقطار المجاورة وأنه يقصد الشام ، وذهب ابن غبريط إلى حد "قول بأن الخلاف مع الشريف قد يجعله يقرر الفرنسيين في الشام عريضة المتاعب ولذلك انترح اغتنام فرصة ضعفه لكي تعقد معه فرنسا اتفاقاً يحدد مطامعه ويعترف بماله من مصالح لا تتعارض مع مصالح فرنسا قبل أن يشتد ساعده .

ونوه ابن غبريط بأنه لا بد من مساعدة الشريف مادياً ومعنوياً خشية تخاذله ، وأن الأمير عبد الله أبان له بصراحة أن تقاعس الحلفاء عن مساعدة الثورة العربية قد يدعو الحكومة العربية إلى الاتفاق مع الترك (١) .

#### تقييم المرحلة الأولى للثورة :

وعلى الرغم من أنه حتى ذلك الوقت الذي سقطت فيه الوجه في أيدي القوات العربية في الخامس والعشرين من يناير (كانون ثان) ١٩١٧ كانت الأعمال الحربية مقصورة على الحجاز إلا أن الثورة حققت نتائج غير قليلة فهي من ناحية استطاعت أن تأسر ما يقرب من ستة آلاف من الجنود الترك إلى جانب محاصرة نحو أربعة عشر ألفاً في المدينة المنورة ، كما أنها بالاستيلاء على الوجه أصبحت بشكل تهديد خطيراً لمواصلات الترك بين المدينة المنورة ودمشق مما أرغم الترك على إبقاء قوة غير صغيرة في معان للحفاظ على المواصلات تقدر بنحو سبعة آلاف جندي .

---

(١) أمين سعيد المرجع نفسه ج ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤

ثم إن الثورة قد احتجرت في اليمن ثلاث فرق تركية عاجزة عن العمل بسبب قطع صلتها وعزلتها عن قواعدها في الشام .

ولا شك أن هذه النتائج جميعا قد أدت خدمات جليلة للحلفاء بالإضافة إلى أن الثورة نجحت في سد الطريق إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي في وجه التقدم التركي الألماني ، وكونت مع ابن سعود في نجد نطاقا يمتد من البحر الأحمر حتى الخليج العربي مما جعل البحر والخليج - وهما من أهم مواصلات الحلفاء - في مأمن من الأعداء .

وإلى الشمال كان سيرار شبالد مري Archibald Murray القائد العام للقوات البريطانية في مصر يستعد لمباشرة عملياته الحربية في فلسطين مطمئنا إلى أن القوات التركية المشغولة في قتال العرب أكثر من تلك التي ستواجهه ، مما يجعل مهمته سهلة ولو أن غزوة امتنعت عليه على الرغم من ذلك<sup>(١)</sup> .

#### المرحلة الثانية للثورة :

كانت المرحلة الثانية التي تبدأ بسقوط الوجه في ٢٥ يناير ( كانون ثان ) ١٩١٧ وتنتهى بسقوط العقبة في يوليو ( تموز ) ١٩١٧ فترة نشاط حربي وسيامي من جانب قادة وزعماء الثورة في الحجاز ، كما حفلت بالاستعداد للتقدم نحو الشمال .

فبحرور الزمن وزيادة الإمدادات من المؤن والعتاد اشتد الحصار الذي كان العرب يضربونه على الترك في المدينة المنورة ، ورغم أن البريطانيين كانوا يضنون على العرب بالمدافع إلا أنهم أرسلوا كمية من البنادق ، كما أوفدوا

عددًا من الضباط الأكفاء للتدريب ، وكان هناك بجانب لورنس نوكوم Newcombe وجويس Joyce وعلى ذلك كثرت الإغارات على خط سكة حديد الحجاز وإن كانت هذه الإغارات لم تدمر الخط تماماً في ذلك الوقت كما حدث فيما بعد ، إلا أن الخط كان قد تحطم في أجزاء مختلفة كما دمرت ونسفت الكبارى ، ثم تعلم العرب كيف يلسفون القطارات وعرباتها ، وتطور الأمر كذلك إلى مهاجمة المحطات التي يمر بها الخط وأسر حامياتها ، وعلى الرغم من أن الخسائر التي نزلت بالخط لم تجعله غير صالح للاستعمال إلا أنها جعلت استعماله صعباً باهظ التكاليف بالنسبة للعرب .

وقد اشترك في هذه الإغارات الضباط البريطانيون وإن كانت الأضواء قد سلطت قوية على لورنس حتى أن جهود زملائه لم ينلها ما ناله من شهرة وصيت ، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر ما قاموا به من جهود سواء في تدريب العرب على فنون الحرب الحديثة وأعمال التخريب واستخدام المفرقات ، وقد اعترف فيصل نفسه بالجهود التي بذلها كولونيل نوكوم وماجور جويس ، وقد ركز الأميران على وعبد الله جهدهما ضد المدينة المنورة وساعدهما في هذه العمليات بعض الضباط المغاربة والجزائريين الذين أوفدتهم فرنسا .

أما الأمير فيصل فإنه منذ دخل الوجه أخذ يوالى استعداداته للتقدم نحو الشمال ، ولا شك أن حصار المدينة قد حجز فيها جانباً كبيراً من قوات الترك ، كان من الممكن - بدون هذا الحصار - أن يجعل تقدم فيصل نحو الشمال أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً .

ومن نواحي نشاط القوات العربية في هذه الفترة التعرض لتجريدات والقوافل التي حاول الترك أن يبعثوا بها لإعادة الصلاة التي قطعها الثورة مع



البن وحامل وغنم العرب كثيراً من الأسلحة<sup>(١)</sup>.

هذا من النشاط في داخل شبه الجزيرة ، أما على الساحل ، فإن الأمير فيصل منذ دخل الوجه أخذ يوالى استعداداته السياسية والعسكرية من أجل التقدم شمالاً وهدفه دمشق ، من ناحية وجه الدعوة إلى القبائل في الحجاز من أجل نبذ منازعاتها وخلافاتها ، والنسكتل والتعاون من أجل هدف واحد مشترك ، وقد لجأ فيصل لكسب القبائل إلى المال ، وكانت بريطانيا تمدّه به ، كما استخدم كذلك نفوذه الشخصي واستطاع أن يبك فيهم فكرة تحرير بلاد العرب ويهيئهم يؤمنون بها<sup>(٢)</sup>.

وبينما الأمير فيصل يبذل هذه المساعي مع عرب الحجاز بعث بالرسل إلى شيوخ القبائل الضاربة في البادية السورية يدعوم إلى الانضواء تحت راية الثورة والعمل مع القائمين على دفع الحركات الحربية إلى أطراف الأردن وسورية ، والتقى ببعضهم في الوجه حيث بين لهم الفرصة التي هيأتها الأقدار لهم لكي ينالوا حريتهم بمساعدة بريطانيا ، وقد وجدت دعوة فيصل إلى زعماء القبائل أذناً صاغية ، فأقنعهم بقناسى خلافاتهم وأقسموا له على العمل متعاونين تحمى قيادته من أجل تحرير العرب .

ومن الزعماء الذين حضروا إلى الوجه استجابة لدعوة فيصل هوذة أبو تايه زعيم عشيرة التواهي من قبيلة الحويطات والمقيمين إلى الشرق من معان ، وكان هوذة ورجاله يعيشون عيشة بدوية يغربون على جيرانهم ، واسكن عندما وجهت إليه الدعوة لم يلبث أن تخطى عن إغارته وصار سباقاً إلى العمل

---

Antouins : Ouv. cit, pp 216 - 218

(١)

(٢) سليمان موسى ، هوذة أبو تايه فاتح القبة .

مجلة العربي العدد ٤٩ ديسمبر ١٩٦٢ ص ٢٨ .

في صفوف الثوار ، ذلك العمل الذي رفعه من مستوى الفارس البدوي إلى مستوى البطل القومي (١) .

وقد رحب عودة كثيراً بفكرة الاستيلاء على العقبة وترك الوجه لكي يجمع رجاله استعداداً لهذا الهدف .

وفي نفس الوقت قرر الأمير فيصل أن يبحث وفداً إلى الشام للدعوة إلى الثورة فيها ولوضع أسس للعمل المشترك وتنسيق الجهود المقبلة ، وكان على رأس هذا الوفد الشريف ناصر ابن عم الأمير فيصل يرافقه نسيب البكري ، وقد طلب الكولونيل لورنس السماح له بمرافقة الوفد على الرغم من أنها مهمة سياسية ، لأن المفروض أن مهمته حرية لتدريب العرب ، وقد غادر الوفد الوجه في ٩ مايو (آيار) ١٩١٧ يرافقهم عودة أبو تايه الذي كان ذاهباً لكي يجمع رجاله استعداداً للعمل المقبل .

وقد استطاع لورنس أن يصل إلى ضواحي دمشق واختبأ في قابون في ممتلكات البكري ، وأرسل واحداً من آل البكري رسالة إلى رضا باشا الركابي وهو قائد عربي في الجيش التركي وأحد أعضاء جمعية العهد ، فأصرح الركابي متخفياً في ١٣ يونيو (حزيران) ١٩١٧ بالمقابلة لورنس في قابون ، وسلبه لورانس رسالة علم منها أن فيصل ينوي التقدم إلى الشام على مراحل وأن المرحلة الأولى هي العقبة ، وأنه ( أي فيصل ) يريد من زعماء دمشق تشجيع القوات العربية العاملة في الجيش التركي على ترك الانضمام إلى قواته في العقبة ، ولم يكن يريد قيام ثورة في ذلك الوقت (٢) .

وفي أثناء هودته استطاع لورنس أن يتصل ببعض زعماء القبائل العربية

(١) سليمان موسى : أبو تايه فاتح العقبة . مجلة العربي العدد ٤٩ ديسمبر ١٩٦٢ ص ٢٨

(٢) Antonius ; Op. Cit. pp. 221 - 2 .

ومن بينهم الزعيم الدرزي حسين الأطرش ونورى شعلان زعيم الرولة وأبلغهم نفس الرسالة من فيصل .

جمع هودة أبو تايه نحو خمسمائة من رجال قبيلته غادر بهم بير في ٢٨ يوليو ( حزيران ) ١٩١٧ فبلغت الجفر ( بئر بين عمان ومعان شرق السكة الحديد ) وساروا غرباً وهربوا خط السكة الحديد إلى الجنوب من معان حيث اصطدموا بكتيبة تركية في ( أبو الحسن ) ورغم مدفعية الترك إلا أن هؤلاء لم يستطيعوا الصمود أمام هجمات العرب فولوا هاربين ، ثم سارت بمهوعة عوده جنوباً نحو العقبة ، وفي الطريق انضممت إليها مجموعات أخرى من رجال القبائل النازلة في تلك الأنحاء حتى تضاعف عدد رجالها ، وكانت لسد الطريق إلى العقبة حاميات خمسة مواقع تركية فعمد العرب إلى مباغتتها والاستيلاء عليها الواحد بعد الآخر وأحيراً استطاع هودة ورجاله دخول العقبة في ٦ يوليو ( تموز ) عام ١٩١٧ وسقط في أيدي العرب كثير من الأسرى الترك علاوة على ما غنموه من الأسلحة التي أخذوا يستعملونها في معاركهم التالية<sup>(١)</sup> .

#### اهمية سقوط العقبة :

لقد كان سقوط العقبة أمراً على جانب كبير من الأهمية ونقطة تحول كبرى ، إذ أنه قبل سقوطها كانت الأعمال الحربية والثورة مقصورة على الحجاز وكان قوامها المناصر التي قدمتها القبائل ، أما الآن فقد اتسع نطاق الثورة وأصبح سقوط العقبة مقدمة لنقل مسرح القتال إلى النمام مركز تجمع القوات التركية التي يساندها الألمان ، وأصبحت القوات العربية المرتكزة

على قاعدتها في العقبة تشكل الجناح الأيمن للحملة المصرية التي سوف تتقدم تحت قيادة الجنرال اللنبي الذي خلفه Murray منذ يونيو (حزيران) ١٩١٧ إثر فشل هذا الأخير أمام غزة .

وقد قدر ( بيل )<sup>(١)</sup> القوات المتجمعة في العقبة نصف إمرة فيصل بثلاثة آلاف من الجنود والضباط السوريين الذين تخلوا عن مراكزم في الجيش العثماني ، هذا إلى جانب معاونة قبائل البدو حول العقبة وشرقي البحر الميت . وبالاتقال إلى العقبة شمل قوات فيصل بعض التطور من حيث التشكوين أو التشكيل فأصبحت تتكون من جيش من القوات النظامية المدربة إلى جانب رجال القبائل . ولقد صارت العقبة قاعدة عسكرية وتحولت مساكنها الصغيرة إلى ثكنات عسكرية ، وأقيمت بها محطات لاسلكي ومطار وأرصفة لإزالة الإمدادات من السفن . ولما كانت العقبة تقع خارج حدود البلاد المقدسة فقد كان وجود غير المسلمين بها أمراً غير محظور ولذلك وصل إليها عدد من الضباط البريطانيين والفرنسيين للعمل كمستشارين للقيادة العربية ولقيادة بعض الوحدات وخاصة المصفحات والطيران .

انتقل فيصل إلى العقبة ومعه بقية قواته تحت قيادة جعفر العسكري في أغسطس ( آب ) أما في الحجاز نفسه فقد استمر إخوة فيصل في عملياتهم حول المدينة حتى نهاية الحرب باستثناء الأمير زيد الذي انتقل في السنة التالية ( ١٩١٨ ) إلى الميدان السوري .

وقد اهتم فيصل في الشهور التي تلت سقوط العقبة بزيادة كفاءة قواته وتوسيع نطاق ارتباطه مع القبائل ، ولم يكد عام ١٩١٧ يقترب من نهايته حتى كان فيصل قد نجح في التوفيق بين القبائل في منطقة عمان التي كانت أكبر مركز لتجمع العدو ، وأصبح لذلك هدف فيصل التالي .

وقد اتسع نطاق قوات فيصل المدربة فتحوّلت من أورطتين إلى قوة  
حسنة الاستعداد تتكون من فرقة من المشاة وأورطتين من الفرسان .

وبينما كان فيصل مشغولاً باستعداداته العسكرية والسياسية ، خرج  
الشريف ناصر وعوده أبو تايه ولورنس في حملات متعددة للاغارة على الخط  
الحديدي وتدمير بعض أجزائه ونسف الجسور .

وهكذا كان الاستيلاء على العقبة يشكل تهديداً للقيادة التركية الألمانية  
في الشام في وقت كانت فيه هذه القيادة في أشد الحاجة إلى تركيز قواتها  
لمواجهة التقدم البريطاني صوب القدس . وهكذا اضطرت القيادة التركية  
الألمانية إلى تجزئة قواتها بما أدى إلى ضعفها .

وإلى جانب ذلك فقد صارت العقبة مركزاً للنشاط السياسي ضد السيطرة  
العثمانية على الشام ، وقد اتخذ هذا النشاط السياسي العربي ضد الترك مظاهر  
عدة كانت كلها تهدف إلى إضعاف مركز الترك في الشام بكسب العرب إلى  
جانب الحلفاء ، وقد حاول فيصل أن يقيم دعايته على أساس ارتباط قومية  
العرب واستقلالهم بقضية الحلفاء ، وأن حرية الشعوب العربية مرتبطة  
بانتصار الحلفاء .

وقد نشط الضباط السياسيون البريطانيون في الحملة المصرية خلال الشهور  
التي تلت نشوب الثورة فاتصلوا برعماة القبائل في جنوب الشام لتحريضهم على  
منع معاونتهم عن الترك ، مثل الكولونيل باركر Parker الذي دعا الشيخ  
فريح أبو مدين وعيم قبائل بير سبع إلى الاجتماع في العريش وسله خطاباً  
بخط الشريف حسين يدعو فيه العرب جميعاً إلى تأييد الجهود التي تبذلها القوات  
البريطانية للمساعدة في تحرير العرب<sup>(١)</sup> .

كما أخذت الطائرات البريطانية تسقط على خطوط الترك مورا من خطاب  
الشريف ومعه نداء من القيادة البريطانية يطالب الضباط والرجال العرب في

الجيش التركي بالتخلي عنه والاتجاه إلى الخطوط البريطانية لمقاومة مندوب ملك الحجاز ، وكان هؤلاء المندوبون قد أرسلهم الملك حسين بناء على طلب البريطانيين ، وكانت مهمتهم إبلاغ أهداف التعاون العربي البريطاني إلى زعماء القبائل في جنوب الشام وحثهم على مساعدة البريطانيين وتسهيل تقديمهم في فلسطين .

ولا شك أن محاولة البريطانيين كسب أهالي جنوب سورية وفلسطين باسم الشريف حسين دليل على أن هذه المنطقة كانت ضمن الدولة التي وعدت بريطانيا بتأييد استقلال العرب فيها ، وليس كما ادعى المسؤولون البريطانيون بعد ذلك من أن فلسطين لم تكن ضمن هذه الحدود ، أي أن الحملة السياسية التي بدأتها القيادة البريطانية منذ صيف عام ١٩١٦ كانت إيماة إلى أن فلسطين في أذهان البريطانيين والعرب على السواء كانت تعتبر داخلية ضمن هذه المنطقة لأن الجهود التي بذلت لكسب سكان المنطقة كانت باسم الملك حسين وحرية العرب ، ليس فقط في فلسطين ولكن في كل أنحاء الشام باستثناء لبنان حيث لم يذكر اسم الملك حسين قط وإنما كان الاهتمام في الدعاية مركزاً فقط على اهتمام فرنسا بسعادة لبنان ورفاهيته ، وهذا التباين والاختلاف يتفق مع التحفظات التي أبديت في مراسلات الحسين مكماهون بخصوص مصالح فرنسا في لبنان وهذا الاختلاف له دلالة وأهمية لأنه يدلنا على أنه حتى ربيع عام ١٩١٧ كانت فلسطين تعتبر كبقية أجزاء الشام التي تعهدت بريطانيا بالاعتراف وتأييد قيام دولة عربية مستقلة فيها<sup>(١)</sup> .

ولم يكن فيصل من جانبه أقل نشاطاً في إثارة كراهية أهل الشام فقد أوفد مندوبين إلى داخل الشام حيث اتصلوا بزعماء القبائل على جانبي الأردن وكان فيصل لا يزال غير راغب في إثارة ثورة عامة هناك طالما أن استمداداته العسكرية لم تكن كاملة ، هدفه الأساسي هو الوصول إلى اتفاق مع الزعماء

الباردين لتشجيع الجنود والضباط العرب العاملين في الجيش التركي على التخلي عن مراكزهم ولا شك أن هذه الدعاية قد أدت ثمارها بدليل الإجراءات المضادة التي اتخذتها القيادة التركية الألمانية ، فإن قبائل منطقة بير سبع الذين كانوا يحاربون في صفوف الترك في ربيع عام ١٩١٧ اختفوا بكلمة من فريج أبو مدين ليعودوا للظهور بعد ذلك في الجنوب على ميمنة القوات البريطانية المتقدمة نحو غزة ، ونتيجة لذلك أدخل الترك العريش ، وطوال تقدم القنبي نحو القدس في خريف ١٩١٧ أخذت أعداد العرب الذين يتخلون عن أماكنهم في صفوف القوات التركية تتزايد واستسلم بعضهم للقوات البريطانية وانجبه البعض الآخر إلى العقبة للانضمام إلى القوات العربية ، واختفى البعض الآخر (١) .

وإذ أيقنت القيادة الألمانية من خطورة هذه الدعاية العربية الإنجليزية أخذت في تدقيق الخطط لمواجهة ما فاشىء مكتب عربي في دمشق في أكتوبر ( تشرين أول ) عام ١٩١٧ يقوم بالعمل فيه مجموعة من الخبراء الألمان المتخصصين في الشؤون العربية ورصد له مبلغ كبير من المال للإنفاق على الدعاية المضادة .

وشددت العقوبات على من يتخلى عن مركزه في الجيش . وأصدر القائد العثماني في قطاع معان أمراً اعتبر فيه حيازة أى منشور من المنشورات التي تلقىها الطائرات البريطانية في منطقة غزة وبير سبع جريمة كبرى توجب العقاب (٢) . ولما كان الألمان يعتقدون أن سياسة جمال باشا قائد الجيش الرابع التعسفية في الشام مسئولة عن روح الكراهية التي دبت في قلوب الأهالي نحو الترك حاول الألمان تخفيف الأثر السيئ الذي أحدثته سياسة جمال بالضبط على

1bid pp. 228 - 7

(١)

(٢) نص المنصور في صحيفة البلاغ عدد ٢٩ يناير عام ١٩١٧ وصحف سوربة

الأخرى .

على السلطات في الاستانة حتى اقتنع جمال باشا بإصدار نداء عام في ١٤ نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩١٧ وجهه إلى كل العرب الذين انحازوا إلى جانب ملك الحجاز وعد فيه بالعفو ممن يسلم نفسه خلال ثلاثين يوماً .

وعلى الرغم من هذا العرض فقد استمر العرب في التخلي عن مراكزهم في الجيش التركي حتى أصبحت القوات البريطانية المتقدمة نحو القدس تجد نفسها — كما يقول إيمان فون ساندرز Liman Von Sanbers — تحارب في بلاد موالية ومؤيدة لها بينما وجد الترك أنفسهم يحاربون وسط قوم يهزمون لهم العداء حتى أن محمد جمال باشا الذي خلف أحمد جمال في قيادة الجيش الرابع في بداية عام ١٩١٨ ذكر أن انتشار النفور في الشام بسبب الهداية البريطانية العربية هز الترك وأضعف سيطرتهم على البلاد أكثر من الهزائم الحربية التي سببها دخول العرب<sup>(١)</sup> . ولذلك أخذ للقائد الجديد في اتباع سياسة الملاينة نحو العرب في الشام<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان بدء تقدم القوات الشريفة تحت أمره فيصل بن الحسين بداية مرحلة جديدة في الوضع السياسي للبلاد ، إذ اقترب الوقت الذي أخذ فيه ملك الحجاز وابته يتطلعان لجني ثمار الخدمات التي أدياها للحلفاء ولذلك لمقد تضاهف نشاط الشريف وأعوانه على مسرح السياسة السورية<sup>(٣)</sup> .

أخذ العرب بعد هاتين المرحلتين الحريتين اللتين كللتا بالنجاح يستعدون لمواصلة الزحف على بقية بلاد الشام وإخراج الأتراك منها ، وفاء

---

Antonius : Guv. Cit. pp. 227 - 8 (١)

Yale's Rep. no. 22(April 8 1918) • The Zionist (٢)

Commission and the Syrians in Egypt » p. 16.  
Abid, pp. 8 - 9. (٣)



بتمهدياتهم والتزاماتهم التي سجلتها اتفاقية الحسين مكماهون وقبل أن نمضي في شرح المرحلة الثالثة والأخيرة من الإسهامات العربية الحربية نقف لنوضح كيف كانت بريطانيا في نفس الوقت تطعن العرب طعنات خطيرة متتالية وتتفق مع حلفائها على اقتسام أقاليم الشرق العربي وتوزيعها أسلماً بين المستعمرين الأمر الذي جعل الدبلوماسية البريطانية تنسم بالغدر والخديعة والخيانة وجعل صفحة بريطانيا من أحلك الصفحات في التاريخ الحديث والمعاصر .



## الباب الخامس

### نكسة الأمانى العبرية

بين غفلة الزعامة وخداع « العظيمة البريطانية »،

الفصل الثالث عشر : اتفاقية سايكس / بيكو

الفصل الرابع عشر : تصريح بالفور

الفصل الخامس عشر : انحصار الحكم التوكى

الفصل السادس عشر : تنفيذ المؤامرة الاستعمارية



## المفصل الثالث عشر

### اتفاقية سايكس - بيكو

تطور سياسة بريطانيا ازاء الدولة العثمانية :

وبينما كانت المباحثات جارية بين بريطانيا والشريف حسين كانت هناك مباحثات أخرى تجري بين بريطانيا وحليفاتها روسيا وفرنسا من أجل تقرير مصير الأملاك العثمانية ومن بينها بلاد الشرق العربي الآسيوى . وبدخول بريطانيا في هذه المفاوضات سواء مع الشريف حسين أو مع بقية دول الوفاق فإنها تكون قد تدخلت نهائياً عن سياستها التقليدية التي كانت تتبعها طوال القرن التاسع عشر ، ألا وهي سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، في مواجهة الأطماع الروسية والفرنسية ، وهي السياسة التي بدأت تنحلي عنها منذ عام ١٨٧٨ حين انتزعت قبرص ، بعد أن كانت تعمل على تجنب تقسيم أملاك تركيا الآسيوية ، لأن سياسة غير هذه سوف يكون تأثيرها خطيراً على رعايا بريطانيا المسلمين في الهند ، علاوة على ما تسببه من خلافات قد تؤدي إلى الصدام بين الدول الأوروبية نتيجة النزاع على اقتسام الممتلكات العثمانية فيها بينها<sup>(١)</sup> ، وخصوصاً مشكلة القسطنطينية التي كان من المعتقد أنه لا يمكن حلها بدون حرب أوروبية<sup>(٢)</sup> ، وإلى جانب ذلك فإن بقاء الإمبراطورية العثمانية كان يعنى بالنسبة لبريطانيا حماية مركزها في البحر المتوسط ومواصلاتها مع الهند .

---

Gooch & Temperley : British Documents on the Origins (١)  
of the War, X, I, ( 1936 ), p. 480 ( From Grey to Buchanan.  
July 4, 1913 ).  
Ibid. p. 450 ( Minutes by Sir Louis Mallet ( June 12, (٢)  
1913 ).

واستمرت هذه السياسة قائمة رغم ما نادى به بعض الساسة البريطانيين مثل سالسبوري Salisbury الذي صار وزيراً للخارجية عام ١٨٧٨ ، وكان يرى أن الإمبراطورية العثمانية في أسوأ حال ، وأنه بدلا من رأب الصدع يحسن هدمها والتقدم لاقتسامها بين الأطراف المعنية .

إلا أن الموقف لم يلبث أن تغير بعد أن تفاقم النفوذ الألماني في الإمبراطورية العثمانية ولذلك فإن بريطانيا لم تلبث أن تخلت عن سياستها التقليدية نحو الدولة العثمانية . خصوصاً بعد أن أباط الاتحاديون اللثام عن حقيقة موقفهم ، وانضموا صراحة إلى دولتي الوسط في الحرب العالمية الأولى ، ولذلك فإنه بمجرد قيام الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية هبت الصحافة البريطانية تعلن أن الدولة العثمانية قد سمعت إلى حثفها بظلفها ، وأنها — في حالة هزيمة ألمانيا — يجب أن تلقى جزاءها بالقضاء عليها كدولة (١) .

#### موقف روسيا من الدولة العثمانية :

قبل أن تدخل الدولة العثمانية الحرب أعلنت روسيا أنها في حالة النصر سوف تحترم استقلال الدولة العثمانية وكيانها ، وذلك لإغراء الأخيرة على التمسك بسياسة الحياد وإثباتها عن دخول الحرب إلى جانب دولتي الوسط . أما وقد دخلت الدولة العثمانية الحرب فقد أعلن الروس أن هدفهم من الحرب هو بسط سيطرتهم على الآستانة والمضائق (٢) .

---

(١) Zeine : Struggle For Arab Independence (1960) . p. 97 .

(٢) Pichon, J. : Le partage du proche Orient ( 1938 ) , pp. 32 - 3 .

Pingaud : Histoire Diplomatique de la France pendant la Guerre Mondiale ( n. d. ) T. I, pp, 242 - 3 .

ولما كان الترك — فى بداية يناير ( كانون ثان ) ١٩١٥ — يشدون الضغط على الروس فى جبهة القوقاز ، فقد طالب الروس حلفاءهم بفتح جبهة ثانية لتدخل القوات التركية ، ومن هنا نشأت فكرة اقتحام الحلفاء الدردنيل وإرسال حملة غاليبولى . وقد بدأ الهجوم البحرى على قلاع الدردنيل فى ١٩ فبراير ( شباط ) ١٩١٥ ، وفى الفترة ما بين محاولة اقتحام الدردنيل ونزول قوات الحلفاء فى غاليبولى فى ٢٥ أبريل ( نيسان ) ١٩١٥ نجح الروس فى أن يستخلصوا من حلفائهم اعترافاً صريحاً بحقهم فى الاستانة والمضائق .

اتفاقية الاستانة ( ١٩١٥ ) :

وعلى الرغم من أن الهدف من العمليات الحربية الانجليزية والفرنسية هو تخفيف ضغط الترك على الروس فى القوقاز إلا أن الروس — وخصوصاً العناصر الموالية للألمان فى بتروجراد — أخذوا يعبرون صراحة عن مخاوفهم من أنه إذا صارت المضائق فى قبضة الحلفاء فإنه سوف يكون من المتعذر زحزحتهم عنها ، بل واعتبروا أن حملة غاليبولى تهدف إلى الحيولة دون وقوع المضائق فى قبضة الروس ولذلك طالب الروس بضم الاستانة والمضائق فى حالة انتصار دول الوفاق .

وعلى الرغم من التصريحات الشفوية التى أدلى بها بعض المسئولين البريطانيين وسلموا فيها بأن مسألة الاستانة والمضائق يجب أن تحل طبقاً لوجهة النظر الروسية فإنه لم يكن من المتوقع أن يذهب المسئولون البريطانيون إلى هذا الحد لولا أنه كانت فى روسيا وقتئذ اضطرابات وقلال تزعمها بعض قوى النفوذ من الموالين لألمانيا ، وكان البريطانيون يخشون أن ينجح هؤلاء فى انتزاع روسيا من صفوف الوفاق ، هذا إلى جانب رغبة بريطانيا فى

تعديل حدود مناطق النفوذ في إيران ، ثم كسب موافقة روسيا على إعلان الحماية البريطانية على مصر<sup>(١)</sup>.

ولكن الحكومة الروسية لم تقنع بالتصريحات الشفوية البريطانية ، بل أخذت تلح من أجل عقد اتفاق محدد ملزم بخصوص الآستانة والمضائق<sup>(٢)</sup> مع موافقة روسيا على تحقيق مطالب حاجتيها في مناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانية أو أى مكان آخر<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من أن الحكومة الروسية أفرعت حكومتى لندن وباريس بتصميمها على الاستحواذ على الآستانة والمضائق ، فقد اضطرت الحكومتان الغريبتان — بعد تردد — إلى الاستجابة لطلب روسيا ، رغبة في عدم إتاحة الفرصة للحزب الموالي الألمان في بتروجراد وإيجاد تصدع في جبهة الوفاق ، فوافقت بريطانيا وفرنسا على أن تتول الآستانة إلى روسيا ، ولكن — كما يقول جراى — لم تكن نحن أو الفرنسيون نريد ذلك<sup>(٤)</sup> ، وكل ما فى الأمر أن تقدمت بريطانيا ببعض المطالب ، وتتمثل فى المذكرة التى قدمها بوتشانان إلى سازونوف فى ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٥ وجاء فيها أن الحكومة البريطانية تعتقد أنه من الضروري — عند اختفاء الفرق من الآستانة — أن تقوم دولة إسلامية مستقلة فى مكان آخر يكون مركز الإسلام ، وأنه من الضروري

---

Pichen : Ouv. Cit. p. 37. (١)

Pingaud : Ouv. Cit. T. I. p. 245. (٢)

Temperley : Hist. of the Peace Conference in Paris (٣)  
Vol. VI, pp. 5 - 6,

Hurewitz : Ouv. Cit. Vol. II, pp. 6 - 7.

Kedourie, E. : Ouv. Cit. p. 31. (٤)



بل ومن الطبيعي أن تكون الأماكن المقدسة الإسلامية مركزاً لهذه الدولة ، وأن الحكومة البريطانية ترى أنه من السابق لأوانه بحث مسألة اقتسام العراق وسوريا وفلسطين بين الدول بينما لم تتقرر بعد مسألة الإمبراطورية الإسلامية<sup>(١)</sup> .

أما فرنسا فكانت مطالبتها — مقابل اعترافها بمطالب روسيا — تتركز في رغبتها في ضم الشام حتى جبال طوروس ، وعلى الرغم مما يقال من أن القيصر الروسي — في لقاء له مع السفير الفرنسي في ١٦ مارس ( آذار ) ١٩١٥ — وافق على مطالب فرنسا ، فإن الوثائق السرية الروسية تكشف الستار عن بعض الحقائق المتصلة بهذه المباحثات ، وفي مقدمتها أن قبول روسيا لوجهة نظر الفرنسيين إزاء فلسطين لم يكن بدون تحفظات من جانب روسيا<sup>(٢)</sup> .

#### اتفاقية سايكس بيكو :

ولم يكن لاتفاقية الأستانة صلة مباشرة بالشرق العربي الآسيوي ، سوى أن فرنسا — كما سبق القول — انتهزت الفرصة لتحصل على موافقة روسيا على مطالبتها في الشام . يضاف إلى ذلك أنه لما كانت اتفاقية الأستانة تنطوي على زيادة كبيرة في نفوذ روسيا فإنه لم يكن في استطاعة بريطانيا أو فرنسا قبولها بدون ضمان امتيازات موازنة لها ، ولذلك فإنه بعد اتفاقية الأستانة بقي على بريطانيا وفرنسا تحديد نصيب كل منهما في الأملاك العثمانية لموازنة مكاسب الروس .

وعلى الرغم من أنه كانت لبريطانيا أطماع في الخليج والمنطقة المجاورة ،

---

Pichon : Ouv. Cit. pp. 47 - 8 .

(١)

Pichon ; Ouv. Cit p. 53.

(٢)

Documents Diplomatiques Secrets, Russes pp. 229-290 .

وكانت مهمة بتأمين مركزها في مصر — وخاصة بعد أن أعلنت عليها الحماية في ١٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٤ — إلى جانب تأمين مواصلاتها مع الهند، فقد لجأت بريطانيا إلى التسوية وما طلت في الاستجابة إلى طلب الحكومة الفرنسية بضرورة إجراء مباحثات إنجليزية فرنسية حول مناسبات تركيا الآسيوية ولعل بريطانيا كانت تأمل بهذا التسوية أن تنفادي الاعتراف والتسليم بمطالب فرنسا بهذه السرعة، ولعلها أيضاً كانت تنتظر ما سوف تسفر عنه مباحثاتها مع شريف مكة<sup>(١)</sup>.

ولكن فرنسا كانت أشد من بريطانيا تلهفاً على الوصول إلى اتفاق لتقسيم الشرق العربي الآسيوي إلى مناطق نفوذ فيما بينهما. حفظاً لمصالحها في المنطقة من أن تضيق، فقد كانت ترى العمليات الحربية في الشرق، سواء في الدردنيل أو في سيناء أو في العراق، تقوم بها قوات بريطانية، وكانت فرنسا تخشى أن يؤدي اضطلاع القوات البريطانية بالعمل في الشرق إلى استئثار بريطانيا بالغنيمة، فتجنى وحدها ثمار النصر دون حليفها فرنسا، التي استأثر الميدان الغربي بكل جهودها، ومن ثم انتاب القلق حول مصالحها وادعاءاتها في الشرق العربي.

ومن ناحية أخرى فإنه في ذلك الوقت كانت المباحثات جارية بين بريطانيا والشريف حسين من أجل استمالته ضد الترك، ولا شك أن الشريف ما كان لينضم إلى دول الوفاق دون أن يكسب شيئاً، وكانت فرنسا تخشى أن يكون الثمن الذي يتقاضاه الشريف على حساب المصالح الفرنسية في الشرق وخاصة في الشام.

وعلى الرغم من أن البريطانيين فطنوا منذ البداية إلى الفوائد التي سوف تعود على الحلفاء من وراء كسب العرب ، فإن الفرنسيين كانوا أقل تحمساً لهذه الفكرة ليس فقط لأن مجرد وجود دولة عربية على أنقاض الامبراطورية العثمانية سوف يهدد مصالح فرنسا في شرق البحر المتوسط ، بل أن الفرنسيين أدخلوا في الاعتبار كذلك أثر قيام مثل هذه الدولة على استقرار الأحوال في شمال أفريقيا<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب ذلك فقد كان هناك كثيرون من الضباط والمسؤولين البريطانيين الذين كانوا يعملون في الشرق ، ويسرم أقصاء النفوذ الفرنسي عن المنطقة فهذا لورنس يردد أن فرنسا إذا ما امتلكت الشام فإنها تستطيع أن تسوق مائة ألف جندي إلى قناة السويس خلال اثني عشر يوماً لإعلان الحرب<sup>(٢)</sup> ، كما كان كلشنر يعارض في أيولة بعض مناطق الشام إلى فرنسا<sup>(٣)</sup> ، لأنه كما يعتقد أن مصالح بريطانيا في الهند ومصر تحتاج إلى تدعيم وحماية باحتلال بعض المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية من الامبراطورية العثمانية<sup>(٤)</sup>.

وقد وجدت الحكومة البريطانية أنها قبل أن تدخل في تعهدات ملزمة يجب أن تحدد أهدافها في المنطقة ، ولذلك قرر اسكويث رئيس الوزارة البريطانية في بداية أبريل ( نيسان ) ١٩١٥ تكوين لجنة وزارية برئاسة سير

---

Poincaré : Au Service de la France, T. III, p. 362. (١)

Garnett : Letters of T. E. Lawrence (1933), no. 81, (٢)

P. 193.

Poincaré ; Ouv. Cit. T. III, pp. 362-3. (٣)

Documents on British Foreign policy, 1st Series, (٤)

Vol. IV. p. 374.

( Memorandum by Balfour, Sep. 9. 1919 ).

موريس دى بنسن nesnuB أحد كبار رجال وزارة الخارجية البريطانية لبحث طبيعة مطالب بريطانيا في أملاك تركيا الآسيوية وبالتالي رسم سياسة بريطانيا المستقبلية في هذه المناطق إذا ما انتهت الحرب بالنصر ، وقد قدمت اللجنة بنسن تقريرها في ٣٠ يونيو ( حزيران ) ١٩١٥ ، ولم يقدر التقرير أن يذشر ، باستثناء جزء خاص بفلسطين ، يتضح منه أن اللجنة أوصت بمعارضة طالب فرنسا لإدخال فلسطين ضمن منطقة النفوذ الفرنسي في الشام ، بل ذهبت اللجنة إلى القول بأن فلسطين يجب أن يتقرر مصيرها بعد مفاوضات خاصة يشترك فيها المحاربون والمحايدون على السواء <sup>(١)</sup>.

ولما كانت روسيا قد نجحت — في اتفاقية الأستانة — في الحصول على ما تريد ، وفرنسا تلح من أجل الحصول على نصيبها من الممتلكات العثمانية ، فقد صار على ساسة بريطانيا الدخول في مفاوضات مع فرنسا للحصول على نصيب بريطانيا من ترك الامبراطورية العثمانية ، وحددت بريطانيا مطالبها في العراق حتى بغداد وميناء حيفا .

وبدأت المفاوضات في لندن في نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٥ ، وكان يمثل فرنسا فيها جورج بييكو Picot ، أما بريطانيا فمثلها أولاسير آثر نيكولسون ANicholson الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ثم سير مارك سايكس Sykes ، وتمخضت المفاوضات عن الاتفاقية التي عرفت باسم اتفاقية سايكس بيكو ، ولكن جرى أن كان يسميها الاتفاقية السرية الانجليزية الفرنسية الروسية حول مناطق النفوذ في آسيا ، ولما كانت المباحثات قد جرت في إحدى مراحلها في القاهرة فقد عرفت الاتفاقية أيضاً باسم اتفاقية القاهرة السرية <sup>(٢)</sup> .

Cm 1. 5974 (19٠9, P. 51 ( Appendix J. ) (١)

(٢) دكتور محمد أنيس : مرجع سبق ذكره ص ٢٨٥ .

وبينما المباحثات جارية بين الدولتين الغربيتين قدم الروس مبرراً - لكي  
تسرع بريطانيا وفرنسا بتسوية خلافتهما ، فقد نقل الروس إلى حلفائهم في  
أواخر عام ١٩١٥ - نقلاً عن بعض المصادر الأرمنية - أن جمال باشا القائد  
العام التركي في الشام قد يكون على استعداد - إذا ما أعطى ضمانات معينة -  
للزحف على الآستانة ، والإطاحة بالحكم القائم وإخراج تركيا من الحرب .  
بشرط أن يعترف دول الوفاق به سلطاناً على دولة مستقلة تضم معظم ممتلكات  
تركيا الآسيوية ، على أن يتنازل عن الآستانة والمضائق لروسيا .

وإذا ما تحققت هذه الفكرة فإنه يكون صدمة أليمة لحكم من بريطانيا  
وفرنسا ، لأنهما في هذه الحالة لا يخرجان بشيء من الأملاك العثمانية في الشرق  
العربي ، ويكون خروجهما على هذا النحو دليلاً على إفلاس الدبلوماسية  
البريطانية والفرنسية ، ولذلك كان من الطبيعي أن تعمل الدولتان على وأد  
المشروع الروسي وتسرها لتدعيم مطالبهما في أملاك تركيا الآسيوية بالوصول  
إلى اتفاق فيما بينهما .

وانتهت المفاوضات بإعداد مشروع لذكرات ثلاث تبادلها الحكومات  
الثلاث خلال شهرى أبريل ( نيسان ) ومايو ( أيار ) ١٩١٦ ، وقد حددت  
هذه المذكرات المناطق العثمانية التي تعتبرها كل دولة منطقة نفوذ لها وترغب  
في أن تعترف لها حليفتاها بها . وهذه المذكرات هي :

مذكرة سazonov وزير الخارجية الروسية إلى باليولوج  
Paleologue سفير فرنسا في بتروجراد في ٢٦ أبريل ( نيسان ) ١٩١٦ .

ومذكرة بول كامبون Cambon سفير فرنسا في لندن إلى إدوارد جراي  
Grey وزير الخارجية البريطانية في ٩ مايو ( أيار ) ١٩١٦ .

ثم مذكرة جرای فی ١٦ مايو ( إيار ) ردأ علی المذكرة الفرنسية .  
وقد نصت الاتفاقية<sup>(١)</sup> علی :

١ — استعداد بريطانيا وفرنسا للاعتراف بدولة عربية مستقلة أو اتحاد  
من الدول العربية تحت رئاسة رئيس عربي فی المنطقتين ا ( داخلية الشام ) ،  
ب ( داخلية العراق ) المبينين علی الخريطة المرفقة بالاتفاقية ، ويكون لفرنسا  
فی المنطقة ا ولبريطانيا فی المنطقة ب حق الأولوية فی المشروعات والقروض  
المحلية ، والافراد بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء علی طلب  
الحكومة العربية أو اتحاد الحكومات العربية .

يسمح لفرنسا فی المنطقة الزرقاء ( ساحل الشام ) ولبريطانيا فی المنطقة  
الحمراء ( العراق الأدنى جنوبی بغداد ) بإنشاء ماتريان إنشاءه من إدارة مباشرة  
بعد الاتفاق مع الحكومة العربية أو اتحاد الحكومات العربية .

٣ — تنشأ إدارة دولية فی المنطقة السمرراء ( فلسطين ) یحدد شكلها بعد  
استشارة روسيا والاتفاق مع بقية الحلفاء ومثلی شريف مكة .

٣ — تحصل بريطانيا علی ميناء حیفا وعکا .

. . . . .

من هذا ، ومن الخريطة المرفقة بالاتفاقية ، نرى أن منطقة النفوذ الفرنسي  
( ولون باللون الأزرق ) كانت تضم الساحل السوري من رأس الناقورة

---

Woodward & Butler : Documents on British Foreign (١)  
Policy, 1st Series, Vol IV, pp. 245-7 ( From Gery to Cambon,  
May 16, 1916 ).

جنوباً حتى الاسكندرونة شمالاً، وكانت كل هذه الشقة الساحلية مع جبل لبنان محدوداً المعروفة دولياً وكذلك الجوز المجاورة لهذا الساحل مثل أرواد وولاية قليقية وأطنه ومرسين، تضم إلى منطقة النفوذ الفرنسي، وتكون هذه المنطقة خاضعة تمام الخضوع (حكم مباشر) للنفوذ الفرنسي.

هذا إلى جانب المنطقة (داخل الشام) وتضم الموصل ودمشق وحمص وحماة وحلب وتكون تحت النفوذ الفرنسي غير المباشر.

أما منطقة النفوذ البريطاني (ولونت على الخريطة باللون الأحمر) فسكانها تضم أراضي ما بين النهرين (القطر العراقي) بما في ذلك مدينة بغداد، وتضع للسيطرة البريطانية المباشرة، وتمتد حتى الخليج، هذا إلى جانب المنطقة «ب» (داخل العراق) وتضع للنفوذ البريطاني غير المباشر.

\* \* \*

#### نقد الاتفاقية :

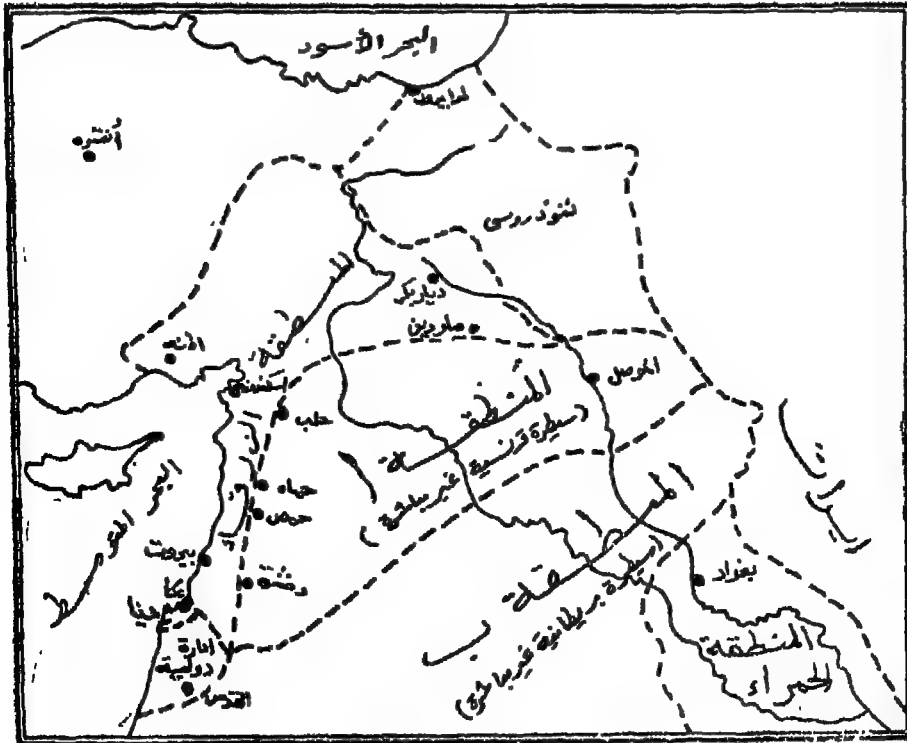
لا شك في أن الاتفاقية، وهي تالية لاتفاق بريطانيا مع الشريف، كانت متناقضة له، ذلك التناقض الذي اعترف به الكثيرون، والذي أدى إلى حوادث مؤسفة زادت تفاقماً على مر السنين<sup>(١)</sup>، واعتبرها البعض وثيقة مخيبة للآمال، وأنها لم تسكن فقط نتيجة الطمع المفقون بالعكس، ولكنها كانت أيضاً مظهراً للاتفاق<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب ذلك فقد مرت الاتفاقية منطقة الشرق العربي الآسيوي بطريقة

---

Wingate : Wingate of the Sudan (1955) pp. 182-3. (١)

Antonius ; Ouv, Cit. p. 242. (٢)



مناطق النفوذ الأوربي  
في الشرق العربي الآسيوي  
( في اتفاقية سايبكس - بيكو )



تهدف إلى وضع العقوبات المصطنعة في طريق وحدتها ، ويرجعون ذلك إلى العداء الدفين المستحكم منذ أيام المرستون لفكرة قيام دولة عربية تعترض الطريق إلى الهند، متجاهلين تغير الظروف عام ١٩١٦ عنها في أيام المرستون ، وخاصة اشتداد اليقظة القومية التي حركت سكان هذه المنطقة ودفعتهم يشدون الاستقلال والوحدة .

ويلاحظ أن المنطقة التي تقرر في الاتفاقية إخضاعها للسيطرة الأجنبية المباشرة كانت أكثر رخاء وتقدماً من المناطق الداخلية التي تقرر أن تقام فيها دول عربية تتمتع بقسط من الحكم الذاتي ، وكأنما أرادت الدولتان الاستعماريتان بريطانيا وفرنسا - أن تضمننا عدم وجود أى خطر على مصالحهما في الشرق في المستقبل حتى ولو قدر للأقاليم المتمتعة بالحكم الذاتي أن تنال استقلالها الكامل<sup>(١)</sup>.

وقد ظلت الاتفاقية سرّاً لأنها كانت تتعارض مع المبادئ التي كان يروجها الحلفاء بدعوى إقامة عالم أفضل ، ولم يكن سياسة بريطانيا وفرنسا يؤمنون بصلاحيّة هذه المبادئ كأساس للعلاقات الدولية ، وخاصة في الشرق العربي ، ولكنهم اضطروا لقبولها نتيجة دخول الولايات المتحدة الحرب ، وقد ذكر بالפור أن اتفاقية سايبكس/بيسكو كانت غريبة مختلفة تماماً عن الأفسكار القومية التي كانت موضع التقدير في ميثاق عصبة الأمم والذي ينص على أنه إذا أمددنا مجموعة من الأهالي المتفقيين في اللغة والدين بشيء من المعونة وكثير من النصيح، وإذا وفرنا لهم الحماية ضد العدوان الخارجي وضد الفوضى الداخلية، فإنهم سوف ينظمون كدولة ديمقراطية على الأسس الحديثة<sup>(٢)</sup>.

Ibid .

(١)

Documents on British Foreign Policy 1, IV, p. 343

(٢)

(Memorandum by Balfour, August II, 1919)

وهذا التصريح من هذا السياسي البريطاني إنما يدل على ازدواجية السياسة البريطانية ، وأن هذا السياسي كان يتبع سياسة ملتوية حين سمى شعبنا بصفته عضواً في وزارة الحرب البريطانية إلى استصدار التصريح البريطاني المعروف باسمه ، والذي وعد بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

#### اذاعة الاتفاقية :

وقد أذيع النص الكامل للاتفاقية ضمن بقية الاتفاقات السرية التي عقدت في أثناء الحرب ، عندما نشرت هذا النص جريدتنا اذفتيا وبراغدا في ٢٢ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٧ عقب العثور على نصوص الاتفاقيات في سجلات وزارة الخارجية الروسية ، ونشرت بناء على تعليمات تروتسكي قوميسير الشؤون الخارجية الذي أعلن في حديث له أمام اللجنة المركزية للسوفييت في بتروجراد ، أن كل الاتفاقيات السرية قد صارت الآن تحت يدي ، وأن بنود هذه الوثائق لأسوأ مما توقعنا ، وسوف نلقى بها في سلة المهملات ، وفي ١٢ ديسمبر ( كانون أول ) نشرت المانشستر جارديان ترجمة إنجليزية للنص الروسي من المعاهدات السرية .

\* \* \*

#### موقف العرب من الاتفاقية :

وهنا نجد أنفسنا أمام موقفين عربيين متناقضين ، موقف الزعامة التي قصدت لقيادة الشعب العربي في كفاحه من أجل تحقيق أهدافه في الحرية والاستقلال والوحدة ، وموقف الشعب العربي نفسه صاحب المصداحة .

أما موقف الفريق الأول فإنه يتسم بالضعف والخنوع والاستسلام وترك مصائر البلاد بين أيدي « العظمى البريطانية » كما كان يسميها الشريف حسين .

ذلك أنه بعد إذاعة اتفاقية سايكس-بيكو بهك جمال باشا برسالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ حملها مبعوث خاص ، وكانت احدا همامو جهة إلى الأمير فيصل . والآخرى إلى جعفر باشا العسكري ، وفيهما قدم جمال باشا - نيابة عن الحكومة العثمانية - عرضا بعقد صلح عربي تركي ، بعد أن صار مؤكداً أن الحلفاء قد وضعوا الخطط والمشروعات السرية التي تتعارض مع استقلال العرب والتي ستؤدي في واقع الأمر إلى خضوع البلاد العربية لبريطانيا وفرنسا .

وعندما علم الشريف حسين بأمر خطاب جمال باشا طلب من فيصل أن يرد على جمال رداً جافاً مقتضباً ، ثم يحيل الخطاب إلى المندوب السامي البريطاني في مصر ويطلب منه توضيح حقيقة أمر الاتفاقية السرية التي أذاعها جمال ، وقد تملك ونجت المندوب السامي البريطاني ارتباك شديد وأحال الأمر إلى الحكومة البريطانية ، فبعث بالفور وزير الخارجية رقية غامضة مضللة طالب فيها الملك حسين بأن يعتبر رواية جمال باشا مثلاً آخر على مكائد الترك كما قدم باست Bassot القائم بالأعمال البريطاني في جدة إلى ملك الحجاز في ٨ فبراير (شباط) ١٩١٨ مذكرة رسمية أثبتت على الملك حسين وعبرت عن رضائها عن إخلاصه بإحالة خطاب جمال باشا إلى الحكومة البريطانية ، واتهمت المذكرة الترك بأنهم يحاولون بذور الشقاق بين الحلفاء والعرب ، وأكدت المذكرة أن بريطانيا وحلفاءها مصممون على الوقوف إلى جانب الشعوب العربية في حهادها من أجل إقامة عالم عربي يحمل فيه القانون محل الظلم العثماني<sup>(١)</sup> . . . .

وجازت هذه التبريرات المضللة على الملك حسين ، واستمر مستقلاً للسياسة

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٦٧ - ٣ ( الملاحق ) .

البريطانية ونفاقها ، ويتجلى هذا أيضاً في أنه في ١١ يوليو ( حزيران ) نشرت صحيفة القبلة الناطقة بلسان الملك حسين ( العدد ١٨٨ ) حديث جمال باشا في بيروت والذي كشف فيه الستار عن اتفاقية سايكس/بيكو ، وقد نشرت القبلة هذا الحديث نقلاً عن صحيفة المستقبل ، وهي صحيفة عربية كانت تصدر في باريس لحساب فرنسا ، وهذا احتج الملك حسين وطلب مرة أخرى تفسيراً من الحكومة البريطانية ، فردت هذه عن طريق ونجت في ٨ يونيو ( حزيران ) مؤكدة أن الوثائق التي عثر عليها البلشفيك في سجلات وزارة الخارجية الروسية في بروجراد لا تمثل اتفاقية مبرمة فعلاً ولكنها محاضر لمحادثات وبإبادل وجهات نظرين فرنسا وبريطانيا وروسيا جرت في بداية الحرب وقبل الثورة العربية بقصد تجنب إثارة الصعوبات بين الدول في متابعة الحرب ضد تركيا وأنه إذا كان جمال باشا بدافع الجهل أو الحقد قد شوه الهدف الأصلي من التفاهم بين الدول وأغفل الشروط الخاصة بموافقة الشعوب المعنية وحماية مصالحها ، فإنه أيضاً تجاهل حقيقة أخرى وهي أن الثورة العربية ونجاحها الباهر وكذلك انسحاب روسيا من الحرب قد خلق ظروفًا مختلفة تماماً (١) .

وهكذا استمر الملك حسين في ثقته ببريطانيا ووعودها معتقداً أنها ستقف إلى جانبه ، وكان يمثلو بريطانيا مثل لورنس يغذون هذا الشعور .

ولكن كان يقابل هذا الموقف المتراخي من جانب الملك حسين موقف آخر مختلف تماماً ، ألا وهو موقف الشعب العربي في المنطقة . ذلك أنه بعد أن أعلن الملك حسين أن بريطانيا وعدت العرب بالاستقلال انضم كثير من شيوخ العرب والضباط والجنود إلى جانبه وعرضوا خدماتهم عليه ، ونشطت الدعاية بين القبائل العربية في شرق الأردن وحوارن والعراق والشام ، وعلى

الرغم من عدم صدور إعلان رسمي عن سياسة الحلفاء. إزاء العرب فإن هؤلاء كانوا يحاربون من أجل تحرير بلادهم من حكم الترك ، والامل في الاستقلال التام يملأ قلوبهم .

إلا أن الاتفاقيات السرية الخاصة باقتسام الشرق العربي لم تلبث أن أذهبت ، وكان بالفور قد أصدر أيضاً في ٢ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٧ تصريحه الخاص بالوطن القوي اليهودي في فلسطين ، وانتهر الترك الفرصة وأخذوا يغيرون من سياستهم في الشرق العربي ، ويضاعفون من دعايتهم لإثارة العرب في المنطقة ، ومحاولة كسب ودهم مستعنيين بالحديو عباس حلمي خديو مصر السابق الذي استدعى من مويسرة كي يتولى شئون الدعاية ضد البريطانيين في الشرق العربي ، وأشيع أن السلطان العثماني وعده بحكم العراق تعويضاً له عن مصر ، كما استدعى إلى الأستانة كثير من المصريين الذين كانوا يعيشون في أوروبا للإسهام في هذه الدعاية<sup>(١)</sup> .

وقد أثار ذلك كله الزعماء السوريين في القاهرة الذين أعلنوا أن عرب الشام والعراق قد فقدوا ثقتهم في الحلفاء ، ولبسوا على استعداد للتعاون معهم ما لم يصدر بيان حاسم لا غموض فيه ولا إبهام حول مستقبل الشام والعراق ، وإلا فإن الحلفاء وملك الحجاز سينحسرون عرب هذه البلاد ، وقد أيدت ذلك الأنباء التي تلقاها البريطانيون ، فقد أبلغ بعض العلماء العرب أحد ممثلي بريطانيا بأن الأمير فيصل بعث مؤخراً إلى أحد زعماء جبل الدروز في حوران لكي يتعاون مع قوات ملك الحجاز المتقدمة في الشام فرفض الزعيم السوري وأعلن

---

National Archives, Washington : Ya'e's Report no 11. (١)  
January 12, 1918 «Recent Political Events in Turkey ». & no.  
19, February 4, 1918 «British Attitude Towards the Turkish  
Propaganda ».

سخطه وعدم صاه ، خطا ، فاعا ، معتبرا أن عا : ك ائضل من  
عروس الحلفاء . وملك الحجاز (١)

وعر المرافبون عن اعتقادهم بخطورة الموقف بسبب سخط العرب وعدم  
رغبتهم في التماون مع الحلفاء وملك الحجاز ، لأن انضمام عرب الشام للترك  
يشكل تهديداً خطيراً للقوات البريطانية في فلسطين والعراق ، وقد يكون  
له أثره على الموقف السيامي والعسكري في أوروبا ، ولذلك اقترح وليام  
بيبل في تقريره إلى الحكومة الأمريكية أن تتدخل حكومته لكي تقنع العرب  
— الذين فقدوا الثقة في بريطانيا وفرنسا — بأن مصالح العرب ستكون موضع  
الاعتبار في مؤتمر الصلح ، وأن مصيرهم سيتقرر على يد دول العالم وليس على  
يد بريطانيا وفرنسا وحدهما (٢) .

---

National Archives, Washington : Yale's Report no. 17. (١)  
March 4, 1918, "Growing Discontent Among the Arabs" .  
Ibid . (٢)

## الفصل الرابع عشر

### تصريح بالفور \*

ولم تسكن اتفاقية سايكس/بيكو هي الطعنة الوحيدة التي وجهتها بريطانيا إلى الأمة العربية ، بل وجهت طعنة أخرى إلى قلب هذه الأمة ، طعنة لا تزال الدماء تسيل من جرائها رغم انقضاء أكثر من نصف قرن عليها ، ولا تزال الأمة العربية تحاول أن تجد علاجاً ناجحاً لهذا الجرح الدامي ، وهذه الطعنة الثانية تتمثل في تصريح بالفور ، الذي أصدرته الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩١٧ ، وبه قوى أمل الصهيونية في تحقيق الأمانى التي جالت بخاطر زعمائها ، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من الهدف الذي كانت تسعى إليه منذ ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر كحركة سياسية تدعو إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

\* \* \*

#### عوامل إصدار التصريح :

على الرغم من أن المنظمة الصهيونية العالمية - عندما نشبت الحرب العالمية الأولى - كانت تعلن أن في نيتها الوقوف على الحياد بين المعسكرين المتصارعين فإنها لم تلبث أن فطنت إلى أن الجانب الذي يمكن أن تفيد منه في تنفيذ مخططاتها هو جانب الوفاق ، وبريطانيا بالذات ، خصوصاً وأنه في ذلك الوقت تغير موقف بريطانيا من الدولة العثمانية بعد دخول الأخيرة الحرب

---

\* للوثائق تصريح بالفور ( ١٩٧٠ ) .

إلى جانب دولتي الوسط في أوائل نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ ، وأعلن اسكويث Asquith رئيس الوزارة البريطانية في التاسع من الشهر نفسه أنه في ضوء الموقف الجديد قفلت بريطانيا عن سياستها الشرقية التقليدية ، وصار من بين أهدافها من الحرب تجرئة الدولة العثمانية ومن بين ممتلكاتها فلسطين .

وقد كانت بريطانيا تولى فلسطين اهتماماً خاصاً بحكم موقعها الجغرافي وخصوصاً بجوارتها لمصر وقناة السويس ، وعلى وجه أخص إذا كانت بقية بلاد الشام ستؤول إلى حليفتها اللدود فرنسا ، ولذلك نجد هربرت صمويل - العضو في الوزارة البريطانية - يطالب حكومته ألا تترك فلسطين تقع في منطقة نفوذ دولة أخرى وخاصة فرنسا ، حيث أن إقامة دولة أوربية كبرى بجوار قناة السويس سوف يكون تهديداً خطيراً ودائماً لخطوط مواصلات الإمبراطورية ، ولا نستطيع أن نفترض أن علاقاتنا الطيبة حالياً مع فرنسا سوف تستمر ، (١) .

فقد كان سياسة بريطانيا يعتقدون أن الوجود الفرنسي في الشام من شأنه أن يهدد مصر وقناة السويس ، بل وقوة بريطانيا في البحر المتوسط ، ومصالح بريطانيا الحيوية في المنطقة ، ولذلك كان بعض هؤلاء الساسة يريدون إنشاء منطقة حاجزة في فلسطين لتفصل بلاد الشام (الفرنسية) عن مصر (البريطانية) فهذا السكولونيل مينرتزاجز Meinertzhagen يعتبر فلسطين «حجر الزاوية في إمبراطوريتنا ، وأهميتها الاستراتيجية لا تحتاج إلى تأكيد . وبالنسبة للمستقبل فإن فلسطين القوية والصديقة ستكون حيوية بالنسبة الاستراتيجية المكمولك



البريطاني ، وان تكون قوية في ظل سيادة موزعة أو تحت أى شكل من أشكال الحكم العربى ،<sup>(١)</sup> .

وإذ فطنت الصهيونية إلى هذه الاتجاهات في السياسة البريطانية ، قررت أن تربط المخططات الصهيونية بالمصالح الاستعمارية البريطانية في المنطقة ، ولذلك كتب الزعيم الصهيونى وايزمان في ١٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٤ أى قبل دخول تركيا الحرب - وإن خططى تقوم على أساس أن الحلفاء سوف يسكبون الحرب ، وهذا ما أودّه مخاصاً . ولا شك أن فلسطين سوف تقع في منطقة نفوذ بريطانيا فإن فلسطين امتداد طبيعي لمصر ، ولا بد من وجود حاجز يفصل قناة السويس عن البحر الأسود ، وفي حالة توقع خطر من هذا الجانب ، فإن هذا الحاجز سيكون بمثابة بلجيكا الآسيوية ، وخاصة إذا ما شملها التقدم على أيدي اليهود ، وإذا ما أتاحت لنا الفرصة فإننا نستطيع أن ننقل مليون يهودى إلى فلسطين خلال الخمسين أو الستين عاماً القادمة ، وبذلك يتوفر لبريطانيا حاجز ويتوفر لنا وطن<sup>(٢)</sup> .

ولذلك فقد اقترح وايزمان على سكوت رئيس تحرير صحيفة المانشستر جارديان البريطانية في نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٤ أنه إذا وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى وشجعت بريطانيا الاستيطان اليهودى فيها ، فإننا نستطيع في خلال عشرين أو ثلاثين عاماً أن يصبح لنا مليون يهودى وأكثر يطورون البلاد ، كما يحمون قناة السويس حماية فعالة ،<sup>(٣)</sup> .

---

Melnertzhagen : The Fulfilment of God's Promise in (١)

(Chaim Weizmann, by Paul Goodman, (1945), p 47.

Stein : Ouv. Cit. p 127.

(٢)

Weizmann : Trial and Error, p. 191.

(٣)

واقنع ساسة بريطانيا بوجهة النظر هذه ، وحفلت تصريحاتهم بتأييد المخططات الصهيونية ، فهذا صمويل يقترح تحقيق أمانى اليهود بإنشاء دولة يهودية في فلسطين بواسطة النفوذ البريطانى ، لما سيكون لهذه الدولة من أهمية كبرى بالنسبة للإمبراطورية البريطانية ، وصار صمويل يعتقد بأن آمال الصهيونية جديرة بتأييد بريطانيا لأن الصيونييين يستطيعون مساعدة بريطانيا على تدهيم مركزها في منطقة لها مثل هذه الأهمية الاستراتيجية ، وأن إنشاء دولة يهودية سوف يؤدي إلى ملء الفراغ الذى سيتم تب على انهيار الامبراطورية العثمانية<sup>(١)</sup> .

وفي يناير (كانون ثان) ١٩١٥ كان لويد جورج - وزير خارجية بريطانيا آنئذ - يلوح بفكرة إنشاء دولة يهودية حاضرة Jewish Buffer State في فلسطين بين الشام (الفرنسية) ومصر (الإنجليزية) وهذا أمرى Amery أحد مساعدى لويد جورج يذكر أن مارك سايكس أقنعه بأنه من وجهة النظر البريطانية البحتة ، فإن إقامة مجتمع يهودى مزدهر في فلسطين يكون وسيلة قيمة في الدفاع عن السويس ضد أى هجوم من الشمال ، ومخطة على الطرق الجوية إلى الشرق في المستقبل<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تتخلص من الإدعاءات الفرنسية في فلسطين نهائياً ودفعه واحدة بسبب تحالفهما والحرب دائرة الرضى ، فقد كان نهج بريطانيا في تقرير تدويل فلسطين في اتفاقية سايكس بيكو خطوة لحرحة فرنسا وإقامة سيطرة بريطانية على فلسطين فيما بعد بالاستعانة بالصهيونية ، وقد ألمح روبرت سسل في لقاء له مع وايزمان في وزارة الخارجية البريطانية في ٢٥ إبريل (نيسان) ١٩١٧ بأن الحكومة البريطانية

---

(١) Goodman (edit) : Chaim Weizmann, Foreword by Lloyd George, d 9.

Ibid. Preface by Amery p. 11.

(٧)

ترحب بقيام اليهودية العالمية بالتعبير صراحة عن رغبتها في أن تكون بريطانيا هي الدولة التي تتولى الحماية على فلسطين . وفي اجتماع عند في منزل الزعيم الصهيوني جاستر وحضره روتشلد وسمويل وسايكس وسوكولوف ووايزمان قرر المجتمعون أن ما يريده الصيونيون هو الحماية البريطانية على فلسطين<sup>(١)</sup> .

ولذلك فقد صدق تيمبرلي Temperley عند ما ذكر أن بريطانيا كانت تهدف إلى حماية قناة السويس بمركز أمانى ، يعيش فيه عنصر من السكان ، ليس فقط مرتبطاً ببريطانيا برابطة المصلحة ، ولكنه أيضاً يتحكم في تأييد اليهودية العالمية ، وأن هذه المصالح الاستعمارية بعيدة المدى هي التي كان لها اعتبارها ووزنها في عامي ١٩١٦ ، ١٩١٧<sup>(٢)</sup> .

• • •

وإلى جانب أهمية فلسطين لبريطانيا في إبعاد فرنسا عن مصر واتخاذها قاعدة للدفاع عن مصالح بريطانيا في المنطقة ، كانت بعض المصادر البريطانية كما جاء في مقال المحرر العسكري للأنشستر جارديان في ٢٦ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٥ — تعتقد أنه لما كانت بريطانيا — نتيجة للعمليات الحربية التي تقوم بها في العراق — سوف تستحوذ على قطار جديد فإن هذا القطر يجب ألا انفصله عن مصر ( البريطانية ) أرض معادية ، ولذلك كان كاتب المقال يحبذ أن يقطن فلسطين « شعب صديق »<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نرى أن هدف الساسة البريطانيين من إصدار تصريح بلفور بالمعطف على أمانى الصهيونية والذي وعدت فيه الحكومة البريطانية ببذل

---

Weizmann : Trial and Error, pp. 238 - 9. (١)

Temperley, H. : Hist. of the Peace Conference, VI, (٢)  
p. 171 .

Stein, L. : Ouv. Cit. pp. 138 - 9, (٣)

الجهود من أجل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، هو أن هؤلاء الساسة من أنصار التصريح كانوا يرون فيه وسيلة لجعل فلسطين المتاخمة لقناة السويس منطقة نفوذ بريطانية تحمي مركزها في مصر وتضمن الاتصال البحري مع الشرق ، وتقيم سداً بين موقعها في قناة السويس ووقع فرنسا المقبل في الشام بإقامة عنصر جديد من الناس مدين لبريطانيا بالفضل ويرى مصلحته في تأييدها ومؤازرتها ، كما أن تصريح بلفور يمد السبيل أمام بريطانيا لجعل فلسطين من نصيبها في أسلاب الإمبراطورية العثمانية ، باعتبارها أقدر الدول على تنفيذ التصريح الذي أصدرته لليهود<sup>(١)</sup> .

وكان إصدار التصريح يعتبر أيضاً خطوة عملية من جانب بريطانيا لادق أسفين في قلب العالم العربي كوسيلة لمواجهة حركة القومية العربية والحيولة دون نجاحها في جمع شمل الأمة العربية ، وذلك تنفيذاً لمشروع كان قد ظهر في أفق السياسة البريطانية الاستعمارية قبل عشر سنوات ، عندما توات الحسم في عام ١٩٠٧ وزارة من حزب الأحرار برئاسة كامبل بافرمان ، وتكونت لجنة لبحث الوسائل الكفيلة بتفادي انهيار الإمبراطورية الاستعمارية ، وقد قدمت اللجنة تقريرها الذي حفظ في وزارة المستعمرات حيث ظل منسياً حتى قبيل الحرب العالمية الأولى ، حينما نشره صحفي بريطاني صهيوني في معرض الدفاع عن فكرة قيام دولة يهودية في فلسطين كضرورة سياسية لسيطرة بريطانيا على الشرق .

فقد تحدث التقرير عن الخطر الذي يهدد الاستعمار في الشرق ، فذكر أن هذا الخطر يكن في السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط ، وعلى الخصوص في الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بأفريقيا وتمر فيه قناة السويس ، وجاء

---

Yale's Report no. 3 ( Nov. 12, 1917 ) • The British policy<sup>(١)</sup>  
in the Near East, p. 14.

في التقرير أن ضربة قاصمة سوف تحل بالإمبراطوريات الاستعمارية إذا ما تحرر الشعب في هذه المنطقة ونهض ( أي الشعب العربي ) ، وأنه لا سيّما لتفادي ذلك إلا بالعمل على تجرئة المنطقة وعاربة اتحاد سكانها ( وهذا يتحقق بتنفيذ اتفاقية سايسكس / بيكو ) ، وأوصى التقرير بضرورة فصل الجزء الأفريقي من المنطقة عن جزئها الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري ، بحيث يشكل في المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة حليفة للاستعمار<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من أنه لم تصل إلى أيدينا وثيقة رسمية تتضمن تقرير اللجنة التي شكلتها وزارة كامبل باترمان إلا أن هناك من الشواهد ما يؤكد ما جاء في التقرير ومن هذه الشواهد ما ذكره مينر تراجن - الضابط البريطاني في الشرق - في رسالته إلى لويد جورج عام ١٩١٩ والتي قال فيها : « إننا لسير بحسنة باللغة مستهدفين السباح لليهود بإنشاء وطنهم القومي في فلسطين ، لقد حررنا العرب من غير الترك ، وإن نستطيع البقاء في مصر إلى الأبد ، وبريطانيا تتحكم الآن في الشرق الأوسط ، ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في وقت واحد ، وإني أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم ، باعتبارهم الشعب الذي سيكون صديقنا المخلص الموالي لنا في المستقبل »<sup>(٢)</sup> .

وليس هذا بمستغرب على بريطانيا ، ففي الوقت الذي كانت تدق فيه أسفينا في قلب العالم العربي في فلسطين ، كانت تدق أسفينا آخر في قلب العالم الإسلامي ، في العراق ، فقد كتب أرنولد ولسن نائب سفير برمي كوكس

---

(١) غفيق الرعيديات . فلسطين تاريخاً وحديثاً ( ١٩٦١ ) ص ٧٧ - ٤٤ .

(٢) المسكم دروزة . عرض موجز للقضية الفلسطينية ( سلسلة حقائق وأرقام ٧ -

يهود ١٩٦٧ ) ص ٢٢ - ٢٣ .

المندوب السامي البريطاني في العراق ، إلى وزير الهند ، في ١٠ كانون أول (ديسمبر) ١٩١٨ « وقد استطعنا — باحتلال العراق — أن ندق أسفينا في العالم الإسلامي ، وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط ، ويجب أن تكون سياستنا بعد الحرب قائمة على الاحتفاظ ببلاد العراق ، وعدم إدماجها سياسياً في أي من بلاد العالم العربي أو العالم الإسلامي »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وفي تقديرى إن هذه هي الأسباب الرئيسية التي دفعت بريطانيا إلى إصدار تصريح بالفور ، وأما ما يساق من أسباب أخرى كالثورة في روسيا ، والرغبة في الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية ، والخوف من أن تسبق ألمانيا إلى تأييد الصهيونية فالمعتقد أن هذه كلها عوامل مساعدة تسكاد أهميتها تنحصر في تحديد الموعد الذي اختارته بريطانيا لإصدار التصريح ، وبدون هذه العوامل كانت بريطانيا ستصدر التصريح في وقت آخر .

#### صدى التصريح في الأوساط العربية :

وليس هنا مجال الإفاضة في مناقشة ما تضمنه التصريح من عبارات وتعهدات غامضة ومتناقضة ، ويكفي أن نشير إلى أن هذا التصريح كان يتناقض ويتمارض مع إتفاق بريطانيا مع الشريف حسين ، ذلك الاتفاق الذي كانت الحكومة البريطانية قد وعدت فيه باستقلال فلسطين ضمن الدولة العربية ، حيث أن التحفظات التي أبدتها سير هنري مكماون لم تشمل فلسطين ، يضاف إلى ذلك أن تنفيذ التصريح — رغم ما أدعته الحكومة البريطانية — كان لا بد

---

(١) إيرلاند / خياطة العراق ، دراسة في تطوره السياسي (١٩٤٩) ص ١٥٥ —

١٥١ (برقية رقم ١٠٩٧٣) .

وأن ينزل أضراراً جسيمة بالعرب أهالي فلسطين ، في وقت اشتد فيه ساعد الحركة القومية العربية التي تأثرت بها فلسطين أيضاً ، حتى كان من بين العرب الذين أسسوا جمعية الفتاة العربية إثنان من فلسطين وكان من بين الأربعة عشر هربياً الذين حاكمهم النرك في عاليه عام ١٩١٥ ثلاثة من الفلسطينيين ، وكان الفلسطينيون أشد الفئات العربية إدراكاً لحقيقة الخطورة التي تنطوي عليها المخططات الصهيونية وقصريح بالفور ، فقد كانوا يحكم إقامتهم في فلسطين — يشاهدون عن كثب المستعمرات اليهودية ، ويرون ما يهدد مصيرهم ومستقبلهم .

وكان أهل فلسطين العرب — المسلمون والمسيحيون على السواء — يعارضون الصهيونية على أساس أنه ليس لليهود حق مشروع في البلاد ، بالإضافة إلى الخوف من إنزاع اليهود لموارد الثروة خصوصاً وأن الصهيونية العالمية ستسكون وراءهم بكل مواردها ، وكان العرب من أهل فلسطين — حتى قبل إصدار التصريح — يشاهدون اليهود يطلقون أسماء عبرية على المواقع والأماكن العربية ، وبذلك كان العرب يرون قراهم العربية تختفي من خريطة فلسطين ومن سجلاتها الرسمية (١) .

وقد تحقق المراقبون من الخطر الذي سوف يحققه بعرب فلسطين نتيجة تدفق اليهود على فلسطين ، وبقدر وليم ييل إحدى نتيجتين لنجاح الصهيونية فيما أن تصبح في فلسطين قوتان متعارضتان مما يؤدي إلى نشوب صراع بينهما وإما أن يضطر الملاك والتجار العرب — وقد صاروا عاجزين عن مجاراة اليهود ومنافستهم — إلى ترك فلسطين لليهود. وكذلك الفلاحون الفلسطينيون

إما أن يصيروا أقتان الأرستقراطية اليهودية التي ستمتلك البلاد وتسيطر عليها  
ولما أن يهاجروا إلى مكان آخر<sup>(١)</sup>.

موقف الملك حسين .

أما موقف الملك حسين ، فإنه مثلما جازت عليه من قبل خديعة ، العظيمة  
البريطانية ، عندما علم باتفاقية سايكس / بيكو ، وصدقها عندما أنكرت وجود  
هذه الاتفاقية ، فقد جازت أيضاً خديعتها عليه للمرة الثانية ، ومع تفاوت بين  
الحالتين . ذلك أن قصر بيج بالفور لم يكن سراً لكي تذكره الحكومة البريطانية  
ولكنها استخدمت سلاح الترغيب والترهيب لمحاولة إسكات الملك وإرغامه  
على قبول الأمر الواقع ، خصوصاً وأن غشاة الجبل بحقيقة الصهيونية والثقة  
الثامة في كل ما تشير به ( العظيمة البريطانية ) قد حجبت هذه الألاعاع الصهيونية  
والأخطار التي سوف تهدد المشرق العربي كله نتيجة لها .

ولذلك فإنه عندما طلب الملك حسين إيضاحاً من السلطات البريطانية لأبلغته  
هذه بأنها عازمة على ألا توضع عقبة في سبيل لإنشاء الوطن القومي اليهودي  
في فلسطين ( تهديد ) وأشارت إلى أن صداقة العالم اليهودي للقضية العربية  
معناه أن تكسب هذه القضية تأييد البلاد التي لليهود فيها نفوذ سياسي<sup>(٢)</sup> ،  
( ترغيب ) ، وقد انطلت الخدعة على الملك حسين حتى أنه أرسل إلى أتباعه  
في مصر وإلى قواته المتحركة في القتال بحثهم على الاستمرار في الثقة بيهود  
بريطانيا ، بل وأوصى بنشر مقال في صحيفة ( القبلة )<sup>(٣)</sup> الناطقة باسمه يلفت

---

National Archives ( Washington ), Yales Report n. 4. (١)

pp. 14-16.

Edwards, O.S. : Palestine, Land of Broken Promise, (٢)

pp. 16-17 .

(٣) العدد ١٨٣ في ٢٤ مارس ( آذار ) ١٩١٨ .



فيه نظر الشعب العربي في فلسطين إلى أن كتبه المقدسة وتقاليده تحض على التسامح والكرم ، ويمحتم على الترحيب باليهود كإخوة والتعاون معهم من أجل الصالح العام<sup>(١)</sup> .

وهكذا حاول الملك حسين أن يستخدم نفوذه في كسر حدة المعارضة العربية لتصريح بالفور ، واثقاً كل الثقة في بريطانيا ووعودها ، غير مقدّر للعواقب الوخيمة التي سوف تترتب على هذا التصريح وهو أمر ما كان ليفيق عن أى سياسى حصيف تصدى لرعاية مصالح الشعب العربي السياسية .

#### موقف الزعماء السوريين .

وقد بعث الزعماء السوريون المقيمون في القاهرة ببرقية احتجاج إلى بالفور على إصدار التصريح بلفتون نظره إلى أن فلسطين جزء حيوى من الشام بمثابة القلب من الجسم ، ولا تقبل فصلها سياسياً أو اجتماعياً ،<sup>(٢)</sup> .

وعندما وصلت هذه البرقية إلى المسئولين البريطانيين في لندن بعث سير مارك سايكس بررد الحكومة البريطانية بتاريخ ١٦ نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٧ ، وفيه أشار إلى أن الهدف الذى ترمى إليه الحكومة البريطانية ليس فقط الإبقاء على القضية العربية بل كذلك العمل على وضع الحركة العربية في مكانها الملائم بالنسبة للسياسة العالمية و ( حركات العصر ) ، وإن عدم التوفيق بين الحركة العربية وبين وجهات نظر مختلف الحكومات و ( العناصر ) يجعلها تحرم من العون السياسى الضرورى لبقائها بعد الحرب . . .

---

Antonins : Ouv. Cit. p. 269.

(١)

National Archives ( Washington ) Yale's Rep. no: 4,

(٢)

( Nov. 19, 1917 ) « The Attitude of the Syrians towards Zionism » p. 10 .

« وأنا على يقين من أن تكاتف الصهيونية والقومية العربية سيجعل تحرير العرب أمراً مؤكداً .. » وأشار إلى أن الصهيونيين مستعدون للتعاون مع العرب في تحرير الشام والأجزاء الباقية تحت الحكم التركي<sup>(١)</sup>.

وقد أضاف كلايتون Clayton رئيس المخابرات البريطانية إلى رد سايسكس نصيحة وجهها إلى الزعماء السوريين بأن من مصلحتهم العمل بتفاهم مع اليهود والأرمن لتحرير البلاد من نير الترك ، وأن معارضتهم لليهود ستضر بالقضية العربية ، وحاول أن يبين لهم مدى نفوذ الصهيونيين في كل أنحاء العالم ، وأنهم سوف يحققون هدفهم في فلسطين لأعماله ، رضى العرب أو كرهوا ، وحذر العرب من أن اليهود إذا لم يحصلوا على بغيتهم من الحلفاء فانهم سيحصلون عليها من الترك وفي هذه الحالة يخسر العرب قضيتهم ، لأن معارضة العرب للصهيونية سوف يترتب عليها بقاء فلسطين تحت حكم الترك ، وحينئذ سيحصل الصهيونيون على بغيتهم من الحكومة العثمانية<sup>(٢)</sup>.

ويقول وليام بيل في أحد تقاريره أن الزعماء السوريين شعروا بالارتياح بعد تأكيدات كلايتون من أنه لن تمام في فلسطين دولة يهودية ، كما صدقوا ما ذهب إليه وايزمان رئيس البعثة الصهيونية التي ذهبت إلى فلسطين عن طريق مصر من أن الصهيونيين لا يرغبون في إقامة حكومة يهودية . وفات على الزعماء السوريين أن وايزمان كان يعنى أنه ليس في النية إنشاء حكومة يهودية في ذلك الوقت ، لأنه كان يعتقد أن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يكون إلا على مراحل أولاً فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه في ظل إدارة صديقة .

---

Ibid. Yale's Rep. no, 19 ( March 18, 1918 ) : (١)

« Zionism & the Arab Movement » p. 1; Enclosed Telegram from Sir Mark Sykes dated Nov. 16, 1917. 1-3.

Ibid. Yale's Rep no 9 ( Dec. 24, 1917 ) : « Arab (٢)

Activities & the Balfour Declaration » pp. 1 - 3 .

من هذا نرى أن السوريين في مصر لم يفتنوا إلى خطورة الصهيونية ، وكان منهم أنصار لبريطانيا وسياساتها مثل قائد نمر صاحب المقطم وأحد الموقعين على بريقة الاحتجاج ، كما خدع الزعماء السوريون بالتصريحات الكاذبة التي كان يطلقها الساسة البريطانيون أمثال سايكس وكلايتون والزعماء الصهيونيون أمثال وايزمان ، يضاف إلى ذلك أن السوريين في مصر كانوا يعيشون في كثف بريطاني ، ويضعونهم أيضاً نفقته في عدالة بريطانيا ، لدرجة أن أحدهم وهو سليمان بك نصيف بعث في ١٤ يونيو ( حزيران ) ١٩١٨ إلى محرر صحيفة الكركك التي كانت تصدرها سلطات الاحتلال في مصر متنادياً بضرورة شعور العرب بالثقة في بريطانيا ، التي كانت صديقة للعالم الإسلامي والعرب لسنوات عديدة مضت ، وإن سياستها لضمان كاف لأن يعتقد العرب أن مصالحهم لن تهمل ،<sup>(١)</sup> .

لذلك كله لانعجب إذا وجدنا هؤلاء الزعماء - رغم احتجاجهم الأول على تصريح بلفور - يتقبلون من حيث المبدأ فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، على الرغم من خطابات الاحتجاج التي انتهت على الزعماء السوريين المقيمين في مصر من الفلسطينيين وكلها مليئة بالعداء للصهيونية والخوف منها ، حافلة بالسخط ، معبرة عن القلق .

وزيادة على ذلك فقد طلب بعض الزعماء السوريين من السلطات البريطانية في مصر أن تسمح لهم بزيارة فلسطين ليشروا لأهلها وليقنعوهم بأن من مصالحهم عدم معارضة الصهيونية<sup>(٢)</sup> .

Yale University Library : Yale's Reports & Papers . (١)

National Archives, Yale's Rep. no. 29 ( May 27, 1918 ) : (٢)

« The Syrian Mission in Palestine » ,

### عوامل تناقض السياسة البريطانية :

ولقد كان لبعض المراقبين المحايدین مثل ( ولیم بیل ) هذرهم إذ استولت عليهم الدهشة إزاء هذا التناقض في السياسة البريطانية : اتفاق مع العرب يتضمن وعدا بالاستقلال داخل حدود معينة مع بعض التحفظات الغامضة ، اتفاق مع فرنسا لاقتسام الشرق العربي فيما بينهما كمناطق نفوذ ، وبذلك يتعارض مع الاتفاق مع العرب ، ثم وعد للصهيونية يتعارض مع هذا وذاك.

ويرجع هؤلاء المراقبون هذا التناقض إلى أنه لم تسكن بريطانيا في ذلك الوقت سياسة محددة إزاء مستقبل الشرق العربي ، بل كان ساستها يضعون عدة حلول للمشكلة ثم ينتظرون ما تسفر عنه الأحداث قبل أن يختاروا الحل المناسب الذي يطبقونه ، ولذلك صار للسياسة البريطانية اتجاهات عدة غالباً ما ظهر تعارضها خصوصاً وأنها كانت متداخلة مع القوى السياسية المختلفة العاملة في الشرق العربي كالدولة العثمانية المتهاوية والحركة القومية العربية الناشئة وحكام شبه الجزيرة العربية وبخاصة ابن سعود والشریف حسين ، وكذلك الاستعمار الفرنسي الذي كان يعتبر الشام منطقة لنفوذه الاقتصادي والثقافي وكان يخطط لجعلها جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية ، ثم الحركة الصهيونية التي كانت تهدف إلى تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود بضمين دولي .

ولما كانت أهداف هذه القوى المختلفة متعارضة تماماً ، ويهم بريطانيا أن ترتبط بها جميعاً لأهمية ذلك في تحقيق أهدافها المعروفة بعد كسب الحرب وهي حماية الهند وقناة السويس ، فقد صار للسياسة البريطانية عدة اتجاهات متناقضة فتحالفت مع الحركة القومية العربية من أجل إحلال الميزية بالدولة العثمانية وتحطيمها ، ثم إقامة حكومات عربية مستقلة في المناطق المحددة على أن تكون متحالفة مع بريطانيا أو تحت حمايتها ، وذلك بالاهتمام على الشریف

حسين في تحقيق هذين الغرضين وبذلك تتمكن بريطانيا من السيطرة على مقدرات الإسلام وفي الوقت نفسه لا تتاح الفرصة لقيام دولة إسلامية كبرى قد يؤدي قيامها إلى حدوث فلال بين مسلمي الإمبراطورية البريطانية . ثم همدت بريطانيا إلى استثناء بعض المناطق من الحلال الحبيب وشبه الحرية العربية من هذه السياسة لأن بريطانيا لم يكن في استطاعتها أن تخطط سياستها في العالم العربي على أساس اعتبار واحد دو صداقة العرب ، بل كان عليها أن تدخل في اعتبارها عوامل أخرى مثل مطالبة فرنسا ببلاد الشام بمحدودها الجغرافية كمنطقة نفوذها ، وادعاءات الحركة الصهيونية في فلسطين ورغبة حكومة الهند في السيطرة على العراق كنخط دفاع أمامي عن الهند ومنفذ للهجرة والحماية آبار النفط بالسيطرة على رأس الخليج ، كما أن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة في المضي في تجميع القومية العربية إلى الدرجة التي تصبح معها خطراً على مركز بريطانيا ذاتها في مصر (١) ، خصوصاً إذ وضعنا في اعتبارنا أنه لم تكن هناك هيئة بريطانية واحدة تخطط السياسة البريطانية في منطقة الشرق العربي ، ومن ثم انعدم التنسيق بين هذه المخططات ، فقد كان لوزارة الحربية أفكارها ولوزارة الخارجية آراؤها ولدار المندوب السامي البريطاني في القاهرة وجهة نظرها ولحكومة الهند أهدافها ، وكل جهة من هذه الجهات تعمل على تنفيذ سياستها وأفكارها دون تنسيق مع الجهات الأخرى .

وكذلك حاولت بريطانيا بسياساتها المتناقضة أن ترضى مختلف الأطراف التي تتعامل معها ، بأن تعد كلامها بما يريد على أمل أن يصير من المحتمل التوفيق بطريقة ما بين المطالب المتعارضة ، أو إقناع كل طرف من هذه الأطراف بجزء مما وعد به .

---

(١) Hourani, A. : *Gr. Britain and the Arab World* (1945) pp. 15 — 16,

ولقد فكر البريطانيون أيضاً في تأييد وضع فلسطين بل وكل بلاد الشام تحت حماية الولايات المتحدة الأمريكية كأحد الحلول لمشكلة الشرق العربي ، وبينما كان يبدو في الظاهر أن المستولين البريطانيين يتمسكون بالولاء لفرنسا وأطباعها في الشام فقد كان ثمة ما يدل على أن البريطانيين لا ينظرون بارتياح إلى احتلال فرنسا لبلاد الشام وخاصة فلسطين ، وأنهم يرحبون بأي حل للمسألة السورية من شأنه أن يبعد للسيطرة الفرنسية .

ومع هذا كله ورغم ما يبدو من ميل بريطانيا للوفاء بالوعود التي قطعتها أو التصريحات التي أدلى بها ساستها سواء إزاء مطالب فرنسا أو حقوق الأمم الصغيرة فإن بريطانيا كانت ترى أنها مضطرة للتضحية بمصالح الآخرين إذا شمرت بأن هذه المصالح تهدد الإمبراطورية البريطانية بأي شكل من الأشكال<sup>(١)</sup>.

---

(١) National Archives, Washington, Yale's Rep, no. 3. Nov. 12, 1917. The British policy in the Near East. pp. 1 - 4.

## الفصل الخامس عشر

### انحسار الحكم التركي

الحملة على الشام :

كانت الحملة البريطانية التي خرجت من مصر بقيادة سير أرشبالد مري قد استطاعت خلال النصف الثاني من عام ١٩١٦ أن تطرد الترك من صحراء سيناء وتمد خطاً حديدياً وأنايب مياه عبر الصحراء ، وبذلك حلت المشكلة التي تواجهها الحملة وقد قام جيش العمال المصريين Egyptian Labour Corps الذى بلغ تعدادة نحو مائة ألف من الفلاحين والعمال بانجاز هذا العمل تحت وطأة السياط ، وبذلك صارت العمليات العسكرية التالية مهمة للغاية (١) .

وتقدمت الحملة حتى وقفت قبالة غزة، ولكنها فشلت مرتين فى الاستيلاء عليها ومع ذلك فقد كان من رأى الحكومة البريطانية الاستمرار فى هذه الحملة أملاً فى تعويض بعض الخسائر التى منيت بها فى الجهة الغربية على أن تزود بتعزيزات جديدة ويعين عليها قائد جديد ، وبعد أن اعتذر جنرال سمطس Smuts من تولى قيادة الحملة رشح الذى لقيادتها فوصل إلى الإسكندرية فى ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩١٧ (٢) .

وعندما قررت بريطانيا إرسال الحملة على فلسطين بعثت فرنسا بفصيلتين من الجنود الجزائريين مع قوة فرنسية للعمل تحت إمرة القائد العام البريطانى

---

Gontaut - Biren : Ouv. Cit. p. 37.

(١)

Wavell: Allenby, a Study in Greatness (1940). pp. 184-7 (١)

وأطلق على هذه القوة « التجربة الفرنسية في فلسطين وسورية »<sup>(١)</sup>، وتتابعت الإمدادات الفرنسية لها من قبرص وبورسعيد حتى بلغ مجموع القوة في جيش الشرق Legion d'orient سبعة آلاف مقاتل في سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ .

وكانت البحرية الفرنسية قد استولت على جزيرة أرواد المواجهة للساحل السوري بين اللاذقية وطرابلس واتخذت منها قاعدة لجمع المعلومات عن العدو وتحركاته<sup>(٢)</sup>، ولما كان العنصر البريطاني هو الغالب على الحملة فقد خشيت فرنسا أن تضار مصالحها وحقوقها كما حددت في اتفاقية سايكس - بيكو ولذلك أوفدت بيكومند أبريل ١٩١٧ ليمثل المصالح الفرنسية في الشام ، بما فيها فلسطين، وعهدت إليه بالقيام بتنظيم الأراضي المحتلة ليحصل لفرنسا على مركز لا يقل عن مركز بريطانيا ، وعند الاستيلاء على أي مكان عليه أن يتأكد من رفعه على الدولتين « إن الاتفاقيات التي عقدت أخيراً (سايكس - بيكو) تحدد لك الخطوط العامة للسياسة التي تسير عليها في علاقتك مع العرب »<sup>(٣)</sup> .

وكانت الخطة التي وضعها اللبني تقوم على أساس التظاهر بالهجوم على غزة على أن يركز الهجوم على ميسرة الترك في بير سبع وكانت الحكومة البريطانية تريد أن يؤدي هذا الهجوم إلى إخراج تركيا من الحرب، ولما كانت الامدادات لم تصل إلى اللبني من سالونيك إلا في منتصف سبتمبر (أيلول) فقد تمديد آخر أكتوبر (تشرين أول) موعداً للهجوم على بير سبع على أن يبدأ بقصف غزة قبل ذلك ببضعة أيام<sup>(٤)</sup> .

---

Detachement Francais de Palestinet de Syrie (D.F.P.S.) (١)

Gontaut-Biron. Opv. Cit. pp. 38 — 39 .

(٢)

Stein, L. : Syria ( 1926 ) . pp 23 — 24 .

(٣)

Ibid 200 — 205

(٤)



وقد وصلت أخبار استمدادات البريطانيين على حدود فلسطين إلى الترك فعدلوا عن خطة الهجوم في العراق لاستخلاص بغداد ونقلت قوات الصاعقة Yilderim للدفاع عن فلسطين تحت إمرة القائد الألماني فالكنهاين، وبعد قصف غزة من البر والبحر بدأ الهجوم على بير سبع وسقطت في ٣١ أكتوبر ( تشرين أول) فتقهقر خط دفاع الترك بأكمله فوصلت القوات البريطانية إلى قلعة غزة في ٧ نوفمبر ( تشرين ثان ) لتجدها خالية ، وتابعت القوات البريطانية تقدمها بمعاذاة الساحل حتى يمكن ضمان معونة الأسطول وحمايته ، واستمر التقدم فسقطت يافا في ١٦ نوفمبر ( تشرين ثان ) وفي ١٨ منه بدأ التقدم نحو القدس التي سقطت في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ( كانون أول ) ودخلها اللنبي رسميا في ١١ منه يرافقه مندوب فرنسي وآخر إيطالي وكذلك الكولونيل لورنس الذي كان قد حضر إلى مقر القائد العام ليقدم تقريرا عن تقدم العمليات الحربية تحت إمرة فيصل قبل سقوط القدس مباشرة ، كما مثلت في العرض قوات رمزية تمثل القوات التي اشتركت في الحملة ومنها قوات فرنسية وإيطالية ، وكان إشراكها لأسباب سياسية<sup>(١)</sup> .

وهكذا لم يصل عام ١٩١٧ إلى نهايته إلا وقد أصبحت القوات البريطانية تسيطر على ذلك الجزء من الشام الذي كان يعرف باسم صنجقية القدس ، ولا شك أن القوات البريطانية لقيت في تقدمها - وبثأير الدعاية العربية - كل معارضة من السكان بوصفهم حلفاء جاءوا لتحريرهم فتخلى الجنود والضباط العرب عن مراكزهم في الجيش العثماني ولجأوا إلى الخطوط البريطانية ، كما تطوعوا للإدلاء بمعلومات كان لها قيمتها عن خطط ومواقع الترك ، وليس

---

Wavell : Allenby ; A Study in Greatness 217 - 230 . (١)

أدل على هذه المداعر من أنه عندما افتتح مكتب في القدس بعد سقوطها لتسجيل المتطوعين للخدمة في جيش الأمير فيصل اشتعل الحماس وأقبل الرجال على التطوع حتى كوفوا قوة تبلغ نحو ألفين رغم سوء حالة البلاد نتيجة إهلاكها من ظروف الحرب<sup>(١)</sup>.

وقد أثار دخول فلسطين واحتلال القدس عدة مشاكل واجهت اللبني نظرا لصعوبة التوفيق بين وعود بريطانيا للعرب ، وتعهداتها لفرنسا ، وتصريح بالفور الذي أصدر لصالح الصهيونية ، حتى أن بيكو الذي كان يرافق اللبني كممثل سيامي لفرنسا ذكر للجنرال اللبني يوم دخول القدس رسميا : غدا سوف تتخذ الإجراءات لإقامة إدارة مدنية في المدينة ، ولكن اللبني رد بقوله إن القدس ستظل خاضعة للإدارة العسكرية وأن الجزء المحتل من فلسطين سيدار باعتباره من بلاد العدو المحتلة ، وقرر اللبني أن العلم الوحيد المسموح برفعه خلال فترة الاحتلال العسكري هو العلم البريطاني الذي يرفعه القائد العام ، كما رفض السماح بنشر تصريح بالفور في فلسطين<sup>(٢)</sup> . ولعله كان يريد ضمان استمرار مساعدة العرب بدليل أنه سمح بنشره بعد ذلك بعد أن استقرت الأحوال وضمن النصر .

وقد أعلن ستفن پيشون pichon وزير خارجية فرنسا في ٢٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٧ أن سقوط القدس من الأحداث التاريخية التي لا تنسى وأنه ليس انتصارا لبريطانيا أو لفرنسا بل هو انتصار للعالم المتحضر ، وأنه لن يقام نظام انجليزى أو فرنسى مكان النظام الذى انهار وإنما سيقام نظام دول قائم على العدل والحرية ، إن فرنسا التى يعترف لها الجميع بحقوقها

---

Antonius : Ouv. Cit., pp. 229 — 230 .

(١)

Wavell : Ouv. Cit. pp. 236 — 7.

(٢)

التقليدية ودورها التحررى فى الشام هى المؤهلة بسبب هذا الوضع وبسبب المعاهدات التى لم تعد سراً لى تقوم - أكثر من أى دولة أخرى - بمهمة بعض شعب يعتمد عليها ويرتبط بها ببعض الروابط منذ القدم<sup>(١)</sup> .

كما قرر اللبى فى أوائل عام ١٩١٨ إصدار صحيفة للجيش تحت عنوان (أخبار فلسطين) The Palestine News واختار لإدارتها ضابطاً كان من هيئة تحرير التيمس وقد ثار بعد ذلك نقاش وجدل فى مجالس الحلفاء حول مستقبل حملة فلسطين وذلك بعد انسحاب روسيا من الحرب وما ترتب على ذلك من أن جانباً كبيراً من القوات الألمانية صار من الممكن نقلها من الجبهة الروسية وتعزيز القوات الألمانية فى الجبهة الغربية بحيث يصير لها التفوق العددي ولكن لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية طالب فى عام ١٩١٨ باستمرار الهجوم على فلسطين لإخراج تركيا من الحرب<sup>(٢)</sup> .

وليس أدل على أهمية دور العرب فى هذه الأحداث من نشاط الترك من أجل تعزيز حامية معان ، وإرسال المكاتب العربى الألمانى الذى أنشئ فى دمشق الكثير من الرسل يحملون الأموال لمحاولة كسب العرب ، كما أرسل عدد من الألمان المتخصصين فى الدعاية فى البلاد الشرقية تحت إشراف الهرنيدرمرر Niedermayer إلى عمان ، كما بذلت عروض ومحاولات للصلح مع فيصل من جانب الحكومة التركية بتأييد الحكومة الألمانية وبضمانها ، لكن دون جدوى<sup>(٣)</sup> .

---

Lyautey : Le Drame Oriental ( 1924 ) p. 153, (١)

Aboussouan : Le Probleme Politique Syrien ( 1925 ) p. 77, n. 1.

Wavell : Ouv. Cit. pp. 238 - 239 . (٢)

Antonis ; Ouv. Cit., 230 (٣)

وقرر النبي التقدم على طول الساحل والإستيلاء على المدن الساحلية على أن يحاول أن يمد عملياته نحو الشرق حتى عمان لكي تتقدم على طول الخط الحديدي مستعيناً بالعرب تحت قيادة فيصل لنحطيم خط سكة حديد الحجاز ولجذب أكبر عدد ممكن من القوات التركية إلى هذا الجانب حتى يسهل التقدم على الساحل ، ولقد كانت إغارات العرب شديدة الوطأة لدرجة أنه في يناير ( كانون ثان ) عام ١٩١٨ أرسل الترك حملة لإلحاق الهزيمة الساحقة بالعرب ولسكن الحملة التركية أيديت في طفيلة . وقد فشل النبي في عبور الأردن والاتصال بالقوات العربية في شرقه . وفي تلك الأثناء وصلت أنباء انتصار الألمان في فرنسا وتقهقر قوات الحلفاء . وكان لذلك أثره السريع على الحملة البريطانية على الشام فقد سحبت بعض قوات النبي وأرسلت إلى الجبهة الفرنسية وبدى في إحلال وحدات هندية تدريجياً محلها ولذلك لم يعد في مقدور هذه الحملة أن تكون قوة ذات فاعلية<sup>(١)</sup> .

ولما أيقن فيصل من صعوبة تحقيق الاتصال مع حلفائه البريطانيين قصر نشاطه على منطقة معان وحاول عزل المدينة تمهيداً للاستيلاء عليها ، فشدد العرب الضغط عليها وتعددت هجماتهم على خط سكة حديد الحجاز حتى قلت حركة النقل عليه واقتصرت على قطار واحد أسبوعياً ، وأصبح الترك يحدون أن محاولة تمسكهم بالمدينة المنورة تسكلهم كثيراً ، ولم يكونوا يتمسكون بها إلا لأسباب سياسية أكثر منها عسكرية ، من أجل الإبقاء على جزء من هيبتهم في العالم الإسلامي خاصة بعد سقوط الثنتين من المدن المقدسة الثلاث ، وهما مكة والقدس . وفي منتصف مارس ( آذار ) وصلت إلى الأدير فيصل أنباء اعتزام الترك إخلاء المدينة المنورة وسحب حاميتها والحاميات المربطة على خط سكة حديد الحجاز ونقلها إلى معان وبذلك يمكن استخدامها إما في أعمال هجومية مباشرة على قواته

أو لتدعيم وتعزيز القوات التي تقف للدفاع عن دمشق ضد أي تقدم بريطاني عربي نحو الشمال . وبعد مشاورات مع جويس ولورنس وبموافقة النبي وضع فيصل خطة للهجوم فوراً على معان لعزلها وقطع مواصلاتها مع المدينة وإحباط خطة الترك ، وبدأت الهجمات العربية في الأسبوع الأول من أبريل ( نيسان ) عام ١٩١٨ واشترك فيها جعفر باشا العسكري ، وفي أبريل ( نيسان ) كان قد تم عزل معان تماماً ولم تجد نفعا هجمات الترك المضادة<sup>(١)</sup> .

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن القوات العربية العاملة شرق الأردن كانت تحتجز الجيش الرابع ومركز قيادته عمان إلى جانب الفرقة الثانية المرتكزة على معان ويبلغ مجموع هذه القوات نحو أربعة عشر ألف جندي هذا بالإضافة للآلاف التي حصرها العرب في المدينة المنورة والحمايات التي احتجزوها على طول الخط الحديدي بينما كانت القوات البريطانية العاملة غرب الأردن تواجه الجيش السابع بقيادة مصطفى كمال باشا والثامن بقيادة جواد باشا ويبلغ مجموع هذين الجيشين نحو سبعة عشر ألف جندي ، وهذا يدلنا إلى أي مدى كانت العمليات التي قام بها العرب مفيدة للقوات البريطانية الزاحفة وسهلت مهمتها إذ كانت قوات فيصل وحدها تشغل تقريباً من القوات التركية عدداً مساوياً لذلك الذي كانت تواجهه القوات البريطانية ، وباحتلال المنطقة شرق معان كان فيصل يحمي الجناح الأيمن للجيش البريطاني في فلسطين ويحمي خطوط مواصلاته الطويلة من هجمات الترك بالقرب من الخليل ويبر سيع ، إذ أنه في أول مارس ( آذار ) عام ١٩١٨ عين القائد الألماني ليمان فون ساندروز خلفاً لفون فالكنهاين كقائد عام للقوات التركية الألمانية ، وأقام مركز قيادته في الناصرة .

وكان النبي قد استعد لبدأ الهجوم في الربيع لكن هجوم الألمان الكبير في

الجببة الغربية استدعى سحب بعض القوات من مصر وكان على اللنبي أن ينتظر ما يحل محلها من الهند ، وفي سبتمبر ( أيلول ) كان اللنبي قد أكمل استعداداته .

وقد وضع اللنبي خطة لتنفيذها بالتعاون مع العرب بقيادة فيصل لا كتساح الجيوش التركية الرابعة في الشام ، وكانت الخطة تقوم على أساس التقدم على طول الساحل مع قطع مواصلات الترك بين دمشق والجنوب قبل بدأ هجومه . وكانت أهم نقطة في مواصلات الترك هي درعا ، فإذا تم عزلها صار من المنعذر على الأتراك إرسال إمدادات بالسكة الحديد إلى فلسطين وبذلك يقطع عليهم خط الرجعة أمام هجوم عربي بريطاني مشترك ، لذا أن تهديد الخط الحديدي عند درعا يجعل لبنان فون ساندرز يرسل بعض قواته الاحتياطية من منطقة الناصرة لحماية المواصلات وبذلك تضعف مقاومته أمام التقدم البريطاني .

ومن المهم هنا أنه لم يكن في ذهن اللنبي التقدم في ذلك الوقت أكثر من خط طبرية عكا أي الحدود الشمالية لفلسطين<sup>(١)</sup> .

ولما كانت درعا بعيدة عن متناول قواته المتقدمة بينما هي في متناول حلفائه العرب فقد عهد إليهم بمهمة تحطيم الخط الحديدي قرب درعا قبل أن يبدأ هو هجومه - ويقول ويفل أن اللنبي لم يكن يثق في مقدرة العرب على احتلال درعا ذاتها<sup>(٢)</sup> ، وقد نالت الخطة استحسان الأمير فيصل لأن قواته قد صارت قادرة على الإسهام في تنفيذها إذ تحسنت أحوالها سواء من حيث الكفاية والتدريب بفضل جعفر باشا وزملائه الضباط ، ومن حيث الإمدادات بفضل بعض المصنفات والمدافع التي أمدته بها بريطانيا ، كما أن حصيده من رجال

---

Wavell, Alenby : A Study in Greatness, 265 , (١)

Wavell : Ouv, Cit, p, 26 (٢)

القبائل ازداد بسبب انتشار دعايته خلال عام ١٩١٨ حتى ضم انضمام بقية القبائل بين خليج العقبة والفرات إلى الثورة ، وقد حشد نوري شعلان زعيم الرولة أتباعه استعداداً للهجوم كما تعهد زعماء حوران وجبل الدروز سراً بالثورة في نفس الوقت الذي يبدأ فيه الهجوم .

وكما نمت قوة فيصل فقد تغير تكوينها فقد تضائل فيها العنصر الحجازي وأصبحت قواته سواء النظامية أو البدوية تتكون في معظمها من أهالي سورية وفلسطين والعراق أي من رجال كانت لهم مصلحة مباشرة ، فالبلاد التي هم على وشك دخولها هي وطنهم<sup>(١)</sup> .

وفي بداية سبتمبر (أيلول) نقل فيصل قاعدته في الأزرق وتقع إلى الشرق من عمان واختارها مركزاً لتجمع قواته ، وفي ١٦ سبتمبر (أيلول) — أي قبل الهجوم البريطاني بثلاثة أيام — قام فيصل بالهجوم على الخط الحديدي تنفيذاً لحملة النبي ونجح في قطع الاتصال بين درعا وعمان ، كما قامت جماعات عربية أخرى بتدمير الخط في أماكن أخرى في شرق وشمال درعا حتى تم عزل درعا تماماً في ١٧ سبتمبر (أيلول) ، وفي اليوم التالي (١٩) بدأ الهجوم البريطاني في جبهة فاسطين وتقهقر الترك أمامه وأخذت المواقع تسقط الواحد تلو الآخر .

وفي الوقت نفسه كانت القوات العربية شرق الأردن قد أحاطت بدرعا وأخذت تطبق على الجيش الثاني العثماني في عمان ، وما زاد الأمور سوءاً بالنسبة للترك أن الثورة عمت كل أنحاء البلاد<sup>(٢)</sup> .

Antonins : Ouv. Cit , p. 235,

Ibid pp, 236 — 239

(٢٧ — الحلقة)

(١)

(٢)

وقد احتلت القوات العربية معان في الثالث والعشرين من سبتمبر (أيلول) بينما قامت فصيلة من القوات البريطانية فعبرت الأردن واحتلت عمان في الخامس والعشرين<sup>(١)</sup> وأخذ الجيش الرابع التركي يتقهقر سيراً على الأقدام نظراً لأن الخط الحديدي إلى دوعا قد تحطم ، وإلى الشمال كان العرب يطبقون على درعا فاحتلوها في السابع والعشرين قبل وصول القوات البريطانية<sup>(٢)</sup> .

ويذكر كدوري أنه بعد دخول العرب درعا بساعات وصلت إليها فصيلة من القوات الهندية بقيادة جنرال بارو Barrow لاحتلال محطة السكة الحديد التي كانت في قبضة القوات العربية فرفض نوري السعيد وتدخل لورنس في النزاع وتحدث مع قائد القوة الهندية وفهم نوري السعيد من الحديث بينهما أن القيادة البريطانية زودت لورنس بتعليمات تنص على أن ما يستولى عليه الجيش العربي النظامي يصبح تحت الإدارة العربية<sup>(٣)</sup> .

واستمرت القوات البريطانية تشق طريقها صوب الشمال ، وكانت القوات العربية النظامية تحمي جناحهم الأيمن في لعقب الجيش الرابع بينما كان رجال القبائل يكيلون الضربات للقوات التركية المتقهقرة .

#### دخول دمشق :

وكان أول من وصل إلى مشارف دمشق الشريف ناصر ونوري شعلان بقواتهما — التي قطعت نحو سبعين ميلاً في يوم واحد — وذلك في مساء ٣٠ سبتمبر (أيلول) ، ولكن — كما يقول انطونيوس — احتراماً لرغبات القائد العام امتنعوا عن دخولها في تلك الليلة ، وقنعوا بإرسال وفد من القوات

Wavell : Ouv, Cit, p, 282,

(١)

Wavell : Ouv, Cit, p 23,

(٢)

Kedourie : Ouv, Cit, p, 119.

(٣)



غير النظامية لنقل البضائع إلى الأهلى ، ورسالة تحتم ضرورة إقامة حكومة عربية ، وعندما وصل مبعوثو الشريف ناصر إلى الميدان الرئيسى مساء ٣٠ سبتمبر ( أيلول ) شاهدوا العلم العربى ، علم ملك الحجاز ، يرفرف على قاعة بلدية دمشق ، وبذلك انتهى الحكم التركى قبل دخول القوات النظامية العربية والبريطانية<sup>(١)</sup> .

ويذهب ويفل<sup>(٢)</sup> إلى أن القوات الأسترالية بمثابة فى فصيلة الخيالة الخفيفة الأسترالية بقيادة الجنرال ولسن عندما وصلت إلى ضواحي دمشق فى مساء ٣٠ سبتمبر ( أيلول ) وجدت أن بعض القوات العربية غير النظامية قد دخلت المدينة وأن القوات الأسترالية دخلت المدينة فى صباح أول أكتوبر ( تشرين أول ) وتبعها الشريف ناصر ونورى شعلان بقواتهما . ويقول Kedourie أن القوات الأسترالية والهندية والفرنسية مع الجيش العربى الشمالى كانوا يطبقون على دمشق وأنه فى الساعة الواحدة بعد ظهر ٣٠ سبتمبر ( أيلول ) اقترب الأستراليون والفرنسيون من ضواحي المدينة ، وعندما كما يقول بيخون Pichon وهو أحد ضباط الفصيلة الفرنسية — وصل أحد الضباط الأستراليين يحمل أمراً هاجلاً من الجنرال أونسلو Onslow بوقف الزحف وبعد برهة وصلت إشارة من القيادة العامة بأنه مهما كانت الأحوال يجب ألا تدخل أى قوات إلى دمشق قبل صدور تعليمات أخرى<sup>(٣)</sup> وأن ماسى Massey وهو مراسل إحدى

---

Cyrril Falls : Military Operations II ( 1930 ) ; pp.588 — 9 (١)

Massey : Allenby's Final Triumph ( 1920 ) p. p. 252 - 3.

السكوكب العدد ١١٤ ( ١٥ أكتوبر ١٩١٨ )

Wavell : Ouv. Cit, p. 284

(٢)

Pichon : Sur la Route des Indes, 121 — 122

(٣)

المصحف ومرافق للقوات الزاحفة يؤكد أن تعاليم خاصة أعطيت بخصوص  
تجنب دخول دمشق إذا كان ذلك ممكناً (١).

ويعلق Kedourie على ذلك بأن الهدف من هذا الإجراء هو إعطاء فرصة  
للجيش العربي لكي يثبت وجوده في دمشق أولاً ، ويذكر لورنس (٢) أن  
اللتبي كان يأمل أن يكون العرب موجودين في دمشق فقد كان يعلم قيمة دمشق  
بالنسبة لهم .

ويقول البلاغ الرسمي الصادر في ٢ أكتوبر ( تشرين أول ) أن دمشق قد  
استسلمت في السادسة من صباح أول أكتوبر ( تشرين أول ) حيث دخلتها  
« قوائم الرأكة والجيش العربي وأنه بعد إقامة نقط حراسة سحب القوات  
من المدينة » (٣) .

وبذلك تركت دمشق للأشراف لإدارتها وفاء بالوعد الذي تضمنه التصريح  
للسوريين السبعة ، والتزام البريطانيين نحو فيصل ، ولو أن الفرنسيين يرون أن  
الإجراءات التي اتخذتها القيادة البريطانية تبدو كما لو كانت تدعو العرب للسيطرة  
على الشام وأن تقدم الجيش نظم بحيث لا يباح للقوات الفرنسية فرصة دخول  
دمشق أولاً ، وكان يطمح القوات البريطانية يبدو كما لو كان مقصوداً (٤) .

ويتساءل Kedourie من أصدر الأمر بتسليم دمشق للجيش العربي وهل  
صدر الأمر من لندن أم من اللتي بتأييد لورنس ورجال المكتب العربي فقد

---

Massey : Allenby's Final Triumph ( 1920 p.) 230 , (١)

Lawrence : Seven Pillars, 664 . (٢)

Yale : Report on Nov. 9, 1918 , (٣)

Gontaut-Biron : Ouv, Cit. p. 46. (٤)

اعتبر Kedourie ذلك أمراً بعيد الأثر لأنه جعل الأكراف وأهالي الشام يعتقدون أن الإمبراطورية البريطانية تؤيدهم ومن ثم امتنعوا عن الوصول إلى اتفاق مع فرنسا ، كما أن هذا القرار دج ببريطانيا في نزاع مع فرنسا وتعرضت بلاد الشام لعامين من القلاقل والاضطرابات وخلقت أسطورة مؤداها أن الثورة العربية قد انتصرت ، وتوجت انتصارها بالاستيلاء على دمشق ،<sup>(١)</sup> .

وعلى ذلك يمكن القول بأن القوات العربية غير النظامية دخلت دمشق يوم ٣٠ سبتمبر ( أيلول ) ، أما القوات النظامية فإنها لم تدخلها إلا صباح أول أكتوبر ( تشرين أول ) مع القوات المتحالفة .

وجدير بالذكر أن مسألة دخول القوات العربية دمشق قبل قوات الحلفاء ليست بالأمر الذي تعلق عليه هذه الأهمية الكبرى ، حتى إذا كان ولن والأسريون قد عبروا دمشق في الخامسة صباحاً فإن الفرق بين هذا الوقت ودخول قوات العرب النظامية كان ضئيلاً للغاية ، وعلاوة على ذلك فإن العرب كانوا يمثلون ميمنة القوات البريطانية ولم يكن في استطاعة الحلفاء بدون معونة العرب أن يصلوا إلى دمشق بسهولة ، وعلى كل حال فإن حق العرب في دمشق لا ينبع من الفتح والاحتلال وإنما حقهم ثابت وواضح فيها بصرف النظر عن القوات التي تحتلها قبل الأخرى .

وقد هم الفرح دمشق وخرج أهلها للترحيب بالقوات البريطانية والعربية وأظهروا حماساً عظيماً .

ولقد كان لسقوط دمشق أهمية سياسية كبرى إذ أن العرب كانوا يعتبرون أن سقوطها يقوى الأمل في تحقيق الأمان القومي ، بإقامة الدولة العربية

المستقلة تامة السيادة وتكون بلاد الشام جزءاً منها ، ولكن شبح اتفاقية سايبكس - بيكو كان يحيم على هذه الآمال ، تلك الاتفاقية التي أعطت لفرنسا بعض الحقوق في سورية ، ولبريطانيا في فلسطين ، وخاصة بعد أن أذاعت روسيا نصوص الاتفاقية ، فكان العرب في قلق ، فاهتموا لذلك بإثبات حقهم في سورية ودمشق عن طريق الفتح وإظهار أنفسهم بمظهر القادرين على القيام بأعباء الإدارة<sup>(١)</sup>.

وطبقاً للتاريخ الرسمي للعمليات الحربية في مصر وفلسطين يذكر ماجور أولدن Olden أنه وجد في قاعة البلدية محمد سعيد الجزائري أحد الضباط العرب في الجيش العثماني يرأس اجتماعاً ويعلن أن القائد التركي قد أقامه حاكماً بعد ظهر اليوم السابق ، ولكن عندما دخل لورنس دمشق في صباح أول أكتوبر كان أول ما فعله أن عزل الأمير سعيد الجزائري من رئاسة الحكومة وعين شكري باشا الآيوني حاكماً عسكرياً على دمشق<sup>(٢)</sup>.

ورغم ما قيل في تعليل عداوة لورنس للأمير سعيد فإنه من المتفقد أن لورنس كان يشك في أن الأخوين الجزائريين كانا ذوي ميول تركية أو بالأحرى فرنسية<sup>(٣)</sup> ، إذ كان يخشى أن يكونا من عملاء فرنسا ويعملان من أجل مصالحها ، وهو كان يعمل جاهداً من أجل الحيلولة دون تقدم الفرنسيين من بيروت إلى دمشق واحتلالها<sup>(٤)</sup> ولعل لورانس من ناحية أخرى كان يخشى

---

wavell : Allenby, Study in Greatness, p. 285. (١)

Lawrence : Secret Despatches, pp. 170 — 171. (٢)

Gontant-Biron : Ouv. Cit, p. 48 .

Zeine : Struggle for Arab Independence, p. 26 . (٣)

Parliamentary Debates-House of Commons, 5th Series, Vol. 182 p. 159 .

Garnett, D, : Letters of T, E, Lawrence, P, 87. (٤)

أن تتفوق سلطة الأميرين الجزائريين في دمشق على سلطة الأمير فيصل بحيث يصبحان عقبة في طريقه ، ولربما كان لورلس مدفوعاً أيضاً بعدائه للأميرين الجزائريين والذي كان يرجع إلى الوقت الذي كانا فيه مندوبين عن الأتراك في المحادثات التي حاول فيصل — على حد قول kedourie — أن يبيع فيها الإنجليز ، والتي لم تؤد إلى نتيجة ، وبينما يقول ييل في تقريره ( بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١٨ ) أن الأمير عبد القادر الجزائري قتل أثناء هجومه على بيت الأمير فيصل فقتله الحارس ، فإن رواية أخرى تذكر أن فيصل أمر بالقضاء على الأميرين فاستلم الأمير سعيد ونقل إلى حيفا بينما قتل عبد القادر أثناء المقاومة<sup>(١)</sup>

#### الشام عقب سقوط دمشق :

وبعد أن دخل فيصل دمشق في الثالث من أكتوبر ( تشرين أول ) وسط ترحيب الأهليين صدم صدمة كبرى لأنه في اليوم نفسه أسرع اللنبي إلى دمشق وقد أنارته الاخبار التي تلقاها من الشام ، واستبد به القلق نتيجة الرسائل التي وردت من القيادة العامة في بير سالم ، ومن المعتمد البريطاني في مصر ، ومن قنصل فرنسا العام في مصر ، ومن مسيو بيكو وخاصة تلك التي جاءت من وزارتي الحربية والخارجية البريطانيتين ، وكان مضمون هذه الأنباء والرسائل جميعاً هو أن عليه وقف التيار العربي الجارف ، وأن يسد الطريق أمام فيصل وأحلامه ، وأن يتذكر اتفاقية سايكس/بيكو<sup>(٢)</sup> . ولذلك فإنه بعد أن دخل اللنبي دمشق بحث في طلب فيصل وتمت المقابلة في قاعة الاستقبال بفندق

---

Samré Syria (1920) p. 484—5,

(١)

Beckles, Wilson: Our Amazing Syrian Adventure, National (٧)

Review, Sept. 1920 ) p. 46,

فيكتوريا بمصور لورنس ، وفي أثناءها أشار النبي إلى أن الحرب لم تلته بعد ، وأن الأراضي التي احتلتها القوات التي تحت قيادته إنما تعتبر من أراضي العدو ، وأن بريطانيا مسئولة عن إدارة هذه المناطق ، وأنه تلقى تعليمات بالسماح للفرنسيين بالسيطرة على المنطقة غرب دمشق وحلب والتي تتضمن بيروت ولبنان ( أى المنطقة الزرقاء ) وعندما اعترف لورنس أنه بمحسنة بعث شكرى باشا لامتلاك بيروت نيابة عن الملك حسين ملك الحجاز الذي يعتبر كل الشام ملكا له ، ذكر لورنس أن أى حقوق لفرنسا في الشام سيكون لها عواقب وخيمة<sup>(١)</sup> امتناء النبي من كلام لورنس وسأله عما إذا كان لا يعلم شيئا عن الاتفاق مع الفرنسيين الذي تمهدت فيه بريطانيا بالاعتراف بالحماية الفرنسية على لبنان والساحل السوري ، فأجاب لورنس بالنفي ، وأفهمه النبي بأنه لم يكن مكلفا باحتلال المنطقة الساحلية ، وأن عليه أن يذهب إلى لندن ويشرح الأمر للمستولين بوزارة الخارجية ، وأن مهمة القائد العام تنفيذ التعليمات التي يتلقاها والتزامات حكومته وارتباطاتها<sup>(٢)</sup> .

ثم التفت النبي إلى فيصل وأخذ يشرح له أن المنطقة التي تضم دمشق وحمص وحماه وحلب ( المنطقة أ ) ستكون تحت حماية فرنسا التي تمهدت بأن تقيم فيها دولة عربية مستقلة ، وأنه على استعداد للإعتراف بإدارة عربية تحت إمرة فيصل كممثل لوالده الملك حسين ، وذلك في الأراضي الواقعة شرقي نهر

---

(١) ولو أن لورنس في خطابه إلى بيل عام ١٩٢٩ أنكر مسئوليته مؤكداً أن على رضا الركابي هو الذي أرسل شكرى الأيوبي إلى بيروت .

Zeine : Struggle, pp. 29-30,

Garnett, D, : The Letters of T, E, Lawrence (1938) (٢)

pp, 670 -- 671,

الأردن من العقبة إلى معان ودمشق بما فيها المدينة الأخيرة وأنه سيعين ضابطاً على  
الصال أحدهما بريطاني والآخر فرنسي وعن طريقهما يستطيع فيصل أن يتصل  
بالحكومتين البريطانية والفرنسية بخصوص مسائل الإدارة العربية ، وعندما  
احتج فيصل بشدة على أي سيطرة لفرنسا على الشام أصر النبي على ضرورة  
إطاعة أوامره وتنفيذها بصفته قائداً عاماً وأنه يجب على فيصل قبول هذا الوضع  
لحين عقد الصلح<sup>(١)</sup>.

وهكذا أطلقت اتفاقية سايكس / بيكو برأسها وعادت إلى الظهور وألقت  
سحابة كثيفة على آمال الملك حسين والوطنيين العرب بعد أن أغفل وجودها  
عن قصد خلال ثلاثة أيام ( من ١ - ٣ أكتوبر )<sup>(٢)</sup>.

وفي مساء الثالث من أكتوبر ، وفي مأدبة عشاء في فندق فكتوريا بدمشق  
كولوندر Coulander كبير المستشارين السياسيين لمنطقة النفوذ الفرنسي سأل  
كلايتون عن الحالة في بيروت ولبنان فأخبره نوري السعيد بأن قوة شريفة  
صغيرة من الفرسان أرسلت إلى بيروت فعاد كولوندر المائدة على الفور  
وذهب رأساً إلى بيروت من أجل الإسراع - كما عرف فيما بعد - بإزالة  
قوات فرنسية هناك ، وعندما رأى كلايتون كولوندر يغادر المائدة التفت إلى  
نوري السعيد قائلاً : يبدو أننا سنواجه واحدة من أصعب وأعقد مشكلاتنا  
مع الفرنسيين<sup>(٣)</sup> ، وكانت قد شكلت في أول أكتوبر ( تشرين أول ) إدارة  
عربية في بيروت على رأسها عمدتها عمر الداهوق ، إذ أنه بعد أن انسحب الترك  
منها في ٣٠ سبتمبر ( أيلول ) تلقى عمر الداهوق برقية من الأمير سعيد

Wavell: Ouv, Cit, p. 286

(١)

Zeine : Ouv. Cit, pp, 30 — 31

(٢)

(٣) يقول زين أن هذه رواية نوري السعيد له . Ibid p, 32

الجزائري في دمشق يبلغه فيها بإقامة حكومة عربية هاشمية في دمشق ويطلب منه إقامة إدارة عربية في بيروت باسم هذه الحكومة (١) . وأصدرت حكومة الداهوق في صحيفتها الرسمية (بيروت) في عددها الثالث الصادر في يوم الخميس الثالث من أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ بياناً مجدت فيه الحكومة العربية الهاشمية وخطبت أهالي بيروت بأن الله قد من عليهم بالاستقلال في ظل الحكومة العربية الهاشمية وهي حكومة أمينة مخلصه تدعو إلى العزة .

وينقل زين عن نوري السعيد أن بعض أعيان بيروت ومنهم أحمد مختار بهم وسليم طاهر بعثوا برفقة إلى القيادة العربية في دمشق يطلبون فيها إيفاد مندوب عن الشريف حسين لتنظيم حكومة عربية فيها ، فطلب منهم نوري السعيد رفع العلم العربي على كل المباني الحكومية وأبلغهم أن قوة عربية سترسل لمساعدتهم ، وعندما أخطر فيصل بالموقف وافق على إيفاد شكرى الأيوبي مع قوة رمزية من مائة جندي عربي وبعض المدافع والأعلام ، وغادرت هذه القوة دمشق في الثاني من أكتوبر فوصلت في الرابع منه (بسبب تدمير الألمان للخط الحديدي بين المدينتين) ويقال أن إيفاد شكرى الأيوبي كان بناء على إلحاح من لورنس على الأمير فيصل (٢) .

أما في لبنان فإن الأمير سعيد الجزائري كان قد أرسل أيضاً من دمشق منذ ٣٠ سبتمبر (أيلول) إلى البطريرك الماروني إلياس بطرس الحويك يطلب منه إقامة حكومة عربية في جبل لبنان ، ولكن البطريرك لم يرد انتظاراً لما

---

(١) توجد صورة فوتوستات لهذه البرقية وإعلان إنشاء الحكومة العربية في بيروت في صحيفة الحياة (البيروتية) في العدد رقم ١٠٧٠ بتاريخ ٥ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٣٩ ص ١ .



تسفر عنه الأحداث ، كما وجه سعيد الجزائري إلى زعماء القرى اللبنانية بياناً في أول أكتوبر ( تشرين أول ) يدعوهم فيه إلى التوجه إلى بعابدة ( مقر متصرفية لبنان ) لتكوين حكومة مستقلة ، لأن أول سلطان على العرب - وهو الأمير فيصل - قد دخل دمشق ، ويطلب منهم التزام الهدوء والتعبير عما في نفوسهم من رغبات وكان البيان بتوقيع الأمير سعيد الجزائري ، وكيل السلطان ورئيس الحكومة العربية<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن الأمير سعيد الجزائري لم يشر إلى الملك حسين في بيانه ، ولعله كان يريد تجنب إثارة اللبنانيين الذين قد يرضون بالاندماج في الشام دون الحجاز وكان ممتاز بك متصرف لبنان - قبل رحيله - قد عهد بالحكومة في جبل لبنان إلى حبيب فياض عمدة بعابدة ، مقر متصرفية لبنان ، فأقيمت حكومة مؤقتة على رأسها مالك شهاب وعادل أرسلان ، وقد أبرق البطريك في الخامس من أكتوبر ( تشرين أول ) إلى عادل أرسلان يطلب منه السيطرة بعدة على ناصية الأمور وأن ينصح الأهالي بعدم الاتصال بأحد حول مستقبل البلاد إلى أن يتبادل معهم البطريك وجهات النظر .

تم تقديم شكوى الأيوبي من بيروت إلى بعابدة حيث أصبح يرفرف العلم العربي على سراي الحكومة ، وهناك في احتفال رسمي - في السابع من أكتوبر ( تشرين أول ) - أقيم - باسم الملك حسين - حبيب باشا السعد رئيساً للحكومة الجديدة في لبنان والتي كانت تتكون من أعضاء المجلس الإداري السابق ، وأقيم حبيب باشا في الاحتفال يمين الولاء للحكومة فيصل في دمشق .

وقد كتب حبيب باشا إلى البطريرك يخطره بما حدث ووقع خطابه بمباراة حاكم لبنان<sup>(١)</sup> وقد كان الاحتفال صدمة كبيرة للموارنة ، ولما كان لبنان يتمتع بوضع خاص منذ ١٨٦١ حين صار منصرفية تتمتع بحكم ذاتي وبحكمه منصرف فقد اعتبر البعض سياسة فيصل في إقامة حكومة عربية هاشمية في بيروت ولبنان باسم ملك الحجاز سياسة قصيرة النظر لأنها أثارت ليس فقط شكوك الفرنسيين حول نوايا فيصل وإنما أثارت كذلك شكوكهم في نوايا بريطانيا في الشام ، فقد كان الفرنسيون يرون أنه رغم أن اللبني قد منع رفع الأعلام إلا أنه لم يطبق هذا الحظر على العرب حيث صارت كل المدن في الداخل وعلى الساحل ترفع العلم العربي إلى أن تدخل كولوندر لدى اللبني بمصوص المنطقة الزرقاء .

وقد احتج الفرنسيون بشدة لدى وزارة الخارجية البريطانية وجنرال اللبني وكان من نتيجة ذلك أن أمر اللبني بعض ضباط مخابراته بالتقدم إلى بيروت وعزل شكري الأيوبي من منصبه وإزالة الأعلام الحجازية وإعطاء التأكيدات اللازمة للقائد البحري الفرنسي الذي كان يقف بسفنه قبالة بيروت بأن في استطاعته إزالة قواته إلى البر ، وفي الوقت نفسه أرغم فيصل على أن يرسل أمره إلى شكري الأيوبي بمثله في بيروت بالعودة فوراً إلى دمشق تجنباً للصدام مع الفرنسيين .

وقبل احتفال بعابدة بيوم واحد أي في السادس من أكتوبر (تشرين أول) قامت بعض قطع الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال فارني Varney بدخول ميناء بيروت ، وبعد يومين (في ٨ أكتوبر) وصل البريطانيون بقيادة الجنرال

بلفن Bulfin بعد أن تقدموا من حيفا بحذاء الساحل ، وفي نفس اليوم وصل ضباط المخابرات البريطانية من دمشق إلى بيروت وأبلغوا شكري الأيوبي بأن مهمته قد انتهت ، ورغم احتجاجه فقد أنيلت الأعلام العربية تحت جناح الظلام<sup>(١)</sup> وصلت إلى بيروت الفصيلة الفرنسية التي كانت ملحقه بجيش اللنبي

Detachment Francais de Palestine et de Syrie.

وكان يقودها الكولونيل بيباب الذي تولى مهام منصبه في بيروت كأمين حكام عسكريون لمدين صيدا وصور .

وبمناسبة إخلاء بيروت من القوات الشريفة قدم اللنبي بعض التأكيدات الرسمية للأمير فيصل ، وقد أبلغ اللنبي حكومته بهذه التأكيدات في السابع عشر من أكتوبر ( تشرين أول ) وعفاها أنه مهما كانت الإجراءات التي تتخذ في فترة الإدارة العسكرية فإنها مؤقتة وإن تضر بالتسوية النهائية التي يضمها مؤتمر الصلح الذي سيمثل فيه العرب ، كما أبلغ اللنبي حكومته بأنه أمر الحكام العسكريين بعدم التورط في المسائل السياسية . وأنه أبلغ فيصل بأن الحلفاء قد تعهدوا بشرف من أجل الوصول إلى تسوية تتفق ورغبات الشعوب المعنية<sup>(٢)</sup> .

ومنذ الخامس من أكتوبر ( تشرين أول ) أقام فيصل في دمشق حكومة

---

Beckles Wilson : Our Amazing Syrian Adventure in (١)

( National Review ) Sept. 1920, pp. 45-46.

Gontaut-Biron : Ouv. Cit. p. 49.

Zeiner:Ouv Cit., p. 39 (footnote) extract from Cmd 5694 (٢)

N. 4 1939. Statements made on behalf of H.M.G. during 1918 in regard to the Future State of certain parts of the Ottoman

عربية عسكرية للقمام ، بموافقة الجنرال اللنبي ، الذي أبلغ حكومته بذلك في اليوم التالي (١) .

وأصدر فيصل باسم والده أول بياناته الرسمية موجهاً إلى شعب سورية ، وفيه شكر فيصل السوريين على الاستقبال الحار الذي لقيته قواته المنتصرة وعلى الولاء للسلطان حسين ، ثم أعلن قيام حكومة عربية دستورية في الشام تتمتع بالاستقلال التام باسم السلطان حسين ، وتمتد سلطتها على كل الشام وعين على رضا الركابي رئيساً لهذه الحكومة ، أما بقية البيان فقد أهاب فيه بالسكان من أجل المحافظة على النظام والقانون وإطاعة الحكومة الجديدة ، ومن أجل إزالة مخاوف المسيحيين والأقليات الأخرى في الشام اختتم فيصل بيانه بتأكيد أن الحكومة حكومة عربية تقوم على العدالة والمساواة بين جميع العرب الذين سوف يتمتعون بنفس الحقوق سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهوداً (٢) .

وبعد سقوط دمشق ألحقت الحكومة البريطانية على اللنبي لكي يتقدم إلى حلب ويحل بقية الشام ، وقد تم تنفيذ ذلك قبل نهاية أكتوبر ( تشرين أول ) نتيجة عمليتين حربيتين : الأولى بالتقدم بمحاذاة الساحل عبر صور ( ٤ أكتوبر ) وصيدا ( ٦ أكتوبر ) وبيروت ( ٨ أكتوبر ) حيث كانت القوات الفرنسية قد سبقت البريطانيين بإزالة جنود من السفن الحربية كما سبق القول ، كما احتلت طرابلس بعد احتلال بيروت بخمسة أيام ، أما العملية الثانية فكانت بالتقدم عبر المناطق الداخلية عبر حمص وحماه وحلب وقد ساهم العرب بنصيب كبير وفعال في العملية الذنية حتى دخول حلب (٣) ، ولقد كان التقدم إلى حلب عمالية

Empire, pp. 6—7.

(١)

(٢) ساطع الحمري : يوم ميلون ص ١٩٤/١٩٥ .

Wavell : Allenby, A Study in Greatness, p. 288.

(٣)

صعبة شاقة بسبب إرهاق القوات وصعوبة تدبير المؤن بعيداً عن القاعدة وانتشار المرض واحتماد قوات كبيرة من الترك المنسحبين على الطريق . ولكن تعاون العرب والبريطانيون فتقدمت قوة بريطانية على الطريق الرئيسى تمهيداً في جناحها الأيمن قوة عربية نظامية ، بينما الشريف ناصر وقوة من رجال القبائل تهاجم حمص وتحتلها في الخامس عشر من أكتوبر ( تشرين أول ) قبل وصول البريطانيين ، وبعد يومين احتل العرب بقيادة الشريف ناصر حماة دون مقاومة ، ولكنه وجد مقاومة قوية من جانب الترك بقيادة مصطفى كمال دفاهاً عن حلب ، وبينما القوات النظامية العربية والبريطانية تستعد للهجوم عليها استطاعت قوات القبائل أن تدخل المدينة بعد ظهر الخامس والعشرين من أكتوبر فاضطر الترك إلى الانسحاب وبذلك استطاعت القوات النظامية العربية والبريطانية دخول المدينة في صباح السادس والعشرين .

ومن التاسع والعشرين قامت قوة من رجال الشريف ناصر باحتلال المسلية حيث يتفرع الخط الحديدي من الأستانة إلى فرعيه السوري والعراقي وكان احتلالها يمثل أقصى ما وصل إليه تقدم القوات المنحازة شمالاً إذ أنه في اليوم التالي وقعت هدنة مدروس بين تركيا والحلفاء (١) .

#### القيمة العسكرية للإسهامات العربية :

اتجه بعض الكتاب إلى الخط من قيمة ما أسدته العمليات العربية التي اضطلع بها العرب في عصر الحلفاء وخاصة بريطانيا في ميداني الحجاز والشام ، وأثر ذلك على النتيجة العامة للحرب ، فيرى ونجت أنه لم يكن للثورة أهمية عسكرية في العمليات التي دارت في الحرب العالمية الأولى ، وأن أهميتها كانت محلية اقتصر على الحيلولة دون سيطرة الترك على الحجاز ، وأنها كانت ثورة

سياسية احتضنتها بريطانيا لمواجهة مركز الترك الديني ، ذلك المركز الذى كان من الممكن أن يؤثر على الولاء التام لمائة مليون مسلم من رعايا بريطانيا ،<sup>(١)</sup>.

وهذا الفرنسي جوتو برون Gontaut — Biron يذهب إلى أن معونة العرب لم يكن لها تأثير على النتيجة النهائية للحملة على الشام ، وأن البدو الذين كانوا بحاربون لم تسكن لهم قيمة من الناحية العسكرية ، بل كانوا يجتمعون ويفترقون حسب هوام ، وأن الجيش النظامى العربى لم يتجاوز أربعة آلاف من الجنود ، لم يعملوا وحدهم وإنما كانت تشد أزرهم القوات البريطانية والفرنسية ويدل على ضعفهم معجزهم عن الاستيلاء على المدينة المنورة إلا فى ١٣ يناير (كالون ثان) ١٩١٩ أى بعد عقد الهدنة ، وأنهم لم يحرزوا سوى نصراً واحداً وهو الاستيلاء على معان وأن هجاتهم على الخط الحديدى بين معان والمدينة لم تؤثر على الحركة على الخط التى استمرت حتى عام ١٩١٨<sup>(٢)</sup>.

وهذا كدورى kedourie يقول إن تعنيد رجال القبائل العربية إنما كان لانتقاء شرم أكثر من زيادة القوة المحاربة للأشراف ، وأن قوات الأشراف النظامية لم تتجاوز فى أعلى تقدير ثلاثة آلاف ، بل ويذهب كدورى إلى حد القول بأن البعض قدرها بستمائة رجل فقط<sup>(٣)</sup> ، رغم أن ونجت — شأنه شأن جوتويرون — يقدرها بأربعة آلاف<sup>(٤)</sup>.

ورغم هذه الأقوال المخروسة التى تهدف إلى القليل إلى أقصى حد من قيمة

---

Wingate : Ouv. Cit. , p. 197

(١)

Gontaut-Biron : Ouv. Cit. pp. 43—44.

(٢)

Aldington : Lawrence of Arabia (1954) p. 197—8.

Kedourie : Ouv. Cit. , pp. 117—118

(٣)

Wingate : Ouv. Cit. , p. 192.

(٤)

الثورة وعملياتها العسكرية وتأثيرها على النصر العام رغبة في إنكار حق العرب في الخروج من الحرب بأي مكسب يقصد مخططات بعض الدول فإن هناك من لم يستطيع إنكار حقيقة ما أسداه العرب للحلفاء عامة وبريطانيا على وجه الخصوص في أثناء الحرب ، فهذا ويفل Wavell يذكر أن الثورة أسدت خدمة قيمة للقيادة البريطانية لأنها شغلت جانباً كبيراً من التعزيزات والإمدادات التركية وحولتها إلى الحجاز ، كما حمت مينة القوات البريطانية في تقدمها عبر فلسطين ، وإلى جانب ذلك فقد وضعت حداً للدعاية الألمانية في جنوب شبه الجزيرة العربية وأزال أي خطر كان من الممكن أن ينشأ من إقامة قاعدة للغواصات الألمانية على البحر الأحمر<sup>(١)</sup> وفي التقرير الختامي الذي رفعه اللنبي في أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٨ عن سير الحرب جاء أن الجيش العربي قد ساعدنا مساعدة عظيمة القيمة بقطع مواصلات العدو قبل القتال ، وبمعاوته لفرساننا في أثناء الزحف صوب دمشق ، فقد رابط العرب على طريق تقهقر العدو شمالاً درعا . لحال دون فرار جانب من الجيش العثماني الرابع وأزل بالعدو خسائر فادحة<sup>(٢)</sup>.

وهذا ليمان فون ساندروز يذكر أن الثورة العربية أدت خدمات جليلة للقوات البريطانية الزاحفة من شبه جزيرة سيناء فسكان البريطانيون يحاربون وهم مطمئنون كما لو كانوا يحاربون في بلادهم ، بعكس الترك الذين كرههم أهل البلاد فكانوا يقاتلون وكأنهم في بلاد معادية<sup>(٣)</sup>.

كما ذكر أحد ضباط المخابرات في القوة التركية التي كانت تدافع عن معان

---

(١) Wavell : The palestine Campaigns (1951) p. 56,

(٢) أمين سميدج اس ٢٧١ و Lofer : The Truth about Mesopotamia

Palestine & Syria ( 1923 ) p 26

(٣) محمد طاهر العمري صرحبع سبق ذكره ج ٢ ص ٢٥٦ .

أنه لولا وجود جيش عربي فاصب الترك العداء في جزيرة العرب وفي جبهة طولها نحو ألف كيلو متر لما تم للجيش البريطاني إحراز النصر الذي أحرزه بهذه السرعة وبدون عناء كبير ، فإلى الجيش العربي يرجع الفضل في وصول البريطانيين إلى قلب البلاد العربية واحتلال القدس ، ولولا الجيش العربي لكان في استطاعة الترك تطويق القوات البريطانية وإجبارها على التراجع ، فقد شغل العرب نحو أربعين ألف مقاتل من الترك بأسلحتهم الكاملة ، كان من الممكن حشدهم في ساحة فاطمين في مواجهة البريطانيين لمنعهم من التقدم ، وكانت القوات المحاصرة في المدينة بقيادة ثغرى باشا تقدر بنحو خمسة عشر ألف جندي علاوة على القوات التركية التي كانت تسهر على حماية الخط الحديدي وكانت تقدر بنحو عشرة آلاف إلى جانب ثمانية آلاف في معان وأربعة آلاف في تبوك ، ولو تجمعت هذه القوات في وجه اللنبي لما كان في مقدوره بلوغ دمشق<sup>(١)</sup> ، بل ذهب البعض إلى إحد القول بأنه لولا اتفاق البريطانيين مع الشريف حسين لما استطاعوا عبور القناة والتقدم في الشام لمحاربة الترك الذين اضطروا إلى تجزئة قواتهم إلى قسمين أحدهما يحارب البريطانيين والآخر يحارب العرب مما عجل بانكسار الترك<sup>(٢)</sup>.

ويذهب نيدل هارت إلى القول بأن ثورة العرب نجحت في كل سلاح الجهاد الذي لم تعد له قيمة خارج تركيا رغم جهود مبعوثي الترك والألمان ، وأنقذت بريطانيا من الحرب المقدسة التي كان سينوء بها ظهرها . لقد أقدم الحسين على مغامرة ولا شك أنه لو انحاز إلى جانب الجهاد فكل ما كانت تستطيعه بريطانيا هو أن تحاصر سواحل الحجاز ، وفي هذه الحالة سيثور عليها

(١) أمين سعيد : الثورة العربية ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية ج ١ ص ٩٦ .



وعاياها المسلمون غضباً وحقداً لمحاولتها إجاعة الأماكن المقدسة، بينما يرفض الجهاد أئمة الحسين غضب الترك ووضع مصره تحت رحمتهم إذا خرجوا من الحرب منتصرين<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة هذه الأقوال جميعاً نخلص إلى أن العرب — رغم ضآلة قوتهم بالنسبة لقوة حلفائهم — أدوا خدمة جليلة لإنجاح العملية العسكرية الرئيسية، فقد أخرجوا الترك من الحجاز وبذلك ضمنت بريطانيا عدم استخدام سواحل البحر الأحمر الشرقية ضدها، كما أخذت القوات العربية النظامية وغير النظامية تعمل شرق نهر الأردن، واحتل العرب على النعاقب: الوجه، العقبة، معان، درعا ثم تقدموا إلى دمشق هدفهم الرئيسي، كما أن ثورة العرب وتقدمهم ضد الترك شجع على تخطي العرب عن مراكزهم في الجيش التركي كما أخذت القبائل في الشام تنضم إلى القوات العربية وتوازرها في العمل ضد الترك بما جعل الترك يشعرون — كما يقول ساندروز — بأنهم يحاربون في أرض معادية، كما كان النشاط العسكري للقوات العربية مستولاً عن شغل نحو ٦٥ ألفاً من القوات التركية.

#### الحملة البريطانية على العراق :

كان العراق موضع اهتمام عميق من بريطانيا منذ القرن التاسع عشر لأسباب سياسية واقتصادية وعسكرية، وقد كانت الحرب العالمية الأولى فرصة سانحة لكي تحقق بريطانيا أطماعها في العراق، وتقيم سيادتها عليه تحت أي شكل من الأشكال، وقد نظمت حكومة الأحتاتة إلى ذلك ولذلك ترى أن كلا من البريطانيين والترك أخذوا في الاستعداد لمواجهة الموقف حتى قبل أن

تعلن الدولة العثمانية الحرب رسمياً ، فغادرت السفن البريطانية البصرة متجهة إلى المحمرة ، ولم تعد هذه السفن تتجه إلى البصرة ، وصار يقول شركة النفط الانجلو إيرانية يشحن من عبادان على سفن تحمل أعلام دول محايدة كالإيمان ، ومن ناحية أخرى نشطت السلطات التركية في البصرة نشاطاً ملحوظاً ونقلت بعض القوات من بغداد إلى البصرة ووضعت على طول شط العرب بين البصرة وواسط<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من أن فكرة إرسال حملة إلى رأس الخليج كانت تدور في أذهان المسؤولين البريطانيين فقد كان ثمة تردد لأن حكومة الهند - التي كانت مستضطلع بمثل هذه الحملة - كانت ترى أنه قد سحب جانب كبير من قواتها إلى ماوراء البحار كما كانت تفتش أن تؤدي مبادرتها لتركيا وخليفة المسلمين بالعدوان إلى إثارة حفيظة المسلمين الهنود، كما كانت الحكومة البريطانية مترددة لحاجتها إلى تركيز كل جهودها لوقف تقدم الألمان في الجبهة الغربية ، خصوصاً وأنه كان هناك احتمال بالآلا تدخل الدولة العثمانية الحرب .

إلا أنه ظهر للسلطات البريطانية السياسية والعسكرية - كاجاء في تقرير السكرتير العسكري لوزير الهند بتاريخ ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ - ضرورة القيام بعمل في رأس الخليج وإزالة جيش فوراً في شط العرب والحماية مؤسسات النفط في الظاهر وليفهم الأتراك أننا جادون في الأمر ، كما يفهم العرب أننا مستعدون لمآزرتهم<sup>(٢)</sup> .

(١) National Archives (Washington):political Affairs in Turkey, Rep. from American Consulate in Baghdad to American Ambassador, Constantinople, Sept. 22 1914, «Conditions in Basorah»

(٢) أيرلاند : العراق ، دراسة في تطوره السياسي ' ترجمة جعفر خياط (١٩٤٩) ص ٣/٢

وفي التاسع والعشرين من سبتمبر (أيلول) أرسلت إحدى السفن الحربية البريطانية إلى شط العرب وألقت مراسيها تجاه المحمرة ، كما وقفت سفينة أخرى عند عبدان لحماية مصافي النفط .

وفي ١٦ أكتوبر ( تشرين أول ) غادرت قوة من القوات الهندية بومباي بقيادة العميد جادير جنرال دلمان Dalmayn وكانت التعليمات الصادرة إليه تنص على القيام بحماية أنابيب النفط إلى الاهواز ، ومصايفه في عبدان ، وأنشطة عمليات إرسال التعزيزات ، وتأكيد معونة بريطانيا للزعيم العرب المحليين ضد الدولة العثمانية ، وفي ٢٣ أكتوبر تم احتلال جزيرة البحرين واتخذت قاعدة عسكرية للحملة ، وفي اليوم التالي لدخول الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا — نزلت القوة إلى البر عند فاو حيث يصب شط العرب في الخليج<sup>(١)</sup>.

وتوالى الإمدادات من الهند ، وبعد سلسلة من الاشتباكات مع القوات التركية استطاعت القوات البريطانية القادمة من الهند بقيادة الجنرال هاريت Barrett أن تحتل البصرة في ٢٢/٢٢ نوفمبر ( تشرين ثان ١٩١٤ ) حيث أذاع سير برسي كوكس Percy Cox كبير الضباط السياسيين المرافقين للحملة بياناً باللغة العربية أعلن فيه أن الحكومة البريطانية - رغم حالة الحروب القائمة بينها وبين الدولة العثمانية - لا تحمل ضغينة ولا عداوة ضد الأتراك ، وأنهم سوف يتمتعون بالحريّة والعدالة في ظل العلم البريطاني والإدارة البريطانية طالما وقفوا موقف الحياد بين القوات البريطانية والتركية وامتنعوا عن حمل السلاح ضد بريطانيا<sup>(٢)</sup>.

---

wilson : Loyalties, Mesopotamia, Vol I, (1930) pp. 6—9. (١)

Ibid pp 10—11. Appendix I, p. 311 ; (٢)

عبد الرزاق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ج ١ ( ١٩٤٨ ) ص ١٥٥

وبدأ البريطانيون في إقامة إدارة مدنية . ونظمت شرطة من مسلمى الهند والصوماليين من عدن ، وقد كانت حكومة الهند تفكر في جعل البصرة ولاية تابعة للهند . ولم تمنع القوات البريطانية باحتلال البصرة بل تقدمت ، حتى احتلت القرنة حيث يلتقي دجلة بالفرات وذلك في ٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٤ بدعوى أن آبار النفط لا تزال في خطر التعرض لهجوم الترك<sup>(١)</sup> .

ولم تحاول القوات البريطانية أن تعذب الأهالي العرب في العراق إلى جانبها ضد الترك لأن المسؤولين البريطانيين كانوا يعلمون أن ذلك الأمر لم يكن في استطاعتهم دون أن يبذلوا جهوداً محددة وضمانات معينة مما قد يؤدي إلى غضب حلفاء بريطانيا لتعارض ذلك مع المخططات التي كانت توضع لتقرير مصير الشرق العربي . يضاف إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من أن المسؤولين في حكومة الهند كانوا ضد استخدام العرب ضد السلطان العثماني حتى لا يثير ذلك سمخ العناصر الإسلامية في الهند ذاتها ضد البريطانيين ورغبة في عدم تشجيع الاتهام القومي بين العرب .

وعلى الرغم من أن السلطات البريطانية كانت تعلم بوجود بداية حركة قومية في العراق في السنوات القليلة السابقة على الحرب ، وأن الوطنيين في العراق كانوا يعملون جنباً إلى جنب مع الوطنيين السوريين ضد نظام الحكم العثماني ، وكانت البصرة - على وجه الخصوص - رائدة في هذا النشاط برعاية السيد طالب النقيب ، فإنه لم يكن ثمة تعاون بين القوات البريطانية والعرب في العراق ، وكل ما أقدم عليه البريطانيون هو العمل على كسب حياض

wilson : Ouv Cit., p. 15 ;

(١)

Yale : The Near East. p. 223.

العرب بدفع بعض الأموال واستخدام بعض العرب في أعمال النقل وغيرها، أما بالنسبة لزعماء العرب وقادتهم فلم يكن في استطاعة البريطانيين دعوهم للانضمام إليهم رغبة في عدم تشجيعهم في آمالهم الوطنية، خاصة وأن المسئولين البريطانيين كانوا يعتقدون أن الوقت لم يحن بعد لإقامة حكومة عربية في العراق، إذ اعتبرها لورد هاردنج Hardinge نائب الملك في الهند سابقة لأوانها، لأنها قد تستدعي البحث في التسوية النهائية الخاصة بالعراق وبقية أجزاء الإمبراطورية العثمانية، خصوصاً وأنه في ذلك الوقت كان العرب متأثرين بدعوة السلطان العثماني إلى الجهاد، ولم تكن بريطانيا قد كسبت بعد الشريف حسين إلى جانبها في دعوته المضادة للجهاد<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الوقت شهدت إيران بعض القلاقل الموالية للألمان، كما أخذ الترك يحشدون قواتهم — التي كان العرب يكتفون جزءاً منها — لمحاولة استعادة البصرة، ولذلك فقد تقرر تعزيز القوات البريطانية في العراق ولم تلبث أن انتصرت على الترك عندما التحمت بهم في الشعبية وتقدمت — وقد صار يقودها منذ ٢٢ أبريل (نيسان) ١٩١٥ جنرال تاونسند Townshend — بمحاذاة دجلة، وقد أسفر هذا التقدم عن الاستيلاء على كوت العمارة في أوائل يونيو (حزيران) ١٩١٥<sup>(٢)</sup>. وبعد قتال عنيف ومقاومة شديدة من جانب القوات العثمانية استطاعت القوات البريطانية أن تحتل الناصرية في الخامس والعشرين من يوليو (تموز) ١٩١٥، وباحتلالها تحققت هدف حكومة الهند المباشر من وراء الحملة ألا وهو احتلال ولاية البصرة وحماية آبار النفط وأنايبه ومصافيه، وعلى الرغم من أن البعض يرى الاكتفاء بهذا

wilson : Op. Cit., I, pp. 16—18.

(١)

Ibid pp. 47—48.

(٢)

القدر من التقدم فإن البعض الآخر من الساسة وكذلك المسئولون عن القوات البريطانية في العراق كانوا يهدفون إلى أبعد من ذلك ألا وهو احتلال بغداد واعتبروا ذلك العمل معادلاً لاحتلال الآستانة ذاتها لأنه سيؤدي إلى تبدل الأحوال في إيران وأفغانستان .

ولما كان الموقف في أوربا عصبياً في ذلك الوقت فإن كنشرو وزير الخارجية كان يعارض التقدم إلى بغداد ، ومع ذلك فإن حكومة الهند أخذت تلح من أجل الموافقة على هذا التقدم ، وقد لخص لورد هارديج نائب الملك في رسالة منه إلى أوستن تشمبرلن وزير الهند في ٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٥ قوائد الخطة على بغداد بأنها : سوف تحدث انعطافاً عظيماً في الشرق الأدنى وخاصة في إيران وأفغانستان وعلى الحدود الهندية ، وستكون بمثابة تعويض لنا عما أصاب سمعتنا في الشرق بسبب إخفاق حملتنا على الدردنيل ، كما أنها ستعزل الجماعات الموالية للألمان في إيران ، وستحطم آمال الألمان في إثارة أفغانستان وستثير شعوراً طيباً في البلاد العربية والهند<sup>(١)</sup> .

وقد وافقت الحكومة البريطانية وعهدت في ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) إلى تاونسند بالتقدم للاستيلاء على بغداد ، ولكن عندما وصلت القوات البريطانية إلى سلمان باك (المدائن) دارت معركة كبرى في ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) لقيت فيها القوات البريطانية هزيمة أليمة وتكبدت خسائر فادحة فتمقررت إلى الكوت حيث حاصرها الترك بقيادة الضابط الألماني الكفء فون جواتز الذي شدد الحصار على البريطانيين حتى اضطر القائد البريطاني إلى التسليم

---

(١) أيرلاند : المرجع السابق ص ٣٦/٣٧

Wilson : Ouv. Cit, p. 82,

Foster : The Making of Mod. Iraq ( 1936 ) p. 76.

في ٢٩ أبريل ( نيسان ) ١٩١٦ بعد حصار دام ١٤٣ يوما ، ووقع في أسر الترك ما يزيد على اثني عشر ألفا من القوات البريطانية (١) ، بعد أن فشل لورنس في مسعاه لفك الحصار التركي على الكوت برشوة خليل باشا القائد التركي الذي خان جواتر بعد وفاته (٢) .

وقد كان لهذا الاندحار أسوأ الأثر في كل من الهند وبريطانيا حتى لقد عين البرلمان البريطاني لجنة للتحقيق في سير العمليات الحربية في العراق والتحرى عن سبب تلك الهزيمة (٣) .

وعندما اتضح أن استعادة الكوت أمر متعذر قرر وزير الحربية البريطانية الذي صارت تقع عليه مسئولية توجيه القوات عسكريا في العراق - أن تتخذ القوات البريطانية هناك موقفا دفاعيا من أجل مساعدة الروس ولمنع حدوث أى رد فعل سيء قد يندشأ في إيران وأفغانستان وكذلك في ولاية البصرة نتيجة للانسحاب .

إلا أن الترك لم يستغلوا النصر الذي أحرزوه على البريطانيين ، وإلى جانب ذلك فإنه في السادس من مايو ( أيار ) ١٩١٦ أى بعد أسبوع واحد من سقوط الكوت في أيدي الترك تبادل سير إدوار جراهى وزير الخارجية البريطانية وبول كامبون الفرنسى في لندن المذكرات التى تمخضت عنها اتفاقية سايكس / بيكو التى كانت من العوامل التى حادت بالبريطانيين إلى الإسراع من أجل الاستيلاء على ما أصبح نصيب بريطانيا في هذا الإتفاق (٤) .

---

wilson : Ouv. Cit. p. 91-100.

(١)

Garnett : Letters of T.E: Lawrence, pp. 202-205

(٢)

Yale : The Near East, p. 234

(٣)

wilson : Ouv. Cit., pp. 153-154.

(٤)

وكان السكولونيل مارك سايكس قد زار العراق في سبتمبر (أيلول) ١٩١٥ بعد زيارته للقاهرة وعدن والهند . وظل في العراق حتى ديسمبر (كانون أول) ١٩١٥ وهلى الرغم من أن اتفاقية سايكس/بيكو لم تسكن قد خرجت إلى حين الوجود بعد فإن سايكس لم يدع لى المسؤولين البريطانيين فى العراق أدنى شك فى أن ولايتى البصرة وبغداد ستقعان تحت الحماية البريطانية .

وفى ذلك الوقت أيضاً كثرت الإشارات فى البرلمان البريطانى إلى الرغبة فى جعل العراق مستعمرة هندية ، فقد ذكر أحد الأعضاء فى ٢٢ مارس (آذار) ١٩١٦ أنه يعتبر العراق « المجازة التى يحارب الجيش الهندى من أجل الفوز بها » وآمل أن أرى فى العراق فى المستقبل منشآت للرى تعمل تحت إشراف الحكومة البريطانية وأن أرى ضفاف أنهاره وقد سكنها ويفلحها المستوطنون الهنود الذين « ينتقلون من ضفاف السند » ، ولم ترد الحكومة البريطانية بما ينبنى هذه الأقوال<sup>(١)</sup> .

وفى الوقت نفسه قررت الحكومة البريطانية فى أغسطس (آب) ١٩١٦ أن تطبق فى جبهة العراق ما طبقته فى ميادين الحرب الأخرى وذلك بالاعتماد فى القيادة العليا على قواد صغار السن نسبياً . ولذلك تولى القيادة فى العراق جنرال مود Maude ، ومن ناحية أخرى فإن وفاة فون جولتز حرمت الجيش التركى فى العراق من قائد كفء . فدير إذ أن خلفه خليل باشا كان أقل منه مقدرة وكفاءة .

وقد تمكن البريطانيون من استعادة كوت العمارة فى ٢٤ فبراير (شباط) ١٩١٧ ، وفى ٢٨ منه أعلن سير وليام روبرتسون رئيس هيئة أركان حرب



الإمبراطورية أنه لما كان من سياسة الحكومة البريطانية وضع ولاية بغداد تحت النفوذ البريطاني فقد عهد إلى الجنرال مود بالتقدم شريطة أن تسمح حالة قوائمه بذلك ، ألا يزوج بها في مازق يضطره إلى التقهقر فيما بعد<sup>(١)</sup> . ولم يكن القرار بالتقدم إلى بغداد يهدف إلى المظاهر ومجرد الاستيلاء على المدينة وحسب ، وإنما كانت الحكومة البريطانية تسعى أيضاً من أجل ضم أراض والحصول على مكاسب إقليمية تحقيقاً للخطط التي ضمنها اتفاقية سايكس بيكو والتي بمقتضاها أصبح العراق - باستثناء الموصل - من نصيب بريطانيا .

كما يقال إن الجنرال نيكسون القائد العام في العراق منذ توليه القيادة العامة في ٩ أبريل ( نيسان ) ١٩١٦ وكذلك رجال القيادة العامة في الهند كانوا يميلون التقدم إلى بغداد وأمرعوا بمهاجرتها خوفاً من أن الروس - وهم يقاتلون في الشمال الشرقي - قد يسبقون البريطانيين إلى بغداد<sup>(٢)</sup> .

وعلى ذلك فإنه في الحادي عشر من مارس ( آذار ) ١٩١٧ سقطت بغداد في يد الجنرال مود الذي أذاع في ١٩ من الشهر نفسه بياناً بالافتتاح العربية والإنجليزية أعلن فيه أن القوات البريطانية لم تأت إلى العراق غازية بل محررة وأن بريطانيا والأمم المتحالفة معها ترغب وتأمل في أن ينهض الجنس العربي ليحتل مكانه بين شعوب الأرض ، ودعا العراقيين إلى المساهمة في إدارة شئونهم المدنية بالتعاون مع ممثلي بريطانيا السياسيين الذين يرافقون القوات البريطانية<sup>(٣)</sup> .

---

Wilson : Opv. Cit, I, p. 207 (١)

Foster : The Making of Modern Iraq, p. 41 (٢)

(٣) الحضي : تاريخ العراق السياسي الحديث ج ١ ص ٨٦ - ٨٨ .

Wilson : Opv. Cit. Vol. I, p. 238 .

وبلاحظ أن البيان لم يذكر شيئاً عن استقلال العراق، بل تضمن عبارات عامة غير محددة، فهو لم يعد بشيء، وقد كان هذا طبيعياً فقد أبلغ المسئولون البريطانيون في العراق سرّاً في مايو (آيار) ١٩١٧ بأن الحكومة البريطانية تفكر - تنفيذاً لاتفاقية سايكس بيكو - في إقامة حكم بريطاني في ولاية البصرة ونظاماً عربياً تحت حماية بريطانيا في ولاية بغداد ونظاماً عربياً تحت حماية فرنسا في ولاية الموصل<sup>(١)</sup>، كما لم يتضمن بيان الجنرال مود ما ينفي الاعتقاد السائد بأنه في الوقت المناسب سوف تعلن بريطانيا وضع العراق تحت حمايتها شأنه شأن مصر وقبرص وحتى تعليمات الحكومة البريطانية بإحلال عناصر عربية محل التركية في الإدارة لم يكن يحمل أى تأثير على مستقبل البلاد السياسى .

وعلى الرغم من كل هذا النقص في البيان فقد كان للجنرال مود يعارض في نشره معتقداً أن إصداره سوف يخلق بلبلة في أذهان العرب حول نوايا بريطانيا المقبلة، ويشير آمالهم في وقت يرى أنه يجب أن تكون سلطة الجيش البريطاني هي العليا والمطلقة في المناطق المحتلة<sup>(٢)</sup> بما لا يدع مجالاً للشك في أن المنشور لم يدع إلا من أجل تهدئة أعصاب العرب وتخديرها، ومنع الشعب من إبداء أية مقاومة للجيش البريطاني المتقدم .

ولذلك فإن دخول البريطانيين لم يقابل بالترحاب من الأهالي ولم تفلح الإدارة البريطانية في استغلال العرب والحركة العربية من الوجهة الحربية كما اقترح سير وليام روبرتسون في برقيته في السادس عشر من مايو (آيار) .

ولذلك فإن الحملة على العراق تختلف تماماً عن حملة النبي على الشام، فقد

---

wilson : Ouv. Cit., p. 241.

(١)

(٢) العسنى : المرجع السابق ص ٨٦ .

كانت حملة العراق تعتمد على قوتها الخاصة دون الاستعانة بقوات عربية كما كانت خطوط مواصلاتها طويلة ممتدة من قاعدتها في الهند ، وما زاد من أعبائها - إلى جانب المناخ - أنه كان عليها ألا تجعل ما يجرى إلى جوارها في إيران يغيب عن نظرها<sup>(١)</sup> .

وقد كان لسقوط بغداد في أيدي القوات البريطانية صدى عميق في ألمانيا والشرق العربي على السواء فإن هيئة بريطانيا التي كانت قد هبطت بعد الفشل في هاليبولي وفقدان كوت العمارة للترك عادت إلى الإرتفاع حتى لقد فرت القيادة الألمانية العليا العمل على استعادة بغداد بإنشاء قوة ضاربة قوية سريعة الحركة وقد أسماها الترك ( بلدريم ) أى الصاعقة ، إلا إن الصعوبة التي كانت تواجه هذه القوة هي المواصلات . وقد اعتبر ليان فون ساندروز أن تقدم الترك في إيران كان السبب في فقدان بغداد ، وأن تقدمهم في القوقاز سيؤدي إلى فقدانهم بقية العراق<sup>(٢)</sup> .

ومع أن القوات البريطانية كانت في حاجة إلى تدعيم مراكزها في العراق فإن رئاسة أركان حرب الإمبراطورية كانت تفضل الاكتفاء بالوقوف موقف الدفاع في فلسطين والعراق لتركيز معظم القوات البريطانية ضد العدو الرئيسى في الجبهة الغربية ، إلا أن الحكومة البريطانية من ناحية أخرى كانت تشك في الحصول على نتيجة ما إذا الجحود الذي خيم على الجبهة الغربية ، واعتبرت أن التقدم في الشام سيكون له مزايا سياسية ومعنوية ، خاصة وقد أخذ القلق يساور البريطانيين حول الموقف في الهند بسبب ازدياد السخط نتيجة ما تحملته الهند من خسائر في الأرواح والمؤن .

Lyncowski : The Middle East in world Affairs p. 60 (١)

Yale : The Near East, pp. 240 245.

(٢)

عند انتهاء الحرب رفض على سعيد باشا أن يقوم بعمل إيجابي لمصلحة الإمام وأعلن أنه سيسلم البلاد تحت سيطرته للإنجليز إذا لم يسارع من يهيمه أمر الجنوب إلى تسلمها منه<sup>(١)</sup>.

أما الإدارة العثمانية في صنعاء فقد قامت بأعمال تهدف إلى خدمة قضية الإمام ، إذ رأى الوالي محمود نديم والقومندان أحمد توفيق أن يدخل الإمام صنعاء وأن يقسم قصر غمدان بما فيه وكذلك الأسلحة مقابل ما للإمام من ديون على الترك<sup>(٢)</sup> ، بل حاول محمود نديم قرب خروج العثمانيين أن يبرز شخصية الإمام وأن يمنحه «ظاهر السيادة والسلطان» ، واعترف بذلك في خطاب منه إلى ستورات حاكم عدن بتاريخ ١٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ وحاول فيه أن يثبت للإنجليز شخصية الإمام وأنه أصبح الوارث الطبيعي لهم والحاكم الشرعي لليمن بعد خروجهم<sup>(٣)</sup> . ولذلك فقد بقى محمود نديم ومعه عدد من الموظفين العثمانيين وأقاموا في اليمن وعين الإمام بعضهم — بعد دخوله صنعاء في صفر ١٣١٧ (نوفمبر ١٩١٨) — في المناصب الحكومية مستعينا بخبرتهم في إدارة دولته ، إلا أن السلطات البريطانية — كما جاء في رد حاكم عدن على رسالة محمود نديم — رفضوا الدخول في مفاوضات مع الإمام على أساس أنه كان محايدا وليس طرفا في الحرب .

وفي الوقت نفسه تقريرا كانت الحديدية هدفا لقنابل الاسطول الإنجليزي لأنها حاولت المقاومة نتيجة تردد محمود نديم في التسليم ، ثم احتلتها القوات

---

(١) السيد مصطفى سالم : تسكوين اليمن الحديث ص ٢٣٢ .

(٢) الجرائد : المختطف بن تاريخ اليمن (١٩٥١) ص ٢٢٥ .

(٣) العبدل : هدية الزمن من أخبار ملوك لحج وعدن (١٣٥١) ص ٢٦٠/٢٤٤ .

الإنجليزية<sup>(١)</sup> . وكان الإنجليز يرمون من وراء ذلك إلى وضع أفئدةهم في اليمن حتى يستخدموا الحديدية . . . وكانوا يدركون مدى أهميتها للإمام . . . في المساومة معه إذ كانوا يخشون على الجنوب من الإمام ، فاعتبروا الحديدية ورقة في أيديهم يساوون بها الإمام حتى يطمئنوا على مستقبل الوضع في اليمن والجنوب وعلى سير العلاقات مع الإمام<sup>(٢)</sup> .

#### تطلع اليمن إلى معونة الولايات المتحدة :

وعما تجدر ملاحظته ، أن الشام لم يكن القطر العربي الوحيد في الشرق الذي تطلع إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلقى المعونة في حياته المستقبلية ، فإن اليمن أيضاً فكر في نفس الاتجاه ، وقد حفظت لنا الوثائق الأمريكية ما ثبت ذلك ، منها خطاب بتاريخ ٢٢ ديسمبر ( كانون أول ) ١٩١٨ بعث به الإمام المتوكل على الله يحيى بن حميد الدين إلى ولسن رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ومذكرة بتاريخ ٩ يناير ( كانون ثان ) ١٩١٩ رفعها مندوبها الإمام يحيى ( السيد على إبراهيم بن الإمام والقاضي عبد الله بن أحمد ) كان قد أوفدهما إلى عدن لمقابلة نائب القنصل الأمريكي في عدن ، علاوة على تقرير سرى رفعه هذا الأخير بتاريخ ١٣ يناير ( كانون ثان ) ١٩١٩ عن الوضع القائم وأهداف وأطباع السلطان الإمام ، وأرفق به خطاب الإمام يحيى إلى الرئيس ولسن ومذكرة مندوب الإمام ، وقد ذكر الإمام يحيى في خطابه أن اليمن كان دائماً يتمتع بالاستقلال ، ولم تكن تمة صلة بينه وبين الحكومة العثمانية ، وأنه لو كان قد علم من المقيم في عدن بتفاصيل الخلاف بين الدولة العثمانية ودول

(١) الواسمي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن [

( ١٣٤٦ / ٥ ١٩٢٦ م ) ص ٢٦٢ .

(٢) السيد مصطفى سالم : نفس المرجع ص ٢٤٥ .

الرفاق لأقدم على تسليم الوحدات العسكرية التركية في اليمن. وقبل توقيع الهدنة ومن أجل حماية مركزه كان من الممكن أن يطلب الإمام عن طريق المقيم في عدن توسط حكومة الولايات المتحدة والدول الأخرى من أجل الاعتراف بالإمامة وحماية مطامع اليمن في المستقبل، لولا أن المقيم تسبب في قصف الحديدة ميناء اليمن التجاري الوحيد واعتبارنا أهداء ، مما سبب اضطراب الأهالي، وأذكر الإمام كل صلة له بالعمليات الحربية التي قام بها الترك ضد البريطانيين، وذكر أنه بعث بوفد من لدنه لمفاوضة المقيم البريطاني في عدن من أجل حقوق اليمن، واختتم الإمام رسالته بمناشدة الرئيس الأمريكي - باسم الإنسانية - تأييد حقوق الإمامة في اليمن واستقلال العرب <sup>(١)</sup> .

أما مذكرة ممثل الإمام فقد بدأت بإزجاء المديح إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي انتهت الحرب بفضل بعد نظره السياسي وحكمته، وأنهما لذلك يأملان في علاج الاضطرابات القائمة في اليمن بفضل جهود القنصل الأمريكي في عدن . وحدد مندوبوا الإمام مطالبهما وهي تخلص في تشييد حدود اليمن المعروفة واستقلاله التام تحف حكم الإمام المتوكل على الله يحيى ابن محمد حميد الدين على أساس أن ذلك سيضع حداً للقتال وسفك الدماء في اليمن ، مع المطالبة بعدم تدخل أى دولة في الشئون الداخلية أو الخارجية لليمن أو هجومها على اليمن ، وحرية التجارة اليمنية في كل موانئ اليمن دون تدخل أى دولة ، ورعاية مصالح التجار اليمنيين في البلاد الأخرى طبقاً للقانون الدولي مقابل حماية حكومة الإمام لمصالح التجار الأجانب في اليمن طبقاً للقانون الدولي .

وجاء في ختام المذكرة أنه عندما يحين وقت إدخال الإصلاحات الضرورية في اليمن فإن حكومة البلاد تأمل أن تقدم دول الوفاق كل معونة ممكنة لإنجاز هذه الإصلاحات<sup>(١)</sup>.

وأشار نائب القنصل الأمريكي في عدن في تقريره إلى حكومته إلى أن ممثلي الإمام تحدثا معه بصراحة لما يعلمانه عن عدم وجود أطماع إقليمية للولايات المتحدة في ساحل البحر الأحمر، ثم أخذ التقرير في سرد ما دار بين نائب القنصل الأمريكي وبين ممثلي الإمام يحيى، وخاصة نظرة الإمام إلى عسير على أنها جزء من اليمن، وأن الإدريسي يقوم بالحكم في عسير بفضل تأييد البريطانيين له، إذ يدفعون له إعانة مالية، ثم أشار التقرير إلى أن أهل اليمن رغم ما بينهم من خلافات مذهبية يصرون جميعاً على عدم الخضوع لأي دولة أجنبية، وأنه إذا كان الترك المسلمون لم يتمكنوا من إخضاع الإمام فكيف يخضع لدولة أجنبية مسيحية، وأوضح التقرير أنه إذا لم تجب مطالب الإمام فسوف يتعرض اليمن لاضطرابات وقلق، وكذلك إذا منح اليمن حكماً ذاتياً تحت حماية دولة أجنبية وأنه لا شيء يضمن لليمن الهدوء والاستقرار إلا الحرية الكاملة، وأن للإمام القدرة على حفظ النظام في اليمن إذا اعترف بحقوقه.

ويذكر التقرير أن نائب القنصل الأمريكي تناول في حديثه مع مندوب الإمام موضوع العلاقات بين اليمن والدول الأخرى، وأن الإمام يرغب في أن يقيم علاقات ودية سياسية وتجارية مع الدول الأخرى رغم أنه لا يقبل التورط في معاهدات تسيء إلى دول أخرى، وأنه إذا اعترف بحقوق الإمام

---

Ibid. Translation of a letter signed by Sayed Ali Bin (١)  
Ibrahim Bin Imam and kadi Abdulla Bin Ahmed el Arshy  
Representative of the Imam, Aden, Arabia, Jan. 9, 1919

فإنه سوف يتخذ لنفسه مستشاراً في معاملاته التجارية والسياسية مع الدول الأخرى وهو يفضل أن يكون هذا المستشار أمريكياً نظراً لأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس لها شأن بأمور البحر الأحمر علاوة على ما عرف عن الأمريكيين من العدل والتقدم ، كما أنه سيلجأ إلى الولايات المتحدة للحصول على الأموال اللازمة للإصلاحات التي يزمع إدخالها . ورغم أن الإمام عبر عن تفضيله للأمريكيين فقد ذكر نائب القنصل أنه لا يمانع في إبرام معاهدات مع دول أخرى على أن تعامل جميعاً على قدم المساواة ودون إغنام وغبات ومطامع حكوماتهم في الموضوع .

وفي الحادي عشر من يناير ( كانون ثان ) ١٩١٩ وصل إلى عدن مندوبان آخران من قبل الإمام هما مستر كورغى ، وهو أرمني ، وبهاء بك وهو تركي وكان مديراً سابقاً للبنك العثماني في الحديدة ، وكانا يحملان خطابات أحدهما موجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية وسلمه إلى القنصل الفرنسي في عدن والآخر موجه إلى ملك إيطاليا وسلمه إلى القنصل الإيطالي ، ورغم أن الخطاب الموجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية جاء فيه أن رسالة بمائة سلت إلى نائب القنصل الأمريكي وأنه بعث بها إلى الرئيس ولسن في باريس ، فإنه عندما استوضح القنصل الفرنسي أنكر نائب القنصل الأمريكي تسلم الرسالة حيث أنه كان يفضل أن يجرى الأمر في سرية تامة ، ولعله كان يريد ألا يشير فرنسا ، ويبعد عنها أية شكوك في أن للولايات المتحدة أطماعاً في الشرق<sup>(١)</sup> .

---

Ibid. Confidential Report on Present Aims & Ambitions of (١)  
the Sultan Imam; Aden, Arabia, Jan. 13, 1919,



### منطقة الخليج :

كانت بريطانيا قد أصدرت في الثالث من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٤ تبليغاً إلى الفهيج مبارك أمير الكويت باستقلال الكويت تحت الحماية البريطانية .

كما ظلت العلاقات بين قطر وبريطانيا تستند إلى المعاهدة التي أبرمت في الثالث من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٦ وفيها تعهد الشيخ عبد الله بن حاسم آل ثاني بالآ تكون له علاقات مع وكلاء أية دولة أخرى دون موافقة الحكومة البريطانية .

\* \* \*

### استمرار بريطانيا في خدمة العرب :

وعلى الرغم من تلك الاتفاقيات السرية التي عقدتها بريطانيا مع حلفائها لتقديم الشرق العربي الآسيوى ، فقد استمرت بريطانيا في سياسة الخديعة ، التي تتمثل في التصريح البريطانى الفرنسى المشترك في ٧ نوفمبر ( تشرين ثان ) سنة ١٩١٨ .

إنه قبيل الهدنة ببضعة أيام ، وفي السابع من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٨ أصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية معاً تصريحاً تضمن بيان الأهداف التي تسعى إليها الحكومتان البريطانية والفرنسية ، نشرته في صحف فلسطين والشام والعراق في اليوم التالى قيادة الحلفاء في هذه المناطق ، كما بذلت الجهود لتوزيعه في مناطق البدو والحضر على شكل منشورات ، وحيث كانت تسود الأمية بين الناس، كان التصريح يقرأ باللغة العربية بواسطة بعض العرب عن يعملون في الإدارة العسكرية وقد ترجم ( أنطونيوس ) هذا التصريح من أحد

المتشورات التي ودهت بالفرنسية في ذلك الوقت كما أمكن الحصول من مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة Durham على الأصل الفرنسي للتصريح كما بعثت به وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ الرابع من نوفمبر ( تشرين ثان ) إلى المعتمد البريطاني في مصر طالبة إليه ترجمته إلى اللغة العربية وإبلاغه إلى الملك حسين وإذاعته ونشره في أوسع نطاق ممكن<sup>(١)</sup>.

وفي هذا التصريح أعلنت الحكومتان أن الهدف الذي تسميان إليه من متابعة الحرب في الشرق هو التحرير التام النهائي للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها ، وإقامة حكوما . وإدارات وطنية تستمد سلطاتها من الاختيار الحر للأهلين ، وأضاف التصريح أنه من أجل تحقيق هذه الأهداف اتفقت الدولتان على تجميع إقامة حكومات وإدارات وطنية ومساعدتها في كل من الشام والعراق اللذين حررهما الحلفاء ، وكذلك في المناطق التي تعمل الدولتان على تحريرها .

واستطرد التصريح فأعرب عن عزوف الدولتين عن فرض أى نظام معين على أهالى هذه البلاد ، وأن كل ما تهدفان إليه من وراء المساعدة التي سوف تقدمانها هو أن يضمننا حسن سير الحكومات والإدارات التي يختارها الأهالى اختياراً حراً وضمنان العدالة والمساواة بين الجميع ، وتسهيل التقدم الاقتصادي في البلاد والعمل على نشر التعليم والقضاء على الفاقة التي كثيراً

---

(١) wingate Papers, School of Oriental Studies. Univ. of Durham Box 150/1 no. 1323, Nov. 4 th 1918 from F. O. To High Commissioner for Egypt, Cairo.

ما استغلتها السياسة التركية<sup>(١)</sup> .

والتصريح تقسم هبارته بالغموض وهدم الصراحة ، لأنه كان من الممكن — استناداً إليه — تشكيل مجالس بلدية مثلاً للاشتراك في إدارة البلاد وبذلك يمكن أن يدعى الحلفاء أنهم شكلوا إدارات وطنية .

ولقد كان الهدف من التصريح تطمين العرب من ناحية ، وكذلك إقناع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بأن الحلفاء ما ضنون في تحرير الشعوب . وأنه ليس في نيتهم استعمار البلاد العربية بينما في الوقت نفسه يجرى تنفيذ الجانب الأكبر من اتفاقية سايكس — بيكو<sup>(٢)</sup> .

أما السبب المباشر لإصدار هذا التصريح فهو محاولة إزالة ما ترتب على إزوال العلم العربي في بيروت من استياء في البلاد العربية التي كانت تحتلها القوات المتحالفة ففي الثالث من أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩١٨ وقبل دخول طلائع القوات البريطانية والفرنسية بضعة أيام أعلنت السيادة العربية ورفع العلم العربي في بيروت بواسطة شكرى باشا الأيوبي باسم الأمير فيصل ، وقد احتج الفرنسيون وترتب على احتجاجهم أن أمر (اللقبي) بإزوال العلم العربي ، الأمر الذي سبب هياجاً في دمشق وظهر ما يشبه التمرد بين قوات فيصل ولو أن فيصل قضى عليه بسرعة<sup>(٣)</sup> ،

---

(١) Ibid : Antonius : Ouv. Cit. : Appendix E pp. 435—6.

محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ٢ ص ٢٨٩ ، وثائق الجامعة العربية ص ٨٣ الوثيقة رقم ٢٣ الملحق ط .

(٢) محمد طاهر العمري : نفس المصدر ج ٢ ص ٢٩٥ و ٢٩١ .

Antonius : Ouv. Cit., p. 274.

(٣)

وارداد الاستيلاء نظر لما تواتر في ذلك الوقت من أن بيروت والساحل السوري سوف يخضع للاحتلال الفرنسي، كما أن نشاط الصهيونيين في فلسطين صار معروفاً في دمشق وزاد من ثورة المشاعر .

وأدى سقوط دمشق وحلب إلى اتصال الزعماء السوريين والعراقيين الذين كانوا يحاربون في صفوف قوات الثورة بمواطنيهم الذين ظلوا في وطنهم أو في المنفى مما وجد فرصة لتبادل الرأي ، وكان لدى المواطنين الذين ظلوا في أوطانهم أخبار كثيرة من مصادر تركية كانت بمثابة غذاء للقادمين الوافدين ، للتفكير في مدى إخلاص تصريحات الحلفاء ، واجتاحت البلاد موجة من الشك والخوف من النوايا الخفية للحكومات الحلفاء ، واحتج فيصل لدى النبي وأعلن أنه لن يكون مستولاً عن السيطرة على القوات العربية ما لم يصدر تصريح رسمي في الحال يعبر عن حقيقة نوايا الحلفاء ، ولما كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية راغبتين في تجنب المتاعب في ذلك الوقت فقد أصدرنا البيان المذكور الذي كان له أثره السريع ، وفي أيام قلائل انتهى الهياج .

وتشير مجموعة الوثائق الخاصة بهذا التصريح ضمن أوراق ونجحت بمدرسة الدراسات الشرقية<sup>(١)</sup> بجامعة درم Durham إلى أن الحكومة البريطانية كانت تهدف من وراء هذا التصريح إلى إزالة مخاوف الملك حسين وشكوك العرب بوجه عام ، خصوصاً وأنه قد ، إلى علم الحكومة البريطانية أن الملك حسين ينوي الذهاب مع نجله الأمير عبد الله إلى الشام بسبب توتر الحالة هناك<sup>(٢)</sup> ولذلك فقد حملت السلطات البريطانية على نشر التصريح على أوسع نطاق ، وقد أتى التصريح ثماره ، إذ أدخل الهدوء على قلب الملك حسين الذي

School of Oriental Studies, Univ. of Durham. wingate (١)

Papers, Box 150/5 .

Ibid, Pox 170/3/2(From wingate to Allenby. Nov,7,1918)(٢)

عبر من تشكرانه القلبية ، كما نصح ولسن مندوب بريطانيا في جدة في الجولة دون سفر الملك حسين إلى الشام .

ومما تهمدر ملاحظته أن ونجت بعث برقية في الثامن من نوفمبر (أشرين ثان) ١٩١٨ إلى وزارة الخارجية البريطانية محذراً من أن سياسة تقرير المصير التي تضمنتها برقية وزارة الخارجية ( يقصد التصريح المشترك ) قد يكون لها رد فعل بين الوطنيين المصريين الذين سيطالبون ولا شك بمعاملة مصر معاملة مماثلة للأقطار التي ورد ذكرها في التصريح <sup>(١)</sup> .

ومهما يكن من أمر فإن التصريح الإنجليزى الفرنسى المشترك اعترف بمبدأ موافقة المحكومين ، وأرجأ حدوث تصدع في العلاقات بين العرب وبريطانيا وحلفائها . فقد اعتبر كثير من العرب عموماً والسوريين على وجه الخصوص أن هذا التصريح إنما هو بديل أو — على الأقل — تعديل لبنود اتفاقية سايكس — بيكو <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وهكذا نرى أنه لم تسكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها في عام ١٩١٨ حتى كان الحكم التركى قد انحصر عن أقطار المشرق العربى الأسبوى ، وبدأ كما لو كان عرب هذه المنطقة سيبدأون عهداً جديداً ينعمون فيه بالحرية والاستقلال ، استناداً إلى حقهم المشروع ، وإلى دورهم في تحرير بلادهم ، وإلى التصريح البريطانى والفرنسى المشترك ، ولكن هذه الآمال لم تلبث أن اُبارت ، فقد كانت الدول الأوروبية الاستعمارية وبخاصة بريطانيا وفرنسا تدبران من وراء العرب أمراً آخر ، انتهى — كما سنرى في الفصل التالى — بوضع معظم المشرق العربى تحت سيطرة الدولتين الغربيتين .

Ibid, Box 170/3/2 .

Temperley : Ouv. Cit. Vol. VI. p. 141

(١)

(٢)

## الفصل السادس عشر

### تنفيذ المؤامرة الاستعمارية

نعرى القضية العربية على مؤتمر الصلح :

في الثاني والعشرين من نوفمبر ( تشرين ثان ) ١٩١٨ غادر الأمير فيصل بيروت على ظهر الطراد البريطاني ( جلوسستر ) يرافقه بعض الأنصار .

وكانت الدعوة لزيارة أوروبا قد وجهتها الحكومة البريطانية إلى الملك حسين لكي يرسل مندوباً عنه إلى مؤتمر الصلح ، وتلقى الأمير فيصل في أثناء زيارته لحلب برقية من والده يطلب إليه فيها أن يسافر إلى بريطانيا وفرنسا وإن التوجيهات التي روه بها الملك حسين ابنه الأمير فيصل وهو على وشك الرحيل إلى أوروبا لتدل على مبلغ الثقة التي كان الملك حسين لا يزال يوليها لحليفته بريطانيا رغم كل ما حدث من ظواهر إذ يقول له : حيث أن رابطننا الوحيدة هي العظمة البريطانية ولا مناسبة مع سواها في أساساتنا السياسية فكل ملاحظتك تبديها لنوابها . . . وما يكلفونك من قول أو عمل إن كان في المجتمع ( الاجتماع ) أو في سواه تعمل به وتجنب ما سوى ذلك<sup>(١)</sup> .

ولذلك فإن الأمير فيصل عندما ذهب إلى فرنسا كان يبدو أن سياسته تقوم على ضمان الحصول على تأييد بريطانيا في مقاومة مطالب فرنسا ورغم أن هذه السياسة كانت أمراً ضرورياً لعدم إمكانه الحصول على تأييد دولة

---

(١) حافظ ومدة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٩٤/١٩٥ :

أخرى إلا أن ذلك أثار شكوك فرنسا في أن فيصل قد صار أداة في يد بريطانيا لمقاومة مطالب فرنسا .

وبدأ فيصل زيارته لأوروبا بالتجول في فرنسا رغم عدم رضا الحكومة الفرنسية عن رحلته .

وبينما كان فيصل يتجول في ميادين القتال في الجبهة الغربية عقد اجتماع في لندن بين لويد جورج وكليمنصو وهو اجتماع كانت له آثاره العميقة على الشام، وعلى مستقبل الأمير فيصل نفسه فقد قرر كليمنصو أن يسمى من أجل الوصول إلى تسوية مع البريطانيين والوصول إلى تقام حاسم قبل عقد مؤتمر الصلح في باريس وذلك حتى يظهر البريطانيون والفرنسيون كجبهة متحدة في وجه أى محاولة من جانب الرئيس ولسن للقضاء على المعاهدات السرية الأنجلو فرنسية التي عقدت في أثناء الحرب .

في أول ديسمبر ( كانون أول ) وصل إلى لندن كليمنصو والمرشال فوش والسينيور اورلاندو ( Orlando ) رئيس وزراء إيطاليا والبارون سونينو ( Sonnino ) وزير الخارجية الإيطالية وذكرت صحيفة التايمز في عددها الصادر في ٢ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩١٨ أن المهمة الكبرى لكليمنصو ومرشال فوش في أثناء إقامتها في لندن هي الإعداد لمؤتمر السلام الذي سينعقد في باريس والاتفاق سلفا على المخطوط الرئيسية لسياستهم في مؤتمر الصلح .

وعقدت عدة اجتماعات في درانج ستريت ما بين ١ - ٤ ديسمبر ( كانون أول ) وهو اليوم الذي عاد فيه كليمنصو فوش إلى باريس، وفي خلال هذه الأيام عقد اجتماع بالغ الأهمية بين لويد جورج وكليمنصو وأحيط بسرية تامة ، ولا يمكن معرفة ماذا جرى في هذا الاجتماع بين القطبين على وجه

التحديد حيث إن اتفاقيتهما الجديدة كانت شفوية وقد جرى هذا الاجتماع باسم  
( مقابلات ديسمبر — كانون أول — الخاصة « Les Entretiens Privés »  
« de Decembre » )<sup>(١)</sup>.

وبعد عودة كليمنصو إلى باريس وافق على التنازل عن ولاية الموصل كما  
أقر بأن الحكومة الفرنسية ترغب في التخلص من أعباء الإدارة في فلسطين،  
ولو أنها تود أن ترى هذه المنطقة ( فلسطين ) تحت سيطرة دولية<sup>(٢)</sup>.

ومما ذكره لويد جورج عن محادثات لندن أنه عندما وصل كليمنصو  
إلى لندن بعد الحرب ركبته معه إلى السفارة الفرنسية ، وبعد وصولنا إلى  
السفارة سألتني عما أريده من فرنسا وعلى الفور أجبتني بأني أريد أن تلحق  
الموصل بالعراق وأن توضع فلسطين من جانب إلى يبر سبع تحت سيطرة  
بريطانيا ، وبدون تردد وافق كليمنصو<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يمكن القول أن اتفاق لويد جورج / كليمنصو في ديسمبر (كانون  
أول) ١٩١٨ كان يعنى تقضي بريطانيا عن تأييد فيصل وتركته تحت رحمة فرنسا ،  
وهذا يدل على أن بريطانيا لم تشأ أن تفقد فرنسا تماماً وإنما كان كل هدفها أن  
تقلل منطقة نفوذ فرنسا وتقصرها على الساحل ( نفوذ مباشر ) ونفوذ غير  
مباشر على داخل الشام ، على أن يتم ذلك باتفاق بين الفرنسيين وفيصل ،  
ولا تتدخل هي فيه بحيث تبدو بريطانيا وكأنها برت بوجودها للطرفين .

وهكذا عندما وصل فيصل إلى لندن في ١٠ ديسمبر (كانون أول) كان

Dec. I, IV, p. 251 .

(١)

Templey : Ouv. Cit. Vol. VI. pp. 141—2

(٢)

Lloyd George : Ouv, Cit Vol, II, p. 1038

(٣)



مصير الشام يبدو كما لو كان قد اقرر ، وأنه لم يعد لزيارته أية أهمية سياسية . ومع ذلك فإن الأحوال في الشام كانت تتطور في غير مصلحة فرنسا .

وقد قابل فيصل ملك بريطانيا والقائم بأعمال وزارة الخارجية وقد ظل فيصل في بريطانيا حتى السابع من يناير ( كانون ثان ) ١٩١٩ حين غادرها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح ، ونظراً لعدم وجود وثائق خاصة بما جرى في هذه الزيارة فإنه لم يعرف على وجه التحديد ما جرى بين الأمير فيصل ووزارة الخارجية البريطانية حول مستقبل الشام ، ولو أن تمبلى يقول إن فيصل قد نصح بأن يقبل سيطرة فرنسا على الشام إذ أفهمه البريطانيون أن بريطانيا ليست على استعداد للاضطراد بفرنسا حول الشام<sup>(١)</sup> ، حتى لقد ذهب البعض إلى أن فيصل في أثناء زيارته بريطانيا أبلغ باتفاقية سايكس بيكو لأول مرة ، ومن المحتمل أنه رأى رأى العين خريطة لتلك الاتفاقية التي ( أعادت العرب إلى الصحراء )<sup>(٢)</sup>

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن فيصل وهو في أوروبا ، خيل إليه - وبإيحاء من السلطات البريطانية - أنه ما دامع الصهيونية تعارض بشدة احتلال فرنسا لفلسطين فإنه يمكن أن يتعاون معها لجزرة فرنسا عن بقية الشام ، ولذلك دبر اجتماع في لندن بين فيصل والزعيم الصهيوني وايزمان بحضور لورنس وتمنح هذا النشاط عن اتفاقية عقدت بين الزعيمين ونصت - كما جاء في مقدمتها - على التعاون الوثيق بين الشعب العربي واليهود في تنمية وتطوير الدولة العربية وفلسطين .

وقد أضاف فيصل إلى هذه الاتفاقية وباللغة العربية - منعا لسوء التأويل

---

Temperley : Ouv, Cit, VI p, 142

(١)

Zeine : Ouv, Cit, p, 62

(٢)

— فرطاً جاء فيه أنه سوف يلتزم بالمواد السابقة و خريطة حصول العرب على استقلالهم — كما جاء في مذكرتي بتاريخ ٤ يناير (كانون لان) ١٩١٩ إلى وزارة الخارجية البريطانية — أما إذا حدث أدنى تعديل في المطالب الواردة بالملذكرة فإننى أكون حينئذ في حل ولن أنقيد بكلمة واحدة من هذا الاتفاق — الذى سيصبح لاحقاً ولن تكون له أية قيمة<sup>(١)</sup>.

والوثيقة التى وقعها الطرفان كانت تحمل هذا الشرط ، مما يدل على أن وازمان قد وافق عليه ، ويستنتج (شتاين) من هذا الاتفاق أن العرب وافقوا على تسليم فلسطين لليهود<sup>(٢)</sup> ويمتقد البعض أنه لو تم تحقيق آمال فيصل فيما يختص بالدولة العربية لسكان من السهل ألا تنخرج الحالة فى فلسطين بل وربما تنازل الحسين وفيصل عن فلسطين (الصغيرة)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا لم ير فيصل عدواً له سوى فرنسا ، أراد أن يستعين عليها بكل القوى بما فيها الصهيونية ، غير مقدر لخطورتها وحقيقة نواياها ، كما أنه كان يسهر ويتصرف بتوجيهات بريطانيا التى وضع فيها هو ووالده كل ثقهما ولكنه لم يلبث أن ناب إلى رشده ، وفطن إلى خطأ تقديره وخطورة الصهيونية سواء بسبب ملمسه من عدم استعداد الصهيونية المساعدة التى كان يرجوها أو لأنه لم يستطع أن يقف فى وجه التيار العربى الجارف المعادى للصهيونية ، وهذا رأى هو الأقرب إلى الحقيقة وإبرام هذه الاتفاقية باطل لأن الأمير فيصل لم يكن يملك حق التصرف فى جزء من سوريا بما يتعارض مع رغبات

---

Antoniüs : Ouv. Ci . pp 437—439 .

(١)

Jeifries : Palestine, the Reality, p 250—1

Stein : The Balfour Declaration, pp 640—2.

(٢)

p lestine Royal Commission (Cmd 5479, p. 27 .

(٣)

السوريين . ومهما كانت وجهة نظر فيصل إزاء الصهيونية والفائدة التي خيل إليه إنه يستطيع أن يجنيها من وراء التحالف معها فإن أهل فلسطين مسلمين ومسيحيين لم يروا هذا الرأي ، وكان هداؤهم للصهيونية واضعاً تماماً منذ البداية حتى لقد اعتبر البعض أن فلسطين أسوأ منطقة يمكن اختيارها لإنشاء وطن قومي يهودي يسبب انسجام سكانها .

• • •

#### قضايا المشرق العربي في مؤتمر الصلح :

بدأت اجتماعات مؤتمر الصلح في باريس في ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ وقد ذهب إليها فيصل ومستشاره لورنس ، وكانت الحكومة الفرنسية لا تثق فيهما وتعتبر فيصل « العوبة » في يد الحكومة البريطانية تستخدمه للإساءة إلى فرنسا<sup>(١)</sup>.

وكان فيصل قد قدم مذكرة إلى المؤتمر في أول يناير (كانون ثان) تحدث فيها عن الحركات القومية العربية وأنها تهدف إلى توحيد العرب في أمة واحدة ، وعبر عن أمله في أن تجد الدول الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف الحركة القومية العربية<sup>(٢)</sup>.

وكان مما ذكره الأمير فيصل في هذه المذكرة أن بلاد الشام متقدمة سياسياً بما يؤهلها لكي تدير شئونها الداخلية بنفسها ، ومع اعترافه بأن الإرشاد والمعونة الفنية أمران ضروريان من أجل النمو القومي إلا أن أهل الشام سيبددون أجر هذه المعونة نقداً ، ولا يمكن أن يضحووا من أجلها بأي جزء من حريتهم التي كسبوها مؤخراً بقوة السلاح ، وطالب بأن تكون

Zeine : Ouv. Cit p. 65 .

(١)

Miller, pp. 297 - 299

(٢)

حكومة العراق عربية على أن تأخذ بيد البدو حتى يصيروا مثل إخوانهم أهل المدن في المستوى الثقافي ، ووافق على تدعيم النظام الحكومى في العراق بالخبراء والمعونة الفنية من دولة كبرى أجنبية . أما عن فلسطين فقد ذكر الأمير فيصل في مذكرته أن الأغلبية الساحقة من السكان من العرب وأن اليهود يرتبطون بالعرب وليس هناك تعارض بين شخصية العنصرين ( يقصد طبعا اليهود المقيمين في فلسطين ) ومع ذلك فإن العرب لا يستطيعون المخاطرة بتولى مسئولية حفظ التوازن في حالة الصدام بين الجناس والطوائف الدينية ولذلك فإن العرب يفضلون وصاية عليا طالما أن إدارة محلية نيابية ستعمل على النهوض بأحوال البلاد ، وطالب فيصل الدول بالألتقاء أهمية على الخلافات الظاهرية وألا تنظر إليها بمنظار مصالح الدول الأوروبية ومناطق نفوذها ، وأن العرب يؤمنون أن تعتبرهم الدول أمة واحدة يعترفون بلغتهم ويطلقون بالألتقاء تتخذ خطوات تتعارض مع وحدة هذه المناطق تحت حكومة واحدة ذات سيادة . وأنه رغم بعض الاختلاف بين بعض المناطق فإن العقبة الكبرى التى يجب التغلب عليها هى الجبل الذى يعتبر الحكم التركى مسئولا عنه (١) .

وفى ٢٩ يناير ( كانون ثان ) قدم فيصل مذكرة أخرى إلى مؤتمر الصلح بصفتها مندوباً عن والده الذى قاد . بناء على طلب بريطانيا وفرنسا - ثورة عربية ضد الترك ، وذكر فيصل في مذكرته أنه جاء يطلب الاعتراف بالشعوب التى تكلم العربية والتى تمتد في آسيا من خط الاسكندرونه / ديار بكر إلى المحيط الهندى جنوباً كشعوب مستقلة ذات سيادة بضمين عصبة الأمم باستثناء الحجاز وهو دولة مستقلة فعلا ومحبة عدن البريطانية ، وذكر أنه

يؤسس هذا الطلب على المبادئ التي أعلنها الرئيس ولسن وإلى الدور الذي لعبه الجيش العربي في تحرير بلاده وأشار إلى أن العرب لو علموا بأن إجراءات اللتي ليست مؤقتة وإنما هي تنفيذ لاتفاق سرى لما سمحوا بها ، وأضاف فيصّل أنه على ثقة من أن الدول سوف تولى الشعوب العربيّة اهتماماً أكثر مما تولى مصالحها المادية الخاصة<sup>(١)</sup> وهكذا حاول فيصّل ألا يكتفى بتأييد بريطانيا بل حاول أن يكسب معونة الولايات المتحدة وتأييدها بالمطالبة بتطبيق مبادئ ولسن معتقداً أنه على هذا الأساس سيصير في استطاعة السوريين اختيار الدولة التي سوف تساعدكم .

وقد أبلغ فيصّل الكولونيل هاوس في حديث له معه في يوم ٢٩ مارس ( آذار ) ١٩١٩ أن قومه قد أوفدوه ليستعرض الدول الأوروبية المختلفة ويختار تلك التي يفضلونها لتولى الانتداب وأنه يجب الإنجليز كثيراً ولكنه حضر ليتعرف على الأمريكيين ويعرف ما إذا كانت الولايات المتحدة تقبل تولى الانتداب على الشام نظراً لوجود نزاع بين بريطانيا وفرنسا حول هذا الموضوع . فرد هاوس بأنه يشك في قبول الولايات المتحدة لهذا الانتداب فأعلن فيصّل أن العرب يفضلون الموت على انتداب فرنسا وهنا تدخل لورنس الذي كان يقوم بالترجمة بين فيصّل وهاوس وطالب بأن توصي اللجنة الدولية بانتداب أمريكي على سورية .

وقد عبر عن ذلك لوليام بيل في حديث معه في ١٣ فبراير ( شباط ) ١٩١٩ كما عبر عن نفس الفكرة للجنة كننج كرين . فإن الولايات المتحدة لم تكن طرفاً في الاتفاقيات التي عقدت بين دول الحلفاء في أثناء الحرب لتقسيم بعض أجزاء العالم إلى مناطق نفوذ — كما أن أهداف الولايات المتحدة من

---

Lloyd George ; The Truth II, 1039—40

(١)

الحرب كما حددها الرئيس واسن في بنوده الأربعة عشر التي أعلنها يوم ٨ يناير (كانون ثان) ١٩١٨ كانت تختلف اختلافاً جديراً عن الاتجاه العام للمعاهدات السرية وكان التناقض واضحاً بين البرنامج الأمريكي وسياسة الحلفاء الآخرين وفي باريس رفض الرئيس واسن أن يضع موضع الاعتبار اتفاقيات الحلفاء أثناء الحرب وقال إن الحلفاء وقد أعلنوا موافقتهم على مبادئ الأربعة عشر فإنهم بذلك يكونون قد أخذوا تلقائياً اتفاقياتهم السرية ، وصار عليهم أن ياتوا بهذه المبادئ التي تنفذ الاستعمار وتنادى بحق الأمم في تقرير مصيرها ولو قدر برنامج الرئيس واسن أن ينتهي إلى نهايته المنطقية فإنه كان يهدم كل الاتفاقيات السرية .

وقد ذكر وايم بيل في تقرير له أثناء وجوده في الشام في يونيو (حزيران) ١٩١٩ لاستكشاف الأحوال تجنب الخوض في موضوع انتداب أمريكا على الشام لعدة أسباب :

١ - أن أمريكا قد أصدرت وعداً مبدئياً لليهود وتنفيذها سوف يثير صعوبات جمة مع المسلمين ومما كل سياسية في الولايات المتحدة ذاتها .

٢ - أن فرنسا مصممة على البقاء على الأقل في لبنان ومن المستحيل إقناعها بالوسائل السلمية بالتخل عن هذه الفكرة .

٣ - قيام الولايات المتحدة بتشجيع وتنمية الشعور القومي لدى السوريين سوف يلقى مقاومة من جانب بريطانيا التي تستطيع أن تعمل عن طريق مكة وبغداد والهند والقاهرة وربما القسطنطينية ضد هذه المحاولة (١) .

ومع ذلك لم يفقد الدكتور عبد الرحمن شهبندر الأمل في إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بتولى الانتداب على الشام حتى لقد فكر في السفر مع بعض رفاقه إلى الولايات المتحدة .

\*\*\*

ولم يتمكن الأمير فيصل عن عرض مشكلته بنفسه على مؤتمر الصلح في الكاي دور ساي إلا في السادس من فبراير (شباط) وكان يصحبه لورنس فأشار إلى مذكرة ٢٩ يناير (كانون ثان) وأورد الأسباب التي دفعته إلى هذا المطلب فذكر أن والده لم يخامر بالثورة لدوافع شخصية وشكر كلا من بريطانيا وفرنسا على معونتهما وطالبهما بالوفاء بوعودهما التي أصدرها في نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ .

وعندما مثل فيصل أمام مؤتمر الصلح في ٦ فبراير (شباط) كان يحمل برنامجاً أوسع من محتويات مذكرته في أول كانون ثان (يناير) إذ طالب في ٦ فبراير (شباط) استقلال البلاد العربية الواقعة جنوب خط ديار بكر اسكندرونة استقلالاً تاماً تحت ضمان عصبة الأمم على أن ينظر في تأليف إدارة خاصة في فلسطين نظراً لاختلاف الأديان كما يمنح لبنان إدارة خاصة بمساعدة فرنسا .

ولخص فيصل مطالبه في أنه يطلب الاعتراف ببلاد العرب وحدة جغرافية مستقلة برئاسة والده الملك حسين وتطبيق المهود المقطوعة للعرب بالاستقلال التام مع الاعتراف للشام بالاستقلال على أن يستعين بمستشارين أجانب عند الحاجة وعلى أن تكون حكومة الشام متصلة بحكومة الجواز في شؤونها الخارجية (١) .

(١) أمين سميد : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢١ ، العري ج ٣ ص ١٣٩ .

وبذكر ( لانسنج ) أن خطاب فيصل أحدث في سامعيه تأثيراً عميقاً إلا أنه كان يواجه في باريس قوى أصعب من أن تقهر ، فقد كان العالم المسيحي - منذ أجيال - يكن كراهية للعقيدة الإسلامية ، وكانت الأمم المسيحية تبحث عن فرصة لتخليص مسيحي الشرق من العنف التركي الإسلامي ، وقد منحت هذه الفرصة بسقوط الإمبراطورية العثمانية ، ولذلك هزم ممثلو الدول الأوروبية في مؤتمر الصلح على الحيولة دون عودة السيادة الإسلامية على هذه المناطق مما جعل من الصعب تحقيق رغبة فيصل في إقامة دولة جديدة في الشام رغم اعتراف ( لانسنج ) بأنه كان ثمة بون شاسع بين الإدارة العربية والإدارة التركية إلا أنه كانت هناك قوى أخرى تقف بالمرصاد ضد قيام دولة مسلمة في الشام تتمثل في بعض الدول الكبرى ، ففرنسا - الحامية التاريخية لمسيحي لبنان - كانت تتطلع للحصول على السيادة على الشام رغبة في تأمين مصالحها المادية ، وكان ذلك على أساس اتفاق فرنسا مع بريطانيا ، ذلك الاتفاق الذي اعترفت فيه فرنسا باستحواذ بريطانيا على العراق ، وكان قبول فكرة سورية المستقلة تحت سيادة عربية يعني هدم هذا الاتفاق ، وإذا كانت بريطانيا قد أولت مقترحات فيصل أذناً صاغية باستثناء تلك التي تتعارض مع وعدها للصهيونية - فإن الحكومة الفرنسية عارضت بعدة إقامة سيادة عربية في الشام خصوصاً وأن العرب قد تعاونوا مع القوات البريطانية في الشرق فكان الفرنسيون يخشون في حالة قيام دولة عربية مستقلة في الشام أن تقع البلاد تحت سيطرة بريطانيا ، وبذلك تصير ميداناً مفتوحاً لمشروعات بريطانيا<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من اقتراح واشنطن لإيفاد لجنة دولية للتعرف على رغبات



الاهالى فى الشام ، فإنه بسبب مناورات كل من بريطانيا وفرنسا لم يقدر هذه اللجنة الخروج إلى مهمتها ، باستثناء الشعبة الأمريكية منها ، وهى التى عرفت بلجنة كنج / كرين King-Crano . وعلى هذا الأساس عاد فيصل إلى الشام فى آخر إبريل ( نيسان ) ١٩١٩ معتقداً أن هذه اللجنة ستكون بداية تحقيق الأمان العربية فى الاستقلال .

وبما تهدر ملاحظته أن الأمير فيصل اتجه نحو المطالبة بتولى بريطانيا الانتداب على الشام ، وذلك لتفادى خضوع البلاد لفرنسا ، وذلك بتوحيد الانتداب فى كل من الشام والعراق ، وحاول أن يدعو السوريين إلى المطالبة بذلك أمام اللجنة الدولية .

وقد سبق وقبل الشريف حسين بسيطرة بريطانيا على العراق الأدنى والأوسط ( البصرة وبغداد ) وما هو الأمير فيصل يطالب بانتداب بريطانيا على الشام . مفضلاً بريطانيا على فرنسا ، وفى رأينا أن فيصل والداه قد أخطأ كثيراً بهذه السياسة التى أثارت فرنسا وأشعرت المسئولين الفرنسيين أنهما ليسا متمسكين كل التمسك باستقلال البلاد العربية عن أى سيطرة أجنبية ، وإنما يقفان فى صلابة فى مواجهة الفرنسيين وليونة وتساهل فى مواجهة البريطانيين ، وأن الأمير فيصل إنما يعارض الانتداب الفرنسى من أجل إقامة انتداب بريطانى ولاشك أن هذا أدى إلى تشدد الفرنسيين فى معاملتهم وتمسكهم بموقفهم وإدعائهم ، وكان حرياً به أن يتمسك بحق للبلاد العربية فى الحرية والاستقلال عن أى نفوذ أجنبى ولو أنه فى موقفه هذا لم يكن خائناً لقضية البلاد العربية ، وإنما كان مفرطاً فى ثقته ببريطانيا .

### بريطانيا تتغل عن فيصل :

ولما كان المستولون البريطانيون العاهلون في الشرق يشجعون فيصل على التحدى في أحلامه ، والاعتقاد بأن بريطانيا تريد أن تحمل عمل فرنسا في الشام لو أنه ظلي متمسكا في المطالبة بتولي بريطانيا الانتداب على البلاد ، فقد أخذت الصحافة الفرنسية تحمل على السياسة البريطانية في الشام الأمر الذي أخرج الحكومة البريطانية أمام حليفها خصوصاً وأنه لم يبد من جانب الحكومة الأمريكية أى اتجاه نحو التدخل ، فقد اتخذت الحكومة البريطانية في ١٣ سبتمبر ( أيلول ) سنة ١٩١٩ قراراً بجلاء القوات البريطانية عن الشام في أول نوفمبر ( تشرين ثان ) سنة ١٩١٩ على أن تسلم هذه القوات حاميات دمشق وحمص وحماه وحلب إلى الأمير فيصل ، بينما تسلم حاميات المنطقة الواقعة غربى خط سايكس - بيكو إلى القوات الفرنسية .

وإذا كان مقتضى هذا الاتفاق صار من حق الفرنسيين احتلال لبنان فقط بدلاً من لبنان وداخلية الشام كما كانوا يطالبون فإنه يلاحظ أنه لم يعد البريطانيون يقفون بين الفرنسيين على الساحل وفيصل في داخلية الشام ، ولذلك وافق كليمنصو على المشروع وأعلن أنه أصبح على فرنسا أن تصل بمفردها إلى اتفاق مع العرب وبدون تدخل أى دولة في انتداب الأخرى<sup>(١)</sup> .

ويعتبر اتفاق ١٣ سبتمبر ( أيلول ) نصراً لكليمنصو وحكومته وخطوة نحو تحقيق الأطماع الفرنسية على الشام . ولذلك فإنه بمجرد قبول الاقتراح

---

Doc. I. IV p 468—9 (from Derby, Paris, to Curzon, (١)

Oct 14, 1919; enclosure from Clemenceau to Derby on the Same date.

البريطاني أرسلت وزارة الحرية الفرنسية تعزيزات إلى الشام وكتيكية كما اختارت وزارة الخارجية الفرنسية رجلاً عسكرياً هو الجنرال جورو (Gour) ليقود هذه القوات ويصبح كبير ممثل فرنسا في الشرق خلفاً لجورج بيكو، كما انتهز كليمنصو الفرصة ووجه خطاباً إلى الأمة السورية تضمن وعداً بإقامة نظام من الحرية والاستقرار والتقدم طبقاً لرغبات الأمة والصالحها<sup>(١)</sup>، ولقد اعتبر اتفاق سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ الخاص بإحلال قوات فرنسية محل البريطانية، وكذلك تعيين جورو كقيم عام في سوريا دلائل على أن فرنسا عقدت العزم على إثبات وجودها في اللبانت<sup>(٢)</sup>. ومع ذلك فقد بعث لورنس رسالة إلى لويد جورج يهتبه لأنه بهذا الاتفاق قد وُفِّي بكل وعود بريطانيا للعرب وأعطيتهم أكثر مما يستحقون وتخلصت من عبء كبير بخروجه نظيف اليدين<sup>(٣)</sup>.

أما المراقبون المحايدون فقد اعتبروا أن اتفاق ١٣ سبتمبر (أيلول) بالغ الضرر لأنه، ولو كان لا يبدو في الظاهر إجراء سياسياً، وإنما مجرد تغيير في الوضع العسكري في بلاد العدو المحتلة إلا أنه في واقع الأمر قد عرض للخطر المستقبل السياسي للأقطار العربية، بل وكان يشكل تهديداً للسلام في الشرق لأن تنفيذ الاتفاقية كان يعني تثبيت السيطرة الإدارية والعسكرية الفرنسية على الساحل السوري والسيطرة الإدارية والعسكرية البريطانية على كل العراق.

Longirgg : Syria & Lebanon under French Mandate (١)

( 1958 ) p. 94 .

Lyautay : Le Drame Oriental (1924) p. 160. (٢)

Garnett : Letters of T.E. Lawrence no, 114 p, 287, (٣)

### إعلان استقلال الشام والعراق :

وزار الأمير فيصل أوروبا مرة ثانية حيث أمضى نحو أربعة أشهر في أواخر عام ١٩١٩ ، ولم تأت هذه الزيارة بفائدة ، وفي الوقت نفسه ازدادت حدة التوتر بين أهالي الشام ، وتتابعت الأحداث ، فاجتمع المؤتمر السوري العام ، وقرر في ٧ مارس ( آذار ) ١٩٢٠ إعلان استقلال بلاد الشام بحدودها الطبيعية استقلالا تاماً ، والمناداة بفيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها ، ورفض مطالب الصهيونية في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وانتهاء حكومات الاحتلال العسكري القائمة في شرق وغرب وجنوب الشام على أن تقوم مكانها حكومة ملكية نيابية مسئولة أمام المؤتمر على أن تدار أقاليم الدولة الجديدة على أساس اللامركزية الإدارية وعلى أن تراعى أمان اللبنانيين الوطنية في طريقة إدارة لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي .

وأضاف بيان المؤتمر إلى أن الأسباب التي يستند إليها في استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب التي يستند إليها في استقلال القطر العراقي استقلالا تاماً على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي على أن يتولى الأمير عبد الله عرش العراق وينوب عنه الأمير زيد ، وأعلن انتهاء الاحتلال البريطاني للعراق .

وأثار هذا القرار الحليفتين الغريبتين اللتين اعتبرنا هذا العمل من جانب السوريين عسياناً واستباقاً لقرارات مؤتمر الصلح ولأنه يفسد المخططات التي كانتا تديرانها لأقاليم الشرق العربي ، وندرت الحكومة البريطانية بما جاء في بيان الاستقلال عن فلسطين والعراق لكي تصل إلى تفاهم تام مع الحكومة الفرنسية بعد أن صارت مصالح بريطانيا في العراق وفلسطين في خطر شأنها

شأن المصالح الفرنسية في (١) .

ولا نستطيع أن نؤيد الرأي القائل بأن إعلان المؤتمر السوري استقلال  
الهام والعراق أفقد فيصل صداقة بريطانيا وعطفها وتأيدها له في مواجهة  
فرنسا ، وذلك لأن نخلى بريطانيا عن جانبه كان قد اتضح بجلاء منذ أوائل  
عام ١٩١٩ ولم يصل العام إلى نهايته إلا وقد تخلت عنه نهائياً وتركته لقمة  
سائفة لفرنسا ، وقد تعجب المراقبون لتخل بريطانيا عن العرب وتأيدها  
لفرنسا رغم ما كان معروفاً لديهم من أن بريطانيا لم تكن ترتاح إلى أي وجود  
لفرنسا في الشام لأن ذلك من شأنه أن يشكل تهديداً لفلسطين من الشمال ، كما  
أن سيطرة فرنسا على دمشق سيجعل لها تأثيراً على شئون شمال شبه الجزيرة  
وكذلك الحجاز بسبب موقع خط سكة حديد الحجاز يضاف إلى هذا أن  
جواررة فرنسا في الشام لبلاد الرافدين ما كان ليجد ترحيباً من بريطانيا ومع  
ذلك كله فإن تعجب المراقبين لم يطل فقد ظهرت لهم الدوافع التي جعلت  
بريطانيا تتجه هذا الاتجاه في تأييد فرنسا ضد العرب فإن بريطانيا لم تكن  
تنظر بعين الارتياح إلى آمال العرب في إنشاء دولة مستقلة في الشام لأن إقامة  
مثل هذه الدولة من شأنه أن يثير العرب من سكان فلسطين والعراق ومصر  
ضد السيطرة البريطانية فينزعون إلى الاستقلال وبالتالي تهديد مركز بريطانيا  
في الشرق (٢) .

---

Documents on British Foreign Policy I, Vol. XIII (١)  
pp. 226—7 (from Curzon to Derby, March 13, 1920) .  
Yale University Library, Yale's Rep. No. 33 - Arab Empire (٢)  
Propaganda - July 1, 1918) Zionist attitude towards the future  
state of Syria pp. 17—18 (microfilm),

مؤتمر سان ريمو :

وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا كانتا قد اعترفتا بالأخذ بنظام الانتداب فإنهما لم تلحيا من أجل تحديده بسبب عدم التأكد من مدى اشتراك الولايات المتحدة في الشؤون الدولية ، ولذلك فقد أرجىء الموضوع حتى ربيع ١٩٢٠ ، وفي تلك الأثناء كانت قد تمت الموافقة على ميثاق عصبة الأمم الذي صار أداة يمكن استغلالها كأساس رسمي للانتداب . وفي تلك الأثناء أيضاً كان المرض قد انتاب الرئيس الأمريكي ولسن ، ورفض مجلس الشيوخ في ١٩ مارس (آذار) ١٩٢٠ كل ترتيباته في أوروبا ، والسبب في انسحاب الولايات المتحدة من مجلس الحلفاء الأعلى ومن أي دور فعال في تسوية السلام .

ولم تلبث بريطانيا وفرنسا أن وجدتا أنه لا بد من الإقدام على خطوة ما لمواجهة قرارات المؤتمر السوري ، ولتنفيذ مخططاتهما بخصوص الشرق العربي ، فاجتمع مجلس الحلفاء الأهل بدون الولايات المتحدة في لندن في الثامن عشر من فبراير (شباط) ١٩٢٠ واستؤنفت الاجتماعات في سان ريمو بين التاسع عشر والسادس والعشرين من أبريل (نيسان) ١٩٢٠ وحضر الاجتماع رئيسا الوزارتين البريطانية والفرنسية شخصياً (لويد جورج وميلران) ، وكان نوري السعيد حاضراً في سان ريمو في ذلك الوقت ولكنه لم يحضر اجتماعات المؤتمر بل ظل في الفندق ولذلك لا يمكن اعتبار أنه كان فيصل مندوب في المؤتمر<sup>(١)</sup> كما سافر وايزمان وسكولوف إلى سان ريمو وكذلك هربرت صمويل .

وفي الخامس والعشرين من أبريل (نيسان) حدد الانتداب فنقرر أن تتولى بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين والأردن ، وفرنسا على الشام

( سورية ولبنان ) ، ودون أن يأخذ في الاعتبار ما نصت عليه الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم التي تمت الموافقة عليها في الثامن والعشرين من يونيو ( حزيران ) عام ١٩١٩ والتي نصت على أن - ولرغبات الأهلين الاعتبار الرئيسي في اختيار الدولة المنتدية ، وهكذا تم الاتفاق بين الحليفتين ولم يمد ثمة تصادم بين مصالحهما في المشرق العربي .

ولا شك في أن الانتداب على الشرق العربي الأسوى بالصورة التي تقر بها في مؤتمر سان ريمو ويعتبر الصورة النهائية التي نفذت بها اتفاقية سايبكس - بيكو ، وقد أقر لويد جورج نفسه بأن نظام الانتداب كان بديلا للاستعمار القديم .

\* \* \*

وهكذا أصيبت الأمانى القومية لعرب الشرق الأسوى بشكسة على يد الأصدقاء ، بعد ما بذل العرب من جهد في سبيل التحرر من غير الترك . ومساعدة الحلفاء على إحراز النصر ، وبخضوع أقطار الشرق العربي الأسوى لسيطرة الحليفتين الغربيتين دخامت الحركة القومية في مرحلة جديدة من الكفاح في سبيل تحقيق الأهداف التي بدأت في السعى من أجلها ، وهذه المرحلة الجديدة ستكون موضع دراسة قادمة إن شاء الله .

( والحمد لله رب العالمين )

## فهرس

صحة

مقدمة الطبعة الأولى	...	...	...	...	٤ ٤ ٣
مقدمة الطبعة الثانية	...	...	...	...	٢١ - ٥

### الباب الأول

للشرق العربي الآسيوى فى ظل الحكم العثمانى	٢٢ - ٦٧
الفصل الأول : الغزو العثمانى للشرق العربى	٢٢ - ٢٦
اتجاه العثمانيين نحو الشرق وأسبابه ٢٣ - غزو مصر والشام	
٢٨ - - خضوع الحجاز للعثمانيين ٣٠ - الغزو العثمانى لليمن ٣١	
- الفتح العثمانى للعراق ٣٣ - نتائج الفتح العثمانى للشرق العربى ٣٤	
- العثمانى والخلافة الإسلامية ٣٤	

الفصل الثانى : أحوال الشرق العربى الآسيوى فى ظل الحكم العثمانى ٣٧ - ٥٨	
سياسة العثمانيين فى حكم البلاد العربية ٣ - الترابط العربى	
فى ظل الحكم العثمانى ٤٠ - اختلاف نظرة عرب المغرب إلى الحكم	
العثمانى ٤١ - الالتقاطات فى الشرق العربى على الحكم العثمانى ٥١ -	
محمد على وتكوين دولة عربية ٥٢	

الفصل الثالث : بداية اليقظة العربية	٥٩ - ٦٧
عوامل اليقظة العربية ٥٩ - أمر الحكم المصرى على اليقظة	
العربية ٦١ - البعثات التبشيرية ٦٢ - الجمعيات الأدبية فى الشام ٦٦	

### الباب الثانى

العهد الجيديدى ١٨٧٦ - ١٩٠٨	٦٩ - ١١٢
الفصل الرابع : الجامعة الإسلامية بين الأفغانى وعبد الحميد الثانى	٧١ - ٨٩



ملح

دستور مدحت باشا ٧١ - الاستبداد الخيدى ٧٣ - سياسة  
عبد الحميد الإسلامية ٧٤ - الأفغانى والجامعة الإسلامية ٧٩ -  
الأفغانى يقدر الرابطة القومية ٨٠ - الخلاف بين الأفغانى  
وعبد الحميد ٨٢ - سياسة عبد الحميد إزاء العرب ٨٦

الفصل الخامس : الحركة القومية العربية فى ظل الحكم الخيدى ٩٠ - ١١٢  
جمعية بيروت السرية ٩٠ - مساوىء التعليم الغربى ٩٣ -  
المكوا كبرى نجيب عازورى ١٠٠ - مركز مصر فى الحركة العربية  
١٠٤ - موقف عبد الحميد من الصهيونية ١٠٧

### الباب الثالث

عهد الاتحاد بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ ١١٣ - ١١٩  
الفصل السادس : مرحلة الوفاق العربى التركى ... ١١٠ - ١٢٥  
حركة تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ - ١١٠ - استبشار العرب بالدستور  
١١٩ - جمعية الإخاء العربى العثمانى ١٢

الفصل السابع : مرحلة النفور العربى التركى ... ١٢٥ - ١٥٧  
عوامل نفور العرب من الترك ١٢٥ - الانقلاب المضاد وموقف  
العرب منه ١٣٠ - سياسة الاتحاديين بعد الانقلاب المضاد ١٣١  
الاتحاديون وضميه اليمن ١٣٣ - سخط العرب على إدارة الاتحاديين  
١٣٥ - الاتحاديون ومسألة فلسطين ١٣٦ - سخط العرب على  
موقف الاتحاديين من الاعتداء الإيطالى على طرابلس الغرب ١٤١  
المعارضة العربية فى مجلس المبعوثان ١٤٥ - مناصب الاتحاديين  
الخارجية ١٢٨ - تطور سياسة الاتحاديين تجاه القوميات فى  
الإمبراطورية ١٤٩ - تطور العلاقات بين العرب والدولة العثمانية  
بعد المشروطية ١٥٥

الفصل الثامن : الجمييات العربية فى الشام والعراق ... ١٥٨ - ١٨٩

الصفحة

الموضوع

المنتدى الادبي ١٥٨ - حزب اللامركزية الإدارية العثمانى  
١٥٩ - الجمعية القحطانية ١٦٠ - جمعية العربية الفتاة ١٦١ -  
جمعية بيروت الإصلاحية ١٦٣ - والحركة القومية فى العراق ١٦٧  
جمعية البصرة الإصلاحية ١٧٠ - مؤتمر باريس ١٧٢ - حزب على  
المصرى ( وجمعية العهد ١٧٥ .

الفصل التاسع : الاحوال فى شبه الجزيرة العربية ... ١٩٠ - ٢١٩  
الحجاز ١٩١ - نجد ١٩٣ - الخليج ١٩٩ - الكويت ٢٠٠  
الحسا ٢٠٩ - البحرين وقطر ٢١٠ - اليمن ٢١٣ - سدير ٢١٧

الباب الرابع

الشرق العربى الاسيوى فى الحرب العالمية الاولى ... ٢٢١ - ٢٨١  
الفصل العاشر : الشرق العربى الاسيوى والحرب ... ٢٢٣ - ٢٤٦  
اهمية الشرق العربى الاسيوى ٢٢٣ - استعداد الترك للهجوم  
على مصر ٢٢٨ - الدهوة إلى الجهاد ٢٣٠ - دول الوفاق تحارب  
التدخل المسكرى فى الشام ٢٣٥ - أثر الدهوة إلى الجهاد ٢٣٨ -  
تأثر الشرق العربى بطروف الحرب ٢٤٥ .

الفصل الحادى عشر : الاتفاق العربى البريطانى ... ٢٤٧ - ٣٠٥  
محاولة بريطانيا الاستفادة من تدمير العرب ٢٤٧ - المعاهدة  
مع الادريسى فى سدير ٢٤٨ - موقف اليمن ٢٤٩ - النشاط الحربي  
فى الجنوب العربى ٢٥٣ - الكويت ٢٥٤ - ابن سعود ٢٥٤  
الاهتمام بالعراق ٢٥٨ - الاتفاق بين بريطانيا والشرىف حسين  
٢٦٧ - الاتصالات الاستطلاعية ٢٦٩ - تشجيع سودانى للشرىف  
٢٧٩ - اتصال للشرىف بالقوميين العربى ٢٨٢ ... مراسلات

صفحة

الموضوع

الحسين مكاهون ٢٩٢ — الاتفاق الإنجليزي العربي كما فهمه الشريف ٣١٠

الفصل الثاني عشر: الثورة العربية في الحجاز ... ٣١٦ — ٣٧١  
القطعة بين الشريف والترك ٣١٦ — الثورة ٣٢٢ النشاط  
الحربى للثورة العربية ٣٢٥ — المرحلة الأولى ٣٢٦ — سوء العلاقات  
بين الشريف وبريطانيا ٣٣١ — إنشاء الجيش العربى ٣٣٧ — أسباب  
تخلي عزيذ على المصرى عن منصبه ٣٣٩ — صدى ثورة الشريف  
حسين ٣٤٥ — فى العام ٣٤٨ — أثر الثورة على الألمان ٣٥٠  
فى العراق ٣٥٢ — صدى الثورة فى شبه الجزيرة العربية ٣٥٣ — فى  
مصر والسودان ٣٥٣ — صدى الثورة فى الهند ٣٥٥ — صدى الثورة  
فى بريطانيا ٣٥٥ — صدى الثورة فى فرنسا ٣٥٦ — مساعدات  
فرنسا للثورة ٣٥٧ — تقييم المرحلة الأولى للثورة ٣٦٠ —  
المرحلة الثانية للثورة ٣٦١ — أهمية سقوط العقبة ٣٦٥

#### الباب الخامس

بين غفلة الزعامة وخداع العظمى البريطانية، ... ٣٧٣ — ٣٧٥

الفصل الثالث عشر: اتفاقية سايكس — بيكو ... ٣٧٥ — ٣٩٣

تطور سياسة بريطانيا ازاء الدولة العثمانية ٣٧٥ — موقف  
روسيا من الدولة العثمانية ٣٧٦ — اتفاقية الاستانة (١٩١٥) ٣٧٧  
اتفاقية سايكس بيكو ٣٧٩ — نقد الاتفاقية ٣٨٥ — إذاعة  
الاتفاقية ٣٨٨ — موقف العرب من الاتفاقية ٣٨٨

الفصل الرابع عشر: تصريح بالفور ... ٣٩٣ — ٤٠٨

عوامل إصدار التصريح ٣٩٣ — صدى التصريح فى الأوساط  
العربية ٤٠٠ — موقف الملك حسين ٤٠٢ — موقف الزعماء

الموضوع	صفحة
السوريين ٤٠٣ - عوامل تناقض السياسة البريطانية ٤٠٦ .	
الفصل الخامس عشر : انحسار الحكم التركي ... ٤٠٩ — ١٥٧	
الجملة على الشام ٤٠٩ - دخول دمشق ٤١٨ - القام عقب سقوط دمشق ٤٢٣ - القيمة العسكرية للإسهامات العربية ٤٢١ - الحملة البريطانية على العراق ٤٣٥ - انسحاب الأتراك العثمانيين من	
الين ٤٤٧ - تطلع الين إلى معونة الولايات المتحدة ٤٤٩ منطقة الخليج ٤٥٣ - استمرار بريطانيا في خديعة العرب ٤٥٣	
الفصل السادس عشر : تنفيذ المؤامرة الاستعمارية ... ٤٥٨ — ٤٥٥	
عرض القضية العربية على مؤتمر الصلح ٤٥٨ - قضايا المشرق العربي في مؤتمر الصلح ٤٦٣ - بريطانيا تتخلى عن فيصل ٤٧٠ - إعلان استقلال الشام والعراق ٤٧٢ - مؤتمر سان ريمو ٤٧٤	
الفهرس ... .. ٤٧٦ — ٤٨٠	



